(الجزء الثامن)   شعبان ١٣٣١   (المجلد السادس عشر)

﴿ قيمة الاشتراك ﴾
عن سنة ٨٠ قرشاصاغا في مصر والسودان و ٤ ريالات في المملكة العثمانية و ٢٢ فرنكا في الخارج و ١٩ شلنا في الهند و ٩ روابل في روسيا (ويجب الدفع سلفا)

المنار

١٣١٥

﴿ تنبيه ﴾
يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشىء المجلة والمستلم

الاشتراك في المجلة يكون دائما من أول سنتها « المحرم » ومنتصفها « رجب »

﴿ مجلة شهرية ﴾
تبحث في فلسفة الدين
وشؤون الاجتماع والعمران

لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

(وكيل ادارة مجلة المنار ومدير مطبعتها : السيد صالح مخلص رضا)

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

﴿ فهرس الجزء الثامن ﴾

(اثمان مطبوعات المنار عدا أجرة التجليد)

البريد ملّيم	الثمن ملّيم	الثمن قرش	الكتاب
٤		٣	تفسير سورة الفاتحة
٤	٥	١	« سورة والعصر
٣٠		١٢	« القرآن الحكيم ثمن كل جزء منه
٨		٥	المصلح والمقلد
٦		٥	أم القرى (طبع المنار)
٦		٣	الانقلاب العثماني
٥٠		٢٤	شرح عقيدة السفاريني
٦		٥	رسالة التوحيد
٨		٥	الاسلام والنصرانية
٨		٤	الدين في نظر العقل
٢٠		٥	دين الله في كتب أنبيائه
٣٠		١٥	أنجيل برنابا
١٢		٢	الصلب والفداء ص١٦٨
٨		٤	شبهات النصارى
١٠	٥	٢	نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص٢٤٠
٤		١	المسلمون والقبط
٦		٣	انتقاد مؤلفات زيدان
١٦		٩	التوسل والوسيلة
١٦		٨	سيرة خديجة
٥٠		٢٥	العلم الشامخ مع الذيل

البريد ملّيم	الثمن ملّيم	الثمن قرش	الكتاب
٤٠		٢٠	التربية الاستقلالية
٣٠		٢٠	تاريخ الاستاذ الامام (المنشآت)
٣٠		١٠	تاريخ الاستاذ الامام (التآبين والمراثي)
٥٠		٦٠	ثمن مجموعة السنة الاولى والـ ٤ ـ ١٤ من المنار
٥٠		٢٠٠	ثمن المجموعة الثانية « «
٥٠		١٠٠	« الثالثة « «
٥٠		٨٠	« الخامسة عشرة
٣٠		٢٠	دلائل الاعجاز. طبعة ثانية
٣٠		٢٠	اسرار البلاغة
٤		٢	اغاثة اللهفان
٤		٢	الجرح والتعديل (للقاسمي)
٦		٤	اصلاح المحاكم الشرعية
٢		١	فتاوى القضاء لاصلاح المرأة
٦		٥	اعمال مجلس ادارة الازهر
٢	٥	٠٠	خلاف الامة
٢	٥	٠٠	الصوفية والفقراء
		٨	تاريخ دول العرب والاسلام
		٢٠	« البابية

ثمن كل جزء من المنار (ان وجد) للمشترك ٨ قروش و ١٠ لغير المشترك يضاف خمسة قروش لكل جزء من اجزاء التفسير أو التاريخ ولكل نسخة من انجيل برنابا وأسرار البلاغة وقرش واحد لرسالة التوحيد اذا كان المطلوب من الورق الجيد اجرة التجليد الافرنجي بالكعب الجلد خمسة قروش لكل كتاب يكون ثمنه من عشرة قروش فصاعدا واربعة قروش لما دون ذلك والتجليد الممتاز عشرة قروش لكل مجلد

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ شعبان ١٣٣١هـ ق ١١ الصيف الأول ١٢٩١هـ ش ٢ أغسطس ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

﴿ تتمة واستدراك في مباحث حل الطعام وحرامه والتذكية والتسمية ﴾

كتبنا ماتقدم في تفسير الآية مستعينين على فهمها ببيان سنة رسول الله (ص) وما جرى عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين في الصدر الاول ، وذلك شأننا في فهم كتاب الله عز وجل نستعين عليه بما ذكر وبأساليب لغة العرب وسنن الله في خلقه . ثم راجعنا بعد ذلك ما كتبناه في مسألة حل الطعام وحرامه في المجلد السادس من المنار فرأينا ما كان منه بفهمنا واجتهادنا موافقا لما هنا مع زيادة بيان لحكمة تحريم الميتة ، ونقول من كتب مذاهب الفقهاء المشهورة ، فأحببنا ان نلخص منه ما يأتي إتماما للفائدة ، حتى لا يبقى للمضلين الجاهلين سلطان على المطلع عليه يضلونه به كما فعل أشياعهم من نحو عشر سنين اذ سئل الاستاذ الامام المفتي عن قوم من أهل الكتاب (في الترنسفال) يضربون رأس الثور بالبلطة ثم يذبحونه ولا يسمون الله

كما يذبحون الشاة بدون تسمية ، فأفتى بحل ذبيحتهم هذه ، فقام بعض أصحاب الاهواء يشنع على هذه الفتوى في بعض الجرائد ويعد هذه الذبيحة من الموقوذة ويدعي الاجماع على حرمة الاكل منها. فكتبنا في مجلد المنار السادس بيان الحق في هذه المسألة وما يتعلق بها ، وجاءتنا رسائل من بعض علماء مصر والغرب فنشرناها تأييدا لما كتبناه في تأييد الفتوى. ثم اجتمع طائفة من علماء المذاهب الاربعة في الازهر وألفوا رسالة أيدوا بها الفتوى بنصوص مذاهبهم وطبعها الشيخ عبد الحميد حمروش (من علماء الازهر وقضاة الشرع لهذا العهد) وهاك مارأينا زيادته الآن:

(حكمة تحريم الميتة) بينا (في ص ٨١٨ و ٨١٩ م ٦ من المنار) حكمة تحريم مامات حتف انفه من ثلاثة وجوه أو ذكرنا له ثلاث حكم (١) تعظيم شأن القصد في الامور كلها ليكون الانسان معتمدا على كسبه وسعيه ، فان التذكية عبارة عن ازهاق روح الحيوان لأجل أكله ولها صور وكيفيات كثيرة كما علم من تفسيرنا للآية (٢) ان الميت حتف انفه يغلب ان يكون قد مات لمرض أو أكل نبات سام و بذلك يكون لحمه ضارا . وكذا اذا مات من شدة الضعف وانحلال الطبيعة (٣) استقذار الطباع السليمة له واستخباثه وعد أكله مهانة تنافي عزة النفس وكرامتها . ثم قلنا هنالك مانصه :

« واما ماهو في معنى الميتة حتف أنفها من المنخنقة والموقوذة الخ فيظهر في علة تحريمه كل ماذكر الا حكمة توقي الضرر في الجسم فيظهر فيه بدلها تنفير الناس عن تعريض البهيمة للموت باحدى هذه الميتات القبيحة في حال من الاحوال ، وان يعرفوا ان الشرع يأمر بالمحافظة على حياة الحيوان وينهى عن تعذيبه أو تعريضه للتعذيب ، و يعاقب من يتهاون في ذلك بتحريم أكل الحيوان عليه كيلا يتهاون في حفظ حياته. فان الرعاة يغضبون أحيانا على بعض البهائم فيقتلونه بالضرب و يحرشون بين البهائم فيغرون الكبشين بالتناطح حتى يهلكا أو يكادا . ومن كان يرعى انعام غيره بالاجرة يقع له مثل هذا أكثر ، ولو كان كل ماهلك بتلك الميتات حلالا لما بعد ان يتعمد الرعاة وأمثالهم من التحوت تعريض البهائم لها ليأكلوها بعذر. ويدل على هذه الحكمة أحاديث صحيحة منها قوله (ص) بعد النهي عن الخذف وهو الرمي بالحصا والبندق (الطين المشوي لذلك) انها لاتصيد صيدا ولا تنكأ

عدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين » رواه أحمد والبخاري ومسلم اه

ثم ذكرنا (في ص ٨٢٢ م ٦) حكمة أخرى في ضمن مقالة وعظية لعالم مغربي أيد بها فتوى الاستاذ الامام قال : وهل عرف اولئك العلماء حكمة الذبح المعتاد وشيوعه بين المسلمين بقطع الحلقوم والمريء مع قيام غيره مقامه في الصيد والدابة الشاردة والسمك والجراد والجنين في بطن أمه ؟ . . . فليعلموا ان كل قتل بحسب الاصل موصل للمقصود ولكن الله لحكمته ورحمته بنا و بالحيوان جعل بيننا قسمة عادلة ومنة عامة فحرم علينا ماقتله الحيوان وما مات في الخلاء بغير قصد منا ليبقى ذلك كله للحيوان يأكله لأنها امم أمثالنا. وكأنه تعالى لم يرض ان نأكل مالم نقصده ولم نفكر فيه . فاما المذكى والصيد والسمك والجراد ونحوها فانها كلها لاتؤخذ الا بالنصب والتعب اه

أقول انني لما رأيت هذه الحكمة التي لم تكن خطرت في بالي تذكرت أن أراجع كتاب حجة الله البالغة لعلي أجد فيه من الحكمة ما أقتبسه في هذا المقام فرأيته أطال في بيان حكمة محرمات الطعام مراعيا فيها المعتمد في بعض المذاهب ولم يذكر في الميتة والدم المسفوح الا أنهما نجسان وفي الخنزير الا انه مسخ بصورته قوم . وقد أعجبني في هذا الباب قوله « في اختيار أقرب طريق لازهاق الروح اتباع داعية الرحمة وهي خلة يرضى بها رب العالمين ويتوقف عليها أكثر المصالح المنزلية والمدنية . قال صلى الله عليه وسلم « مايقطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة » (١) أقول كانوا يجبون أسنمة الإبل ويقطعون أليات الغنم وفي ذلك تعذيب ومناقضة لما شرع الله من الذبح فنهى عنه . قال (ص) « من قتل عصفورا فما فوقه بغير حقه سأله الله عز وجل عن قتله » (٢) قيل يارسول الله وما حقه ؟ قال « أن يذبحه فيأكله ولا يقطع رأسه فيرمي به » أقول ههنا شيئان مشتبهان لابد من التمييز بينهما أحدهما الذبح للحاجة واتباع اقامة مصلحة النوع الانساني والثاني السعي في الارض بافساد نوع الحيوان واتباع داعية قسوة القلب» اه وهو موافق ومؤيد لما ذكرناه من قبل

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن أبي واقد واسناده حسن ورواه غيرهم عن غيرهم (٢) رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو واسناده حسن

﴿ حكمة اباحة قتل الحيوان لأجل أكله ﴾

ذهب بعض الفلاسفة الى ان تذكية الحيوان وصيده لأجل أكله قبيح لا ينبغي للعاقل ان يأتيه ولا يحسن ان يعذب غيره من الاحياء لأجل شهوته ، ويترتب على هذا الاعتراضُ على الشرائع الإلهية التي أباحت أكل الحيوان كالموسوية والعيسوية والمحمدية . ومما يطعن به الناس في أبي العلاء المعري الفيلسوف العربي انه كان لا يأكل اللحم استقباحا له وأنه كان يعده توحشا لا انه كان يعافه بطبعه ككثير من الناس، وقد يشعر بهذا ماحكي عنه انه مرض فوصف له الطبيب فرّوجا فلما جيء به مطبوخا وضع يده عليه وقال : استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الاسد؟ والجواب عن هذا ان الشرائع الالهية لو لم تبح للناس أكل الحيوان لكان هذا الاعتراض يرد على نظام الخلقة لان من سننه ان يأكل بعض الحيوان بعضا في البر والبحر، فالانسان أجدر بأن يأكل بعض الحيوان لأن الله فضله على جميع أنواع الحيوان وسخرها له كما سخر له جميع مافي الأرض من الاجسام والقوى ليستعين بذلك على معرفته وعبادته واظهار آياته في خلقه وما أودع فيها من الحكم والعجائب واللطائف والمحاسن . وامتناع الناس عن أكل مايأكلون من الحيوان كالانعام لا يعصمها من الموت بالمرض أو التردي أو فرس السباع لها، وربما كانت كل ميتة من هذه الميتات أهون وأخف ألما من التذكية الشرعية التي كتب الله فيها الاحسان ومنتهى العناية بالحيوان ، ونحن نرى الشاة اذا شمت رائحة الذئب أو سمعت عواءه تنحل قواها ، وكذلك شأن الدجاج مع الثعلب، وسائر الحيوانات غير المفترسة مع السباع المفترسة ، وإنما ألم الذبح لحظة واحدة، ويقول علماء الحياة إن إحساس الأنعام والدواب بالالم أضعف من احساس الانسان به فلا يقاس أحدهما على الآخر ، على ان من الناس من لا يعظم ألمهم من الجرح فربما يقطع عضو الواحد منهم لعلة به ولا يتأوه ، وقد يغمى على غيره من مثل ذلك، ولا يحتمله الا كثيرون الا اذا خدروا تخديرا ، لا يجدون معه ألما ولا شعورا

﴿ مذهب الحنفية في ذبائح أهل الكتاب ومناكحتهم ﴾

جاء في ص ٩٧ من الجزء الثاني من العقود الدرية . في تنقيح الفتاوى الحامدية) لابن عابدين الشهير صاحب الحاشية الشهيرة على الدر المختار مانصه

« سئل في ذبيحة العربي الكتابي هل تحل مطلقا أولا (الجواب) تحل ذبيحة الكتابي لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو دعوى كالكتابي ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل مناكحته فصار كالمسلم في ذلك . ولا فرق في الكتابي بين أن يكون ذميا يهوديا ، حربيا أو عربيا أو تغلبيا لإطلاق قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب) والمراد بطعامهم مذكاهم، قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه قال ابن عباس رضي الله عنهما « طعامهم ذبائحهم» ولان مطلق الطعام غير المذكى يحل من أي كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصه بالمذكى . وهذا اذا لم يسمع من الكتابي انه سمى غير الله كالمسيح والعزير واما لو سمع فلا تحل ذبيحته لقوله تعالى « وما اهل لغير الله به » وهو كالمسلم في ذلك وهل يشترط في اليهودي ان يكون اسرائيليا وفي النصراني ان لا يعتقد أن المسيح إله ؟ مقتضى اطلاق الهداية وغيرها عدم الاشتراط وبه أفتى الجد في الاسرائيلي . وشرط في المستصفى لحل مناكحتهم عدم اعتقاد النصراني ذلك ، وكذلك في المبسوط فانه قال: ويجب ان لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب اذا اعتقدوا أن المسيح إله وأن عزيرا إله ولا يتزوجوا نساءهم . لكن في مبسوط شمس الائمة: وتحل ذبيحة النصراني مطلقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ، ومقتضى إطلاق الآية الجواز كما ذكره التمرتاشي في فتاواه. والاولى ان لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم إلا لضرورة كما حققه الكمال ابن الهمام ، والله ولي الانعام ، والحمد لله على دين الاسلام ، والصلاة والسلام على محمد سيد الانام ،

« قال العلامة قاسم في رسالته : قال الامام ومن دان دين اليهود والنصارى من الصابئة والسامرة أُكل ذبيحته وحل نساؤه، وحكي عن عمر (رض) انه كتب اليه فيهم أو في أحدهم فكتب مثل ماقلنا ، فاذا كانوا يعترفون باليهودية والنصرانية

فقد علمنا ان النصارى فرق فلا يجوز اذا جمعت النصرانية بينهم أن نزعم ان بعضهم تحل ذبيحته ونساؤه وبعضهم يحرم ، الا بخبر ملزم ، ولا نعلم في هذا خبرا ، فمن جمعته اليهودية والنصرانية فحكمه واحد هـ بحروفه - اه مافي تنقيح الفتاوى الحامدية بحروفه ، وبهذه الفتوى أيد بعض علماء الازهر الفتوى الترنسفالية للاستاذ الامام

(حكم ماخنقه أهل الكتاب عند الحنفية)

ذكر الشيخ محمد بيرم الخامس الفقيه الحنفي في كتابه صفوة الاعتبار مبحثا طويلاً في ذبائح أهل أوربة ونقل عن علماء مذهبه ان ذبائح اهل الكتاب حلال مطلقا ، وجاء بتفصيل في انواع المأكول في أوربة ثم قال مانصه

« وأما مسألة الخنق فان كان لمجرد شك فلا تأثير له كما تقدم ، وان كان لتحقق فلم أرَ حكم المسألة مصرحا به عندنا وقياسها على تحقق تسمية غير الله انها محرمة عند الحنفية وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فالقياس عليها يفيد الحلية حيث خصصوا بآية « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » آية « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » وآية « وما أهل لغير الله به » وكذلك تكون مخصصة لآية المنخنقة ويكون حكم الآيتين خاصا بفعل المسلمين والاباحة عامة في طعام أهل الكتاب اذ لا فرق بين ما أهل به لغير الله وما خنق فاذا أبيح الاول فيما يفعله أهل الكتاب كذلك الثاني . وقد كنت رأيت رسالة لاحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل وجلب النصوص من مذهبه بما يثلج به الصدر سيما اذا كان عمل الخنق عندهم من قبيل الذكاة كما أخبر كثير من علمائهم وان المقصود التوصل الى قتل الحيوان بأسهل قتلة للتوصل الى أكله بدون فرق بين طاهر ونجس مستندين في ذلك لقول الانجيل على زعمهم فلا مرية في الحلية على هاته المذاهب .

فان قلت كيف يسوغ تقليد الحنفي لغير مذهبه ؟ قلت أما ان كان المقلد من أهل النظر وقلد الحنفي عن ترجيح برهان فهذا ربما يقال انه لا يسوغ له ذلك (أي الا أن يظهر له ترجيح دليل الحل ثانيا) وأما ان كان من أهل التقليد البحت كما هو في أهل زماننا فقد نصوا على ان جميع الائمة بالنسبة اليه سواء والعامي لا مذهب

له وانما مذهبه مذهب مفتيه ، وقوله : أنا حنفي أو مالكي : كقول الجاهل : أنا نحوي : لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فبأي العلماء اقتدى فهو ناج . على أن الكلام وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوع بالفعل في تقليد المجتهد لغيره والكلام مبسوط في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر البحث أبو السعود في شرح الاربعين حديثا النووية والف في ذلك رسالة عبد الرحيم المكي فليراجعها من أراد الوقوف على التفصيل

« فان قيل : قد ذكرت ان الخنزير محرم وهو من طعامهم فلماذا لا يجعل مخصصا بالحلية بهذه الآية أي آية طعامهم واذا جعلت آية تحريمه محكمة غير منسوخة فكذلك تكون المنخنقة ولماذا تقيسها على مسألة التسمية ولا تقيسها على مسألة الخنزير وأي مرجح لذلك ؟ فالجواب ان المأكولات منها ماحرم لعينه ومنها ما حرم لغيره فالخنزير وما شاكله من الحيوانات محرمة لعينها ولهذا تبقي على تحريمها في جميع أطوارها وحالاتها . وأما متروك التسمية أو ما أهل به لغير الله والمنخنقة فان التحريم أتى فيه لعارض وهو ذلك الفعل ثم أتى نص آخر عام في طعام أهل الكتاب وأنه حلال فأخرج منه محرم العين ضرورة وبالاجماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو مسألتان احداهما مسألة التسمية والثانية مسألة المنخنقة فبقيتا في محل الشك لتجاذب كل من نصي التحريم والاباحة لهما فوجدنا احداهما وهي مسألة التسمية وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم وذهب جمع عظيم منهم الى الاباحة وبقيت مسألة المنخنقة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما لهم مسكوتا عنها فكان قياسها على مسألة التسمية هو المتعين لاتحاد العلة . وأما قياسها على مسألة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح اذ شرط القياس المساواة . وانما أطلنا الكلام في هذا المجال لانه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق وهو يهدي السبيل اه »

﴿ مذهب المالكية في طعام أهل الكتاب ﴾

جاء في كتاب الذبائح من (المدونة) مانصه : « قلت أفتحل لنا ذبائح نساء أهل الكتاب وصبيانهم ؟ قال ماسمعت من مالك فيه شيئا ولكن اذا حل ذبائح رجالهم فلا بأس بذبائح نسائهم وصبيانهم اذا أطاقوا الذبح . قلت أرأيت ماذبحوا

لاعيادهم وكنائسهم أيؤكل ؟ قال قال مالك : أكرهه ولا أحرمه . وتأول مالك فيه (او فسقا اهل لغير الله به) وكان يكرهه من غير ان يحرمه . قلت أرأيت ماذبحت اليهود من الغنم فأصابوه فاسدا عندهم لا يستحلونه لاجل الرئة وما اشبهها التي يحرمونها في دينهم أيحل اكله للمسلمين ؟ قال كان مالك مرة يجيزه فيما بلغني اه
والمدونة عند المالكية اصل المذهب فهي كالأم عند الشافعية

وجاء في كتاب احكام القرآن للامام عبد المنعم بن الفرس الخزرجي الاندلسي المتوفى سنة ٥٩٩ مانصه :

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) اتفق على ان ذبائحهم داخلة تحت عموم قوله تعالى « وطعام الذين أوتوا الكتاب » فلا خلاف في أنها حلال لنا واما سائر أطعمتهم مما يمكن استعمال النجاسات فيه كالخمر والخنزير فاختلف فيه فذهب الاكثرون الى ان ذلك من اطعمتهم .. وذهب ابن عباس الى ان الطعام الذي أحل لنا ذبائحهم فأما ماخيف منهم استعمال النجاسة فيه فيجب اجتنابه . واذا قلنا إن الطعام يتناول ذبائحهم باتفاق فهل يحمل لفظه على عمومه أم لا ؟ فالاكثر الى ان حمل لفظ الطعام على عمومه في كل ما ذبحوه مما أحل الله لهم او حرم الله عليهم او حرموه على انفسهم . والى نحو هذا ذهب ابن وهب وابن عبد الحكم وذهب قوم الى المراد من ذبائحهم ماأحل الله خاصة وأما ماحرم الله عليهم بأي وجه كان فلا يجوز لنا وهذا هو المشهور من مذهب ابن القاسم . وذهب قوم الى ان المراد بلفظ الطعام ذبائحهم جميعا الا ماحرم الله عليهم خاصة لاماحرموه على أنفسهم والى نحو هذا ذهب أشهب. والذين قالوا إن الله يجوز لنا أكل مالا يجوز لهم اكله اختلفوا هل ذلك على جهة المنع أو الكراهة وهذا الخلاف كله موجود في المذهب. واختلف أيضا فيما ذبحوه لاعيادهم وكنائسهم أو سموا عليه اسم المسيح هل هو داخل تحت الاباحة أم لا ؟ فذهب أشهب الى ان الآية متضمنة تحليله وان اكله جائز وكرهه مالك رحمه الله وتأول قوله تعالى « أو فسقا أهل لغير الله به » على ذلك ..

« الذين أوتوا الكتاب » اختلف العلماء في الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى من هم ... وقد اختلف في المجوس والصابئة والسامرة (كذا) هل هم

ممن أوتي كتابا أم لا وعلى هذا يختلف في ذبائحهم ومناكحتهم اه ملخصه

وفي كتاب احكام القرآن للقاضي ابي بكر بن العربي المالكي في تفسير هذه الآية ايضا مانصه : «هذا دليل قاطع على ان الصيد « وطعام الذين اوتوا الكتاب» من الطيبات التي اباحها الله وهو الحلال المطلق وانما كرره الله تعالى ليرفع به الشكوك ويزيل الاعتراضات عن الخواطر الفاسدة التي توجب الاعتراضات وتحرج الى تطويل القول . ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها هل تؤكل معه او تؤخذ منه طعاما – وهي المسألة الثامنة – فقلت تؤكل لانها طعامه وطعام احباره ورهبانه وان لم تكن هذه ذكاة عندنا ، ولكن الله اباح لنا طعامهم مطلقا وكل مايرونه في دينهم فانه حلال لنا الا ما كذبهم الله فيه . ولقد قال علماؤنا انهم يعطوننا نساءهم ازواجا فيحل لنا وطؤهن فكيف لانأكل ذبائحهم والأكل دون الوطء في الحل والحرمة » اه وفيما قاله القاضي نوع من التقييد والتشديد اذ اعتبر في طعامهم مايأكله احبارهم ورهبانهم ، وهذا ما اعتمده الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي مصر في فتواه الترنسفالية

وقد افتى المهدي الوزاني من علماء فاس بمثل ما افتى به مفتي مصر ولما علم بمشاغبة اهل الاهواء في فتوى مفتي مصر كتب رسالة في تأييد الفتوى بنصوص كتب المالكية المعتبرة نشرناها في آخر جزء من مجلد المنار السادس ومنها قوله :

« الدليل على صحة ماقاله الامام ابن العربي ماذكره العلماء فيما ذبحه أهل الكتاب للصنم فانه حرام مع المنخنقة وما عطف عليها وقيدوه بما لم يأكلوه والا كان حلالا لنا . قال الشيخ بناني على قول المختصر « وذبح لصنم » مانصه : الظاهر ان المراد بالصنم كل ماعبدوه من دون الله سبحانه وتعالى بحيث يشمل الصنم والصليب وغيرهما وان هذا شرط في أكل ذبيحة الكتابي كما في التتائي والزرقاني وهو الذي ذكره أبو الحسن رحمه الله في شرح المدونة وصرح به ابن رشد في سماع ابن القاسم من كتاب الذبائح ونصه : كره مالك رحمه الله ماذبحه أهل الكتاب لكنائسهم وأعيادهم لانه رآه مضاهيا لقوله عز وجل « أوفسقا أهل لغير الله به» ولم يحرمه اذ

لم ير الآية متناولة له وانما رآها مضاهية له لان الآية عنده انما معناها فيما ذبحوا لآلهتهم مما لا يأكلون ، قال وقد مضى هذا المعنى في سماع عبد الملك إه .

« وقال في سماع عبد الملك عن أشهب: وسألته عما ذبح للكنائس قال لا بأس بأكله : ابن رشد : كره مالك في المدونة أكل ماذبحوا لأعيادهم وكنائسهم ، ووجه قول أشهب أن ماذبحوه لكنائسهم لما كانوا يأكلونه وجب ان تكون حلالا لنا لان الله تبارك وتعالى يقول « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » وانما تأول قول الله عز وجل « أو فسقا أهل لغير الله به » فيما ذبحوه لآلهتهم مما يتقربون به اليها ولا يأكلونه فهذا حرام علينا بدليل الآيتين جميعا إه

« فتبين ان ذبح أهل الكتاب اذا قصدوا به التقرب لآلهتهم فلا يؤكل لانهم لا يأكلونه فهو ليس طعامهم ولم يقصدوا بالذكاة اباحته وهذا هو المراد هنا . واما مايأتي من الكراهة في ذبح الصليب فالمراد به ماذبحوه لانفسهم لكن سموا عليه اسم آلهتهم فهذا يؤكل بكره لانه من طعامهم : هذا الغرض من كلام بناني وسلمه الرهوني بسكوته عنه فهذا شاهد لابن العربي قطعا لانه علق جواز الاكل على كونه من طعامهم والمنع منه على ضد ذلك. وأيضا ليس كل مايحرم في ذكاتنا يحرم أكله في ذكاتهم كمتروك التذكية عمدا فانها لاتؤكل بذبيحتنا وتؤكل بذبيحتهم حسبما تقدم، فاذًا المدار على كونها من طعامهم لاغير والله أعلم» اه المراد مما كتبه المفتي الوزاني

وقد أطال علماء الازهر في (ارشاد الامة الاسلامية ، الى أقوال الائمة في الفتوى الترنسفالية: اقول في مذهب المالكية في طعام أهل الكتاب وفصلوها في بضع فصول ، الفصل السابع منها في بيان ان ما أفتى به ابن العربي (أي من حل ماخنقه أهل الكتاب بقصد التذكية لأكله) هو مذهب المالكية قاطبة ، والفصل الثامن في رد الرهوني برأيه عليه والتاسع في تفنيد كلام الرهوني و بيان بطلانه ، قالوا في أول الفصل السابع مانصه :

« إعلم انه أقر ابنَ العربي على ما أفتى به الوزاني وصاحب المعيار وأحمد بابا وابن عبد السلام وابن عرفة وغيرهم من محققي المالكية كالزياتي وقال وكفى بهم حجة وان رده الرهوني بالاقيسة. وما توهمه ابن عبد السلام من التناقض بين كلامي

ابن العربي في أحكام القرآن من قوله « ماأكلوه على غير وجه الذكاة كالخنق وحطم الرأس ميتة حرام» وقوله: أفتيت بان النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها تؤكل لانها طعامه وطعام أحباره وان لم تكن ذكاة عندنا لان الله أباح طعامهم مطلقا وكل مايرونه في دينهم فهو حلال لنا الا ما كذبهم الله فيه» دفعه ابن عرفة بما حاصله ان مايرونه مذكى عندهم حل لنا أكله وان لم تكن ذكاته عندنا ذكاة وما لا يرونه مذكى لا يحل ويرجع الى قصد تذكيته لتحليله وعدمه كما يعلم ذلك من التتائي على المختصر عند قول المصنف: أو مجوسيا تنصر وذبح لنفسه الخ ولم يفهم من عبارة أحد من هؤلاء المحققين ان ماأفتى به ابن العربي مذهب له وحده بل كل واحد وافقه على انه مذهب المالكية (و بيان ذلك) ان مبنى مذهب المالكية جميعا العمل بعموم قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فكل ماكان من طعامهم فهو حل لنا سواء كان يحل لنا باعتبار شريعتنا أولا فالمعتبر في حل طعامهم ماهو حلال لهم في شريعتهم ولا يعتبر ذلك بشريعتنا ويدل لذلك النصوص والتعاليل الآتية وهو ماجرى عليه مالك وأصحابه فيما ذبحوه للصليب أو لعيسى أو لكنائسهم »

« قال الزياتي في شرح القصيدة : الرابع ماذبح للصليب أو لعيسى أو لكنائسهم يكره أكله، بهرام عن ابن القاسم، وما ذبحوه وسموا عليه باسم المسيح فهو بمنزلة ماذبحوه لكنائسهم وكذلك ماذبحوه للصليب . وقال سحنون وابن لبابة هو حرام لأنه مما أهل لغير الله به وذهب ابن وهب للجواز من غير كراهة اه

« وفي القلشاني ان أشهب يرى أيضا الكراهة فيما ذبح للمسيح كابن القاسم وقال يباح أكله وقد أباح الله ذبائحهم لنا وقد علم مايفعلونه. وذكر القلشاني أيضا فيما ذبحوه لكنائسهم ثلاثة أقوال التحريم والكراهة والاباحة وان مذهب المدونة الكراهة . ونقل المواق عن مالك كراهة ماذبح لجبريل عليه السلام اه وفي منح الجليل عن الرماصي أجاز مالك رضي الله عنه في المدونة أكل ماذكر عليه اسم المسيح مع الكراهة والاباحة لابن حارث عن رواية ابن القاسم مع رواية أشهب وعنه أباح الله لنا ذبائحهم وعلم مايفعلونه اه وسيقول المصنف فيما يكره وذبح لصليب أو عيسى وليس تحريم المذبوح للصنم لكونه ذكر عليه اسمه بل لكونه لم تقصد

ذكاته والا فلا فرق بينه و بين الصليب . قال التونسي وقال ابن عطية في قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ذبائح أهل الكتاب عند جمهور العلماء في حكم ماذكر اسم الله عليه من حيث لهم دين وشرع وقول قوم نسخ من هذه الآية حل ذبائح أهل الكتاب قاله عكرمة والحسن بن أبي الحسن وقال في قوله تعالى « وما أهل لغير الله به » قال ابن عباس وغيره فالمراد ماذبح للاصنام والاوثان، « وأهل » معناه صيح ، وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة وغلب في استعماله حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم . ثم قال : والحاصل ان ذكر اسم غير الله لا يوجب التحريم عند مالك وفيه عن البناني وصرح ابن رشد في سماع ابن القاسم من كتاب الذبائح مانصه : كره مالك ماذبحه أهل الكتاب لكنائسهم وأعيادهم لانه رآه مضاهيا لقول الله « أو فسقا أهل لغير الله به » ولم يحرمه اذ لم ير الآية متناولة له وانما رآها مضاهية له لانها عنده انما معناها فيما ذبحوه لآلهتهم مما لا يأكلونه ، قال وقد مضى هذا المعنى في سماع عبد الملك من كتاب الضحايا، وقال في سماع عبد الملك من أشهب وسألته عما ذبح للكنائس قال لا بأس بأكله . ابن رشد: كره مالك في المدونة أكل ماذبحوه لاعيادهم وكنائسهم ووجه قول أشهب ان ماذبحوه لكنائسهم لما كانوا يأكلونه وجب ان يكون حلالا لان الله قال (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) وانما تأول قوله عز وجل (أو فسقا أهل لغير الله به) فيما ذبحوه لآلهتهم مما يتقربون به اليها ولا يأكلونه فهذا حرام علينا بدليل الآيتين جميعا اه فتبين ان ذبح أهل الكتاب ان قصدوا به التقرب لآلهتهم فلا يؤكل لأنهم لا يأكلونه فهو ليس من طعامهم ولم يقصدوا بذكاته اباحته وهذا هو المراد هنا واما ما يأتي من المكروه في: وذبح لصليب الخ فالمراد به ماذبحوه لانفسهم وسموا عليه باسم آلهتهم فهذا يؤكل بكره لانه من طعامهم اه

وذكر العلامة التتائي عن عبادة بن الصامت وأبي الدرداء وابي امامة جواز أكل ماذبح للصنم اه وانت لا يذهب عليك ان ماذبح للصنم مما أهل به لغير الله وانما جوزه هؤلاء الصحابة الاجلاء لكونه من طعام أهل الكتاب، تأمله . وقال العلامة التتائي عند قول المصنف « وذبح لصليب أو لعيسى » أي يكره أكل مذبوح

لاجله. محمد وابن حبيب: هو ما اهل به لغير الله وما ترك مالك العزيمة بتحريمه فيما ظننا الا للآية الاخرى (وطعام الذين اتوا الكتاب حل لكم) فاحل الله تعالى لنا طعامهم وهو يعلم مايفعلونه وترك ذلك افضل. وقال محمد ايضا كره مالك ماذبحوه للكنائس او لعيسى او للصليب اوما مضى من احبارهم او لجبريل او لأعيادهم من غير تحريم اه ووجه الكراهة قصدهم به تعظيم شركهم مع قصد الذكاة اه منه بلفظه. وفي بهرام : وذهب ابن وهب الى جواز اكل ما ذبح للصليب اوغيره من غير كراهة نظرا الى انه من طعامهم اه

وقال في منح الجليل عند ذكر كراهة شحم اليهودي عن البناني ثلاثة اقوال: في شحم اليهود الاجازة والكراهة والمنع وانها ترجع الى الاجازة والمنع لان الكراهة من قبيل الاجازة و الاصل في هذا اختلافهم في تأويل قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) هل المراد بذلك ذبائحهم أو ما يأكلون فمن ذهب الى ان المراد به ذبائحهم أجاز اكل شحومهم لانها من ذبائحهم ومحال ان تقع الذكاة على بعض الشاة دون بعض ومن قال المراد مايأكلون لم يجز أكل شحومهم لانها محرمة عليهم في التوراة على ما أخبر به القرآن فليست مما يأكلون
وفي منح الجليل أيضا بعد الكلام على التسمية ما نصه

وقال في البيان والتبيين ليست التسمية شرطا في صحة الذكاة لان قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) معناه لا تأكلوا الميتة التي لم يقصد الى ذكاتها لانها فسق ومعنى قوله تعالى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) كلوا مما قصدتم الى ذكاته فكنى عن التذكية بالتسمية كما كنى عن رمي الجمار بذكر اسمه تعالى حيث قال (واذكروا الله في أيام معدودات) اه المقصود منه
وقال في كبير الخرشي ودخل في قول المؤلف « يناكح » أي يحل لنا وطء نسائه في الجملة ـ المسلم والكتابي معاهدا أو حربيا حرا أو عبدا ذكرا أو أنثى ولا فرق بين الكتابي الآن ومن تقدم خلافا للطرطوشي في اختصاصه بمن تقدم فان هؤلاء قد بدلوا فلا نأمن ان تكون الذكاة مما بدلوا . ورد بأن ذلك لا يعلم الا منهم فهم مصدقون فيه اه ومثله في التتائي بلا فرق

وقال في شرح اللمع عند قول المصنف واما من يذكي فمن اجتمعت فيه أربعة شروط ان يكون مسلما أو كتابيا الخ : واعلم ان المؤلف قد أطلق الكلام على صحة ذكاة الكتابي ولا بد من التفصيل في ذلك ليصير كلامه موافقا للمشهور من المذهب وتلخيص القول في ذلك ان الكافر ان كان غير كتابي لم تصح ذكاته وان كان كتابيا كاليهودي والنصراني سواء كان بالغا أو مميزا ذكرا أو أنثى ذميا كان او حربيا فان كان ماذكاه مما يستحل أكله فذكاته له صحيحة ويجوز لنا الاكل منها وان كان مالك قد كره الشراء من ذبائحهم . والاصل في ذلك ان الله تعالى قد اباح لنا اكل طعامهم ومن جملة طعامهم مايذكونه ، وان كان ماذكاه مما لايستحله بل مما يقول انه حرام عليه فان ثبت تحريمه عليه بنص شريعتنا كذي الظفر في قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) فالمشهور عدم جواز أكله وقيل يجوز وقيل يكره وان لم يثبت تحريمه عليهم بشرعنا بل لم يعرف ذلك الا من قولهم كالتي يسمونها بالطريقة بالطاء المهملة ففي جواز أكلنا منه وكراهته قولان وهما لمالك في المدونة قال اللخمي وثبت على الكراهة ولم يحرمه واقتصر الشيخ خليل في مختصره على القول بالكراهة ووجهه ابن بشير باحتمال صدق قولهم، وهذا كله اذا كان الكتابي لايستبيح أكل الميتة واما ان كان ممن يستحل أكلها فقال ابن بشير فان غاب الكتابي على ذبيحته فان علمنا انهم يستحلون الميتة كبعض النصارى أو شككنا في ذلك لن نأكل ماغابوا عليه وان علمنا انهم يذكون أكلناه اه وأما ما يذبحه الكتابي لعيده أو للصليب أو لعيسى أو للكنيسة أو لجبريل أو نحو ذلك فقد كرهه مالك مخافة ان يكون داخلا تحت قوله تعالى وما اهل لغير الله به ولم يحرمه لعموم قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) وهذا من طعامهم قال ابن يونس واستخفه غير واحد من الصحابة والتابعين وقالوا قد أحل لنا ذلك وهو عالم بما يفعلونه اه واما ما ذبحوه للاصنام فلا يجوز أكله قال ابن عبد السلام باتفاق لانه مما اهل به لغير الله قال اللخمي في تبصرته فيما ذبحه اهل الكتاب لعيدهم وكنائسهم وصلبانهم وما اشبه ذلك الصحيح انه حلال والمراد بما اهل لغير الله به ماذبح على النصب والاصنام وهي ذبائح المشركين . قال اصبغ في ثمانية أبي زيد وما ذبح على النصب هي الاصنام التي

كانوا يعبدون في الجاهلية قال وأهل الكتاب ليسوا أصحاب أصنام وفي البخاري قال زيد بن عمرو بن نفيل انا لا نأكل مما تذبحون لانصابكم يعني الاصنام وأما ماذبحه أهل الكتاب فلا يراعي ذلك فيهم وقد جعل الله سبحانه لهم حرمة فاجاز مناكحتهم وذبائحهم لتعلقهم بشيء من الحق وهو الكتاب الذي انزل عليهم وان كانوا كافرين ولو كان يحرم ماذبح باسم المسيح لم يجز ان يؤكل شيء من ذبائحهم الا ان يسئل هل سمى عليه المسيح أو ذبح للكنيسة بل لايجوز وان أخبرانه لم يسم المسيح لانه غير صادق واذا لم يجب ذلك حلت ذبائحهم كيف كانت اه

فانظر كيف تضافرت كل هذه النصوص كباقي نصوص جميع المالكية على اناطة الحل والحرمة بكونه حلالا عندهم أي يأكلونه وعدمه وهذا بعينه هو ما قصد اليه ابن العربي والحفار وقال أهل المذهب كلهم يقولون ويفتون بحل طعام أهل الكتاب ومن جهة أخرى تعلم ان الذبح للصليب لم يكن من الشريعة المسيحية الحقة لانه حادث بعدها اذ منشؤه حادثة الصلب المشهورة فكل هذا يفيد ان المعتبر عند المالكية ماهو حلال عند أهل الكتاب في شريعتهم التي هي عليها ومنه يعلم أيضا ماهو المراد من الميتة في قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) وانها التي لم يقصد ذكاتها كما يعلم انه انه يجب تقييد المنخنقة وما معها بما لم تقصد ذكاته ويكون هذا في المنخنقة وما معها بدليل الا ماذكيتم كما سبق ومنه يتضح ان المراد بالميتة في قولهم ان كان الكتابي يأكل الميتة فلا تأكل ماغاب الخ أنها مالم تقصد ذكاتها لأن القصد الى الذكاة لابد منه من مسلم أو كتابي حتى لو قطع رقبة الحيوان بقصد تجريب السيف أو اللعب لا تحل كما تقدم ومنه يعلم ان الميتة المذكورة بالنسبة للكتابي هي الميتة عنده وهي التي لم يقصد ذكاتها لا الميتة عندنا ويتبين منه أيضا أن الشروط المذكورة للفقهاء في الذبائح والذكاة انما هي بيان مايلزم في الاسلام بالنسبة للمسلم لا لغيره

﴿ مذهب الشافعي في طعام أهل الكتاب ﴾

قال الشافعي رحمه الله تعالى في كتاب الصيد والذبائح من الام مانصه :

(١) احل الله طعام أهل الكتاب وكان طعامهم عند بعض من حفظت عنه

من أهل التفسير ذبائحهم ، وكانت الآثار تدل على إحلال ذبائحهم ، فان كانت ذبائحهم يسمونها لله تعالى فهي حلال ، وان كان لهم ذبح آخر يسمون عليه غير اسم الله مثل اسم المسيح أو يذبحونه باسم دون الله تعالى لم يحل هذا من ذبائحهم ، ولا أثبت ان ذبائحهم هكذا . فان قال قائل وكيف زعمت أن ذبائحهم صنفان وقد ابيحت مطلقة ؟ قيل قد يباح الشيء مطلقا وانما يراد بعضه دون بعض ، فاذا زعم زاعم ان المسلم اذا نسي اسم الله اكلت ذبيحته وان تركه استخفافا لم تؤكل ذبيحته وهو لايدعه للشرك كان من يدعه على الشرك أولى ان تترك ذبيحته - وقد احل الله عز وجل لحوم البدن (الابل) مطلقة فقال « فاذا وجبت (أي سقطت) جنوبها فكلوا منها » ووجدنا بعض المسلمين يذهب الى انه لايؤكل من البدنة التي هي نذر ولا جزاء صيد ولا فدية ، فلما احتملت هذه الآية ذهبنا اليه وتركنا الجملة لا أنها خلاف للقرآن ولكنها محتملة . ومعقول ان من وجب عليه شيء في ماله لم يكن له يأخذ منه شيئا لأنا اذا جعلنا له ان يأخذ منه شيئا فلم نجعل عليه الكل إنما جعلنا عليه البعض الذي اعطى فهكذا ذبائح أهل الكتاب بالدلالة على شبيه ما قلنا » اه بحروفه (ص ١٩٦ ج ٢ من الام)

أقول انه رحمه الله تعالى حرم ماذكروا اسم غير الله عليه بأقيسه على مسائل خلافية جعلها نظيرا للمسألة وقيد بها اطلاق القرآن ، ومخالفوه في ذلك كمالك وغيره لايجيزون تخصيص الآية بمثل هذه الاقيسة التي غاية ماتدل عليه ان تخصيص القرآن جائز بالدليل ، ولهم ان يقولوا لنا لانسلم ان المسلم الذي يترك التسمية تهاونا واستخفافا لا تحل ذبيحته واذا سلمناه جدلا نمنع قياس الكتابي عليه فيما ذكر ، ولا محل هنا لبيان المنع بالتفصيل في هذا القياس وفيما بعده وهو أبعد منه . والظاهر ماتقدم من نصوص المالكية من ان ماذبحوه لغير الله ان كانوا لايأكلونه فهو غير حل للمسلم وان كانوا يأكلونه فهو من طعامهم الذي اطلق الله تعالى حله وهو يعلم مايقولون وما يفعلون، وهذا القول يظهر لنا نكتة التعبير بالطعام دون المذبوح أو المذكى لان من المذكى ماهو عبادة محضة لايذكونه لاجل أكله

(٢) ذهب الشافعي الى ذبائح نصارى العرب لاتؤكل واحتج بأثر روه عن عمر (رض) قال « ما نصارى العرب بأهل كتاب وما تحل لنا ذبائحهم وما انا بتاركهم حتى يسلموا او اضرب أعناقهم » وبقول عليّ المشهور في بني تغلب . فاما أثر علي كرم الله وجهه - وقد تقدم - فهو حجة على الشافعي لاله لأنه خاص ببعض العرب مصرح فيه بأنهم ليسوا نصارى. وأما أثر عمر (رض) فرواه في الام عن ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى وقد ضعفه الجمهور وصرح بعضهم بكذبه وممن طعن فيه مالك وأحمد ، ومما قيل فيه انه جمع أصول البدع فكان قدريا جهميا معتزليا رافضيا ، وقد سئل الربيع حين نقل عن الشافعي انه كان قدريا ماحمل الشافعي على ان روى عنه فأجاب بانه كان يبرئه من الكذب ويرى انه ثقة في الحديث . أي والعبرة في الحديث بالصدق لا بالمذهب وقال ابن حبان بعد ان وصفه بالبدعة و بالكذب في الحديث: واما الشافعي فانه كان يجالس ابراهيم في حداثته ويحفظ عنه فلما دخل مصر في آخر عمره وأخذ يصنف الكتب احتاج الى الاخبار ولم تكن كتبه معه فاكثر ماأودع الكتب من حفظه وربما كني عن اسمه. وقال اسحق بن راهويه: مارأيت أحدا يحتج بابراهيم بن أبي يحيى مثل الشافعي قلت للشافعي: وفي الدنيا أحد يحتج بابراهيم بن أبي يحيى ؟ اه ملخصا من تهذيب التهذيب . ومما يدل على عدم صحة الاثر عدم العمل به ، على انه رأى صحابي خالفه فيه الجمهور فلا يحتج به وان صح .

(٣) قال الشافعي في (باب الذبيحة وفيه من يجوز ذبحه) من الام (ص ٢٠٥ و ٢٠٦ ج ٢) « وذبح كل من أطاق الذبح من امرأة حائض وصبي من المسلمين أحب اليّ من ذبح اليهودي والنصراني وكل حلال الذبيحة غير اني أحب للمرء ان يتولى ذبح نسكه (أي كالاضحية والهدي) فانه يروى ان النبي (ص) قال لامرأة من أهله فاطمة أو غيرها « احضري ذبح نسيكتك فانه يغفر لك عند أول قطرة منها » (قال الشافعي) وان ذبح النسيكةَ غيرُ مالكها اجزأت لأن النبي نحر بعض هديه ونحر بعضه غيره ، وأهدى هديا فانما نحره من أهداه معه ، غير اني أكره ان يذبح شيئا من النسائك مشرك لأن يكون ما تقرب به الى الله على أيدي المسلمين، فان ذبحها مشرك تحل ذبيحته أجزأت مع كراهتي لما وصفت

« ونساء أهل الكتاب اذا أطقن الذبح كرجالهم، وما ذبح اليهود والنصارى لأنفسهم مما يحل للمسلمين أكله من الصيد أو بهيمة الانعام وكانوا يحرمون منه شحما أو حوايا (اي مايحوي الطعام كالامعاء) أو ما اختلط بعظم أو غيره ان كانوا يحرمونه فلا بأس على المسلمين في أكله لان الله عز وجل اذا أحل طعامهم فكان ذلك عند أهل التفسير ذبائحهم فكل ماذبحوا لنا ففيه شيء مما يحرمون فلو كان يحرم علينا اذا ذبحوه لانفسهم من أصل دينهم بتحريمهم لحرم علينا اذا ذبحوه لنا، ولو كان يحرم علينا بأنه ليس من طعامهم وإنما احل لنا طعامهم وكان ذلك على مايستحلون كانوا قد يستحلون محرما علينا يعدونه لهم طعاما فكان يلزمنا لو ذهبنا هذا المذهب أن نأكله لأنه من طعامهم الحلال لهم عندهم، ولكن ليس هذا معنى الآية، معناها ماوصفنا والله أعلم »

هذا نص الشافعي فمذهبه ان المراد بطعامهم في الآية ذبائحهم خاصة لاعموم الطعام فما ذبحوه مما هو حلال لنا كذبائحنا لافرق بين ماحرم عليهم منه وما حل لهم، وما حرم علينا لايحل اذا كان من طعامهم، وهو مخالف في هذا للمذاهب الاخرى التي أخذت بعموم لفظ الآية وعدتها كالاستثناء مما حرم علينا الا الميتة ولحم الخنزير فانهما محرمان لذاتهما لالمعنى يتعلق بالتذكية أو بما يذكر عليها، وقد تقدم ذلك، وقد شرح كون ماحل لنا مما حرم عليهم لايحرم من ذبائحهم في موضع آخر (ص ٢٠٩ و ٢١٠ منه) وبين هنا انه يجب على كل عاقل بلغته دعوة محمد (ص) ان يتبعه في أصول شرعه وفروعه وحلاله وحرامه فما كان حراما عليهم صار حلا لهم بشرعه، وحلا لنا بالأولى

﴿ مذهب الشافعي في نكاح أهل الكتاب ﴾

(قال الشافعي رحمه الله) وأهل الكتاب الذين يحل نكاح حرائرهم اليهود والنصارى دون المجوس، والصابئون والسامرة من اليهود والنصارى الا ان يعلم أنهم يخالفونهم في أصل مايحلون من الكتاب ويحرّمون، فيحرمون كالمجوس، وان كانوا يجامعونهم (أي يوافقونهم) عليه ويتأولون فيختلفون فلا يحرُمون، فاذا نكحها فهي كالمسلمة فيما لها وعليها الا انها لايتوارثان » اه من مختصر المزني

(ص ٢٨٢ ج ٣ على هامش الام) وظاهر العبارة ان المجوس عنده من أهل الكتاب الا في نكاحهم وذبائحهم

﴿ مذهب أحمد وأصحابه في طعام أهل الكتاب والتسمية على الذبيحة ﴾

قال الشيخ الموفق عبد الله بن قدامة في (المقنع – ص ٥٣١ ج ٢) مانصه « ويشترط للذكاة شروط أربعة أحدها أهلية الذابح وهو ان يكون عاقلا مسلما أو كتابيا فتباح ذبيحته ذكرا كان أو انثى، وعنه لاتباح ذبيحة نصارى بني تغلب ولا من أحد ابويه غير كتابي »

وذكر في حاشيته ان الصحيح من المذهب اباحة ذبيحة بني تغلب، قال « واما من احد ابويه غير كتابي فقدم المصنف إنها تباح وبه قال مالك وابو ثور واختاره الشيخ تقي الدين وابن القيم والثانية لاتباح وهو المذهب وبه قال الشافعي لانه وجد مايقتضي الاباحة والتحريم فغلب التحريم كما لو جرحه (أي الصيد) مسلم ومجوسي اه اقول وللشافعي قول آخر هو ان العبرة بالاب وكان اللائق بقول الشافعية ان الولد يتبع اشرف الابوين في الدين ان يجعلوا ذبح الصغير كذبح اشرف والديه واما البالغ فلا وجه للبحث عن أبويه فانه اذا كان كتابيا كان داخلا في عموم الآية

ثم قال (في ص ٥٣٧ منه) « واذا ذبح الكتابي ما يحرم عليه كذي الظفر (أي عند اليهود) لم يحرم علينا وان ذبح حيوانا غيره لم تحرم علينا الشحوم المحرمة عليهم وهو شحم الثرب (اي الكرش) والكليتين في ظاهر كلام احمد رحمه الله. واختاره ابن حامد وحكاه عن الخرقي في كلام مفرد. واختار ابو الحسن التميمي والقاضي تحريمه. وان ذبح لعيده أو ليتقرب به الى شيء ما يعظمونه لم يحرم نص عليه» اه أي نص عليه الامام احمد وهو المذهب وان روي عنه التحريم وهو موافق فيه لمذهب مالك رحمهم الله تعالى

وقال (في ص ٥٣٥ منه) « الرابع (أي من شروط التذكية) ان يذكر اسم الله عند الذبح وهو ان يقول بسم الله لا يقوم مقامها غيرها الا الاخرس فانه يومئ الى السماء. فان ترك التسمية عمدا لم تبح وان تركها ساهيا ابيحت. وعنه

تباح في الحالين وعنه لاتباح فيهما »

قال في حاشيته : « قوله فان ترك التسمية عمدا الخ هذا هو المذهب فيهما وذكره ابن جرير إجماعا في سقوطها سهوًا وروي ذلك عن ابن عباس وبه قال مالك والثوري وأبو حنيفة وأسحق . وممن أباح مانسيت التسمية عليه عطاء وطاووس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن ابي ليلى وجعفر بن محمد ، وعن احمد تباح في الحالين وبه قال الشافعي واختاره ابو بكر لحديث البراء مرفوعا « المسلم يذبح على اسم الله سمى اولم يسم » وحديث ابي هريرة انه سئل فقيل: ارأيت الرجل منا يذبح وينسى ان يسمي الله ؟ فقال : اسم الله في قلب كل مسلم . رواه ابن عدي والدارقطني والبيهقي وضعفه . ولنا ماروى الاحوص بن حكيم عن راشد ابن سعد مرفوعا « ذبيحة المسلم حلال وان لم يسم مالم يتعمد » رواه سعيد وعبد بن حميد لكن الاحوص ضعيف ، وعن احمد لاتباح وان لم يتعمد لقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وجوابه انها محمولة على ما اذا ترك اسم التسمية عمدا بدليل قوله (وانه لفسق) والأكل مما نسيت التسمية عليه ليس بفسق لقوله عليه السلام « عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان » اه

أقول من عجائب انتصار الانسان لما يختاره جعل الفسق هنا بمعنى ترك التسمية عمدا ، والظاهر فيه ماقاله الشافعية من انه ما أهل لغير الله به اخذا من قوله تعالى (أو فسقا أهل لغير الله به) وقد تقدم . وفي الباب من كتاب بلوغ المرام للحافظ ابن حجر مانصه : « وعن ابن عباس ان النبي (ص) قال « المسلم يكفيه اسمه فان نسي ان يسمي الله حين يذبح فليسم ثم ليأكل » اخرجه الدارقطني وفيه راو في حفظه ضعف وفي اسناده محمد بن يزيد بن سنان وهو صدوق ضعيف الحفظ . واخرجه عبد الرزاق باسناد صحيح الى ابن عباس موقوفا عليه وله شاهد عند ابي داود في مراسيله بلفظ « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله عليها ام لم يذكر » ورجاله موثوقون » اه وتقدم حديث عائشة عند البخاري قالت ان قوما يأتون باللحم لاندري اذكروا اسم الله عليه ام لا فقال (ص) « سموا الله عليه انتم وكلوه »

وقد جعل علماء الازهر الفصل الأول من كتاب (ارشاد الامة الاسلامية) الذي تقدم ذكره في بيان مذهب الحنابلة في الذبيحة التي افتى بها مفتي مصر قالوا:

« ذهب الحنابلة الى ان المعتبر في حل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع أن تذكى وفيها حياة وان قلّت كالمريضة ، وهو قول علي وابن عباس والحسن وقتادة والسيد بن الباقر والصادق وابراهيم وطاوس والضحاك وابن زيد . والتسمية عندهم ليست بشرط فيحل متروك التسمية عمدا أو سهوا من مسلم أو كتابي على رواية . وفي رواية عن احمد تشترط من مسلم لامن كتابي وعنه عكسها. ثم أيدوا هذه الخلاصة بنقل من كتاب (دقائق أولي النهى ، على متن المنتهى) ومن غيره

﴿ صفوة الخلاف بين الفقهاء والمختار منه في طعام أهل الكتاب ﴾

من تأمل مانقلناه من كتب المذاهب الاربعة المشهورة وما تخلله وسبقه من كلام غيرهم من أئمة السلف يظهر له ان المتفق عليه انه يحرم علينا من طعام أهل الكتاب ماحرم علينا في ديننا لذاته وهو الميتة ولحم الخنزير وكذا الدم المسفوح قطعا وان لم يذكر فيما تقدم من النقل، ولا نعلم أن أحدا منهم يأكله أو يشربه وكذلك الميتة كلهم يحرمونها. ولحم الخنزير محرم بنص التوراة الى اليوم، وقد استباحه النصارى باباحة مقدسهم بولس . وقد اختلف الفقهاء فيما عدا ذلك كما علمت فكل ما أكلناه مما عدا ذلك من طعامهم نكون موافقين فيه لقول بعض فقهائنا الذين شدد بعضهم وخفف بعض في هذه المسائل، وأشد الفقهاء تشديدا في ذلك وفي أكثر الاحكام الشافعية. ومن تأمل أدلة الجميع رأى ان أظهرها قول الذين أخذوا بعموم قوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) ولم يخصصوه بذبائحهم فضلا عن تخصيصه بمحبوبهم كالشيمة ولا يشترط في حل طعامهم ان يأكل منه أحبارهم ورهبانهم كما قال ابن العربي واختاره شيخنا الاستاذ الامام مفتي مصر في الفتوى الترنسفالية فهو تشديد لامستند له الا الثقة بأن يكون ما يأكلونه غير محرم عليهم في كتبهم ، وقد نسخت شريعتنا كتبهم كما قال الشافعي وغيره فلا عبرة بما حرم عليهم فيها وقد قال الله تعالى في صفات

خاتم النبيين (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ولا يشترط أيضا ان يكون طعامهم موافقا لشريعتنا سواء كانوا مخاطبين بفروعها قبل الايمان كما يقول الشافعي أوغير مخاطبين بها الا بعد الايمان كما يقول الجمهور، اذ لو كان هذا شرطا لما كان لاباحة طعامهم فائدة

قال ابن رشد في بداية المجتهد مانصه: «ومن فرق بين ماحرم عليهم من ذلك في أصل شرعهم وبين ماحرموا على أنفسهم قال ماحرم عليهم هو أمر حق فلا تعمل فيه الذكاة وما حرموا على أنفسهم أمر باطل فتعمل فيه التذكية. قال القاضي: والحق ان ماحرم عليهم أوحرموه على أنفسهم هو في وقت شريعة الاسلام أمر باطل اذ كانت ناسخة لجميع الشرائع فيجب أن لايراعى اعتقادهم في ذلك. ولا يشترط أيضا ان يكون اعتقادهم في تحليل الذبائح اعتقاد المسلمين ولا اعتقاد شريعتهم لانه لو اشترط ذلك لما جاز أكل ذبائحهم بوجه من الوجوه لكون اعتقاد شريعتهم في ذلك منسوخا واعتقاد شريعتنا لايصح منهم، وانما هذا حكم خصهم الله تعالى به فذبائحهم والله أعلم جائزة على الاطلاق والا ارتفع حكم آية التحليل جملة. فتأمل هذا فانه بين والله أعلم» اه

والامر كما قال القاضي وأقره ابن رشد ومراده بذبائحهم مذكاهم كيفا كانت تذكيته عندهم. وقد تقدم تحقيق معنى التذكية وأنها عبارة عن قتل الحيوان بقصد أكله، وأقوال علماء السلف ومحققي المالكية في ذلك، فلله در مالك والمالكية، ان كلامهم في هذه المسألة أظهر من كلام مخالفيهم دليلا وأليق بيسر الحنيفية السمحة. ومن العجائب ان كثيرا من الناس يحبون ان تكون الشريعة عسرا لايسرا، وحرجا لاسمحة، وان هم لم يلتزموها الا فيما يوافق أهواءهم، فمن شدد على نفسه فذلك ذنب عقابه فيه، ومن شدد على الامة حثونا التراب في فيه، والله أعلم وأحكم

**

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

أسئلة من بلدة العطف (في القطر المصري)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه الى جناب ينبوع الفضائل، ومتبوع الافاضل، الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا مد الله في مدته! السلام عليكم ورحمة الله

أما بعد فاني سائلكم لاعدمكم المسلمون عن امور اشتدت الحاجة اليها نلتمس اجابتنا عنها بمناركم الانور ولكم من الله تعالى الجزاء الأوفر

(س ٢٢) – ١ فنسألكم عن آلات الملاهي من طبول ومزامير وذوات أوتار وفونوغراف هل فيها قول يجوز تقليده؟ فأنا نجد في بعض كتب المالكية وبعض رسائل كرسالة الشيخ النابلسي وكرسالة للامير المالكي ذكر قول بالجواز مع ايراد مايشعر بجواز العمل به

(س ٢٣) – ٢ وهل يعول على ما يذكره بعض الائمة من ان من قال كذا شعراً نال كذا أجراً كقول الشعراني من قال عقب كل صلاة جمعة

إلهي لست للفردوس أهلا ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبة واغفر ذنوبي فأنك غافر الذنب العظيم

خمس مرات توفي مؤمنا بلا شك. نقله عنه الباجوري في حاشيته على أبي شجاع الشافعي؟ فأن قلتم: نعم. فما مستند ذلك ومثله انما يؤخذ عن الشارع ولم ينقل عنه فيما أعلم انه وعد على شعر بأجر خاص؟ وان قلتم: لا فكيف استجاز الائمة ذكر ذلك مع ان منهم المجمع على جلالته كالسيوطي فقد أورد من هذا شيئاً في كتاب الارج في الفرج؟

(س ٢٤) – ٣ هل يجوز لبس شيء شك في انه حرير دودة أو حرير زراعة؟ وهل من علامة تميز بينهما أو يرجع في ذلك لذوي الخبرة بهذا الشأن؟

(س ٢٥ و ٢٦) – ٤ هل يحرم شرب الدخان في مجلس القرآن؟ ان قلتم: نعم؟ فهل هو

اجماعي أو ثم قول يجوز تقليده بالحل ؟ وهل ضابط المجلس العرف أو ماهو ؟ فأن القراء قد يختصون بنحو دكة والسامعون منهم في نحو خيمة واحدة على دكك أخرى فيشرب البعض تعللا بأن المجلس انما هو محل القارئين والعرف يأبى ذلك وما دليل تحريم الشرب المذكور مع حدوث الدخان بعد زمن النبوة ؟

نلتمس الاجابة عن ذلك لابرحتم ملجأ للسائلين المبتغين سواء السبيل أمين

أحمد علي الطباخ بالمعطف (بحيره)

﴿ سماع آلات الطرب ﴾

بينا في الجزءين الاول والثاني من مجلد المنار العاشر خلاف العلماء في سماع آلات الطرب وأدلة من حظرها وأدلة من أباحها والترجيح بينها نعلم من ذلك ان سماعها مباح لذاته وقد يعرض له الحظر اذا ترتب على السماع معصية ، فليرجع السائل الى ما نشرناه هنالك عسى ان يعرف الحق في المسألة بدليله

﴿ الثواب المعين على انشاد شعر معين ﴾

ماذكر في السؤال شيء لادليل له من أدلة الشرع فلا يعول عليه ولا يلتفت الى ناقله كائنا من كان ، ولا يقبل كلام أحد في ثواب الآخرة وعقابها الا بدليل عن الله تعالى ورسوله (ص) وان الشعراني الذي نقل عنه الباجوري ذلك القول في البيتين ليس من الائمة المجتهدين ، ومن اتفق الناس على امامتهم في فقه الدين ليس كلامهم حجة ولا شرعا بالاجماع وانما معنى امامتهم ان لهم مسالك في فهم النصوص والاستنباط منها وترجيح متعارضها قد استفاد منها الناس وتبعوهم فيها وهي التي سميت مذاهب

﴿ لبس المشكوك فيه هل هو حرير أم لا ﴾

من شك في ثوب هل هو حرير محرم أم لا يجوز له ان يلبسه لان الحرمة لا تثبت بالشك والاحتياط ان لايلبسه حتى يراجع أهل المعرفة ويخرج من الشك الى اليقين . والعبرة في مثل هذا باهل الخبرة الذين يوثق بمعرفتهم

﴿ شرب الدخان في مجلس القرآن وحكم شربه ﴾

قد سبق لنا افتاء عن هذا السؤال . ونقول الآن بالايجاز : تعظيم القرآن واحترامه واجب قطعاً واهانته محرمة قطعاً بل يكفر متعمدها والعمدة في ذلك القصد ويجب

فيه مراعاة العرف والاصل في الدخان الحل الا اذا كان ضارّا اذ يحرم تناول كل ضار بالاجماع

﴿ الحلف بالرسول والحلف بغير الله ﴾

(س ٢٧ و ٢٨) من صاحب الامضاء بمصر (ورد من عدة سنين ونسي)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار

سأل سائل عن الحلف بغير الله تعالى فقال قوم يجوز الحلف برسوله صلى الله عليه وسلم فأنكرت ذلك لعدم مشروعيته فنسب آخر للمنار تقرير جواز الحلف بغير الله تعالى من نبي وولي فأسأل من فضيلتكم بيان الحق بهذه المسألة على صفحات المنار بدون احالة على أعداد سابقة خدمة للدين المبين واقبلوا في الختام سلام واحترام

علي يوسف المحامي بمصر

(حاشية) وأرجو بيان حكم الحلف بغير الله تعالى علي يوسف

(ج) صح في الاحاديث المتفق عليها ان النبي (ص) نهى عن الحلف بغير الله ونقل الحافظ ابن عبد البر الاجماع على عدم جوازه قال بعضهم : أراد بعدم الجواز ما يشمل التحريم والكراهة فان بعض العلماء قال ان النهي للتحريم وبعضهم قال انه للكراهة . وبعضهم فصل فقالوا اذا تضمن الحلف تعظيم المحلوف به كما يعظم الله تعالى كان حراما والا كان مكروهاً . أقول وكان الاظهر أن يقال ان المحرم أن يحلف بغير الله تعالى حلفاً يلتزم به فعل ما حلف عليه والبر به ، لان الشرع جعل هذا الالتزام خاصاً بالحلف به أي بأسمائه وصفاته ، فمن خالفه كان شارعا لشيء لم يأذن به الله . وبهذا يفرق بين اليمين الحقيقي وبين مايجيء بصيغة القسم من تأكيد الكلام وهو من أساليب اللغة. وقد قالوا بمثل هذه التفرقة في الجواب عن قول النبي (ص) للاعرابي «أفلح وأبيه ان صدق » فقد ذكروا له عدة أجوبة منها نحو ما ذكرناه ، قال البيهقي ان ذلك كان يقع من العرب ويجري على ألسنتهم من دون قصد للقسم والنهي انما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف . قال النووي في هذا الجواب انه هو الجواب المرضي. وأجاب بعضهم بقوله ان القسم كان يجري في كلامهم على وجهين للتعظيم وللتأكيد والنهي انما وقع عن الاول . وأقول ان هذا عندي بمعنى قول البيهقي. وقيل انه نسخ وقيل انه خصوصية للنبي (ص) وقد ردوهما. والظاهر ان ما كان من حلف قريش بآبائها كان بقصد

به التعظيم والتزام ما حلف عليه ، ولذلك كان من أسباب النهي والا فلانهم مشركون غالبا روى أحمد والشيخان في صحيحيهما عن ابن عمر أن النبي (ص) سمع عمر وهو يحلف بأبيه فقال « ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وفي لفظ « من كان حالفا فلا يحلف الا بالله — فكانت قريش تحلف بآبائها فقال — لاتحلفوا بآبائكم » رواه مسلم والنسائي . وروى الشيخان عنه أيضاً « من كان حالفاً فلا يحلف الا بالله » رفعه الى النبي (ص) وهو حصر ، وفي معناه حديث أبي هريرة عند أبي داود والنسائي وابن حبان والبيهقي مرفوعاً « لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وأنتم صادقون »

فهذه الاحاديث الصحيحة ولا سيما ماورد بصيغة الحصر منها صريحة في حظر الحلف بغير الله تعالى ويدخل النبي صلى الله عليه وسلم في عموم « غير الله تعالى » والكعبة وسائر ماهو معظم شرعاً تعظيما يليق به ولا يجوز أن يعظم شيء كما يعظم الله عز وجل ولا سيما التعظيم الذي يترتب عليه أحكام شرعية ، ولقد كان غلو الناس في أنبيائهم والصالحين منهم سبباً لهدم الدين من أساسه واستبدال الوثنية به . ونسأل الله الاعتدال في جميع الاقوال والافعال

﴿ ترك العمل يوم الجمعة ﴾

(س ٢٩) من صاحب الامضاء بمصر

سيدي العلامة المفضال السيد محمد رشيد افندي رضا حفظه الله

ربما علمتم بحركة تجار دمشق واتفاقهم على اغلاق حوانيتهم ومحلاتهم في كل يوم جمعة ولكن هذا لم يرق لبعض المشاغبين كالشيخ عبد القادر الخطيب المعلوم عند سيادتكم وامثاله فتكلموا مع الوالي بعدم صلاحية ذلك واجبار التجار على الشغل في ذاك اليوم فطلب الوالي بعضاً من التجار وخاطبهم بهذا الشأن استحساناً لا اجباراً فما قبلوا فلما رأى الشيخ عبد القادر الخطيب المومأ اليه ان سعيه لدى الوالي لم يفده بشيء خطب في الجامع الاموي وقال انه لايجوز الاغلاق في يوم الجمعة واستدل بقول الخفاجي على انه تشبه باليهود والنصارى وأورد الآية الكريمة الواردة بحق يوم الجمعة وانه اطلب الرزق الى آخر ما املاه عليه ضميره . فالمسألة اخذت دوراً مهماً في دمشق لذلك كتب الي جماعة من التجار يطلبون ان اعرض هذا الامر لفضيلتكم ونقد لهم النصوص الواردة في يوم الجمعة ومن علماء المذاهب الاربع في الازهر وترد

اليهم ذلك حالا فلذا لكوني اعتبرت واعتادت الامة الاسلامية الاستنارة بعميم فضلكم ارجوكم التفصيل بكتابة ماورد بحق يوم الجمعة وسبق منذ ثلاثة سنين سألت فضيلتكم مثل هذا السؤال من السودان واجبتم عليه في المنار وبه عمل فادام الباري فضيلتكم سيدي

احمد حمدي النجار

(ج) سبق للمنار بيان هذه المسألة وفصلنا القول فيما ورد في يوم الجمعة في مقالات (المسلمون والقبط) التي جردت من المنار وطبعت في رسالة على حدتها فيمكنكم ارسال نسخة منها أو أكثر الى من كلفوكم ان تسألونا عن النصوص الواردة في يوم الجمعة . هذا وان قول الشيخ عبد القادر الخطيب انه لايجوز اغلاق المحلات التجارية يوم الجمعة ــ ان صح عنه غريب جدا ــ لامن حيث انه اجتهاد منه وهو يحرم الاجتهاد في هذا العصر فان هذا ديدن جميع الذين يلغطون بالانكار على المصلحين الذين يدعون الناس الى الاهتداء بالكتاب والسنة يزعمون ان هذا الاهتداء يستلزم الاجتهاد الذي أغلق امثالهم بابه بالقول ، فهم ينكرون الاجتهاد قولا ثم نراهم يحرمون على الناس بأهوائهم ما أحله الله لهم ويستدلون على ذلك بما لايدل عليه من الآيات والاحاديث وهو عين ماينكرون من الاجتهاد . والاهتداء بالكتاب والسنة الذي يدعو اليه المصلحون لايستلزم مثل ذلك فانه قد يكون مع الاستعانة على فهمها بكلام ثقات المفسرين والمحدثين

فاذا كان من يدعي تحريم إغلاق المحلات التجارية يوم الجمعة أو كراهته شرعا مقلدا لأحد الائمة فليأتنا بنص من كلامه أو نقل ثقات أصحابه المدونين لمذهبه في ذلك وان كان مجتهدا فلكل أحد ان يسأله عن دليله . وفي السؤال انه استدل على ذلك بقول الخفاجي انه تشبه باليهود والنصارى وهذا غير صحيح بل هو مخالفة لهم لأن اليهود يتركون العمل يوم السبت وخالفهم النصارى فتركوا العمل يوم الاحد ، فلو قال فيمن يتركون العمل يوم الاحد من المسلمين في بلاد مصر وبيروت انهم تشبهوا بالنصارى لكان له وجه . واما من يتركون العمل يوم الجمعة فلا وجه لدعوى انهم متشبهون بهم الا اذا صح الاستدلال بالشيء على ضده . فان تشبه الانسان بقوم انما هو ان يفعل مثل فعلهم بحيث يشتبه حاله بحالهم فيظن من لا يعرفه انه منهم . ولا يقول عالم ولا عاقل ان التشبه بأجناس العمل العامة يكون محل بحث والا لكان من مقتضى عموم التشبه ان نترك كل أعمال العمران التي سبقونا اليها من فنون وضروب الصناعة والزراعة والتجارة . وقد فصلنا مسألة تشبه المسلمين بغيرهم غير مرة ومن أوسعها بيانا الفتوى ٦٩ من المجلد الرابع عشر (ص ٩٠٧ ــ ٩١١) فليراجعها من شاء

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

« فائدة بعثة عيسى والفرق بين صورته في القرآن وصورته في الاناجيل »

فان قيل اذا كانت هذه العقائد التي امتازت بها المسيحية عن الاسلام واليهودية باطلة فما فائدة بعثة عيسى إذًا ولم فتن الله الناس به حتى اتخذوه إلها ؟ قلت لاشك أن عيسى كان نبيا كبيراً ورسولا عظيما جعله الله مثالا حسنا للناس ليهتدوا بهديه وليقتدوا به في أخلاقه وأعماله وأقواله وسيرته الطاهرة وقد اشتهرت تعاليمه الداعية الى السلم والرحمة والرأفة والزهد في الدنيا كما قال القرآن الشريف (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله) وذاع اصلاحه في الارض منذ وجوده للآن رغما عن كل ماطرأ على دينه من التحريف والتبديل مع كثرته . ومن فوائد بعثته أيضا أن الله تعالى جعله دليلا على قدرته على البعث والقيامة الاخروية فان الناس كانت قد ضعفت فيهم أو تلاشت من بينهم تقريبا هذه العقيدة الكبرى لدرجة جعلت الصدوقيين من اليهود (وهم الامة التي اشتهرت بكثرة الوحي فيها والانبياء) ينكرون البعث يوم القيامة (مت ٢٢:٢٣ وأع ٢٣ : ٨) وكان يوجد من النصارى أيضا من تبعهم في ذلك كبعض أهل كورنثوس كما يفهم من رسالة بولس الاولى اليهم (١٥ : ١٢) . ونجد أسفار العهد القديم خالية من التصريح بهذه العقيدة اللهم الا بعض اشارات طفيفة كما في سفر التثنية (٣٢ : ١٩ - ٤٣) ولعل السبب في ذلك وجودهم بين المصريين مدة ٤٣٠ سنة (خر ١٢ : ٤٠) واقتباسهم منهم هذه العقيدة التي كانت عالقة كثيرا بأذهان المصريين (١) فانتقلت منهم الى بني اسرائيل وأصبحت عندهم من الامور

(١) الظاهر أن المصريين أتتهم هذه العقيدة من طريق الوحي إليهم والا لما سبقوا اليهود بها. وكانوا يعتقدون أن قلب الانسان سيوزن يوم القيامة لمعرفة ان كان يستحق الرحمة أو العذاب ولعل مرادهم من ذلك هو كمراد القرآن عند المحققين مما ذكره مشابها لذلك (مثل ٢١ : ٤٧) أي =

التي لا يترددون في قبولها فلذا لم يحتاجوا للتذكير بها كثيرا فاكتفت كتبهم بالاشارة اليها أحيانا، ولا تنس أن بني اسرائيل كانوا من أشد الامم ميلا للتقليد وخصوصا للامم الغالبة لهم فلذا انتقلت اليهم هذه العقيدة من المصريين وانتشرت بينهم، أو كان السبب في قلة ذكر كتبهم لها أن الناس كانوا في تلك الازمنة قصيري الادراك بلداء الشعور وخصوصا اليهود ذوي الرقاب الصلبة (خر ٣٢ : ٩) فلذا ما كانوا يتأثرون ولا تنفعل نفوسهم بالمواعيد الآجلة انفعالها بالمواعيد العاجلة التي اكثرت كتبهم من ذكرها لهم لغلظ قلوبهم وقساوتها ، فلما كثر بين الناس الشك في هذه العقيدة وارتقى ادراكهم ورق شعورهم عن ذي قبل جاء عيسى لتبيين هذه العقيدة العظمى واشتهر بالتصريح بها أكثر من جميع من سبقه من أنبياء بني اسرائيل وقد بين قدرة الله تعالى على البعث والنشور بمعجزاته العظيمة كاحياء الموتى وخلقه من الطين طيرا وبوجوده هو نفسه بدون أب خلافا لما اعتاده الناس. فالله تعالى الذي أجرى على يديه كل هذه الآيات البينات (أع ٢ : ٢٢) لاشك أنه قادر على احياء الموتى يوم القيامة (١)

= المبالغة في بيان دقة الحساب وكمال العدل الالهي في دينونة الخلائق كأن أعمالهم أو قلوبهم توزن وزنا دقيقا بحيث لاتظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتي بها الله وعامل الانسان بحسبها

ولوجود عقيدة البعث عند المصريين نجد أن يوسف كما في القرآن الشريف لما تكلم مع الفتيين اللذين حبسا معه في مسائل الدين لم يحثهما على الايمان باليوم الآخر كما حثهما على التوحيد فان ذلك كان من أكبر عقائدهم حتى من قبل يوسف (راجع سورة يوسف ١٢، ٣٩ : ٤٠ و ٤٠ ،) ونرى أن عزيز مصر لما وجد امرأته خاطئة قال لها (استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) ولولا اعتقادهم بالدينونة في اليوم الآخر ما قال لها ذلك

(١) لذلك نرى ان أكثر معجزات عيسى هي مما له علاقة باحياء الميت كخلقه هو نفسه بدون أب وكاحياء الموتى على يديه وكتحويل الطين طيرا ليدل بذلك كله على قدرة الله التامة على البعث فان الذي خلقه بدون استيفاء أهم الشروط المعتادة في خلق الاحياء الراقية وأحيي على يديه الموتى بل الجماد لاشك أنه قادر على بعث الخلائق يوم القيامة مهما طرأ عليهم من الفساد والانحلال والتغير ومهما فقد من الشروط المعتادة أو اللازمة للحياة في هذه الدنيا . لذلك قال تعالى في عيسى (ولنجعله آية للناس) وجاء عن لسانه مكررا في موضع واحد (٣: ٤٩ و ٥٠) قوله (اني قد جئتكم بآية من ربكم - الى قوله - وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون) =

فاصلاح الاخلاق وتذكير قومه بكلام الله القديم الذي كانوا هجروه وارشادهم الى حقيقة الشريعة وروحها والدعوة الى الايمان باليوم الآخر والزهد في الدنيا لشدة انغماس الناس في زمنه في الماديات هي أهم ماجاء عيسى به وهي أعظم ماعرف عنه بين جميع أتباعه واشتهر به على اختلافهم في الآراء والمعتقدات ولو أنهم جعلوا نعيم الآخرة روحانيا فقط ـ مع اعترافهم بالبعث الجثماني بل والعذاب الجسداني

= أي اذا علمتم مما جئتكم به من الآيات أن الله موجود وأنه سيبعثكم للحساب يوم القيامة كان واجباً عليكم ان كنتم تعقلون أن تتقوه كمال التقوى وتطيعوني

أما في زمن البعثة المحمدية ـ وقد ارتقى الناس في الجملة عن ذي قبل ـ فكانوا يرون أو يمكنهم أن يروا مالا يراه القدماء الا نادرا من أن آيات الكون الخاصة أمامهم كل يوم تكفي لاثبات أن الله قادر على البعث لانه تعالى يخلق فعلا في كل وقت الاحياء النباتية والحيوانية من الجماد كما هو مشاهد لجميع الناس ، ولا شك أن اعادة الخلق أهون من بدءه كما قال القرآن الشريف (٣٠:٢٧) لذلك اكتفى القرآن بتنبيهم الى هذه الآيات الكونية في أكثر سوره، وناقشهم فيها مناقشة عقلية منطقية كما هو معلوم لمن يتدبر آياته (راجع مثلا سورة الحج ٢٢:٥ـ٧) ومازال يرشدهم اليها ويذكرهم بها ويجادلهم فيها حتى اقتنع العرب اقتناعاً عقليا صحيحاً بقدرة الله على البعث وتبعتهم الامم الداخلة في الاسلام الى اليوم . فالناس وان كفتهم الحجة العقلية في زمن البعثة المحمدية وبعدها الى الآن أكثر الامم أو كلهم قبل ذلك ما كانت تكفيهم هذه الحجة أو لا تؤثر فيهم تأثيرها في الناس بعد الاسلام فلذا جاء عيسى وغيره لقومهم بالمعجزات الحسية ، والغالب ان الامم القديمة ما اقتنعت بهذه العقيدة اقتناعا عقليا جازماً وانما سلموها بعد ان رأوا من أنبيائهم مارأوا من المعجزات الحسية ونحوها لا بالحجج العقلية كأهل الاسلام وربما كان اقتناعهم بها بعد ذلك أقل درجة من اقتناع المسلمين ، ألا ترى الى قول ابرهيم وهو أبو النبيين (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فاذا كان هذا حال ابراهيم فما بالك بغيره من الناس؟ والحق أن استعمال الحجج العقلية لاثبات المسائل الدينية لم يعرف بين أكثر الامم قبل الاسلام ومن عرف عندهم لم يبلغ مبلغه بين المسلمين كما لايخفى على المطلعين الباحثين في أحوال البشر وعقائدهم . والفضل في ذلك كله للقرآن الذي نهض بالعقل البشري نهضة لم يسبقه بها كتاب ، ان في ذلك لآيات لاولي الالباب

أيضا (١) ـ بسبب تأثير أقوال بعض فلاسفة اليونانيين فيهم (كارسطو) حتى أولوا

(١) من غرائب عقول النصارى أنهم مع تسليمهم بقيامة الاموات والبعث الجثماني (١ كو ١٥:١٢ـ٥٧) وبالعذاب الجسداني أيضا ـ كما قلنا في المتن ـ الدائم الى أبد الآبدين (مت ٥:٢٩ و ١٢:٨ و ١٣:٤٢ ورؤ ١٩:٢٠ و ٢٠:١٠) يعودون فينكرون النعيم الجثماني ويسخرون من المسلمين لانهم يقولون به !! فلا أدري لماذا يقبلون تعذيب الجسد بالنيران وغيرها ولا يقبلون تنعيمه بما يليق به من أكل وشرب وجماع وغير ذلك مع الادب والكمال ، واذا كان الله قضى بحصول هذه الاشياء في الدنيا للانسان والحيوان فأي استبعاد اذاً للقول بحصولها أيضا في الآخرة على نحو أكبر وأبهى وأفضل ؟ نعم ان الجماع شهوة بهيمية ولكنه هو كالاكل والشرب الذي قالت كتبهم بحصوله في الآخرة (لو ٢٢:٣٠) ولذلك سميت دار النعيم عندهم أيضاً بالفردوس (لو ٢٣:٤٣) أي البستان بالفارسية لما فيها من الاشجار والاثمار ونحوها واذا استعمل الجماع في محله مع الاحتشام والادب فلا عيب فيه مادام الانسان في الآخرة لم يخرج باعترافهم عن كونه حيوانا جسدانيا ، وأي فرق حقيقي بين اللذة الروحية واللذة الجسدية؟ وكلتاهما لا تصل الى الانسان ولا تكون عادة الا بطريق الجسد وان كانت الاولى خيرا وأبقى من الثانية ولكن في الاخرة ستكون الاثنتان باقيتين ، هذا ولم يقل أحد من المسلمين ان لذة الآخرة كلذة الدنيا ولا أن الآخرة خالية من النعيم الروحاني ، وكيف يقول أحد منهم ذلك والقرآن يقول (ورضوان من الله اكبر) ويقول (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) وقال (وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة) و (وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، في جنة عالية) وغير ذلك كثير (راجع كتابنا « الاسلام » ص ٥٠ و ٥١ منه)

واذا اقتصر القرآن على ذكر اللذات الروحية أيكون لكلامه من التأثير على عامة البشر ما كان له بذكر اللذتين؟ ومَن مِنَ العامة يدرك اللذة الروحية أو يقدرها قدرها ؟ أو تنفعل نفسه لها ؟

هذا وسيرضى كلٌ في الآخرة بما قسم له من النعيم كما يرضى الصغير بثوبه الصغير والكبير بثوبه الكبير بحيث اذا أعطى للكبير ثوب الصغير لغضب وعد ذلك استهزاء به وكذلك العكس كما قال المسيح عليه السلام في انجيل برنابا (١٠٦:١٠ـ١٦) ولذلك =

أقوال المسيح نفسه الدالة على عكس ماذهبوا اليه تقليدا لهم كما في متى (٢٦ : ٢٩) ولوقا (٢٢: ٣٠)

ولكن من المجمع عليه أن أكثر تعاليم عيسى وشغله الشاغل كان في الدعوة الى مكارم الاخلاق والسلم والتمسك بروح الدين(١) وجوهره والايمان باليوم الآخر والعمل على نشر ذلك كله بين العامة والخاصة من قومه ولكنه قل أن تعرض للالهيات لعدم حاجة اليهود اليها بل أحالهم فيها الى ناموسهم اذ فيه الكفاية منها، وبين أن التوحيد هو أول كل الوصايا (راجع مثلا مرقس ١٢ : ٢٨-٣٤) كما كان معلوما لديهم من قبل وقد استفاد العالم من تعاليمه كثيرا منذ زمنه الى الآن

وأما افتتان الناس به ودعواهم له الالوهية (وان كان هو تبرأ حتى من اطلاق لفظ «الصالح» عليه كما سبق (مت ١٩ : ١٧) فذلك لا يطعن في انتفاعهم العظيم به عليه السلام وفي أنه كان إماما ورحمة لهم وآية للعالمين كما أنه لا يطعن في فائدة نزول الغيث كونه قد يصيب بعض البيوت مثلا فيهدمها على أهلها ولا يطعن في نفع النار وغيرها أنها كثيرا ماتؤذي الانسان وتهلكه وهي أقوى ما يستعمله الانسان للتدمير في الحروب وغيرها

فهذه سنة الله في خلقه إذ يندر أن يوجد شيء في العالم خال من الضرر في جانب نفعه الكبير فكذلك بعثة عيسى وان أفادت الناس كثيرا الا أنها لم تخل من الاضرار بضعاف العقول الذين ألهوه وعبدوه من دون الله تعالى عما يشركون. فالاعتراض على بعثه بسبب ذلك كالاعتراض على جميع ماخلق الله مما لايخلو من ضرر ولذلك أيد الله تعالى - كما قال القرآن - أتباع عيسى مع ضعف إيمانهم وفساد بعض عقائدهم

= قال تعالى في القرآن الشريف (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) ولما كان الرجل في الدنيا أقوى وأفضل وأعقل من المرأة وأكبر شهوة منها فلا عجب ان كان ثوابه في الآخرة أكبر لان أعماله أعظم والذي فضله في الدنيا هو الذي سيفضله في الاخرة بسبب عمله ولا يثير ذلك حقد المرأة عليه كما بينا هنا

(١) ولذلك وضع عن اليهود شيئا من اصر التوراة وأغلال الناموس كما فعل في يوم السبت حيث خفف شدة حكمه (راجع يو ٥ : ١٠ - ١٢ وخر ٢٠ : ١٠ وعد ١٥ : ٣٢ - ٣٦) فلذا قال الله تعالى في القرآن الشريف عن لسانه (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم).

حتى نشروا دينه على علاته في الارض وأصبحوا فيها ظاهرين. قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أي قل يا محمد كما قال عيسى لأصحابه ما ذكر، والحكمة في قول القرآن ذلك بدل أن يقول (كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله) أنهم لم يكونوا في دينهم على ما يرام كما يفهم من قوله (ومكروا ومكر الله) لأن يهوذا باعتراف النصارى كان منهم وكذلك بطرس الذي سماه المسيح «شيطانا» وغيرهما كان ضعيف الايمان أو عديمه كما سبق بيانه (راجع صفحة ٥٢ و٨٨ و٩٢). وقال القرآن أيضا (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) الآية وقال (فاختلف الاحزاب من بينهم) الآية. وإذا كان الله أيدهم مع ضعفهم هذا وفساد بعض عقائدهم بسبب أن في دينهم أشياء أخرى كثيرة صالحة للبشر وهي أكثر مما ألحق به من المفاسد فمن باب أولى يؤيد الله المؤمنين الصادقين الخالي دينهم وعقائدهم من التحريف والتبديل، لذلك ضرب الله الحواريين مثلا للمؤمنين لبيان كرمه وحلمه وتفضله على عباده بالخير الكبير ولو لم يستحقوه كله ليعلموا أنهم ان نصروا الله ولو قليلا نصرهم هو كثيرا كما فعل بأصحاب عيسى، ولم يضرب المثل بغيرهم من الامم السابقة المؤمنة لانهم لم يبق لهم ملك في الارض مشاهد كاليهود، أو أنهم انقرضوا كمؤمني قوم صالح وهود

هذا وقد بين القرآن الشريف تاريخ عيسى كما بيناه هنا فقال الله تعالى فيه (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل (١) ولو نشاء لجعلنا منكم

(١) فانه مرسل اليهم أولا وبالذات فان رفضوا ولم يؤمنوا به دعي حينئذ غيرهم من الامم والا فلا (مت ٢٤ : ١ - ١٤) و (أع ١٣ : ٤٦ و١٨ : ٦) و (روميه ١ : ١٦) وأما محمد (ص) فرسل للناس كافة سواء قبله العرب أو رفضوه ولكن يجب أن يبدأ بدعوتهم ليستعين بهم على دعوة غيرهم. هذا اذا تساهلنا معهم في فهم عبارات كتبهم المتناقضة حتى في هذه المسألة الهامة وسنتكلم معهم قليلا في ذلك قريبا بغير هذا التساهل

ملائكة في الارض يخلفون ◦ وانه لعلم[١] للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ◦ ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ◦ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض[٢] الذي تختلفون فيه (اي كاختلاف اليهود في القيامة لعدم صراحتها في كتبهم) فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ◦ فاختلف الاحزاب من بينهم (لاحظ العطف هنا بالفاء) فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ◦ هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) والآيات

(١) أي سبب للعلم بها فانه هو ومعجزاته من أعظم الدلائل على امكان البعث، وهذه العبارة في الآية مجاز مرسل علاقته المسببية فانه أطلق المسبب (وهو العلم) وأراد السبب (وهو عيسى ومعجزاته) كقولك «أمطرت السماء نباتا» أي مطرا يتسبب عنه النبات وقرئ أيضا {وانه لعلم للساعة} بفتحتين أي انه كالجبل الذي يهتدي به الى معرفة الطريق ونحوه فبعيسى عليه السلام يهتدي الى طريقة اقامة الدليل على امكان الساعة وكيفية حصولها كما بينا في المتن

{٢} انما لم يقل «ولأبين لكم كل ماتختلفون فيه» لانه لم يفعل ذلك بل ترك بيان كثير من الاشياء كالفساد الذي دخل في أغلب كتبهم للبارقليط (محمد) الذي يأتي بعده لعدم استعداد الناس في زمنه لقبول كل شيء منه كما قال هو نفسه (يو ١٦: ١٢ و ١٣) وخصوصا اذا تعرض للطعن في كتبهم وهي رأس مالهم الوحيد وتراث أجدادهم، ولو فعل ذلك لشك فيه الكثيرون منهم وكذبوه ولما اتبعه الا الاقلون أو النادرون فتضيع الفائدة من بعثته التي بيناها في المتن وهي التي بعث لأجلها، وأما قول الله تعالى عن لسانه {ومصدقا لما بين يدي من التوراة} فالمراد بمثل هذا التعبير أنه بمجيئه عليه السلام تحققت نبوات التوراة عنه وبه صحت وصدقت، وكلمة «التوراة» تطلق على كل كتب العهد القديم كما بيناه في كتاب «دين الله» {ص ٦٥} فالمعنى أن مجيء عيسى كان وفق ماأنبأ به النبيون عنه من قبل ولولاه لما صدقت تلك النبوات فانها لاتنطبق الا عليه، وليس المراد أن عيسى يقر كل مافي التوراة كما يتوهم النصارى الآن من مثل هذه الآية والا لما قال بعدها مباشرة «ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم» فكيف يقرها وهو قد جاء ناسخاً لبعض مافيها، فتدبر ذلك ولا تكن كهؤلاء الذين يهرفون بما لايعرفون، ويفسرون مالا يفهمون !!

هذا اذا سلمنا مافي هذه الاناجيل من ان المسيح عليه السلام لم يطعن في كتب

في بيان فضائل المسيح ومزاياه وأعماله والثناء عليه عديدة شهيرة[١] فانظر الى آداب

= اليهود الموجودة في زمنه ولم يبين لهم مافيها من الفساد ولكن كيف يثق المسلم بمافي هذه الاناجيل بعد الذي كتبناه فيها ؟ فيجوز أن المسيح بين لهم فساد كتبهم كله أو بعضه المهم ثم انهم أهملوا أغلب أقواله هذه تدريجيا حتى نسوها لعدم موافقتها لاهوائهم ولما شبوا وربوا وشابوا عليه وورثوه عن آبائهم كما أهملوا أقواله في التوحيد الحقيقي وخالفوا نصائحه ووصاياه في مسائل كثيرة مما بيناه وتغالوا في شأنه شيئا فشيئا حتى جعلوه إلهاً وهو - لاشك - بريء من هذه الدعوى، ولايخفى أن تلاميذه - وهم ضعاف من وجوه كثيرة - لوكانوا أكثروا من الطعن في كتب اليهود وترديد أقوال المسيح فيها لنفروا اليهود منهم ومن دينهم ومسيحهم ولزاد اليهود في احتقارهم وايذائهم فلذا تحاشوا ذلك وخصوصاً لانه لايمكنهم اقناعهم بصحة مسيحية عيسى الا بهذه الكتب فاستمروا على قبولها والتعويل عليها مجاملة وخوفاً من باقي أمتهم اليهود واستمالة لهم لادخالهم في دينهم بها وربما أنهم حرفوا بعض أقوال المسيح التي نقلوها في هذه المسألة وجعلوها قاصرة على ذم المسيح اليهود باتباع تقاليدهم الموضوعة لا بتحريف كتبهم المقدسة كما هو الظاهر مما في انجيل مرقس مثلا {٧: ٦-١٣} (راجع أيضا كتاب دين الله صفحة ٨١-٨٤)

على ان بعض فرق النصارى الاقدمين في القرن الاول والثاني قد أنكروا العهد القديم كله أو اكثره كالابيونيين والماركيونيين وغيرهم ويبعد كل البعد أن تنكر هذه الفرق هذه الكتب من غير أن يستندوا على شيء رووه عن المسيح نفسه في أمرها وقد كانوا قريبي العهد به عليه السلام فتكون روايتهم أصح من رواية هذه الاناجيل التي لم يعرف لها سند الا في أواخر القرن الثاني وما خلت من التحريف بعد ذلك كما بينا. وجاء في انجيل برنابا أن المسيح نص على تحريف اليهود لكتبهم راجع مثلا الاصحاح ٤٤: ٣ منه وهو من الاناجيل القديمة وإن يكابرون فيه ويكذبون. وما يدرينا أنه كان يوجد في الاناجيل الاخرى التي رفضوها وأضاعوها مثل مافي انجيل برنابا أيضاً، ولا تنس ان أناجيلهم هذه الحالية لاتشمل جميع أعمال المسيح (وأقواله طبعا) باعتراف مؤلفيها (يو ٢١: ٢٥)

(١) من أكبر آيات اخلاص النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في دعواه أن القرآن الذي عظم جميع الانبياء تعظيما كبيرا وأثنى على كل من ذكره باسمه منهم فرداً فرداً، وبرأهم من كل مارماهم به أهل دينهم من الكبائر والفضائح قل أن اختص =

القرآن العالية في المسيح فهو يصوره دائماً بغير الصورة التي تفهم من الاناجيل وفيها كثير من المسائل تؤدي الى الطعن الفظيع فيه كما أدت كثيرين الى ذلك في

= محمداً بمدح أو بفضل أو مزية دون غيره من اخوانه الانبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام، بل كثيرا مايذكر محمداً مع شيء من اللوم له أو العتاب أو الارشاد والتأديب ونحو ذلك مما يعرفه المطلعون على القرآن الكريم . ولو كان محمد من الكاذبين لما سجل على نفسه شيئا من هفواته في قرآنه (راجع مثلا ١٧ : ٧٣ – ٧٥ و٣٣ : ٣٧ وغير ذلك) ولخص نفسه بالمدح والتعظيم والتبجيل والاكرام في أغلب القرآن ، ولرفع منزلته فوق كل منزلة ، ولنص على أنه أفضل النبيين وأقرب المقربين من رب العالمين بل لادعى البراءة من كل عيب ونقص وخطأ ، ولنسب لنفسه العصمة من كل زلل أو سهو أو نسيان ، ولما أمر في القرآن بطلب الرحمة والغفران من الله ولما ألزم نفسه الفرائض الكثيرة والنوافل العديدة الشاقة في صلواته وصيامه وقيامه بالليل لعبادة الرحمن (راجع كتاب دين الله ص ٧٠ و ٧) ولا دعى الكمال المطلق في كل شيء ، ولقال ان العالم خلق لأجله ومن نوره وأنه أول موجود كما يقول عامة المسلمين الآن فيه تقليدا للنصارى في عيسى ، بل لقال عن نفسه أكثر مما قال يوحنا في انجيله عن المسيح، ولما نهى عليه السلام الناس – وبالغ في النهي – عن إطرائه كما أطرت النصارى عيسى أو لعدد على الأقل في قرآنه جميع أعماله وأتعابه ومناقبه ومفاخره أو لأعجب بنفسه ومدحها كثيرا كما فعل بولس في رسائله على ما سبق بيانه (في صفحة ٨٠–٨٢) ولكن اين ذلك الكبر الباطل والغرور والاعجاب بالذات من تلك الروح العالية، والنفس الطاهرة الكبيرة، روح الصدق والاخلاص والتواضع والانكسار لله تعالى ؟ وفوق ماتقدم كله لم يذكر في القرآن حادثة من حوادث حياته الا عرضا ولغرض غير مجرد تدوين أخباره وسيرته فان الرغبة في ذلك لم تكن منه مطلقا والا لو أرادها لكانت (راجع أيضا كتاب دين الله ص ٦٨ – ٧١) زد على هذا أنه لم يضع للمسلمين موسما أو عيدا أو نحو ذلك لتذكر شيء مما من حوادث حياته الشخصية كيوم ولادته أو هجرته او اسرائه أو غير ذلك مما ابتدعه الناس بعده ولو شاء لجعل كثيرا من أمم الارض تعبده أو على الاقل تذكره كل سنة بأعياد عديدة ومواسم متكررة . فأين هذا ممن كان يطلب بنفسه من الناس أن يمدحوه ويظهر رغبته في ذلك كما فعل بولس (٢ كو ١٢ : ١١) بل قد نهى (ص) – فوق هذا كله – مرارا عن تعظيم قبره =

أو روية فنحن وان كنا نبرأ الى الله من مطاعنهم هذه نشير هنا (١) الى بعضها ولا نتعرض للبحث فيها طويلا بمثل ما تعرضوا به من المبالغة في الطعن اجلالا لمقامه السامي عندنا بسبب شهادة القرآن له ليس الا . فمما عابوه به: –

أو اتخاذه وثنا أو عيدا حتى قال العلماء ان أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة أو موضوعة لا يصح الاعتماد على شيء منها ولهذا لم يروها أهل الصحاح والسنن (راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية صفحة ٨٢ – ٨٦) فأي تواضع أكبر من ذلك ؟ وأي انكار للذات أعظم منه؟ لذلك كله ترك القرآن الحكم على هذه النفس العالية العجيبة (نفس محمد) وتقديرها قدرها للزمان ، ولعقلاء الرجال المفكرين ، الذين نبذوا التعصب والتقليد وراء ظهورهم وتركوه خلفهم نسيا منسيا ، فظهر لهم ولله الحمد بعد أن نظروا في أعمال النبي واصلاحه في الارض ودينه وشريعته وقارنوا ذلك بغيره من الاديان انه أكبر مصلح قام في الارض وأعظم من يسميهم المليون أنبياء وأخاص المخلصين، وأصدق الصادقين . وهذا الحكم عليه ليس صادرا من المسلمين ، بل من كبار المفكرين ، والعلماء في العالم المتمدن من ملحدين ومؤمنين، أحرار ومتعصبين (أنظر مثلا كتاب «نشوء القرآن التاريخي» للقس إدوارد سل ص ١٨٤) كما يعرف ذلك المطلعون على كتبهم ،

وأكمل منك لم تر قط عيني   وأعظم منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء

(١) تنبيه : نظري الى المسيح في العبارات الآتية هو ليس من الوجهة الاعتقادية بل من الوجهة النقلية فقط بحسب روايات النصارى عنه فهو نظر تاريخي محض بقطع النظر عن اعتقاد المسلمين فيه – وفي جميع الانبياء – العصمة والكمال وبقطع النظر عن اعتقاد النصارى فيه الالوهية فليتنبه لذلك القارئ فان جوّزت عليه شيئا من من النقص البشري فليس ذلك لاعتقادي فيه ذلك – حاشا وكلا – بل هو لاجل مناقشة الخصوم فيما رووه عنه بأنفسهم. وعقيدتي في المسيح هي عقيدة القرآن أي أنه من أعظم الانبياء ومن أكرم الرسل مصلحي الانام وهداة البشر وهي العقيدة التي يلزمنا القرآن الشريف بها ولولاه لما عرفنا قدره بسبب ما رويه نفس أتباعه عنه من النقائص كما سنبينه، فما يأتي هنا لم أقله عن لساني وانما هو عن لسان ملاحديهم، وناقل الكفر ليس بكافر، وأنا معذور في ذلك لان النصارى هم البادئون بالاعتداء علينا وعلى ديننا وقد طغوا وبغوا فوجب علينا أن نوقفهم عند حدهم بسيف الحجة والبرهان وأن نرد كيدهم في نحرهم لعلهم يرجعون

(١) مسألة تردده وهو شاب عزب جميل على بيت مريم ومرثا أختيها وهما عاهرتان (قارن لوقا ٧: ٣٦ـ ٣٩ بيوحنا ١١: ١ ـ ٣ و١٢: ١ ـ ٨) وحبه لهما (يو ١١: ٥) والاكل في بيتهما والمبيت عندهما ودلك مريم قدميه ومسحها بشعرها ودهن رأسه بالطيب (لو ١٠: ٣٨ ـ ٤٢ ومت ٢١: ١٧ و٢٦: ٦ ـ ١٣) وكثرة اختلاط غيرهما من النساء به وبتلاميذه ومصاحبتهن لهم في كل مكان وخدمتهن له من أموالهن (لو ٨: ١ ـ ٣) الى غير ذلك مما يحرم علينا الاسلام الخوض فيه وسوء الظن بالمسيح بسببه ، فان لم يفتتن هو أو تلاميذه بهن فكيف لا تفتتن مثل هؤلاء النساء بهم وأكثرهن عزبات ؟ ! ومن أراد الاطلاع على بعض مايقوله علماء الافرنج في مثل هذه المسألة فليقرأ الفصل السابع من كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » تأليف فيلب سدني (Philip Sidney)

(٢) وجود المسيح فى عرس يشرب الناس فيه الخمر بحضرته ويسكرون (يو ٢ : ١٠) وهو لاينكر عليهم ذلك بل ساعدهم على المنكر وحول لهم الماء خمرا فكأنه زاد الطين بلة (يو ٢ : ١ ـ ١١) حتى رماه المعاصرون له من اليهود بأنه شريب خمر محب للخطاة والعشارين (لو ٧: ٣٣ و٣٤) ومن كلامه في لوقا (٥: ٣٧ ـ ٣٩) ومتى (٩: ١٧) يفهم أنه كان له دراية كبيرة بالخمر وأحوالها

(٣) اختصاصه أحد تلاميذه (يوحنا) بحبه، واتكاء هذا في حضنه والتدلل عليه وكان يوحنا اذ ذاك فى صغره ، وعدم تجاسر التلاميذ الآخرين على سؤاله الا بواسطة هذا التلميذ المحبوب وحده (يو ١٣: ٢٣ ـ ٢٥) وتجرد عيسى عن ثيابه أمامهم بعد العشاء بدون مناسبة ممايوهم أنه سكر بكأس العشاء (يو ١٣: ٤ و٥ ومت ٢٦: ٢٩)

(٤) قولهم انه كذب مرة على اخوته وغشهم (٧: ٨ و١٠) راجع حاشية صفحة ١٢ و١٣ من هذه الرسالة (في النسخة المطبوعة على حدتها)

(٥) أمره تلاميذه بشراء السيوف وحملها للدفاع عنه فضرب أحدهم بالسيف عبد رئيس الكهنة ليقتله فأفلتت الضربة وأصابت أذنه فقطعتها (لو ٢٢ : ٣٦ — ٣٨ و٥٠) مع أنه كان في أول الامر يحض الناس على محبة الاعداء (مت ٥: ٤٤) وهو أمر مغاير للطباع البشرية حتى لم يقدر عليه هو نفسه فخالف بذلك وصيته وكان

أول من نقضها بعمله هذا (١) راجع أيضا رسالة الصلب ص ١٢٢ و١٢٣

(٦) عدم احترامه لامه مريم واهانتها مرارا أمام الناس (يو ٢: ٤ و١٩: ٢٦ ومت ١٢ : ٤٦ ـ ٥٠) ومخالفته بذلك قول الله (تث ٥ : ١٦) « أكرم أباك وأمك » ثم دعواه أنه ماجاء لينقض الناموس (مت ٥ : ١٧) مع أنه نقضه في أعظم أركانه وأكبر دعائمه (وهي الوصايا العشر) (٢)

---

(١) لذلك كله ولغيره قد استباح بعض الافرنج أو جميعهم الكذب في السياسة ونحوها واخلاف العهود فيها وشرب الخمور والسكر، وتبرج النساء وابداء زينتهن الفاتنة لجميع الناس ، والخلوة بهن ، والرقص معهن ، ووطء غير المتزوجات من النساء ولم يعدوه من الزنا المحرم، والحروب الكثيرة العنيفة لاقل الاسباب والتغلب على الضعفاء والحقد على كل من خالفهم الخ الخ فيجوز أن أسلافهم وكتبة الاناجيل كانوا من الرومانيين وغيرهم الاباحيين والاشتراكيين الذين كان كل شيء عندهم مشتركا بينهم (أنظر أع ٢ : ٤٤ و٤٥) فما كانوا ينظرون الى هذه الاشياء نظرنا اليها نحن الآن فلذا نسبوا للمسيح ـ بلا حياء ـ مابيناه هنا في المتن ليظهروا أن كل شيء قد أبيح لهم وأصبحوا غير مقيدين بشرع أو ناموس وما أسرع انتشار مثل هذه المبادىء الاباحية والاشتراكية بين الناس وخصوصا متبعي أهوائهم والفقراء وهم الذين يتألف منهم الجزء الاعظم من كل أمة ، فمن العجيب بعد ذلك ـ لاول نظرة ـ أن المسيحية لم تصر الدين الرسمي للدولة الرومانية الا بعد ثلاثة قرون من زمن مؤسسها !! فهذا شيء من مدنيتهم التي يقولون انها من آثار المسيحية فيهم، والمسيحية الحقيقية براء منها وكذلك المسيح عليه السلام، كما يعلم ذلك من تعاليمه الاخرى العالية الطاهرة التي بقيت بعض آثارها في الاناجيل الى اليوم وان كانت مختلطة بغيرها مما أفسده الناس اتباعا لاهوائهم وشهواتهم، ولولا تعاليم المسيح هذه الحقيقية الشريفة التي حافظ عليها بعض فرق النصارى الاقدمين لكانت المسيحية أسرع انتشاراً بين الرومانيين مما كان، غير أنها ما كانت تسود ولا تدوم بين البشر الى الآن

(٢ قارن أعمال المسيح هذه مع امه على مافي الاناجيل بقول القرآن ٣١: ١٤ و١٥ (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك اليّ المصير * وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم

(٧) إيجاده التقاطع والتفريق بين الناس وحضهم على بغض أهليهم وأقاربهم حتى آبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأخواتهم (لو ١٤ : ٢٦ ومت ١٠ : ٣٤ ـ ٣٧) وهو الداعي ـ في اول امره ـ الى السلم ومحبة الاعداء كما سبق

وقوله المشار اليه هنا وهو (لاتظنوا أني جئت لألقي سلاما على الارض . ماجئت لألقى سلاما بل سيفا فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الانسان أهل بيته من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني) وقوله (لو ١٢ : ٤٩) « جئت لألقى نارا على الارض ليتها قد اضطرمت ٥١ أتظنون أني جئت لاعطي سلاما على الارض . كلا أقول لكم ، بل انقساما) كل ذلك ينطق بان إلقاء الحرب في الارض وإيجاد التفريق والانقسام وعداوة الاهل والابناء سيكون صادرا من جانبه وجانب أتباعه لا من جانب خصومهم كما هو صريح هذه العبارات، وإن أولها المبشرون تعسفا بغير ما ذكرنا فلا نعبأ بتأويلهم لتكلفه وتعسفهم فيه ، ولذلك قال (لو ١٤:٢٦) « إن كان احد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لي تلميذا » فكيف يقول المبشرون بعد ذلك إن البغض والعداوة والحرب ستكون من جانب الناس لهم لا من جانبهم للناس والمسيح نفسه يقول إنهم هم الذين يجب عليهم أن لا يحبوا أهلهم واولادهم اكثر منه بل يبغضوهم ، فهم البادئون بالتفريق و بالعداء لا المبدوءون به كما يزعمون(١)

تعملون) وقوله ١٧ : ٢٣ و٢٤ (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ـ الى قوله ـ فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) . اما القرآن الشريف فقد كذب الأناجيل في هذه الدعوي أيضا ونص على ان المسيح كان باراً بوالدته ولم يكن جبارا شقيا كما في سورة مريم (١٩ : ٣٢) اي لم يكن عاقا لها ولا قاسيا على احد بخلاف ما يفهم من الاناجيل كما ستعرف

(١) اذا كانت هذه الذنوب كلها ـ وغيرها مما سيأتي ـ منسوبة للمسيح بشهادة كتبهم فكيف بعد ذلك يكون شفيعاً للمذنبين (١يو ٢ : ١) وكيف يكون موته مكفرا عن خطيئاتهم جميعا ؟! وأين اذاً قداسته وعصمته؟ وأين قداسة الفهم الذي يقبل خاطئا كهذا ليكون وسيطاً بينه وبين الناس المساكين الضعفاء (١ تي ٢ : ٥) ؟ وهل يريد الله أن يكون الناس أقدر على ضبط انفسهم من المسيح نفسه وهو لم يضبطها مع انه اله كما يزعمون ؟! لها بقية الدكتور محمد توفيق صدقي

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(٨) تلقيب الجهمية بالجبرية

اشتهر عن جهم القول بالجبر (بفتح الجيم وسكون الموحدة) وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى، ففي المواقف للعضد وشرحها للسيد: الجبرية ـ متوسطة تثبت للعبد كسباً كالاشعرية ـ وخالصة لا تثبته كالجهمية قالوا : لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها اه

لم يعد العضد في المواقف الجهمية فئة على حدتها كما فعل غيره من أرباب المقالات ، بل جعلها قسما من الجبرية ، فلذا عسر السقوط عليها من المواقف الا بالسبر ، وقد عرفتها

والجبر المذكور هو أحد آراء الجهمية ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : ليس الذي أنكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة، وانما الذي أطبق السلف على ذمهم بسببه انكار الصفات حتى قالوا : ان القرآن ليس كلام الله وانه مخلوق اه

وعلى قول العضد الاشعرية جبرية متوسطة ، اذكر ماقاله العلامة المقبلي في العلم الشامخ[1] وعبارته : لما رأى محققو الاشاعرة بطلان مذهب جهم بالضرورة، وعود مذهب الاشعري واتباعه اليه بادنى المام، واضمحلال الكسب كيفما قلبته ، وبطلان سعي أهله ، تسللوا عنه لواذا ، فمنهم الراجع الى الحق صريحا ، ومنهم المقارب ولكن مع التستر باللهج بعبارات الاسلاف

(*) تابع لما نشر في ج ٧ م ١٦ ص ٥٣٤ (١) طبع بمصر

وتمويه التقارب فيما بينهم وبين الاشعريّ والكون تحت رايتـه ، وقد رفضوه ونسبوه الى انكار الضرورة من حيث المعنى : ثم سمى المقبلي من هؤلاء المحققين امام الحرمين والفخر الرازي وغيرهما فانظره

**

(٩) التنبيه لما وقع من خال النقل عن الجهمية وغيرهم

أرى من واجب كل من يؤرخ مذهب قوم، وكل من يناقش فرقة ما في مذهبها ، ان ينقل آراءها عن كتب علمائها الثقات، ويقوم بالعزو الى مآخذها ومصادرها ، لتكون النفس في طمأنينة مما يريبها ان لم يعن بهذا الواجب — هـذا كله اذا أمكن الظفر بكتبها نفسها ، وآرائها التي دونتها رجالها، – والا فعلى النَّهِم بتعرف الحقائق ان يأثر عن كتب الائمة المحققين ماأثروه،ويبني على مابنوه،مع التحري والتيقظ،وما على باذل جهده من ملام وبالجملة فلا بد من السند في قبول مايعزى ويروى الى تلك الفرقة، فإما عن اسفارها أوعن امام ثقة أثر عنها،وأما رمي فرقة برأي ما بدعوى انه قيل عنها ذلك أو يقال ، فمما لايقام له وزن في الصحـة والاعتماد ، فلا يتعانى في رده أومناقشته ، وهذه القاعدة يجب ان تؤخذ دستورا وأمراً عاما في كل مايؤثر وينقل ، وأصلها مما نبه عليه أئمة الرواية عليهم الرحمـة والرضوان،اذ لم يقبلوا الاثر الا بعد معرفة راويه وضبطه وثقته وعدالته، اذ ليس من السهل تشريع أمر ايجابا أو حظرا ، تحليلا أو تحريما، بل أمامه ماامامه من بذل غاية الوسع ، ونهاية الجهد ، في تعرف مورده ومصدره تحريا للحق ، واحتياطا للصواب،وهكذا في كل مايؤثر من الاقوال والآراء ، سواء كانت في الاصول أو الفروع أو اللغات أو الاقاصيص،

ودليل هذا الاصل آية « ولا تقف ، ماليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » وآية « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

اذا عرف هـذا تبين ان التساهل في الحكاية والنقـل لايقول به المحققون، ويربأون بأنفسهم عن الخوض فيه.وانما يستروح به المتعصبون والمندفعون وراء كل ناعق ، أوالمقلدون بدون تمحيص ونقد

من أعجب مااتفق لي في ذلك مارأيته في طبقات السبكي من قوله[١] : واما جهم فلا ندري مامذهبه ، ونحن على قطع بأنه رجل مبتدع الخ ثم قال[٢] واعلم ان جهما غاص في الماني زعمه،وأعرض عن الظواهر فسقط على أم رأسه،وقامت عليه حجج الشرع، ومنعته عن سبيل الحق أيّ منع، الخ : فتأمل قول السبكي : فلا ندري ما مذهبه : ثم تهجمه عليه ، مع ان السبكي انتقد على ابن حزم في تحامله على الاشعري قبل أسطر وعبارته : وهذا ابن حزم رجل جريء بلسانه ، متسرع الى النقل بمجرد ظنه،هاجم على أئمة الاسلام بالفاظه وفي كتابه (الملل والنحل) الازراء باهل السنة، ونسبة الاقوال السخيفة اليهم ، من غير تثبت عنهم ، والتشنيع عليهم بما لم يقولوه:ثم قال السبكي:ان ابن حزم مابلغه بالنقل الصحيح معتقد الاشعري، وانما بلغه عنه أقوال نقلها الكذابون عليه ، فصدقها بمجرد سماعه اياها ، ثم لم يكتف بالتصديق بمجرد السماع حتى أخذ يشنع اه فنقول له : لقد كدت تقع فيما رميت به الامام ابن حزم. وممن نبه على ماوقع من تساهل بعض المؤلفين الامام فخر الدين الرازي في رسالته التي جمعها في المسائل

(١) جزء (١) صفحة (٤٣) طبع مصر (٢) ص (٤٥)

الواقعة له في رحلته الى ماوراء النهر، فقد قال في المسألة العاشرة مامثاله: كتاب الملل والنحل للشهرستاني كتاب حكى فيه مذاهب أهل العالم بزعمه،الا انه غير معتمد عليه ، لأنه نقل المذاهب الاسلامية من الكتاب المسمى بالفرق بين الفرق من تأليف الاستاذ أبي منصور البغدادي (قال الرازي) وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، فلا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه ، ثم ان الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الاسلامية من ذلك الكتاب، فلهذا السبب وقع الخلل في نقل هذه المذاهب اه كلام الرازي

وهكذا انتقد العلامة المقبلي في العلم الشامخ من ينقل مذهب المعتزلة من كتب الاشاعرة بانه حصل الغلط عليهم في بعض كلامهم . وذكر ان هذا كثير الوقوع في حكاية المذاهب (قال) صحة الرواية تبنى على التحري وعدم المجازفة ، ثم أثنى على الرازي في تحريه النقل عن المعتزلة وعبارته:قد أكثر الرازي في تفسيره الحكاية عن القاضي وغيره من المعتزلة (ثم قال) الرازي أكثر الناس عناية في هذا الشأن، وأدقهم مسلكا وأوسعهم مجالا، وحاله في كتبه تحرير حجج الخصوم على أبلغ ما يمكنه ، وليس كسائر الاشاعرة لايعرفون مذهب المعتزلة على حقيقته، ولا ينصفونهم فيما عرفوا (قال) وكذلك الزمخشري تنصيصاً وتلويحاً، وايماء وتصريحاً ، كما قال بعضهم انه دس الاعتزال تحت كل ذرة من كتابه

وقال أيضاً : علم من المختلفين في العقائد اتباع الهوى وقبول المثالب من دون تثبت : ذكر ذلك في نقده على الذهبي في قوله عن الجاحظ انه باقعة قليل دين (قال) هو أجل من ذلك وان تحامل عليه مخالفوه في العقائد ، فلا يصدقون عليه ، وأصحابه المعتزلة أخبر به ، فهو عند المعتزلة

من جلة العلماء ، وعند الجميع مقدم الاذكياء الحكماء اه

وقال أيضاً : وقد صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه ويكتم الخير ، بل يروي الكذب والبهت، كما تذكر الاشاعرة أن المعتزلة تنكر عذاب القبر، ترى ذلك فاشيا بينهم ، مع ان النقل عنهم باطل ، وهو شبيه قذف الغافلات ، فان المعتزلة لاتكاد تظن قائلا يقول هذا الا شذوذ ، مثل المريسي وضرار وهما بيت الغرائب، مع ان ضراراً ليس من المعتزلة في روايتهم ، لانهم رووا عنه القول بالرؤية بحاسة سادسة ، ورووا عنه القول بخلق الافعال ، وانه رجع عن الاعتزال، (قال) وعلى الجملة فليس شذوذه عن الفريقين بغريب ، وانما المنكر إلزام المعتزلة قوله ، وانما هذه المسألة — كسائر المسائل — لا بد فيها من شذوذ كشذوذات العنبري والظاهرية ، وهذا شيء كثير يطلعك عليه كتب المقالات اه

ويتفرع من هذا البحث مسألة جليلة ، وهي الزام الناس لوازم أقوالهم ، واضافتها اليهم إضافة أقوالهم أنفسهم ، وقد نبه عليها أئمة الاصول قال الامام أبو اسحق الشيرازي في اللمع : ما يقتضيه قياس قول المجتهد لايجوز أن يجعل قولا له (قال) ومن أصحابنا من قال انه يجوز أن يجعل ذلك قولا له ، وهذا غير صحيح ، لان القول ما نص عليه وهذا لم ينص عليه ، فلا يجوز أن يجعل قولا له اه

ومثله يجري في قولهم : لازم المذهب ليس بمذهب ، وقد رأيت لشيخ الاسلام ابن تيمية تفصيلا في هذه المسألة، — وهو قوله في بعض فتاويه : لازم قول الانسان نوعان (أحدهما) لازم قوله الحق ، فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه فان لازم الحق حق ، ويجوز أن يضاف اليه اذا علم

من حاله انه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره ، وكثيرا مايضيف الناس الى مذهب الأئمة من هذا الباب (والثاني) لازم قوله الذي ليس بحق ، فهذا لايجب التزامه ، اذ أكثر ما فيه انه تناقض ، وقد ثبت ان التناقض واقع من كل عالم غير النبيين عليهم السلام . ثم ان من عرف من حاله انه يلتزمه بعد ظهوره فقد يضاف اليه ، والا فلا يجوز أن يضاف اليه قول لو ظهر له لم يلتزمه لكونه قد قال ما يلزمه ، وهو لايشعر بفساد ذلك القول ولا بلازمه (قال رحمه الله) وهذا التفصيل في اختلاف الناس في لازم المذهب هل هو مذهب أم ليس بمذهب ، هو أجود من اطلاق أحدهما ، فما كان من اللوازم يرضي القائل بعد وضوحه به فهو قوله ، ومالا يرضاه فليس قوله وان كان متناقضاً وهو الفرق بين اللازم الذي يجب التزامه مع الملزوم ، واللازم الذي يجب ترك الملزوم للزومه ، وهذا متوجه في اللوازم التي لم يصرح هو بعدم لزومها ، فأما اذا نفى هو اللزوم ، لم يجز أن يضاف اليه اللازم بحال اه كلامه وهو تفصيل راعى فيه ماعليه أتباع الأئمة من اضافة مايجري على قواعدهم اليهم ، وجعله قولا لهم ، بحجة ان قواعدهم لاتأباه ، أو انه يعلم من حاله انه لا يمتنع من التزامه ، كما قاله تقي الدين ،

ولا يخفى ان الاقعد هو التورع عن الاضافة مطلقا ، فان الذي يضاف الى المرء هو ماقاله أو رواه عنه ثقة ، وأما تقويل الانسان مالم يقل والزامه إياه ، وأخذ نتائج منه ، فهذا لايدل عليه منقول ، ولا يؤيده معقول ، ولا جرى عليه التابعون باحسان . وانما نشأ هذا لما استفحل أمر التقليد ، وعوملت أقوال المتبوعين معاملة أقوال المعصوم ونصوص الكتاب نعوذ بالله من ذلك ، وذلك ظاهر لمن له أدنى المام بسير القرون ، واختلاف

حال السلف عن الخلف في تحمل العلوم على أصولها

**

(١٠) تمثل الشعراء بمذهب الجهمية

قال الامام ابن تيمية في كتابه « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » : أصل قول الجهمية هو نفي الصفات بما يزعمونه من دعوى العقليات التي عارضوا بها النصوص اذ كان العقل الصريح الذي يستحق أن تسمى قضاياه عقليات موافقا للنصوص لامخالفا ، ولما كان قد شاع في عرف الناس ان قول الجهمية مبناه على النفي صار الشعراء ينظمون هذا المعنى كقول أبي تمام :

جهمية الاوصاف الا انهم * قد لقبوها جوهر الاشياء اه

**

(١١) بيان ان مذهب الجهم متلقى عن الجعد ابن درهم وشيء من أنباء الجعد وقتله

روى الأئمة ان أول من قال بخلق القرآن وخاض فيه وصيره هجيراه الجعد بن درهم ، وكان مؤدب [1] مروان آخر ملوك بني أمية ، ولذا كان يلقب مروان بالجعدي ، لانه تعلم من الجعد مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك ، وكان الناس يذمون مروان بنسبته اليه ، قاله ابن الاثير

(١) المؤدب : معلم الأدب ، وهو رياضة النفس على حسن الاخلاق وفعل المكارم ، بمثابة المربي والمرشد ، أو معلم العلوم الادبية . ولا يخفى ان الامراء تعنى باتقاء أماثل الفضلاء لتربية ابنائها على العلوم والاخلاق الفاضلة

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه : أقام الجعد بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب وسكن الكوفة ، فلقيه بها الجهم بن صفوان فتقلد عنه هذا القول

وقال ابن الاثير في سيرة هشام : قيل ان الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك فأخذه هشام وأرسله الى خالد القسري وهو أمير العراق وأمره بقتله ، فحبسه خالد ولم يقتله ، فبلغ الخبر هشاما ، فكتب الى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله ، فأخرجه خالد من الحبس في وثاقه ، فلما صلى العيد يوم الاضحى ، قال في آخر خطبته : انصرفوا وضحوا تقبل الله منكم ، فاني أريد ان أضحي اليوم بالجعد بن درهم ، فانه يقول ما كلم الله موسى ، ولا اتخذ ابراهيم خليلا ، تعالى الله عما يقول الجعد علوًّا كبيرا : ثم نزل فذبحه اهـ

وقال ابن تيمية في الرسالة الحموية : أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين (ثم قال) وأول من حفظ عنه مقالة التعطيل في الاسلام هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه اهـ ومراده بالتعطيل حمل الصفات الربانية على المجاز المستلزم للتعطيل لان التعطيل من لوازم مذهبه

***

(١٢) نبذة من أخبار خالد بن عبد الله القسري قاتل الجعد أستاذ الجهم

اشتهر هذا الامير بقتل الجعد ، وحكى ذلك كل من رد على الجهمية ومن الناس من أثنى عليه بقتله ، وعده غيرة على الدين ، ومنهم من رأى ان قتله كان لامر سياسي الا انه موه باسم الدين اقناعاً للعامة بقتله . ثم

منهم من وهم ان هذا الامير كان من الاخيار لاثره هذا ، ومنهم من رأى عكس هذا . ولما كان من متممات بحثنا هذا إماطة الحجاب عن الارتياب في هذا الرجل عولنا على أئمة التاريخ في ترجمة حاله[1] وملخصها ان خالدا هذا هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز من بجيلة ، فأماجده (يزيد) فانه أسلم مع أبيه أسد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه رواية يسيرة ، ثم خرج في عهد عمر رضي الله عنه الى الشام ، فكان بها وكان مطاعاً في اليمن عظيم الشأن ، ثم صار من قواد معاوية وأمراء بعوثه

وأما ابنه (عبد الله) فلم تكن له نباهة آبائه ، وأهل المثالب يقولون انه دَعيّ ، وكان مع عمرو بن سعيد بن الاشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قتل هرب ، حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمن الناس عام الجماعة فأمنه ، ثم مضى عبد الله الى حبيب بن مسلمة الفهري وكتب له ، وكان كاتباً مفوّهاً ، وذلك في خلافة عثمان بن عفان فنال حظا وشرفاً . وكان يقال له خطيب الشيطان ، ووسم خيله (القسري) ثم تدسس ليملك خيلا في بلاد قسر[2] فمنعته بجيلة ذلك أشد المنع ، فلم يقدر عليه حتى عظم أمره

ثم نشأ ابنه خالد بالمدينة ، وكان خالد — هذا المترجم — في حداثته يتبع المغنين والمخنثين ، وكان يقال له (خالد الخِرِّيت[3]) وقع في شعر عمر بن أبي ربيعة تلقيبه بذلك . ثم صار في مرتبة أبيه بعده ، الى أن ولاه هشام

(١) كالطبري وابن الاثير والاغاني (٢) بفتح القاف وسكون السين بطن من بجيلة . وبجيلة كسفينة حي باليمن من معدّ اهـ قاموس (٣) الخريت الدليل العارف بأخرات الارض اي مضايقها

ابن عبد الملك العراق سنة (١٠٥) واستمر الى أن عزله هشام سنة (١٢٠)

وكان الاسلام بالعراق في عهد خالد ذليلا ، فكان يولي النصارى والمجوس على المسلمين ، وكان أهل الذمة يشترون الجواري المسلمات ويطؤهن ، فيطلق لهم ذلك ولا يغير عليهم . وسبب ذلك ان أم خالد كانت رومية نصرانية ، ابتنى بها أبوه في بعض أعيادهم فأولدها خالدًا وأسدًا ، ولم تسلم هي ، وبنى لها خالد بيعة في قبلة المسجد الجامع بالكوفة فكان اذا أراد المؤذن في المسجد ان يؤذن ضرب لها بالناقوس ، واذا قام الخطيب على المنبر رفع الناس أصواتهم بالقراءة ، فذمه الناس والشعراء ، فمن ذلك قول الفرزدق :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تهادى من دمشق بخالد
فكيف يؤم الناس من كانت امه ... تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لامه ... ويهدم من كفر منار المساجد

وكان خالد قد أمر بهدم منار المساجد ، لانه بلغه ان شاعرا قال:

ليتني في المؤذنين حياتي ... انهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم ... بالهوى كل ذات دلّ مليح

فلما سمع هذا الشعر أمر بهدمها

وكان يبالغ في سب أمير المؤمنين علي عليه السلام، تؤثر عنه حكايات في ذلك عديدة وكان مذممًا للغاية، هجاه الفرزدق والاعشى بأشعار كثيرة ويذكر به أقوال تقشعر لذكرها الابدان ، وقد قص شيئا منها ابن الاثير وأبو الفرج الاصبهاني ، ولما قصها أبو الفرج قال في اثرها : اللهم العن خالدا واخزه وجدد على روحه العذاب

ثم آل أمر خالد الى أن غضب عليه هشام، وعزله عن العراق، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ، وأمره بحبسه وتعذيبه ، فحبسه ثمانية عشر شهرا بالحيرة مع ابنه، الى أن أمر الوليد بضربه فضرب، ثم حبس، ثم حمل الى يوسف بن عمر فعذبه عذابا شديدا، ثم قتله ودفنه بالحيرة في المحرم سنة ١٢٦

وكانت غلة خالد بالعراق عشرين الف الف ، ولما ختن نائبه طارق ابنه بالكوفة أهدي اليه خالد الف وصيف ووصيفة سوى الاموال والثياب، ولما ولي بعد خالد يوسف الثقفي قال يحيى بن نوفل يمتدحه ، ويعرض بأعمال خالد الذميمة :

أتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا ... وحكامنا فيما نسر ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرقت ... له الارض حتى كل واد منور
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً ... وما كان من قبل العقيلي يظهر

ومن أراد استيفاء أحواله وأخباره ، بأفظع من هذا ، مما نصون عنه بحثنا المسطور فليرجع الى كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني رحمه الله

**

(١٣) حمل الاثرية على الجهمية والاغراء بهم

قال الشهرستاني: كان السلف كلهم من أشد الرادين على جهم ونسبته الى التعطيل اه ومن أشهر كتبهم في الرد عليه كتاب الامام أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية ، وكتاب الامام الدارمي، وكتاب التوحيد والرد على الجهمية للامام البخاري في آخر صحيحه ، وفي كتابه خلق الافعال أيضاً . وكتاب لابن أبي حاتم وغير هؤلاء

ومن أوسع من عني بالرد عليهم من المتأخرين الامام ابن تيمية في

عدة من مؤلفاته وفتاويه، وكذلك تلميذه الامام ابن القيم في بعض مؤلفاته مثل كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية وكتاب الكافية الشافية

وقد عد الامام أبو القاسم الطبري الحافظ في كتابه (شرح أصول السنة) ممن قال « القرآن كلام الله غير مخلوق » نحواً من خمسمائة وخمسين نفساً من التابعين الائمة المرضيين، على اختلاف الاعصار، ومضي السنين والاعوام، (قال) وفيهم نحو من مائة امام، ممن أخذ الناس بقولهم، وتدينوا بمذاهبهم، لا ينكر عليهم منكر، (قال) ومن أنكر قولهم استتابوه، او أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه [1] قال ولا خلاف بين الامة ان أول من قال « القرآن مخلوق » جعد بن درهم في سني نيف وعشرين ومائة ثم جهم بن صفوان اه (للرسالة بقية)

فرنسا الاسلامية

جاء في جريدة (المفيد) المفيدة تحت هذا العنوان ما يأتي :

أثبتنا منذ أيام في صدر هذه الجريدة تعريب مقالة للطان أنّبت فيها حكومتها على ادارتها الجائرة في المستعمرات الافريقية ثم عثرنا اليوم على العدد الاول من جريدة فرنساوية صدرت حديثاً في باريس عنوانها « فرنسا الاسلامية » ومديرها الموسيو بول بروزون . غايتها البحث في أفريقية الفرنساوية، وحض حكومة الجمهورية على تبديل شكل ادارتها في هذه البلاد، لاجل استرضاء أهلها والاستيثاق من مودتهم، وجميع ماتقدم يدل دلالة واضحة على ان اكثر المفكرين من أمة الفرنسيس يرون ان استمرار فرنسا على انفاذ الخطة الادارية المعتادة في افريقية الشمالية، أمر يضر بسياستها أعظم الضرر فضلا عن كونه لا يتفق مع مبادئ دولة اشتهرت بانها مهد الحرية

«١» هذا موضع الشاهد من قولنا في الترجمة : والاغراء بهم

واذ كان يهم القراء جداً أن يعرفوا ماتقول جريدة « فرنسة الاسلامية » ولا سيما في عددها الاول، فقد بادرنا الى تعريب افتتاحيته وهي الآتية :

ان عنوان هذه الجريدة يفيد خلاصة كل آرائنا ويعرّف بدون إشكال المقصد الذي ندعي اننا نتبعه . وان هذا العنوان بمثابة ضمانة للنصح المتبادل، وبمثابة صورة للارتباط، ثم على التقريب بمثابة رمز للاتفاق، بين شعبين كانا في الامس متناكرين متعاديين، ولكن قضت المقادير بان يدنو أحدهما من الآخر ليسيرا غداً في طريق مشترك . وانه يبين اننا المجاهدون المقتنعون بفائدة سياسة الاتفاق، باكثر مما يمكن تبيينه بالارشادات الطويلة

لامشاحة في ان فرنسة بفتوحاتها الافريقية قد اكتسبت حقوقاً . ولكن لامشاحة أيضاً في انها بالفتوحات المذكورة أصبحت مسؤولة عن واجبات مقدسة، بازاء الذين وضعتهم تحت سيطرتها، وهي لاتستطيع انكار ذلك

ان مستقبل هذه الامبراطورية الاسلامية الواسعة متوقف جميعه على الصورة التي تعرف بها فرنسة ان تطابق بين هذه الحقوق، وهذه الواجبات

ان هذه الامبراطورية التي اكتملت اليوم باحتلال مراكش تشتمل على عدد من السكان يمكن تقديره بدون مبالغة زهاء عشرين مليون نسمة، وكلهم يجمعهم دين واحد، ولهم احترام شديد لتقاليدهم القديمة المتشابهة، وهذا مايجده كل انسان مشروعا لهم، فعلى أية طريقة يناسب فرنسة ان تسلك بازاء هذا الجمهور القلق الافكار الذي يرمقها بنظرات مملوءة من الرجاء، ومملوءة من الوجل أيضاً ؟ هل يبدو لها ان تسحقه بتوحش، وتدفعه نحو الصحراء ؟ هل يبدو لها ان تحكم عليه بالنفي ؟ هل يبدو لها ان تستعبده استعباداً شاقاً ؟ كل ذلك من المناهج الجرمانية التي لايستطاع تأليفها مع مزية فرنسة الشريفة الفائقة في العدالة والرقة . كيف هذه الامة الكريمة - التي لم يكن المظلومون يستنجدونها عبثاً - ترضى بان تتحمل مسؤولية ثقيلة مثل مسؤولية بولونية، وفلندة، والالزاس واللورين ؟ هل يتسنى لها ان تنكر أعمالها، والعبارات الجميلة التي كتبتها بدماء شهدائها في الصفحات الاولى من دستورها ؟ كيف تجسر على ان تصادم الاحكام التاريخية، حين ترتكب هي نفسها شتم الكلمات الثلاث البديعة « أي حرية مساواة إخاء » التي خطها في ضميرها النقي، وعلى عتبات جميع هياكلها وقصورها ؟ ومع ذلك فانه عدا كل مسألة شعورية، فان مصلحتها عينها تستدعي منها ان تتخذ لها موقفا غير هذا . انها اذا كانت في حكمها بمنزلة الام الظالمة،

فانها تثير عليها في وسط حوزتها كثيراً من الاضغان ذات الخطر . وبالعكس ، انها بالعدل والرفق وباجراء مايستلزم عرفان الجيل تزيد قابلية النجاح في عملها العائد الى نشر المدنية .

ان الاعتماد على القوة وقت مزاولة الفتح هو لازم لسوء الحظ . فما دامت البلاد الخاضعة في ثورة مستترة ، وما دامت غير خالية من الهرج بالكلية ، فان استعمال الطرق القسرية مما يجوز فيه قبول العذر . ولذلك لانجادل في التدابير الاستثنائية التي ظنوا انه كان يجب العمل بها في الجزائر حين كان الشعب بتمامه خاضعاً لتأثير الجمعيات الدينية المؤسفة ، وحين كانت أصوات مشايخ الزوايا تصادف مكانا من قلبه . فالذي يحسن منا تقديره الآن هو انه لم يعد لهذه الخطة حق في الوجود، وانه من الواجب على فرنسه ان تستبدل بها في القريب العاجل خطة أخرى أكثر حرية وعدلا، وبذلك ترسم في افريقية أثراً مفيداً وثابتاً

فمن جراء تأثير المدرسة العبدية(١) وهي من اهم المدارس اللاهوتية، وهي التي اسبابها ونتائجها تطبق انطباقاً غريباً على الاسباب والنتائج المكونة للحركة الفكرية الكبيرة القائمة حول الاصلاح — من جراء تأثير هذه المدرسة اخذ الاسلام في الانصلاح. ان تلاميذ الشيخ (محمد) عبده دخلوا في محاربة المتعصبين في الدين تعصباً أعمى. وهم يستنكرون كل البدع ، ويرفضون سلطة اصحاب المذاهب . واذ كانوا خصوما للتعصب الشديد فهم يعلمون التساهل الواسع . والشيخ عبده في تفاسيره للكتب الدينية يفصل العلم ومبدأ الاجماع اللذين يوضحهما الى اقصى درجاتهما عن حيز العقيدة الذي ينبغي ان يبقى نقياً ضمن أصول ثابتة .وبهذه الصورة لا يكون الشيخ عبده مقاوماً للدين كما يدعي اعداؤه ، بل ان هذا اللاهوتي العظيم كان متقيداً تمام التقيد بأحكام القرآن والسنة . وهو بذلك يعيد الاسلام الى طهارته الاصلية ، ويعيده الى شبابه من حيث ملامسة التقاليد والنصوص . وبتأثيره النافع تصير شريعة النبي «ص» كما وجب ان تكون في كل آن : أي دين التوحيد الحر المعقول الخالي من الاكليروس ومن التكاليف تقريباً ، الذي يبث في النفوس ادبا يقع تحت طاقتها ، والذي بقاعدته السالمة من كل روح اجبارية استطاع ان يخرج الى العالم مدينتين مثل بغداد وقرطبة

(١) يريد بالمدرسة العبدية طريقة استاذنا الشيخ محمد عبده في فهم الدين والعلم وشؤون الاجتماع التي نشرها المنار

فالمدرسة العبدية من الآن فصاعدا تفسح للمسلمين العاملين بدون تقييد مجالا واسعا للنجاح ، وهي تسمح لهم فوق ذلك بان يمتزجوا بالملاطفة مع الشعوب الغربية. فالهند ومصر وسورية مدينات لهذه المدرسة بنجاح مدهش . ومنذ سنوات انتشرت هذه العقيدة في افريقية الفرنسية ففي بادئ الامر هزت تونس هزة نشاط كبيرة ، واليوم قد امتدت الى الجزائر وغداً ستنبه مراكش

فلا جرم ان هذه الحركة هي من الحركات التي تستحق اهتمام اوربة . فانكلترة وروسية وهولندة اللواتي عندهن مستعمرات اسلامية ، والمانية وايطالية اللواتي لهن الأمل بأن يصير عندهن من ذلك - كل هذه الدول ينظرن الى هذه الحركة باعتناء ولكن يظهر ان فرنسة وحدها غير شاعرة بها

ان هذه الغفلة « أي غفلة فرنسة » الخارقة للعادة ، والتي هي من قبيل الاثم وجلب الاخطار قد استمرت زمناً طويلا وهي تعرقل مجهوداتنا في السياسة الافريقية فمن اللازم ان تنتهي .

ان فرنسة يجب عليها تلقاء نفسها ان تهتم بهذه المسئلة مثل جاراتها بل أكثر ، لانه قد يتفق لسوء الحظ ان تصير اثنتان أو ثلاثة منهن عدوات لها في هذا المكان في المستقبل الاسلامي فينبغي لها ان تتخذ موقفا بازاء هذه الحركة التي اشرنا الى اسبابها ومنازعها .

هل يخطر لها ان تعاقبها ؟ ان ذلك لا يكون من الظلم الشنيع فقط ، بل من الطيش الذي لا فائدة منه أيضاً . لا يمكن توقيف الشعوب متى كانت أحكام المقادير الغامضة تدفع هذه الشعوب رغماعن نفسها ! اذا تظاهرت فرنسا بمناهضة هذه الحركة الوطنية في شمالي أفريقية ، فانها لا تستطيع ان تمنع شيئا ، فان هذه الحركة مع ذلك تجري ، ولا يكون نتيجة لهذا الحساب الفاسد الا ان تكون أعداء ألداء من الذين تستطيع ان تجعلهم معاضدين وأصدقاء ان لم تستطع جعلهم أبناء . وبالعكس اذا كانت تريد ان تظهر لهم الانعطاف ولا تتوقف عن منحهم مساعدة حرة خالصة فانها تستخرج لها من هذه الحركة نفسها فوائد فائقة الحد . لانها أولا اذا سلكت هذا المسلك فانها تقدر ان تراقب الحركة وان تديرها ، وان تدخل فيها معارفها ، ثم بعد ذلك تتضافر مع علية القوم على انفاذ ماتريد ان تعمله من نشر التمدن . وهذا شيء لا يعادله ثمن

لاينبغي لنا ان نقع في الوهم : اذا كنا لانعتمد على وساطة الاشخاص الذين لهم

علاقة ضئيلة بالتقاليد الموروثة وبالايمان ، فاننا لانستطيع أبداً ان نتغلغل الى الاجزاء العميقة من الشعب، لان هذه الاجزاء بعيدة، ولا ثقة لها بنا ! فهل نستطيع ان نعرف ماذا يصدر عنها ؟ هل نستطيع ان نقدر الآمال التي تنعقد لديها ، والاضغان التي تنمو عندها ؟ انها بلا جدال عرضة لنفوذ الجمعيات الدينية ، ومشايخ الزوايا . ولكن هل نعرف أين ؟ وكيف ؟ والى أية درجة ؟ وفوق ذلك ينبغي ان لاننسى الامم المعادية لنا التي ترجو ان تغلبنا يوما ما من جراء الصعوبات التي نصادفها هناك ، وان لهذه الامم هناك عمالا سريين عديدين يعرفون حق المعرفة ان يستخرجوا من الجهالة نفعا . وفي مقابلة ذلك نحن المعدودون أصحاب البلاد ، من اجل اننا أصحاب البلاد ليس عندنا شيء من السلاح ، ولعمري ان حناننا ينشئ لنا سلاحاً كافياً . ان هذا الحنان يساعد على ان يكون لنا في البلاد من أهل العرفان والتفكير والفهم رجال يقاومون الجمعيات الدينية ومشايخ الزوايا . فتصير غاية القوم في جانبنا ، أوفي جانب خصومنا هو مما يتعلق بنا لا بغيرنا

في الوقت الحاضر رغماً عن انجلاء بعض الاوهام ، فان هذه الطبقة التي ذكرناها لم تزل تمتنع من الالتفات الى جهة فرنسة وهي مسوقة الى ذلك باسباب عديدة : أهمها ميلها الشديد الى حفظ مصالحها الاولية ، ذلك الميل الذي تكون شدته على قدر المعرفة لمسائل الامم . فهل تنكر هذا الاستعداد الميمون ونحتقر الفائدة التي تنجم عنه لنا ؟ ان ذلك يكون خطيئة لا تغتفر ! ان هذه المسألة مما لها يستحق الانتباه ، فان الساسة العالمية عرضة للتبدل ، وانه لدى حالة كهذه قد يعرض لنا أسباب للندامة من حيث اننا لم نكن أكثر استبصاراً وكياسة مما كنا . فيلزم ان نعمل العكس وهو ان نحكم الرابطة التي تربط سكان هذا الوطن بنا ، وان نبدي لهم بأننا سعداء ومطمئنون بقبول معاضدتهم لنا في الامر . ومن أجل ذلك فانه من الواجب على حكومة الجمهورية ان تعمد في القريب العاجل الى اتخاذ سياسة حرة عادلة في أفريقية الشمالية

ونحن عازمون على ان نطري هذه السياسة ، وان ندافع عنها

ان الذي تحتاج اليه امبراطوريتنا الافريقية هو القوانين الدستورية اهـ

(المنار) اننا لما صار لنا صلة بأهل تونس والجزائر وعلمنا من عقلائهم وأهل البصيرة فيهم حقيقة مايشكونه من سياسة فرنسة وادارتها لبلادهم كنا نتعجب من أمر هذه الدولة التي تجمع بين الاضداد اذ هي في أوربة على ضد ماهي في أفريقية، هي في أوربة أم الحرية والمساواة وناشرة لواء العلوم والفنون وما شم مسلمو أفريقية

رائحة ذلك منها في بلادهم - هذه الرائحة الطيبة التي تحيا بها الامم - بل شموا عوضا عنها رائحة خبيثة ، كنا نرى مسلمي هذه البلاد يبغضون هذه الدولة ويتربصون بها نوائب الدهر ، ويتمنون لو تيسر لهم الهجرة من بلادهم ولا نرى مثل هذا من مسلمي الهند ولا من غيرهم من مسلمي المستعمرات الاوربية حتى مسلمي روسية دولة التعصب الديني والسلطة المطلقة الاستبدادية ، فقد كتب اليّ كثير من أهل القوقاس يقولون انه قيل لنا انه يجب علينا الهجرة من بلادنا الى بلاد حكومتها اسلامية واننا لانود ان نبتغي ببلادنا بدلا الخ

كنا نتعجب من هذه الطريقة التي جرت عليها فرنسة في تونس والجزائر ونرى انه يمكنها ان تملك قلوب المسلمين كما ملكت ادارة بلادهم اذا هي أخلصت النية في تعليمهم علوم العمران مع عدم التعرض لحريتهم الدينية وعدم الطمع في سلبهم رقبة بلادهم، ولا ندري أيجهل أهلها هذا الامكان أم لا ، وكيف يجهلونه على ذكائهم وفطنتهم ؟ ولماذا لا يعملون به اذا كانوا يعلمونه وهم أبعد الناس عن التعصب الديني الذي يمنع غيرهم من مثل ذلك ؟

ثم اننا صرنا نسمع حينا بعد حين أصواتاً حرة من جو فرنسة نفسها تنبئ بهذا الامكان وتدعو الى سلوك سبيله ، ومن العجيب ان جريدة الطان التي هي لسان نظارة خارجية فرنسة كان ينعكس منها مثل هذا الصوت الذي سمعناه في هذه الايام من جريدة فرنسة الاسلامية . نوه أحد مكاتبي الطان منذ سنين بمثل ما تنوه به هذه الجريدة اليوم وذكر مايسميه بعضهم (المدرسة العبدية) وصرح بأن المنار هو الذي نشر هذه الفكرة الاصلاحية في تونس وان أهلها هم المعتدلون الواقفون بين العوام وزعمائهم من شيوخ الدرس والطريق الجامدين الذين لايريدون تغيير شيء مماهم عليه وبين المتفرنجين الذين انسلخوا من دينهم وعاداتهم اتباعاً لشهواتهم. وبمثل هذا صرح لورد كرومر في تقريره الذي تكلم فيه عن وفاة الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) فقال ان تلاميذه وسط بين الجامدين الذين يبغضون المدنية والمتفرنجين الفاسدين ، لانهم دعاة للمدنية والتأليف بين المسلمين وبين غيرهم مع المحافظة على أصول دينهم، وقال انه يجب على جميع الاوربيين العطف عليهم ومساعدتهم

مرت السنون ولم نر لكلام الطان تأثيراً بل اننا نعلم حق العلم أن حزب (المدرسة العبدية) في تونس وشعارهم قراءة المنار يرون أنفسهم تحت مراقبة من الحكومة

الفرنسية وان أهل التعصب والجمود وأعداء المنار تؤيدهم فرنسة أم الحرية لان زعماءهم منافقون تستعملهم الحكومة في غش عوام المسلمين ، فلولا مظاهرة الحكومة لما كان دجال تونس داعية الخرافات ودعي الخوارق والكرامات يتجرأ على طبع قصيدة أخيه الدجال النبهاني في تكفير امامي الاصلاح الاسلامي في هذا العصر السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده وتكفير صاحب المنار أيضاً . ولماذا يتكئ هذا الدجال على فرنسة وهي تعلم ان خرافات أمثاله هي التي تجعل الشعب الاسلامي عرضة لقبول الفتن والثورات ومقاومة المدنية ؟ السبب معروف وقد ظهر بأجلى مظاهره في العام الماضي عند ماقام هذا الدجال الخرافي يدعو المسلمين الى ترك الاعتصاب في حادثة الترام الشهيرة ، فكان هو أول من ركب ودعا المسلمين الى الركوب في الترام. ولكن لايليق بفرنسة أن تجعل أمثال هؤلاء الدجالين من أنصارها وأحزابها وقد انقضى الزمن الذي يروج فيه دجلهم في مثل تونس المستيقظة أو كاد

ان دعاة المدنية من المسلمين كربدي (المدرسة العبدية) يودون الاستعانة على تعليم أمتهم بفضلاء الاخصائيين من الاوربيين، وقد رأت فرنسة في هذا العام ان أهل بيروت - أرقى مدن سورية- قاموا يطلبون بقرار من جمعيتهم الاصلاحية أن يكون في ولايتهم مستشارون ومفتشون من الاجانب، وعلمت فرنسة ان الرأي الاسلامي العام في بيروت وسائر سورية يفضل كل دولة أوربية على فرنسة فيما يطلبه لبلاده من مساعدة الاوربيين، وما سبب ذلك الا ادارتها وسياستها في تونس والجزائر ، ولولا ذلك لفضلوا فرنسة على جميع الاوربيين لان معظم ما في بلادهم من المدارس وأسباب العمران هو فرنسي، وقد تفضل ناظر خارجية فرنسة بمجاملة وفد المؤتمر العربي السوري الذي انعقد في باريس ووعده بالمساعدة ، فكان لهذه المجاملة وقع حسن في سورية

لاجل هذا كله أظن ان الزمان قد جعل صوت جريدة (فرنسة الاسلامية) مرجو القبول عند كثير من أحرار هذه الامة النجباء ، وانه ليس من المحال أن تنجح في حمل الحكومة على سن نظام دستوري عادل لادارة هذه الامبراطورية الاسلامية الافريقية ، وسترى فرنسة - ان هي شرعت في ذلك - ان العالم الاسلامي في سورية وسائر الاقطار يشكر لها عملها شكرا تحمد أثره في سياستها وأعمالها الاقتصادية ،وتجد لها من المسلمين أنصارا لهم تأثير عظيم ويليق بمثلها أن تعتمد عليهم . ان هذا الصوت الفرنسي الفصيح المنعكس عن مدينة باريس الزاهرة قد تلاقى مع صوت مثله في أرقى مدينة اسلامية وهي مصر، ألا وهو صوت المجلة الفرنسية المصرية التي أنشئت هنا حديثا

﴿ المجلة المصرية الفرنسية ورأيها في المنار ﴾

يصدر هذه المجلة الاجتماعية المفيدة في القاهرة المسيو (بول تريبيه) مديرها والمسيو (جاك لاويفر) رئيس تحريرها . وقد ذكرت مجلة المنار في العدد الثاني وهذه ترجمة ماقالته فيها:

أصدر الشيخ محمد رشيد رضا أول عدد من المنار منذ ١٥ عاماً فلم يمض عليه ردح من الزمن حتى رفع مجلته الى المكانة الرفيعة التي تشغلها بحق وسط العالم الفكري الاجتماعي والعالم الديني الاسلامي بفضل الافكار الحرة الاصلاحية التي لم يفتر عن نشرها . واذ كان الشيخ رشيد التلميذ المخلص الغيور لرجال الاصلاح مثل الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده فقد أخذ على نفسه ان ينشر أفكار وعقيدة هؤلاء المصلحين العظام . وأن يدافع عنها بكل غيرة وحمية مناضلا بكل حزم وعزم التقليد الضيق والخرافات العديدة والمحافظة على القديم المحفوفة بالوساوس وكل هذه الامور التي ساءت عاقبتها فأخرت ترقي الامم الاسلامية وتسلقها مرقاة التقدم

أهم باب يشغل صفحات مجلة المنار - شأن كل المجلات الاسلامية - هو المختص بالاجتهاد وبالتالي علم تطبيق الاحكام القرآنية . وهذا العلم عسر ومعقد الا انه يصعب أو يتعذر الاستغناء عنه لاجل النجاح في ادخال طرق الاصلاح بين قوم تمسكوا حرفياً بظاهر الآيات على ان كل الاعمال التي يقوم بها المصلحون المسلمون بين الطبقات الاسلامية ذات المدنية واهتمامهم الدائم متوقفة على توضيح وبيان أن أحد الاصلاحات ينطبق على الاوامر السماوية، أو أن احدى العادات هي من قبيل اساءة تأويل الاحكام القرآنية والسنن النبوية، وانه ينبغي نبذها أو تغييرها فتكون منطبقة على حقيقة الدين الاسلامي القويم، وبناء على ماتقدم اذا كان مسلمو العالم اتفقوا على الميل الى الحكومات الدستورية وتطلعوا اليها في هذه الايام فما ذلك الا لأن نخبة العقلاء منهم استطاعوا اقناعهم بان المبدأ الدستوري ليس غير مناف للعقيدة القرآنية فقط بل ان القرآن يأمر المسلمين بالشورى وتبادل الآراء لاجل ادارة الاشغال والمصالح العامة كما يتضح من آية (وشاورهم في الامر) على ان الشورى هي أس المبدأ الدستوري . وعلى هذا الخط يجري المصلحون في الامور الاخرى. اهـ ثم أشارت الى ماجاء في بعض أعداد المنار من المباحث وهي (أوروبة والاسلام) و (امبراطور المانية والاسلام) ومقالة ترجمت من النوفي فريمية الروسية فيما قاله امبراطور المانية أمام المبشرين الكاثوليك الالمانيين في أفريقية .

الاتفاق الانكليزي التركي

على خليج فارس وشط العرب

نلخص هنا بعض آراء الجرائد الأوربية والعثمانية والمصرية في الاتفاق

﴿ الاتفاق ومطامع الدول ﴾

جاء في رسالة لمندوب المقطم في الآستانة (نشرت في ٢٠ جمادى الآخرة و٢٦ مايو) بعد ما ذكر مواد الاتفاق ما نصه :

هذا هو اساس الاتفاق العثماني الانكليزي والى القراء الآن بعض مطالب فرنسا التي لم تر الجرائد الباريسية ضرراً من نشرها

أولا ان تصدر الارادة السنية بانشاء مستشفيات فرنسوية على اساس اتفاق سنة ١٩٠١ بين حكومتي الآستانة وباريس

ثانياً ان يحافظ على شروط هذا الاتفاق في المستقبل

ثالثاً ان تعامل المكاتب الفرنسوية معاملة المكاتب العثمانية في ما يتعلق بالشهادات وبالاعفاء من دفع الاموال الاميرية

رابعاً ان لا يسجن فرنسوي في المملكة العثمانية في غير سجون القنصليات

خامساً ان يعترف بالتبعة الفرنسوية للتونسيين والمراكشيين

سادساً ان يلجأ الى التحكيم في بعض المسائل المختلف عليها بين الحكومة العثمانية وفرنسا

سابعاً ان تعطى فرنسا امتيازاً بانشاء فروع السكك الحديدية الآتية (أولا) في أرمينية (ا) خط سمسون سيواس (ب) خربوط - ديار بكر (ت) ديار بكر - ارضروم - طرابزون (ثانياً)في سورية (ا) مد سكة حديد الشام من رياق الى جهات الجنوب (ب) تقسيم نقل البضائع بين فرع سكة حديد الحجاز التي تبتدىء من حيفا وسكة حديد الشام التي تبتدىء من بيروت. والعناية بحماية المصالح الفرنسوية وفتح ميدان واسع لها لتنمو في تلك الانحاء

ثامناً ان تعطى فرنسا امتيازاً بانشاء المرافئ التالية ، وهي مرفأ انابولي وهركله على البحر الاسود وطرابلس وحيفا ويافا في سورية

***

ويظهر ان المانيا لم تكتف بما لها من الامتيازات المهمة في سكة حديد بغداد وغيرها في البلاد العثمانية فانها تسعى الآن لنيل مطالب اقتصادية في فلسطين لم أتمكن من معرفتها

وأما روسية فلها آمال كبيرة في البلاد الارمنية ستعلم في العاجل القريب ان لم تنتبه الوزارة العثمانية الحاضرة لسوء العاقبة وتتدارك المسألة الارمنية بالحكمة والعزم والتساهل

وعلى ذكر المسألة الارمنية أقول ان الحكومة لم تتمكن بعد من انجاز وعدها للمجلس الملي الارمني فالحال في ولايات الارمن تزيد سوءاً يوماً فيوماً ولا يعلم أحد ماسيقرره المجلس الملي في اجتماعه الآتي يوم الجمعة القادم . فاذا عجزت الحكومة عن المحافظة على حياة الارمن وأموالهم فلا بد من تفاقم الخطب واتخاذ وسائل لا تؤمن مغبتها على الدولة فتتحمل الوزارة الحالية باهمالها هذا تبعة كبيرة ليس في أوربة أو أفريقية بل في الولايات الاناضولية وفي قلب البلاد العثمانية

﴿ الاتفاق وآراء الجرائد الانكليزية ﴾

قال المقطم في ١٢ رجب ما نصه :

أرسل الينا صديق لنا من انكلترة قصاصات من المقالات التي أنشأتها بعض الصحف الانكليزية على أثر اتفاق الكويت عن احتمال التفاهم بين انكلترا وألمانيا واتفاقهما فآثرنا تلخيص ماورد فيها لاهميته

قالت جريدة الكومندايتور - دلتنا نتيجة المفاوضات التي دارت بين حكومتنا وحكومة برلين على بعض المسائل المعقدة في الشرق الادنى على انه أيسر لنا أن نسوي المسائل المهمة المختلف عليها بيننا وبين المانيا من أن نسوي بعض المسائل القليلة الاهمية كمسألة مسقط مع صديقاتنا (وتعني بذلك فرنسة)

وقالت جريدة الديلي كرونكل - ونحن نرجي الآن أن يعقد اتفاق بين انكلترا وألمانيا يكون متمماً للاتفاق الذي عقدناه مع الباب العالي اذ على هذا الاتفاق يتوقف كل شيء عملناه الى الآن . ولا يغنينا تعيين مديرين انكليزيين في مجلس ادارة سكة حديد بغداد ولا جعل البصرة منتهى سكة حديد بغداد فتيلا من غير هذا الاتفاق . أما المسألة الاولى من هاتين المسألتين فهي على شيء من الاهمية ولكن الثانية قليلة

الاهمية جداً في اعتبارنا لان البصرة وان تكن بمدينة داخلية فهي واقعة على نهر كبير يصلح للملاحة ولها طريق نافذ الى خليج العجم

وقالت جريدة منشستر غارديان ـ أما من جهة الكويت فاننا قد اعترفنا بسيادة الدولة العلية عليها ولكننا اتخذنا كل حيطة لمنعها من اتيان أي عمل يشتم منه ان لها أقل حق فيها . على اننا دفعنا ثمناً باهظاً جدا مقابل هذا الاتفاق وهو اننا وعدنا(؟) الباب العالي بأن نسمح له بزيادة الرسوم الجمركية (١)

نعم ان هذه الزيادة تتناول جميع الدول على السواء بلا فرق ولا تمييز ولكنها ستكون سبباً في اضعاف التجارة الاوربية في السلطنة العثمانية وتقليل مقطوعيتها ولا سيما التجارة الانكليزية فان خسارتها ستكون أكبر من خسارة كل تجارة سواها . فهل كانت مسألة الكويت وخوفنا على خليج العجم مساويين لهذه الخسارة . وهل زيادة الرسوم الجمركية أفضل وسيلة لزيادة ايراد الخزينة العثمانية وتحسين حالها ؟ اننا نرتاب في ذلك كثيرا

وقالت الديلي جرافك ـ لاندرك الحكمة من جعل البصرة نهاية لسكة حديد بغداد بدلاً من الكويت بعد تصريح الهرفون جاكو ناظر خارجية المانيا . فقد قال هذا الناظر ان المانيا لاتوافق على هذا الابدال الا اذا جعل شط العرب صالحاً للملاحة ومفاد ذلك ان المانيا ستجد امامها بابا مفتوحاً يوصلها الى خليج العجم كما لوكانت في الكويت تماماً ولكن من غير أن تنفق نفقات طائلة في تمديد الخط الحديدي الى هناك

وهناك مسألة أخرى تفتقر الى ايضاح وجلاء وهي ان المانيا أعيد اليها الحق بعد سكة حديد بغداد الى البصرة وقد كانت تنازلت عنه سنة ١٩١١ مقابل منحها امتيازاً بعد فرع أوفروع من خط سكة حديد بغداد الرئيسي غربا الى الاسكندرونة فهل يفهم من الاتفاق الجديد انهذا الامتياز قد نزع منها الان أم هو باق بيدها ؟ فاذا كان باقيا بيدها فتكون المانيا قد خرجت من المقارعة السياسية التي دارت على نهاية سكة حديد بغداد غانمة غنيمة كبيرة . فان ترسيخ قدمها في الاسكندرونة يعد ربحاً كبيرا في حد ذاته فكيف بها اذا وقد رسخت قدمها في الاسكندرونه والبصرة جميعا (ليتأمل العاقل)

(١) المنار : اشترطت انكلترة لهذا الوعد ان ترضى سائر الدول بمثله والمانية تريد جعل الزيادة من ضمانة الخط الحديدي ، وما ارى الجريدة الا هازلة في قولها هذا

﴿ كلام جريدة الطان الفرنسية في الاتفاق ﴾

ترجمت جريدة الاهرام مقالة لجريدة الطان في موضوع الاتفاق وخطبة ناظر خارجية انكلترة بينت فيه مقدماته ونتائجه ونكتفي ببيان حقيقة واحدة من الحقائق التي استنتجتها منه وهي :

(السادس) ان الاتفاق بين انكلترا وتركيا يعقبه اتفاق آخر بين انكلترا والمانيا وقد قال السير غراي في خطابه ان بين المانيا وتركيا اتفاقات خصوصية بشأن سكة بغداد ونحن لادخل لنا في تلك الاتفاقات الخصوصية . والآن نعقد نحن اتفاقات مع تركيا لا دخل لالمانيا فيها ولكن يجب ان نعلم ان هذه الاتفاقات لاتمس الحقوق المخولة لها من تركيا . فالاتفاق المراد عقده بين انكلترا والمانيا يقصد منه تسوية المسائل المختصة بسكة بغداد تسوية نهائية ـ قالت الطان ـ والسير غراي صادق في قوله فانه متى تمت الاتفاقات الجديدة تسوى مسألة تلك السكة نهائياً . وقد كنا منذ زمن طويل نتوقع هذه التسوية النهائية فامرها الآن لايدهشنا وانما نأسف لكون فرنسا لانصيب لها في هذه التسوية بسبب خطأ سياستها في السنين السابقة . ولقد كانت فرنسا وانكلترا في سنة ١٩٠٩ اتفقتا على طلب امتياز خط حديدي بين حمص وبغداد والبصرة غير ان معارضة المسيو بومبار في ذلك المشروع أفضت الى توقيف المفاوضات في سنة ١٩١٠ ثم أهمل المشروع اهمالا تاماً ولا يمكن الآن اعادته الى بساط البحث . ولا يحق لنا الآن ان نشكو من انكلترا لانها حاولت تسوية تلك المسائل دون اشراكنا معها فقد أعرضنا في الماضي عن الاشتراك معها فوقفنا الآن هو نتيجة خطأ سياستنا في الماضي . ولا أمل الآن الا في ان يتمكن وزير الخارجية الفرنساوية من صون مصالح فرنسا في الاجزاء الاخرى من السلطنة العثمانية (تأمل واعتبر)

(الاهرام) هذا ماقالته الطان وقد تناولت صحف اوروبا كلها هذا الخطاب فعقدت عليه الفصول الطويلة وأجمعت صحف انكلترا على ان الاتفاق يملك انكلترا طريق الهند وهذا كاف

﴿ الاتفاق ومغانم الانكليز والالمان منه ﴾

مقالة افتتاحية للاهرام تصرفنا في عنوانها فقط وهذا نصها :

عرف من أخبار المصادر التي يوثق بها ، ومن أقوال الصحف التي يعول على

أقوالها، بل من خطاب السير أدوارد غراي المنشور بين التلغرافات ان الباب العالي رضي في الاتفاق الجديد بينه وبين انكلترا أن يترك كل دعوى من دعاوي السيادة على الكويت وقطر وجزر البحرين ومسقط وعمان، واعترف لانكلترا بالحق المطلق في انارة الخليج الفارسي وخفارته، وحقق لها كل أمنية وكل مطلب في شط العرب، وثبت حقوقها المختصة بالملاحة في دجلة والفرات. كل هذا وغير هذا مما سبق نقله وبيانه وايضاحه في هذه الجريدة

تلك الاماني التي أدركتها انكلترا وتلك الغنائم التي نالتها بدت عظيمة جداً لاعين الدول الاخرى الكبرى صاحبات المرافق والمصالح في البلاد العثمانية. ورأت تلك الدول ان الحكومة العثمانية نفسها فتحت الباب وأوسعت المجال للمطامع والمطامح ومهدت السبيل لعرض المطالب والرغائب. رأت ذلك فاذا بالمطالب تكاد تغمر الباب العالي واذا ببعض الدول تريد أن تأخذ من الباب العالي ومن انكلترا أيضاً «حصة أو تعويضاً»

أبدت ألمانيا في هذا المجال ـ وهي صديقة تركيا الصادقة المخلصة ـ انها لاتعرف للقناعة والاعتدال والاكتفاء معنى وهي التي تطلب التعويض الكبير بملء فيها. مع انه اذا كانت انكلترا في الاتفاق الجديد تأخذ من دولتنا كثيراً فهي في الوقت نفسه تعطى المانيا على حساب دولتنا ماهو أكثر وأوفر وأغلى قيمة وأعظم شأناً

قد يدهش القارىء اذ لم يسمع أن انكلترا أعطت المانيا شيئاً ولكن من ينظر الى مضمون الاتفاق أو ماعرف منه حتى الآن يتبين له ان انكلترا صدقت بصفة نهائية على سكة حديد بغداد الالمانية وعدلت عن المعارضة والمقاومة والمعاكسة أو اقامة العراقيل في سبيل ذلك المشروع الخطير وهي بذلك التصديق على سكة بغداد الالمانية قد أعطت المانيا مالا تقدر قيمته ولا تحصى فوائده. وهذه الحقيقة تجلي عند البحث في مشروع سكة بغداد

فساحة سكة بغداد الالمانية تقارب ثلاثة آلاف كيلو متر. تبدأ من حيدر باشا على البوسفور وتنتهي عند البصرة على شط العرب. ومن مراجعة عقد الامتياز الذي نالته الشركة الالمانية والاتفاقين اللذين عقد أحدهما سنة ١٩٠٨ والثاني سنة ١٩١١ يتبين ان الشركة حصلت على الحق في مد الفروع الكثيرة أو الخطوط المتفرعة من تلك السكة. ومن ذلك فرع بين حلب واورفه وفرع بين بغداد وخانكين الواقعة على حدود ايران وفرع يمد الى مرعش وفرع الى عينتاب وفرع الى ماردين وفرع

الى اربيل وفروع أخري تتكون منها الصلة بين السكة الاصلية والبحر المتوسط وتنتهي عند نقطة واقعة بين مرسين وطرابلس الشام. وتلك الفروع هي التي تزيد مساحة السكة الاصلية الى ثلاثة آلاف كيلو متر. وتلك السكة وفروعها تخلل آسيا الصغرى وأعالي سورية ومابين النهرين والعراق العربي وتجتاز من البلاد العثمانية الجهات والاقاليم التي فيها مصادر الحياة والثروة والخير

وليس ذلك كل مانالته شركة سكة حديد بغداد الالمانية فانها فوق ذلك حصلت على حق انشاء بعض المواني والمرافئ والارصفة اللازمة لرسو السفن والمخازن اللازمة لتخزين البضائع على تلك الارصفة وفي بنود الاتفاق بينها وبين الباب العالي أن الحكومة العثمانية تأذن لها بتسيير السفن في دجلة والفرات بحجة نقل عمالها والقصد الظاهر من ذكر هذه «الحجة» أن لاتفاق انكلترا على مصالحها في دجلة والفرات ولكن وراء هذه الحجة مقاصد كبيرة تضمرها ألمانيا

وفوق ذلك كله يحق للشركة أن تستخرج المعادن على مدى عشرين كيلو متراً عن جانبي السكة وهي بذلك تحصل علي كنوز لايمكن تقدير قيمتها. ثم انها يحق لها أن تقطع من الغابات المجاورة للخط كل ماتحتاج اليه من الاخشاب، ويحق لها أن تنشئ المخازن والفنادق ومعامل الكهرباء وغيرها عن جانبي الخط. ويحتمل كثيرا أن تنشئ المستعمرات الالمانية في كل جهة طيبة الهواء والماء خصبة الارض من الجهات التي تجتازها تلك الخطوط. ولقد كان مديرو الشركة كتبوا الى ناظر النافعة العثمانية كتاباً في سنة ١٩٠٣، وعدوا فيه بأن لايجلبوا النزلاء الاجانب أو لاينشئوا المستعمرات الالمانية في الجهات المجاورة للسكة، ولكن المارشال فون درغولتز باشا صرح منذ عامين بأن السلطان السابق عبد الحميد كان حتى آخر حكمه يود أن يرى النزلاء الالمان يزدادون ويكثرون في آسيا الصغرى ورجال الحكومة العثمانية الآن لا يقاومون المانيا من هذه الوجهة

وبواسطة تلك السكة وفروعها وتلك الشروط وتلك الحقوق التي حصلت عليها المانيا تستطيع نشر نفوذها وبسط يدها وارساخ قدمها وادراك مآربها الاستعمارية في بلدان مترامية الاطراف أعيا بعضها الفاتحين وأعجز المغيرين في الازمنة السالفة، وكل ذلك دون أن تريق ألمانيا نقطة دم الماني. وقد تأسست شركة سكة بغداد برأس مال لايزيد على مئة وخمسين مليون فرنك ولم يدفع منه الا قيمة النصف فقط، ومع ذلك

لم يفشل المشروع ولا رجعت المانيا القهقرى في هذا السبيل بل خدمها حسن الحظ وحالفها النجاح وساعدتها انكلترا نفسها على تحقيق أمانيها فماذا يكون يا ترى بعد عشرين أو ثلاثين عاماً حين تتوطد قدم المانيا ويعظم نفوذها ويرسخ في تلك البلدان الشاسعة الواسعة ؟ ومهما عززت انكلترا مركزها في الخليج الفارسي فان المنائر الانكليزية في ذلك الخليج لا يمكن أن تكون قلاعاً منيعة أو حواجز متينة تصد تيار المطامع الالمانية

فالمانيا قد حصلت على مالم يحصل عليه غيرها ومستقبلها يهدد مستقبل سواها . فمن الغريب ـ وهذا حظها ـ أن تطلب الآن تعويضاً

﴿التنازل عن العراق﴾

جاء في عدد السبت ٢ رجب من المؤيد تحت هذا العنوان مانصه :

كتب « مسلم » في أحد أعداد المؤيد الماضية مقالة قال فيها: « كيف يتأثر القوم لوقع هذا المصاب وهم الذين تبرعوا بهذه العملية المؤلمة لسواهم، وهي عملية بتر هذه البلاد (الخليج الفارسي والعراق) من جسم السلطنة العثمانية، وقد تمت هذه العملية وجرائدهم ساكتة صامتة لا تبدي حراكاً كأن هذا الحادث لا يستحق أن تراق فيه نقطة من الحبر على صفحات تلك الجرائد »

وأنا لم أكن يومئذ على رأي حضرة « المسلم » فيما قاله عن جرائد الاستانة لانني خدعت بما قرأته من المقالات الطوال في الاحتجاج على ضم النمسا جزيرة (أطه قلعه) الى أملاكها وقد بلغ عويل صحف الاستانة في هذه المقالات درجة استغربتها جريدة (عزم) التركية التي تصدر في الاستانة فقالت في عدد يوم ١٩ مايو

لا ندري هل القيامة قامت ؟ هل ذهبت البقية الباقية من أملاكنا في أوربا ؟ هل احتل الاعداء عاصمتنا ؟ هل أخذت الخلافة من يدنا ؟ هل رفعت سوريا لواء الثورة ؟ أم استولى الانكليز على بغداد ؟

— لا لم يحصل شيء من هذا . ولكن أطه قلعه ذهبت ، وعليها تبكي الصحف هي تبكي على أطه قلعه التي خرجت من يدنا منذ ربع قرن »

الى هذا الحد بلغ اهتمام صحف الاستانة بحادث أطه قلعه ولذلك لم أر معقولا أن تسكت عن حادث الخليج الفارسي والعراق . فلما قرأت مقالة المسلم الفاضل صرت

أبحث فيما وصل الينا من جرائد الاستانة هل هي تسكت حقيقة عما تم في العراق ، واذا هي سكتت فهل تعتذر وماذا عسى يكون عذرها ؟

بقيت على هذه الحال الى أن وصل مع البريد الاخير عدد ٢٥ مايو من جريدة (وظيفة) وهي الجريدة التي تتكلم بلسان العنصرية التركية وقد صارت في المدة الاخيرة أكثر صحف الاستانة حرية وشجاعة ؟ أو هي أقلهن تذبذباً وتملقاً في هذا الوقت الذي لم تبق فيه صحف معارضة هناك ، فرأيتها تعتذر عن سكوتها بقولها :

« ان المعاهدة الانكليزية العثمانية التي عقدت بين صدرنا الاسبق حقي باشا والسير أرثر نيكولسون مستشار ناظر خارجية انكلترا لم يبلغنا خبرها الا من المصادر الاوربية لان الباب العالي لا يزال على ديدنه الغريب في كتم الاخبار عن الامة . ولذلك لم تصل الى يدنا أخبار صريحة عن هذا الامر المتعلق بقطر عظيم من أقطار الوطن العثماني وهي بلاد الجزيرة . وكل ما علمناه عن ذلك انما قرأناه في جريدة التيمس الانكليزية »

هذا هو عذرها . أما مواد هذه المعاهدة بين جماعة الاتحاديين ودولة الانكليز فقد أوردتها تلك الجريدة التركية كما يأتي :

« تحوي المعاهدة بيننا وبين الانكليز أربعة أمور : اثنان منها في مصلحة الانكليز واثنان في مصلحتنا

« فأول الامرين اللذين في مصلحة الانكليز اعترافنا لهم بحق حماية مقاطعة (الكويت) وتنازلنا عن السيادة التي لنا على شبه جزيرة (قطر) و(البحرين) وهذان القطران لم تحدد منطقتاهما ولم تعين أراضيهما وانا أعطينا الانكليز وظيفة تقرير الامن في خليج البصرة . ووسطناهم في حل الاختلافات التي بيننا وبين أمير المحمرة .واعترفنا لهم بحق حماية تلك المقاطعة

« وبالاختصار انا اعترفنا لحكومة جلالة ملك الانكليز وامبراطور الهند بتنازلنا له عن خليج البصرة وسواحله

« ذلك هو أحد الامرين اللذين في مصلحة الانكليز . وأما الامر الثاني فيتعلق بالسياحة وسير السفن على طول نهري الفرات ودجلة ومجرى شط العرب ـ وهو مجمع النهرين ـ والاعتراف بكل ما حصل عليه الانكليز من الحقوق والامتيازات هناك. وأن تؤلف لجنة لتنظيم وادارة الاساكل والمواني وتسيير السفن في مجاري هذه الانهر حيث تخترق داخلية البلاد وأن يشترك الانكليز اشتراكا جديدا في هذه اللجنة

على ان هذا الامر الثاني لايزال مظلماً بالنسبة الى الامر الاول، لاسيما والانكليز كانوا قد حاولوا فيما مضى أن يكون لهم حق احتكار تسيير السفن في نهري الفرات ودجلة ومجرى شط العرب فقام أهل العراق وقعدوا لهذا الامر وعارضوا في اتمامه أشد المعارضة حتى اضطروا مجلس المبعوثان الى رفضه . . ولما قرأنا ماقرأناه في هذه الايام من مواد المعاهدة العثمانية الانكليزية تذكرنا مسألة الاحتكار ولذلك قصدنا الصدر الاعظم محمود شوكت باشا وسألناه عما اذا كان اعترف للانكليز بذلك فأجابنا بأن هذا الامر بقي مسكوتاً عنه

« على ان هذا اذا صح يكون للانكليز حق الارجحية . ومعنى ذلك ان على الحكومات العثمانية أن تعضد في المستقبل النفوذ والسلطة الانكليزية من مصب شط العرب الى منتهى سير السفن في نهري دجلة والفرات

« وصفوة القول ان الانكليز قد تمكنوا أولا من بسط حكمهم الى مصب شط العرب وصاروا أصحاب النفوذ والقدرة على مايلي ذلك من بلاد الجزيرة . تلك هي حصتهم

« أما حصتنا فهي ان الانكليز كانوا يمانعون في اتمام ماوعدنا به الالمان من تمديد سكة حديد بغداد الى البصرة فأذنوا بذلك الآن بشرط أن يكون لهم عضوان في مجلس ادارة شركة هذه السكة الحديدية وأن يكون للبضائع والتجارة الانكليزية نفس الامتيازات التي للبضائع والتجارة الالمانية . تلك هي احدى الفائدتين اللتين استفدناهما من المعاهدة

« والفائدة الثانية التي حصلنا عليها من وزارة سن جيمس هي ان هذه الوزارة وافقت على أن نزيد ٤ في المائة على الرسم الجمركي (١)

« وهنالك فائدة ثالثة للعثمانيين لم تذكر في نص المعاهدة وهي ان العثمانيين اكتسبوا عطف السياسة الانكليزية عليهم بصورة غير معينة أي ان الجفاء القديم قد زال الى زمان مؤقت وتلك فائدة أدبية لنا بدون شك »

وبعد ان أوردت هذه الجريدة التركية مواد المعاهدة الانكليزية العثمانية علقت عليها مايأتي :

« واذا أردنا تحليل نتيجة هذه المعاهدة ودققنا النظر فيما كسبناه وخسرناه منها لانرى أن ذهاب قطر والبحرين والكويت وكل خليج البصرة من يدنا مما يستحق اللوم والانتقاد، لان مثل هذه المقاطعات تفيد دولة تريد أن تتوسع في قواها ولكنها

(١) المنار : أي ان الفائدة الأولى للألمان والثانية مقيدة بشرط أن ترضى سائر الدول بذلك . والثالثة التي سيذكرها وهمية

على عكس ذلك تضر بالدولة الضعيفة . ويعلم قراؤنا أننا على رأي القائلين بتكثيف القوى العثمانية لا التوسع فيها، وسياسة التوسع في الملك والسلطة (انبرياليسم) خارجة عن برنامجنا (يتكلم المحرر باسم حزب العنصرية التركية أي ان بقاء هذه الاقطار البعيدة في حكم الدولة ضار بالدولة) لاننا مقتنعون بأنه لايمكن الاطمئنان على مستقبل الدولة بتوزع قواها بل بتقرب أجزائها . من أجل ذلك نحن لانتقد أبدا هذه السماحة التي أبداها حقي باشا

« أما عن الامر الآخر فلا نقول الآن كلمتنا الاخيرة مادام النص غير معلوم عندنا وقد ظهر لنا أن المفاوضات لا تزال غامضة من هذه الجهة ولكننا نقول من الآن ينبغي للذين تساهلوا بما وراء (فنار الفاو) أن لايتسامحوا بما يليه ، والذين يفرون من الامور الخشنة يجب عليهم ان يجتنبوا احداث أمور خشنة، ولعل السياسة العثمانية في لوندرة تظهر لنا مهارتها في هذا

« ونقول بشأن الأمرين اللذين هما في مصلحتنا ان الامر الاول وهو تمديد سكة حديد بغداد الى البصرة شيء كنا نتمناه من قبل لانه يمدد لنا نفوذنا أيضا الى هناك وان دخولنا الى الجزيرة بعد خروجنا من الروم ايلي شيء يسرنا جدا

« وبعكس ذلك مسألة الرسوم الجمركية فاننا نرى دولتنا تسلك فيها من القديم مسلكا مستقيماً ، ومحاولتها ضم ٤ في المائة على الرسوم الجمركية تدل على خطتها في فهم الامور الاقتصادية العثمانية . لانحتاج الى النجاح في ضم ٤ في المائة الى رسوم الجمرك بل نحتاج في تنظيم التعريفة وتأسيسها، أما ضم ٤ في المائة فهو من مصلحة أوربا وليست هي التي ستدفع هذا الفرق بل الذى سيدفعه هم العثمانيون الذين سيشترون بضائع الاوربيين، وكان ينبغي لنا عند ما أعطينا أصدقاءنا حق الحكم على الخليج وأذنا لهم باحتلال الجزيرة أن نجعلهم يعترفون لنا بتنظيم التعريفة وحق عقد المعاهدات التجارية وبذلك كنا نخدم ثروة بلادنا . أما الآن فلا نزال في موقفنا القديم وهو أننا كلما أردنا أن نحصل على التعريفة ندفع عليها ثمنا باهظا كهذا . لا سيما ونحن متفقون مع دول المحالفة الثلاثية على ذلك ، وكان بقي علينا أن نتفق مع دول الاتفاق الثلاثي وكانت هذه فرصة لنا فأضعناها »

وبعد فاني لم أطلع على رأي لجريدة تركية في حادث الخليج الفارسي والعراق غير هذه الجريدة . وهو كما يرى القارئ مؤيد لقول حضرة « المسلم » في صحف الاستانة وأصحابها ولله في خلقه شؤون (ميم)

باب الانتقاد والاستدراك على المنار

﴿ مذهب الاباضية في صلاة المسافر والاستفتاح والتأمين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم رحم الله أستاذنا وشيخنا السيد محمد رشيد رضا وأكرمه وأعانه ونصره . أما بعد فاني أريد أن أعرض من آثار المسلمين أجوبة على سؤالات السائل بالمنار الاغر الصادر بتاريخ جمادي الاولى سنة ١٣٤١

ولم أقصد بهذ الآثار التفاضل أو التشهير بالاصوب أو الاحرى وانما بمجرد عرض أقوال المسلمين أهل الدعوة على معرض أقوال غيرهم ليكون المجال أوسع للمستبصرين مع اعتبار اني لم اكن معترضاً ولا منتقدا ولا مدعياً بل اني كثير الجهل قليل العلم

الجواب على (س ١٠) ان القصر في السفر رخصة من الله تعالى وتخفيف ودليلها من الكتاب والسنة . أما الكتاب فقول الله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) وأما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام للفاروق رضي الله عنه حين سأله عن قصر الصلاة فقال « صدقة من الله تصدق بها عليكم فاقبلوا صدقته » وقوله عليه السلام « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتي عزائمه » فالمفهوم من هذا ان صلاة السفر سنة لايجوز تركها . وأما المسافة التي يجوز فيها صلاة السفر ففرسخان والدليل ماروي انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم ومعه أصحابه حتى اذ صار في ذي الحليفة فصلى بهم ثم رجع فسئل عن ذلك فقال « أردت أن أعلمكم صلاة السفر أو قيل حد السفر » والفرسخ عند علماء أهل الدعوة رحمهم الله ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع .

ولا بد من المسافر أن ينوي سفراً مسافة تجاوز فرسخين فصاعداً وان لم ينو السفر وتعدى الفرسخين وتجاوز بيوت مصره أو بلده ووجبت الصلاة صلاها قصراً

وجائز للمسافر اذا حضرت الصلاة أن يصلي خلف الامام المقيم أربعاً . والمسافر يلزمه القصر وان في بلده مادام لم ينو الاقامة فيها ولا ينكسر عليه القصر حتى يصل السور في المنزل وفي البيت الى بابه وفي الخص الى أوتاده ، والمقصود دخوله الوطن فعندها يصلي تماماً صلاة الاقامة ، وقد مضت السنة أن يقصر المسافرون وان أقاموا عشر سنين مالم يتخذوها وطناً ، وقد بلغنا ان عبد الله بن عمر أقام بأذربيجان سبعة عشر

شهرا يصلي قصراً والله أعلم

ومن آثار المسلمين ان الرجل اذا تزوج امرأة مسافرة وهو مقيم أتمت معه وان اشترى عبداً مسافراً أتم معه وان تزوج امرأة حاضرة لم يتم معها اذا كان مسافراً هو وهي في اعداد المقيمين ولا تقصر معه حتى تتحول معه مكاناً يتعدى الفرسخين. وان اشترى عبدا وهو مسافر وكان العبد مقيما كان في عداد المقيمين حتى يتحول معه ويجاوز الفرسخين

الجواب على (س ١٣) المستحب عند المسلمين اقتداءاً كابر الصحابة عمر وعائشة وابن مسعود رضي الله عنهم انهم اذا قاموا الى الصلاة وجهوا لها « بسبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » ثم بالاستعاذة من الشيطان الرجيم قبل تكبيرة الاحرام أو بعدها كلا الفعلين جائز ، وقراءة فاتحة الكتاب بالبسملة خلف الامام فقط ، وأما فذاً فقراءة الفاتحة وثلاث آيات من القرآن على الاقل لقوله عليه السلام « لاصلاة الا بفاتحة الكتاب » فصاعداً وفي رواية أخرى انه أمر اعرابياً أن يقرأ في الصلاة فاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن ، وما روي أيضاً من طريق آخر انه قال عليه السلام « وشيئاً من القرآن معها » والله تعالى أعلم . وأما التأمين بعد فاتحة الكتاب فلم يبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعله لانه لم يكن من القرآن وانما التأمين في الدعاء بعد اداء الصلاة والخروج منها لقوله تعالى (فاذا فرغت فانصب) أي اذا خرجت من الصلاة فانصب الى الدعاء والله أعلم

(المنار) يعني الكاتب بأهل الدعوة من المسلمين الاباضية أهل مذهبه . أما قوله ان القصر في السفر رخصة ثم قوله انها سنة فيوافق قول الشافعية وقد رجحنا في التفسير وغير التفسير خلافه ، وانه واجب وتمام وعزيمة ولذلك لم يتم النبي (ص) الظهر والعصر والعشاء في سفر قط ، وبه صرحت عائشة كما ثبت في صحيح البخاري ، وفي (كتاب الجامع الصحيح) للفراهيدي المعتمد عند الأباضية . قال شارحه الشيخ عبد الله بن حميد السالمي - وهو من أشهر علمائهم في هذا العصر - : « وقد أخذ بظاهره أصحابنا والحنفية والهادوية فالقصر عندنا واجب لاجائز فقط وهو المروي عن عمر وعلي ونسبه النووي الى كثير من أهل العلم . قال الخطابي كان مذهب أكثر علماء السلف وفقهاء الامصار على ان القصر هو الواجب في السفر » الخ ثم أورد مااعترض به على هذا القول وأجاب عنه ، ومنه آية فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) قال انها نزلت في صلاة الخوف لا السفر وان نفي الجناح لايستلزم نفي

الوجوب. اقول وهو الصواب الذي حققناه في التفسير من قبل - ومنه حديث عمر «صدقة من الله» الخ وأجاب عنه بأن كونه رخصة وتخفيفا لاينافي كونه تماما فانما ذلك بالنظر الى الاربع المفروضة في الحضر . وذكر حديثاً مرفوعا بغير سند «الركعتان في السفر ليستا قصرا انما القصر واحدة عند الخوف» وأجاب غيره عن حديث عمر بأن قوله (ص) «فاقبلوا صدقته» أمر بقبول القصر وهو للوجوب. وأما ما ذكره في مسافة القصر فهو قريب مما بيناه في التفسير وفي مجلدي المنار السابع والثالث عشر وانه صح «ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ» والاحتياط الاخذ بالثلاثة الفراسخ . وما ذكره من فروع المسألة لم يذكر له دليلا

وأما ماقاله في افتتاح الصلاة بسبحانك اللهم وبحمدك فلم يصح فيه حديث مرفوع كما قلنا وأقوى ماورد فيه ان عمر رفع صوته به ليعلمه الناس فيقال لولا انه سنة تلقاها عن النبي (ص) لما فعل

وأما قوله في التأمين انه لم يبلغهم عن رسول (ص) فجوابه انه بلغ غيرهم وقد صحت الرواية فيه عند أهل السنة والجماعة ومن حفظ حجة على من لم يحفظ. على ان الاباضية يوافقون الحنفية في هذا القول، ومتى صحت السنة كانت حجة على كل مسلم

﴿ احراق الكتب الضارة والفرق بينها ﴾

جاءنا من العلامة المستشرق الانكليزي الشهير صاحب الامضاء ما نصه :

سيدي العلامة منشئ المنار

بعد التحيات فقد طالعت ماورد في الصفحة ٣٨٣ من المنار من استصوابكم احراق الكتب فذكرني ذلك حكاية جاء بها ياقوت في الجزء السادس من معجم الادباء كما يأتي: حدثني محب الدين محمد بن النجار (المتوفى ٦٤٣) قال حضر الوجيه النحوي (هو المبارك بن المبارك بن الدهان المتوفى ٦٠٢) بدار الكتب التي برباط المأمونية وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله فجرى حديث المعري فذمه الخازن وقال كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته، فقال له الوجيه وأي شيء كان هذا الكتاب؟ قال كان كتاب نقض القرآن (يعني كتاب الفصول والغايات) فقال له أخطأت في غسله، فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه، واستشاط ابن هبة الله وقال له مثلك ينهي عن مثل هذا ؟ قال نعم لايخلو ان يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيراً

منه أو دونه، فان كان مثله أو خيراً منه - وحاش لله ان يكون ذلك - فلا يجب ان يفرط مثله، وان كان دونه - وذلك مالا شك فيه - فتركه معجزة للقرآن فلا يجب التفريط فيه . فاستحسن الجماعة قوله ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت اه وما كان أجدر بالمنار ان يفتي مثل فتوى ابن وجيه النحوي والسلام

المخلص

لست بقين من رجب سنة ١٣٣١ د س مرجليوث في اكسفرد

(المنار) انني أشكر للدكتور الفاضل انتقاده وما رأى المنار جديراً به ، وهو كما قال فلو كنت مكان ابن وجيه لقلت مثل قوله ، والفرق بعيد جداً بين الواقعة التي قال فيها ابن وجيه كلمته والواقعة التي استحسن فيها المنار احراق الكتب ، فذلك كتاب من آثار فيلسوف أديب لاتكاد توجد منه الا تلك النسخة في دار الكتب فالواجب حفظها والضن بها حفظاً لنتائج الافكار وآثار العلماء، وأما الكتب والرسائل التي يوزعها دعاة النصرانية بين عوام المسلمين في البحرين والخليج الفارسي وسائر البلاد فهي - على كونها مثارات فتن - كثيرة العدد، دائمة المدد، اذا أحرق بعض الناس نسخاً منها لايجنون على التاريخ ولا تفقد الارض أثراً صالحاً ولا فاسدا ، وانما تسد ذريعة الفتنة وتفرق الكلمة في بلاد مااعتادت هذه المجادلات . وها أنا ذا أملك كثيرا من كتب النصارى القديمة والحديثة، ومن هذه الرسائل التي يطعن مؤلفوها في الاسلام طعناً يعتقد أكثرهم أو كلهم انه متحامل ومشاغب ولو في بعضه كما أظن، ولم أحرق في زمني شيئا منها ، ولو عثرت بكتاب من نوعها نفدت نسخه أو قلت لحرصت عليه اذا كان له قيمة في موضوعه وان اعتقدت ان مافيه باطل. وقد اقترحت في السنة الاولى من المنار احراق أكثر كتب علماء المسلمين التي اعتقد انها ضارة في أسلوبها أو موضوعها ومنها أكثر كتب التعليم في المعاهد الدينية المشهورة وان يبقى من كل كتاب منها نسخة أو نسخ قليلة تحفظ في دور الكتب ليطلع عليها الباحثون في تاريخ العلم وسيره. وانا نرى الحكومات الحرة تمنع كثيرا من الكتب والرسائل والجرائد السياسية والمجونية والجدلية اذا كانت ترى في نشرها ضررا ، وتصادر ماتضبطه منها كما نرى من انكلترة في السودان وغير السودان ، فما ارتأيناه من هذا القبيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الاصلاح والاتفاق بين الاتحاديين والعرب

قد عرف قراء المنار كافة أنه كان من مقاصد زعماء جمعية الاتحاد والترقي جعل الدولة العثمانية دولة تركية محضة تقلد فرنسة في سياستها وادارتها ، وكان من وسائل هــذا المقصد العظيم عندهم إضعاف ماعدا الترك من الشعوب القوية التي تتألف منها هذه الدولة كالعرب والارنؤط ، وكان من مسارعتهم في هذا أن جيشوا الجيوش اللجبة على بلاد هذين الشعبين المخلصين لدولتهم ، الراضين معها بسوء حالهم ، وفعلوا الافاعيـل الشنعاء في اليمن والكرك وحوران وبلاد الارنؤط . وعرف قراء المنار أيضا أننا قد جاهدنا حق الجهاد بالقول والسعي لمقاومة هذه الاعمال الضارة ، وصرحنا بأن تتريك العناصر بالسلطة والقوة أو بغير ذلك لم يعد مما يدخل في حدود الامكان ، وانه لو كان ممكنا لعذرنا الاتحاديين على محاولته سياسة لادينا ، لان الاسلام وهو دين الدولة الرسمي ودين جميع الترك فيها هو دين عربي كما قال الله عز وجل (١٣ : ٣٩ وكذلك أنزلناه حكما عربيا) وان اضاعة العربية اضاعة له

وقد عرف القراء أيضاً ان الدولة قد خسرت الملايين من الدنانير والالوف الكثيرة من الجنـد في تلك السبيل وما كانت العاقبة الا إضاعـة الشعب الارنؤطي الباسل باخراجه من حضن الدولة الاسـلامية ، وتنبيه الشعب العربي الكريم الى الخطر الذي ينذره وينذر الدولة بسرعة الانحلال والزوال ، من عالم السلطة والاستقلال ، وزاد في يقظته حادث طرابلس الغرب ، فتمثل للعالم كله شدة ارتباطه بهذه الدولة على إضاعة رجالها هذه المملكة العربية العظيمة باخراج مافيها من العسكر والسلاح وارساله الى قتال أخوانهم في اليمن ثم اشتدت اليقظة وعظم الخوف من الخطر بما كان من انكسار دولتهم في حرب البلقان ، فعلم عقلاؤهم وأهل البصيرة منهم ، أن استمرار السكوت والسكون يفضي الى إضاعة بلادهم المباركة وبلادهم المقدسة ، كما ضاعت طرابلس الغرب وألبانيـة ومكدونية ، فهبوا لمطالبة الدولة بالاصلاح الذي تقوى به الامة بقوة كل عنصر من عناصرها وشعب من شعوبها ، على قاعدة اللامركزية الادارية التي لا يرجى ذلك بدونها ، وقد قرؤا البراهين الكثيرة في المنار على ذلك

قد اتفق ماعدا الاتحاديين من أهل الرأي والبصيرة من العثمانيين على ان دولتهم لا يرجى صلاحها ولا بقاؤها الا بالادارة اللامركزية ، وقد ظهرت الدعوة الى ذلك من الترك قبل العرب ، وقد قويت هذه الدعوة وانتشرت في المملكة على عهد وزارة

مختار باشا ووزارة كامل باشا الاخـيرة ، ولم يكد الاتحاديون يسقطون وزارة كامل باشا ويعودون الى مقاعد الباب العالي حتى عادوا الى شنشنتهم الاولى في مقاومة كل حركة إصلاحية بالقوة القاهرة ، وكان قد تأسس حزب اللامركزية في مصر وانتشرت دعوته في الولايات العربية ، وتأسست جمعية بيروت الاصلاحية وتعارفت مع هذا الحزب ، وقام على أثر ذلك نبهاء العرب الذين يشتغلون في فرنسة بطلب العلوم والفنون والتجارة يطلبون عقد مؤتمر عربي في باريس لبيان حقوق العرب في الدولة وطلب اللامركزية ، وفوضوا أمر هذا المؤتمر الى حزب اللامركزية بمصر ، وظهرت حركة الاصلاح في العراق بصورة مخيفة ، واتحد أهلها بحزب اللامركزية أيضا . وامتد الشعور بهذه النهضة المباركة الى ضباط العرب في الجيش المحارب وغير المحارب وخافت الحكومة أن يؤيدوها

بدأت وزارة شوكت باشا (رحمـه الله وعفا عنه) بالضغط على جمعيـة بيروت الاصلاحية فاقفلت ناديها وحبست بعض أعضائها وهددتها بالحكم العرفي ٠٠٠ فظهر لها ولجمعية الاتحاد ان هذه الشدة مازادت أهل بيروت وهم تحت ضغط الحكومة العرفية الا اتحاداً واصراراً على ما قرروا طلبه من الاصلاح ، وكذلك فعل الاتحاديون في البصرة ، فاعقبتهم الشدة والتهديد كل حسرة ، فماذا يمكن أن يقاوم به من هم في البلاد الحرة كمصر واوربة وأمريكة ؟ حاولت حكومة الباب العالي ان تمنع عقد المؤتمر في باريس بالرغبة الى الحكومة الجمهورية في ذلك فلم تجب فرنسة طلبها هذا ، فاوعزت الى أنصار السلطة في سورية من رجال المال والالقاب وبعض الكتاب ان يطعنوا برجال المؤتمر وطلاب الاصلاح ، فلم يغن ذلك من شيء ، على انه قد قام به كثيرون من أغنياء سورية كعبد الرحمن بك اليوسف وفوزي باشا العظم ، ومن كتابها كالامير شكيب أرسلان والشيخ محيي الدين الخياط ، ومن اصحاب الجرائد كطه افندي المدور صاحب جريدة الرأي العام وعبد القادر افندي المغربي صاحب جريدة البرهان . وكذا جريدة الشعب المصرية التي يحررها أحداث الحزب الوطني ، وقد غلا هؤلاء كلهم في التشنيع على المصلحين ، والقدح في اللامركزيين ، وصوروا للناس ان ضياع المملكة واستيلاء الاجانب عليها انما يكون بهذا الاصلاح الذي يطلبه المصلحون على قواعد اللامركزية الادارية ، وان بقاء الدولة وغيرها انما يكون بتسليم ادارتها الى فئة الاتحاديين في الاستانة وما يعقده مندوبوهم من الاتفاق مع الدول على بيع أراضيها وامتيازاتها ومنافعها وسائر ما يقوى نفوذ الاجانب فيها !!

بعد هذا كله ثابت الجمعية الى رشدها ورأت ان الخير لها وللدولة في اجابة المصلحين

الى إرضاء العرب – والعاقل من استفاد من الحوادث واعتبر – وكان أعقل شرفاء مكة الشريف علي حيدر مراقباً لسير الحوادث وله عند الاتحاديين المكانة العالية ، فلما رأى فرصة إصلاح البين سانحة سعى لها سعيها ، وجمع بين طلعت بك الزعيم الاكبر للجمعية في الحكومة وعبد الكريم افندي قاسم الخليل رئيس المنتدى الأدبي لأجل ذلك ، إذ لا يوجد عربي في الاستانة يعرف من حركة النهضة العربية الاصلاحية ما يعرفه عبد الكريم هذا ، لانه سافر في هذه السنة عدة مرات بين الاستانة ومصر وسورية وكان مندوب حزب اللامركزية الى جمعية بيروت الاصلاحية وغيرها من أفراد وجماعات طلاب الاصلاح ، وله بالجميع صلة لم تنقطع . فأوقف طلعت بك على مقاصد اللامركزيين وطلاب الاصلاح كافة . وعلى هذا الاساس وضعوا للاصلاح احدى عشرة قاعدة عهد الى عبد الكريم أفندي السعي لموافقة جميع طلاب الاصلاح عليها

كتبت القواعد ووقع عليها طلعت بك بالنيابة عن جمعية الاتحاد والترقي ، وعبد الكريم افندي عن جمعية الشبان العربية – وهي جمعية اجتماعية اصلاحية معظم أفرادها من المتعلمين في مدارس الحكومة – وكان هذا التوقيع تمهيداً لاقناع حزب اللامركزية وجمعية الاصلاح البيروتية بالاتفاق – وهما ممثلان في المؤتمر العربي بباريس – رجاء أن يقنع به سائر العرب بعد ذلك ،

حمل صورة الاتفاق عبد الكريم افندي الى باريس واطلع عليه رئيس المؤتمر السيد عبد الحميد أفندي الزهراوي وغيره من الزعماء وبعد تنقيح وزيادة فيها صرحوا بأنهم يرضون أن ترسل جمعية الاتحاد والترقي اليهم وفدا من ثقات رجالها للمذاكرة للاتفاق عليه ، فعاد الى الاستانة وبلغ ، فندبت الجمعية مدحت بك شكري والحاج عادل بك من ثقات رجالها ليكونوا وفدها الى المؤتمر العربي بباريس ، فلما أزمعا الرحيل اعتلت صحة عادل بك فسافر مدحت شكري بك ومعه عبد الكريم افندي رسول الوفاق والسلام ، وبعد المذاكرة والمناقشة تم الاتفاق على القواعد الاثنتي عشرة الآتية – على ابهامها – رجاء الاتفاق على التفصيل بعد ، واقترح زيادة ١٣ قاعدة عليها لارضاء وفد بيروت موضوعها أن يكون نصف أعضاء المجلس العمومي في بيروت من المسلمين والنصف الآخر من غيرهم ، لان هذا أكبر ما أرضى به مسلمو بيروت نصاراها وبنوا عليه أساس اتفاقهم المحمود ، فوعد مدحت شكري بك بالسعي لاقناع جمعيته بها ، وعلى مسائل أخرى سرية تتعلق بالاشخاص . وعاد الى الآستانة على أن ينتظر مندوبو حزب اللامركزية وجمعية بيروت الاصلاحية في باريس تصديق الحكومة رسميا على القسم الجهري من الاتفاق وطلبهم الى

الاستانة لاجل مباشرة التنفيذ . وفي أثناء ذلك كانت الرسائل البرقية والبريدية متصلة بين الحزب في مصر ومؤتمر باريس . وأرسل المؤتمر الى الحزب صورة الاتفاق

أبطأت الحكومة في التصديق على الاتفاق فساءت الظنون ، ولما كانت أمثال هذه الامور لا تخفى في جملتها وان خفي بعض تفاصيلها ، أذاعت شركة روتر برقية قالت فيها ان الحكومة وافقت العرب على ما يطلبون من الاصلاح رسميا وسيعين الزهراوي (رئيس المؤتمر) شيخاً للاسلام ، والشريف علي حيدر رئيساً لشورى الدولة ، ففرحت القلوب وسارع رفيق بك العظم رئيس حزب اللامركزية الى نشر مواد الاتفاق ظنا منه انه لم يبق مانع من نشرها وقد قررتها حكومة الباب العالي رسميا . وأرسل برقية شكر الى الصدر الاعظم وعد فيها بأن سيرسل الحزب وفدا الى الاستانة لاداء الشكر للحكومة فيها – ولكن تبين بعد ذلك أن كل هذا كان قبل أوانه ، وان برقية روتر كاذبة

ساء الاتحاديين نشر صورة الاتفاق وحق لهم ذلك ، وهاج عليهم أنصارهم الذين طعنوا في رجال المؤتمر وجميع طلاب الاصلاح لاجلهم ، فلهذا السبب ولاسباب أخرى كذبت جريدة طنين ما نشر في الاستانة وغيرها من خبر الاتفاق ، ونشرت جمعية الاتحاد بياناً من مركزها العام فيما عزمت عليه الحكومة من الاصلاح في الولايات العربية وغيرها وزعمت أنها عزمت على ذلك من تلقاء نفسها ، أي لا إجابة لطلب أحد ، وفي البلاغ تعريض بذم أناس مبهمين وصفوا بالفساد . فكان هذا وذاك سبباً لاساءة الظن بالحكومة تبعاً لاساءة الظن بالجمعية ، وسرى سوء الظن الى عبد الكريم افندي .

وقد كنا عازمين على أن لا نكتب في هذا الموضوع شيئا الا بعد القرار الرسمي من الحكومة والتعارف التام بين الطالبين والمطالبين ، ولكننا اضطررنا الى هذا عسى أن يكون بيان الحقائق ، من أسباب التعارف الصحيح والاتفاق الثابت ، فلنا أن نقول الآن ما نعلم وما نرى فيه المصلحة ، لاننا لا نزال معارضين ونرى ان مطالبنا لم تقبل ، ولولا ذلك لجعلنا مقدمة الكلام على الاتفاق مرضية ولم نشر فيها الى الخطأ السابق ، وللجمعية أن تقول ما تراه موافقاً لسياستها ، وأن تكذب الاتفاق وتمرض بعدم المبالاة بطلاب الاصلاح . لا عبرة بالاقوال وانما العبرة بالعمل والاخلاص ، فمتى رأينا العمل الصالح من الحكومة ، وشممنا منه رائحة الاخلاص ، نتناسى الماضي لأن السياسة لا أضغان فيها ، وطلاب الاصلاح لا يهمهم الا الاصلاح ، وسنكف عن حملات المعارضة وان كانت بحق ، الى أن ينجلي لنا الامر ، وهذا نص الاتفاق الاول باللغة التركية :

اتحاد وترقى مركز عموميسيله الشبيبة العربيه هيئتى

آره سنده منعقد

اتفاقنامه نك صورتيدر —

ماده ١ — بتون بلاد عربيه‌ده تحصيل ابتدائى واعدادي لسان عربيله تدريس أولنه جغى كبي تحصيل عالى‌ده‌ا كثريتك لسانيله أوله جقدر. وآنجق اعدادى مكتبلرنده لسان عثمانى تحصيلى مجبورى أوله جقدر .

ماده ٢ — بالجمله رؤساى مأمورين لغت عربيه يه واقف أولملرى شرط أولوب مأمورين سائره ولايتجه تعيين أولنه جقلر ، آنجق ارادهٔ سنيه ايله تعيين أولنه جق حكام ومأمورين عدليه مركزجه تعيين اولنه جقدر . ولاة مستثنا .

ماده ٣ — محلى جهات خيريه‌سنه صرفي مشروط أولان عقارات ومؤسسات وقفيه شرطلرى وجهله جماعات محليه مجالسنه ترك اولنه جقدر .

ماده ٤ — أمور نافعه ادارهٔ محليه‌يه ترك اولنه جقدر .

ماده ٥ — أفراد عسكريه زمان صلح وآسايشده خدمت عسكريه‌لريني بلاد عربيه داخلنده ملاصق قول أوردو منطقه‌لرى دائره سنده ايفا ايده جكلر. وآنجق عسير ، حجاز ، يمن قطعه‌لرينه شمديلك سوقى ضرورى أولان جنود همان بالعموم ممالك عثمانيه دن بر نسبت داخلنده كوندريله جكدر .

ماده ٦ — ولايات مجالس عموميه سنك صلاحيت قانونيه‌لرى داخلنده ويره جكلرى مقررات هرحالده نافذ أوله جقدر .

ماده ٧ — قابينه‌ده لاأقل أوچ عرب بولنمس اساس اعتباريله قبول ايديله جكى كبي دوائر مركزيه‌ده مستشار ويا معاون صفتيله عينى عدد ده عرب ذوات بولنديريله جق ومأمورين انجمنلرينه شوراى دولت دائرهٔ مشيخت وسائر دوائر مركزية مجالسنده ايكيشر اوچر اعضا بولنديرلمسى وهر نظارتده مختلف درجه‌لرده لا اقل دررت بش مأمورينك بولنديرلمسى اساس قبول اولنه جقدر.

ماده ٨ — حال حاضرده لاأقل بش عرب والى واون متصرف بولندريله جق وديكر رفقاسنه نسبتله وجه قانونيسى اوزره ترقى ايتديرلمامش مأمورين ملكيه وعدليه وعلميه مغدوريتلرى رفع وازاله اولنه جقدر . وفيما بعد مأمورينك نصب وترفيع وتأديب وعزللرى برقانون مخصوصله تعيين اولنه جقدر

ماده ٩ — هر ولايتدن لاأقل ايكى عرب ذات أعيان أعضالغنه تعيين اوله حق

(ولايت قيدى قالقه جقدر .)

ماده ١٠ — هر ولايت شعبات اداره‌دن لزومى أولانلرينه أجنبي متخصص مفتشلر تعيين اولنه جق واومفتشلرك وظيفه وصلاحيتلرى كنديلرندن مطلوب ومنتظر اولان فوائد انضباطيه واصلاحيه‌يى متكفل بر نظام مخصوصله تعيين اولنه جقدر

ماده ١١ — اداره‌سى ولايته ترك اولنان دوائرك بودجه‌سى حال حاضرده اولان آجيقلرين قاپايه جق مقدار وارداتك ولايت بودجه سنه ضم وعلاوه سياله ومسقفات ويركوسنك بوزده اللبسي امور معارفه صرف اولنمق او زره ترك وتخصيص اوله جقدر

عبد الكريم الخليل   طلعت

وهذه ترجمة ماصدق عليه المؤتمر وهي التي نشرها رفيق بك العظم رئيس الحزب في الجرائد

﴿ صورة الاتفاق ﴾

١ - التعليم في جميع البلاد العربية يكون باللسان العربي في القسم الابتدائي والاعدادي ويكون بلسان الاكثرية في القسم العالي (في الاصل التركي: ولكن تحصيل اللسان العثماني في المكاتب الاعدادية اجباري)

٢ - يشترط ان يكون جميع رؤساء المأمورين ماعدا الولاة عارفين اللغة العربية اما من عداهم من المأمورين فيعينون في الولاية وانما يعين في العاصمة القضاة ورؤساء العدلية (الحقانية) الذين ينصبون بارادة سنية

٣ - الاوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية تترك ادارتها لمجالس الجماعات المحلية

٤ - تترك الامور النافعة (الاشغال) للادارة المحلية

٥ - العسكر يخدمون في البلاد القريبة منهم (في الاصل التركي : في مناطق المعسكرات القريبة منهم) ولكن العسكر الذي يلزم ارساله الى اليمن والحجاز أو عسير يرسل ضمن نسبة عادلة من جميع المملكة العثمانية

٦ - مقررات المجالس العمومية تكون نافذة على كل حال (في الاصل التركي زيادة : فيما هو من صلاحيتها القانونية)

٧ - يقبل مبدئياً ان يكون في هيأة الوزارة ثلاثة على الاقل من أولاد العرب ومثل ذلك يؤخذ منهم عدد بصفة مستشار أو معاون في النظارات ويؤخذ اثنان أو ثلاثة في كل مجلس من مجالس شورى الدولة ومحكمة التميز ودائرة المشيخة وجميع الدوائر ويؤخذ أربعة أو خمسة على الاقل في مراكز أخرى مختلفة في كل نظارة

– يعين خمسة ولاة على الاول من أبناء العرب وعشرة متصرفين وتزال مغدورية الذين لم يترقوا اسوة بامثالهم من مأموري الملكية والعدلية والعلمية

٩ – يعين في مجلس الاعيان عدد من أولاد العرب بنسبة اثنين من كل ولاية

١٠ – يستخدم مفتشون اختصاصيون من الاجانب في الدوائر المقتضية في كل ولاية وتعين وظائفهم وصلاحيتهم بنظام مخصوص

١١ – يعطى مقدار لسد عجز (ميزانية) الدوائر التي تترك ادارتها للولايات فيضاف هذا المقدار الى ميزانية الولاية ويعطى غير ذلك نصف رسوم العقارات على ان يصرف للمعارف

١٢ – يقبل مبدئياً أن تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللسان العربي وينظر في أمر تنفيذه بالتدريج

١٣ توسع سلطة المجالس العمومية ويكون نصف المجلس العمومي في بيروت من المسلمين ونصفه من غير المسلمين

﴿ أهم الانباء والحوادث ﴾

الشقاق والقتال بين البلقانيين واستعادتنا لأدرنة

الشعب البلغاري شعب وحشي شديد القسوة ، وملكه فرديناند قوي الطمع والاثرة ، فهذه الاخلاق ، قد أوقعت بين البلغاريين وحلفائهم الشقاق ، فاتحدت اليونان والصرب على البلغار ، واستحر بينهم القتال . وافترصت رومانيا ذلك فزحفت على أرض البلغار واقتطعت لنفسها ماتطمع فيه منها. فدارت الدائرة على البلغار ورأت دولتنا أنها أولى بانتهاز الفرصة فزحف جيشنا المرابط في شطالجه على أدرنة مخترقاً الحد الذي حدده مؤتمر الصلح الدولي في لوندرة . فأنذرتها انكلترة عاقبة ذلك ان لم ترجع وتحترم معاهدة لوندرة – وان لم يحترمها البلقانيون – فكان هذا أول حظنا من مساعدة انكلترة لنا في مقابلة مابذله حقي باشا لها وهو معظم ما تطمع فيه منا. ولكن الدولة لم تبال بالنذر لعلمها أن دول أوربة لاتتفق على مقاومتها بالقوة . ويبعد أن ينفرد احد منها بعمل حربي في البلقان وقد كان هذا الانقلاب الاخير . بسعي عاهل الالمان. فرجحت بذلك كفة التحالف الثلاثي في البلقان على كفة الاتفاق الثلاثي التي كانت هي الراجحة من قبل . ولله الامر من قبل ومن بعد . ينصر من يشاء وهو القوي العزيز

عرض الاراضي المدورة وغيرها للبيع

قلنا من عدة أشهر ان الاتحاديين اذا تمكنوا من السلطة يبيعون كل ما يمكن بيعه للاجانب من أرض المملكة ومنافعها . وقد صدقت الايام قولنا هذا كما صدقت غيره فقد عرضت الحكومة المركزية زهاء ستة ملايين فدان مصري من الاراضي المدورة التي عمرها عبد الحميد وغيرها للبيع من الاجانب في ساعة العسرة المالية التي لايشتري أحد فيها أرضا في البلاد العثمانية الا أن تكون بعشر معشار ماتستحقه من الثمن وهذا اكبر خطر على الولايات العربية التي فيها معظم هذه الارض ولذلك قامت قيامة الفلاحين وأصحاب الاملاك – لا السياسيين – وطفقوا يكتبون المحاضر البرقية والبريدية يستغيثون بالحكومة أن تكف عن بيعها للأجانب وان تقسمها وتبيعها للاهالي. وألف أهل البصرة جمعية للسعي في مقاومة هذا البيع وهم يجتهدون في تعميمها في البلاد . فعسى أن تصغي الحكومة الى استغاثة الامة . وأن تسلك في بيع هذه الاراضي للاهالي ماسلكته الحكومة المصرية في بيع أراضي الدائرة السنية . وسنعود الى هذا البحث في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

اعلان من ادارة مجلة المنار بمصر

(المراسلات)

(١) ينبغي ان تكون جميع المراسلات المتعلقة بالادارة من طلب كتب او اشتراك او اجزاء مفقودة او تغيير عنوان او طبع مطبوعات بعنوان (ادارة مجلة المنار بمصر) وما كان منها خصوصيا أو ما يختص بالتحرير والاستفتاء يجب بأن يكتب باسم (السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر)

واذا كانت المراسلة مشتملة على عدة مواضيع فليكتب كل موضوع على حدة بورقة خاصة لان ذلك ادعى لانجاز العمل وتلبية الطلب

(الحوالات)

(٢) جميع الحوالات من بدل اشتراك أو ثمن كتب أو أجزاء من ادارة المنار أو أجرة طبع أو تجليد يجب أن ترسل باسم « السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر » وأما الكتب التي تطلب من مكتبة المنار فترسل حوالاتها باسم (عبد الفتاح أفندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر)

(الاشتراك)

(٣) ان اشتراك المنار ٨٠ قرشا صحيحا في مصر والسودان المصري و ١٩ شلنا في انكلترة والهند وكذا وزنجبار ورأس الرجاء الصالح والترنسفال والاورانج الحرة وكفرورية وسائر المستعمرات البريطانية و٢٢ فرنكا في فرنسة وأفريقية الشمالية والغربية (كتونس والجزائر) ومراكش و٩ روابل في روسية ومستعمراتها و ٢٠ شلنا في الصين واليابان وافغانستان وبلاد العجم والحمرة ومسقط وعمان والبحرين وسائر البلاد التي يحصل منها الاشتراك بواسطة مكاتب البوستة الانكليزية و٢٢ كورون و٢١ هلر في النمسة والمجر وما الحق بهما كالبوسنة والهرسك و٤ بوس و ٦١ سنتافوس في الجمهورية الفضية (الارجنتين) واميركة الجنوبية وفنزويلا و١٨ ماركا و٩٠ فنا في المانية وسائر مستعمراتها و ١١ فلورين و ١٨ سنتا في هولاندة وسائر مستعمراتها و٤ ريالات (دولار) وتسعة وعشرون سنتا في الولايات المتحدة الامريكية وجزائر الفيلبين و٤ ريالات مجيدية في بلاد الدولة العلية

وعلى طالب الاشتراك أن يرسل القيمة مع الطلب حوالة باسم السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار بمصر على البوستة أو أحد المصارف (البنوك) او تجار القاهرة أو يدفعها لوكيل المنار في بلده ان كان هناك وكيل وكذلك الذين يطلبون مطبوعاتنا والاجزاء المفقودة

(المسؤولية)

(٤) ان ادارة المنار غير مسئولة عن المراسلات اذا فقدت من البريد الا اذا كانت مسجلة على حساب المرسل اليه وقيمة التسجيل لجميع أعداد المنار في السنة ٦ قروش لمصر والسودان و٣ فرنكات و١١ سنتيم أوشلنان و٥ بنسات ونصف للخارج ولكل مراسلة ٥ مليات لمصر والسودان وقرش صحيح (صاغ) أو٢٦ سنتيما أو بنسان ونصف بنس للخارج . ولكل طرد زنته ٥ كيلو عشرة قروش الى آسية الوسطى و ٨ قروش الى أوربة و ١٢ قرش الى الهند الشرقية الانكليزية وبغداد والبصرة والمحمرة ومسقط والكويت وعدن ومكاتب البوسطة الانكليزية في الشرق

(٥) كل ما يرسل الى مكتبة المنار يجب أن يكون بعنوان «عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبدالعزيز بمصر» ومنه تطلب الكتب غير المطبوعة بمطبعة المنار أيضا ومفردات مطبوعات المنار وفهرس (كتالوج) المكتبة وهو يرسل لمن يطلبه مجانا

الادارة

رجاء

نرجو من حضرة الكاتب الفاضل الشيخ محمد القلقيلي ان يبعث الينا بما عليه من النقود وعلى المشتركين والوكلاء أن لا يعطوه شيئا ما من مال الاداره

(الجزآن التاسع والعاشر) ١٣٣١ (المجلد السادس عشر)

المنار

١٣١٥

(قيمة الاشتراك)
عن سنة ٨٠ قرشا صاغا في مصر والسودان و ٤ ريالات في المملكة العثمانية و٢٢ فرنكا في الخارج و ١٩ شلنا في الهند و٩ روابل في روسيا (ويجب الدفع سلفا)

(تنبيه)
يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم

الاشتراك في المجلة يكون دائما من أول سنتها «المحرم» ومنتصفها «رجب»

(مجلة شهرية)
تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

(وكيل ادارة مجلة المنار ومدير مطبعتها : السيد صالح مخلص رضا)

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي «المنار بمصر»

فهرس الجزء التاسع

فهرس الجزء العاشر

(أثمان مطبوعات المنار عدا أجرة التجليد)

البريد مليم	الثمن مليم	الثمن ق	الكتاب
٤		٣	تفسير سورة الفاتحة
٤	٥	١	» سورة والعصر
٣٠		١٢	» القرآن الحكيم ثمن كل جزء منه
٨		٥	المصلح والمقلد
٦		٥	أم القرى (طبع المنار)
٦		٣	الانقلاب العثماني
٥٠		٢٤	شرح عقيدة السفاريني
٦		٥	رسالة التوحيد
٨		٥	الاسلام والنصرانية
٨		٤	الدين في نظر العقل
٢٠		٥	دين الله في كتب أنبيائه
٣٠		١٥	أنجيل برنابا
١٢		٢	الصلب والفداء ص١٦٨
٨		٤	شبهات النصارى
١٠	٥	٢	نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص٢٤٠
٤		١	المسلمون والقبط
٦		٣	انتقاد مؤلفات زيدان
١٦		٩	التوسل والوسيلة
١٦		٨	سيرة خديجة
٥٠		٢٥	العلم الشامخ مع الذيل

البريد مليم	الثمن مليم	الثمن ق	الكتاب
٤٠		٢٠	التربية الاستقلالية
٣٠		٢٠	تاريخ الاستاذ الامام (المنشآت)
٣٠		١٠	تاريخ الاستاذ الامام (التأبين والمراثي)
٥٠		٦٠	ثمن مجموعة السنة الاولى والـ ٤ ـ ١٤ من المنار
٥٠		٢٠٠	ثمن المجموعة الثانية » »
٥٠		١٠٠	» الثالثة » »
٥٠		٨٠	» الخامسة عشرة
٣٠		٢٠	دلائل الاعجاز . طبعة ثانية
٣٠		٢٠	اسرار البلاغة
٤		٢	اغاثة اللهفان
٤		٢	الجرح والتعديل (للقاسمي)
٦		٤	اصلاح المحاكم الشرعية
٢		١	فتاوى القضاء لاصلاح المرأة
٦		٥	اعمال مجلس ادارة الازهر
٢	٥	٠٠	خلاف الامة
٢	٥	٠٠	الصوفية والفقراء
		٨	تاريخ دول العرب والاسلام
		٢٠	» البابية

ثمن كل جزء من المنار (ان وجد) للمشترك ٨ قروش و١٠ لغير المشترك

يضاف خمسة قروش لكل جزء من اجزاء التفسير أو التاريخ ولكل نسخة من انجيل برنابا وأسرار البلاغة وقرش واحد لرسالة التوحيد اذا كان المطلوب من الورق الجيد

اجرة التجليد الافرنجي بالكعب الجلد خمسة قروش لكل كتاب يكون ثمنه من عشرة قروش فصاعدا واربعة قروش لما دون ذلك والتجليد الممتاز عشرة قروش لكل مجلد

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ رمضان ١٣٣١ هـ ق ١٠ الصيف الثالث ١٢٩١ هـ ش ١ سبتمبر ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٦) يَاءَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ
وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ . مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ
مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ (٧) وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَاتَّقُوا اللهَ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

قال الرازي في وجه اتصال آية الوضوء بما قبلها : اعلم انه تعالى افتتح السورة بقوله « ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وذلك لأنه حصل بين الرب وبين العبد عهد الربوبية وعهد العبودية فقوله « اوفوا بالعقود » طلب من عباده ان يفوا بعهد العبودية فكأنه قيل : إلهنا العهد نوعان عهد الربوبية منك وعهد العبودية منا فأنت أولى بأن تقدم الوفاء بعهد الربوبية والكرم، ومعلوم ان منافع الدنيا محصورة في نوعين لذات المطعم ولذات المنكح فاستقصى سبحانه في بيان مايحل ويحرم من المطاعم والمناكح، ولما كانت الحاجة الى المطعوم فوق الحاجة الى المنكوح لاجرم قدم بيان المطعوم على المنكوح، وعند تمام البيان كأنه يقول قد وفيت بعهد الربوبية فيما يطالب في الدنيا من المنافع واللذات فاشتغل أنت في الدنيا بالوفاء بعهد العبودية. ولما كان أعظم الطاعات بعد الايمان الصلاة وكانت الصلاة لايمكن إقامتها الا بالطهارة لاجرم بدأ الله تعالى بذكر شرائط الوضوء» (لعل الاصل فرائض الوضوء)

أقول لو جعل هذا الوجه في الاتصال لهذه الآية وما بعدها معا – وقد جمعناهما – لكان أظهر فانه في الثانية يذكرنا بعهده وميثاقه . والذي أراه أن وجه المناسبة بين آية الوضوء وما قبلها هو أن الحدثين اللذين هما سبب الطهارتين هما أثر الطعام والنكاح ، فلولا الطعام لما كان الغائط الموجب للوضوء ، ولولا النكاح لما كانت ملامسة النساء الموجبة للغسل ، وأما المناسبة بين آية الميثاق وما قبلها فهي ان الله تعالى بعد ان بين لنا طائفة من الاحكام المتعلقة بالعبادات والعادات ذكرنا بعهده وميثاقه علينا وما التزمناه من السمع والطاعة لله ولرسوله بقبول دينه الحق، لنقوم بها مخلصين

﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة ﴾ قال المفسرون ان المراد بالقيام هنا ارادته أي اذا أردتم القيام الى الصلاة ، على حد قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي اذا أردت قراءته . على أن الغالب أن مريد الصلاة يقوم اليها من قعود أو نوم ، وقد يطلق لفظ القيام الى الشيء على الانصراف اليه عن غيره، ومن فسر القيام بارادته حاول ان يدخل في عموم منطوقه صلاة من يصلي قاعدا أو نائما لعذر.

وظاهر العبارة ان المراد بالقيام الى الصلاة عمومه في جميع الاحوال وان هذه

الطهارة تجب لكل صلاة وعليه داود الظاهري ، ولكن جمهور المسلمين على ان الطهارة لاتجب على من قام الى الصلاة الا اذا كان محدثا فهم يقيدون القيام الذي خوطب أهله بالطهارة بالتلبس بالحدث فالمعنى عندهم اذا قمتم الى الصلاة محدثين فاغسلوا وجوهكم الخ والعمدة في مثل هذا التقييد السنة العملية في الصدر الأول، روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن من حديث بريدة قال كان النبي (ص) يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد . فقال له عمر يارسول الله انك فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال « عمدا فعلته ياعمر » وروي بألفاظ كثيرة متفقة في المعنى . وروى أحمد والبخاري وأصحاب السنن عن عمرو بن عامر الانصاري سمعت أنس بن مالك يقول « كان النبي (ص) يتوضأ عند كل صلاة ، قال قلت فأنتم كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد مالم نحدث » و روى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعا « لايقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ » وروى أبو داود وصححه والدارقطني – قال الحافظ في بلوغ المرام واصله في مسلم – عن أنس بن مالك قال « كان أصحاب رسول الله (ص) على عهده ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن » ورواه الشافعي في الام أيضا ، والترمذي بلفظ « لقد رأيت أصحاب رسول الله (ص) يوقظون للصلاة حتى اني لأسمع لأحدهم غطيطا ثم يقومون فيصلون ولا يتوضؤن » . وروى أحمد باسناد صحيح عن أبي هريرة مرفوعا « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك » وفي البخاري نحوه تعليقا ، وروى نحوه النسائي وابن خزيمة. وكذا ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة. فهذه الاخبار تدل على ان المسلمين لم يكونوا في عهد النبي (ص) يتوضؤن لكل صلاة وانما كان النبي (ص) يتوضأ لكل صلاة غالبا وصلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد امام الناس لبيان الجواز. وقيل كان ذلك واجبا فنسخ يومئذ، ولو صح هذا القول لنقل ان الصحابة كلهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة والمنقول خلافه ، فعلم ان الوضوء لكل صلاة عزيمة وهو الافضل وانما يجب على من أحدث ، وآخر الآية يدل على ذلك فانه ذكر الحدثين و وجوب

التيمم على من لم يجد الماء بعدهما فعلم منه ان من وجده وجب عليه ان يتطهر به عقبهما ، ولو كانت الطهارة واجبة لكل صلاة لما كان لهذا معنى. وقد نقل النووي عن القاضي عياض ان أهل الفتوى أجمعوا على ان الوضوء لا يجب الا على المحدث وانما يستحب تجديده لكل صلاة

﴿ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ﴾ الغسل بالفتح إسالة الماء على الشيء والغرض منه إزالة ما على الشيء من وسخ وغيره مما يراد تنظيفه منه . والوجوه جمع وجه، وحدّه من اعلى تسطيح الجبهة الى اسفل اللحيين طولا ومن شحمة الاذن الى شحمة الأذن عرضا . والأيدي جمع يد وهي الجارحة التي تبطش وتعمل بها ، وحدها في الوضوء من رؤوس الاصابع الى المرفق (وهو بفتح الميم والفاء و بالعكس) أعلى الذراع واسفل العضد

فالفرض الأول من أعمال الوضوء غسل الوجه ،وهل يعد باطن الفم والانف منه فيجب غسلهما بالمضمضة والاستنشاق والاستنثار أم ليسا منه فيحمل ماورد من أمر النبي (ص) بها والتزامه إياها على الندب ؟ ذهب جمهور فقهاء الامصار الى ان ذلك سنة ، واحمد واسحق وابو عبيد وابو ثور وابن المنذر و بعض فقهاء أهل البيت الى انه واجب واستدلوا بانهما من الوجه و بالاحاديث المتفق عليها في الأمر بذلك والتزامه وهو سبب التزام المسلمين ذلك من الصدر الأول الى الآن. والمضمضة ادارة الماء وتحريكه في الفم ،والاستنشاق ادخال الماء في الانف والاستنثار اخراجه منه بالنفس. وليس للقائلين بعدم وجوب ماذكر دليل يعتد به في معارضة أدلة الوجوب . قال في (نيل الاوطار) قال الحافظ ابن حجر في الفتح : وذكر ابن المنذر أن الشافعي لم يحتج على عدم وجوب الاستنشاق مع صحة الأمر به الا بكونه لا يعلم خلافا في أن تاركه لا يعيد ، وهذا دليل فقهي فانه لا يحفظ ذلك عن احد من الصحابة والتابعين الا عن عطاء . وهكذا ذكر ابن حزم في المحلى اه اقول ان الذين يصح جعل تركهم حجة في هذا الباب هم الصحابة ولم ينقل عنهم ترك المضمضة والاستنشاق حتى يبحث في إعادتهم ، وحديث « المضمضة والاستنشاق سنة» الخ الذي رواه الدار قطني عن ابن عباس مرفوعا ضعيف على ان السنة في كلامهم

هي الطريقة المتبعة وهو المعنى اللغوي فلو صح لكان جمله من ادلة الوجوب أظهر

والفرض الثاني من أعمال الوضوء غسل اليدين الى المرفقين . وهل المرفقان مما يجب غسله أم هو مندوب ؟ الجمهور على انه يجب غسلهما واختار ابن جرير الطبري عدم الوجوب ونقله عن زفر بن الهذيل . وقال في نيل الاوطار اتفق العلماء على وجوب غسلهما ولم يخالف في ذلك الازفر وابو بكر بن داود الظاهري ، فمن قال بالوجوب جعل « الى » في الآية بمعنى مع ، ومن لم يقل به جعلها لانتهاء الغاية اه وقد استدل ابن جرير على ذلك « بان كل غاية حدت بالى فقد تحتمل في كلام العرب دخول الغاية في الحد وخروجها منه (قال) واذا احتمل الكلام ذلك لم يجز لأحد القضاء بأنها داخلة فيه الا لمن لا يجوز خلافه فيما بين وحكم ، ولا حكم بأن المرافق داخلة فيما يجب غسله عندنا ممن يجب التسليم بحكمه » اه ولكن بعض علماء اللغة ومنهم سيبويه حققوا أن ما بعد إلى ان كان من نوع ماقبلها دخل في الحد والا فلا يدخل ، فعلى هذا تدخل المرافق فيما يجب غسله لأنها من اليد ، ولا يدخل الليل فيما يجب صومه بقوله تعالى « ثم اتموا الصيام الى الليل » لأن الليل ليس من نوع النهار الذي يجب صومه ، واستدل بعضهم على الوجوب بفعل النبي (ص) من حيث انه بيان لما في الآية من الاجمال ، ونازع آخرون في هذا الاستدلال ، ولكن لا نزاع في ان النبي (ص) كان يغسل المرفقين فقد ورد صريحا ولم يرد انه ترك غسلهما ،والالتزام المضطرد آية الوجوب. وانما المستحب إطالة الغرة والتحجيل فقد روى مسلم من حديث ابي هريرة انه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ. وقال قال رسول الله (ص) « انتم الغر المحجلون من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله » والمراد باطالة الغرة غسل جزء من الرأس مع الوجه وجزء من العضدين مع اليدين وجزء من الساقين مع الرجلين مبالغة في النظافة ، شبه ذلك بغرة الفرس وتحجيله وهو البياض في جبهته وقوائمه ، أو التشبيه للنور الذي يكون في هذه المواضع يوم القيامة ، وقال ابن القيم ان هذا اجتهاد من

ابي هريرة ولم يزد (ص) على المرفقين والكعبين

الفرض الثالث المسح بالرأس في قوله ﴿ وامسحوا برءوسكم ﴾ الرأس معروف ويمسح ما عدا الوجه منه لان الوجه شرع غسله لسهولته ، وكيفية المسح المبينة في السنة ان يمسحه كله بيديه اذا كان مكشوفا واذا كان عليه عمامة ونحوها يمسح ماظهرمنه ويتم المسح على العمامة . روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن عن عبد الله بن زيد ان رسول الله (ص) مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر ، بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدأ منه » وروى مسلم والترمذي عن المغيرة بن شعبة ان النبي (ص) توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين » وروى أحمد والبخاري وابن ماجه عن عمرو بن امية الضمري قال : رأيت رسول الله (ص) يمسح على عمامته وخفيه . وروى أحمد ومسلم وأصحاب السنن ماعدا أبا داود عن بلال قال : مسح رسول الله (ص) على الخفين والخمار . والخمار الثوب الذي يوضع على الرأس وهو النصيف وكل ماستر شيئا فهو خماره، وفسره النووي هنا بالعمامة أي للرجال لانها تستر الرأس. وخمر النساء معروفة. وروي المسح على العمامة او الخمار أو العصابة عن كثير من الصحابة يرفعونه الى النبي (ص) منهم سلمان الفارسي وثوبان وأبو أمامة وأبو موسى وأبو خزيمة . وظاهر الروايات ان المسح كان يكون على العمامة ومافي معناها من الساتر وحده. والاخذ به مروي عن بعض الصحابة والتابعين منهم أبو بكر وعمر وأنس وأبو امامة وسعد بن مالك وعمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة وقال بجوازه جماعة من علماء الامصار منهم الاوزاعي وأحمد واسحق وأبو ثور وداود، وقال الشافعي ان صح الخبر عن رسول الله (ص) فبه أقول . وقد صح كما علمت ولكن الشافعية لايقولون به . ولم يشترط أحد من هؤلاء للمسح عليها لبسها على طهر ولا التوقيت اذ لم يرو فيه شيء يحتج به الا ان أبا ثور قاس المسح عليها على المسح على الخف فاشترط الطهارة ووقت . والجمهور الذين لم يجيزوا المسح على العمامة وحدها قال من بلغته الاخبار منهم إن المراد المسح عليها مع جزء من الرأس كالرواية التي فيها ذكر الناصية . ومن مانعي الاقتصار عليها سفيان وأبو حنيفة ومالك والشافعي ولكنه قال اذا صح الحديث

بها قال به كما تقدم آنفا . وظاهر الروايات الاطلاق . وقد ورد في كثير من تلك الاخبار ذكر المسح على العمامة مع المسح على الخف، وقد كان نزع كل منهما حرجا وعسرا ففي مسحه نفي الحرج المنصوص عليه في الآية مع عدم منافاته لحكمة الوضوء وعلته المنصوصة أيضا وهي الطهارة والنظافة فان العضو المستور يبقى نظيفا، ولا حرج الآن في رفع العمائم في الحجاز ومصر والشام وبلاد الترك عن الرأس لأجل مسحه من تحتها في الجملة لانها توضع على قلانس ترفع معها بسهولة ولكن يعسر مسحه كله باليدين كلتيهما على الوجه الذي رواه الجماعة. وأما أهل الهند وأهل المغرب الذين يحتنكون بالعمامة كما كان يفعل السلف فيعسر عليهم رفع عمائمهم عند الوضوء. والاحتياط ان يظهروا ناصيتهم كلها أو بعضها فيمسحوا بها ويتمموا المسح على العمامة ليكون وضوءهم صحيحا على جميع الروايات . ومن مسح شيئا او بشيء عليه ساتر قد يقال انه مسح ذلك الشيء أو به كما اذا قلت وضعت يدي على رأسي أو على صدري ، لا يشترط في كون ذلك حقيقة ان لايكون عليه ساتر ، وانما نقول هنا ان الاصل المسح بالرأس بدون ساتر لأن الغرض من فرضيته تنظيفه من نحو الغبار وهو المتيسر فاذا كان عليه ساتر لا يصيبه الغبار

وقد اختلف فقهاء الامصار في أقل مايحصل به فرض مسح الرأس فقال الشافعي في الام : اذا مسح الرجل بأي رأسه شاء ان كان لاشعر عليه وبأي شعر رأسه شاء باصبع واحدة أو بعض أصبع أو بطن كفه وأمر من يمسح له اجزأه ذلك. اه وبين فيه ان أظهر معنى الآية ان من مسح من رأسه شيئا فقد مسح برأسه ، وان مقابل الاظهر مسح الرأس كله ولكن دلت السنة على انه غير مراد فتعين الأول. وذكر من السنة حديث المغيرة في المسح على الناصية والعمامة وحديثا مرسلا في معناه عن عطاء وسيأتي وقال الجزء الممسوح يجب ان يكون من الرأس نفسه أو من الشعر الذي عليه . وقال الثوري والاوزاعي والليث يجزئ مسح بعض الرأس و يمسح المقدم وهو قول احمد وزيد بن علي والناصر والباقر والصادق من أئمة أهل البيت. وذهب اكثر العترة ومالك والمزني والجبائي الى وجوب مسحه كله وهو رواية عن احمد. قاله في نيل الاوطار . وقال ابو حنيفة يجب مسح ربع الرأس . ولا يعرف هذا

التحديد عن غيره . قيل ان منشأ الخلاف الباء في قوله تعالى برءوسكم هل هي للتبعيض فيجزئ مسح بعض الرأس أم زائدة فيجب مسحه كله، أم هي للالصاق الذي هو أصل معناها؟ ووجه الحنفية قول امامهم على هذا بان المسح انما يكون باليد وهي تستوعب مقدار الربع في الغالب فوجب تعينه . وهذا أشد الاقوال تكلفا ، ولم يقل أبو حنيفة ولا أحد من المسلمين انه يشترط المسح بمجموع اليد فلو مسح ببعض أصابعه ربع رأسه أجزأه عند أبي حنيفة، وليست اليد ربع الرأس بالتحديد وقد عبروا هم انفسهم بقولهم غالبا . ولو كان مراد ابي حنيفة قدر اليد لعبر به . والحديث ليس نصا في مسح جميع الناصية فالخلاف في مسح الرأس يجري في مسح الناصية فالاستدلال بمسحها مصادرة . ونازع بعضهم في كون الباء تفيد التبعيض قيل مطلقا ، وقيل استقلالا وانما تفيدها مع معنى الالصاق ، ولا يظهر معنى كونها زائدة، والتحقيق ان معنى الباء الالصاق لا التبعيض أو الآلة وانما العبرة بما يفهمه العربي من مسح بكذا ومسح كذا ، فهو يفهم من كلمة مسح العرق عن وجهه انه أزاله بامرار يده أو اصبعه عليه ، ومن مسح رأسه بالطيب أو الدهن انه أمره عليه ، ومن مسح الشيء بالماء انه أمر عليه ماء قليلا ليزيل ماعلق به من غبار او اذى، ومن مسح يده بالمنديل انه أمرّ عليها المنديل كله أو بعضه ليزيل ما علق بها من بلل أو غيره، ومن مسح رأس اليتيم او على رأسه ومسح بعنق الفرس أو ساقه او بالركن او الحجر انه أمر يده عليه، لايتقيد ذلك بمجموع الكف الماسح ولا بكل اجزاء الرأس او العنق او الساق او الركن او الحجر الممسوح فهذا ما يفهمه كل من له حظ من هذه اللغة مما ذكر ومن قوله تعالى (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) على القول الراجح المختار ان المسح باليد لا بالسيف ، ومن مثل قول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح

والاقرب ان سبب الخلاف ماورد من الاحاديث في المسح مع مفهوم عبارة الآية . قيل ان العبارة مجملة بينتها السنة ، وصرح الزمخشري بأنها من المطلق وجعل المطلق من المجمل، والتحقيق عند أهل الاصول ان المطلق ليس بمجمل لانه يصدق على الكل والبعض فأيهما وقع حصل به الامتثال، ولو سلم انه مجمل لكان الصحيح

في بيانه ما تقدم من ان المسح يكون على الرأس كله مكشوفا وعلى بعضه مع التكميل على العمامة كما ورد في الصحاح، ولم يرد حديث متصل بمسح البعض الاحديث أنس عند أبي داود قال: رأيت رسول الله (ص) يتوضأ وعليه عمامة قطرية (١) فأدخل يده تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة. وهذا الحديث لا يحتج به لان أبا معقل الذي رواه عن أنس مجهول، وقال الحافظ ابن حجر: في إسناده نظر. وقال ابن القيم في زاد المعاد انه لم يصح عنه (ص) في حديث واحد انه اقتصر على مسح بعض رأسه البتة ولكنه كان اذا مسح بناصيته كمل على العمامة. وأما حديث أنس (وذكره كما تقدم آنفا) فهذا مقصود أنس به ان النبي (ص) لم ينقض عمامته حتى يستوعب مسح الشعر كله ولم ينف التكميل على العمامة وقد أثبته المغيرة بن شعبة وغيره فسكوت أنس عليه لايدل على نفيه اه . وقد علمت ان حديث أنس لا يحتج به . ومثله يقال في حديث عطاء المرسل الذي احتج به الشافعي في الام على الاكتفاء بالبعض والحنفية على الربع وهو ان رسول الله (ص) توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه او قال ناصيته . وهذا بصرف النظر عن الخلاف في الاحتجاج بالمرسل وقد منعه جمهور الامة من اهل السنة وغيرهم ، وقال به ابو حنيفة وجمهور المعتزلة . والشافعي لايحتج بالمرسل وقد رواه عن مسلم بن خالد المكي الفقيه وهو ثقة عنده و وثقه ابن معين مرة وضعفه اخرى كما ضعفه ابو داود وقال البخاري منكر الحديث والجرح مقدم على التعديل . وقد علمت انه لايدل على وجوب مسح الربع

وجملة القول ان ظاهر الآية الكريمة ان مسح بعض الرأس يكفي في الامتثال وهو ما يسمى مسحا في اللغة ، ولا يتحقق الا بحركة العضو الماسح ملصقا بالممسوح، فوضع اليد أو الاصبع على الرأس أو غيره لايسمى مسحا ، ولا يكفي مسح الشعر الخارج عن محاذاة الرأس كالضفيرة، وان لفظ الآية ليس من المجمل، وان السنة أن يمسح الرأس كله اذا كان مكشوفا و بعضه اذا كان مستورا و يكمل على الساتر ، وان ظاهر الاحاديث جواز المسح على الساتر وحده والاحتياط ان يمسح معه جزءا من الرأس والله أعلم

(١) قطرية بكسر القاف وبفتحها وفتح الطاء نسبة الى قطر، وهو بلد في الاحساء قرب عمان . ورواية الكسر من التعرف في النسب

الفرض الرابع غسل الرجلين فقط أو مع مسحهما ، أو مسحهما بارزتين أو مستورتين بالخف أو غيره قال تعالى ﴿ وارجلكم الى الكعبين ﴾ قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب « وارجلكم » بالفتح أي واغسلوا ارجلكم الى الكعبين وهما العظمان الناتئان عند مفصل الساق من الجانبين . وقرأها الباقون ــ ابن كثير وحمزة وابو عمرو وعاصم ــ بالجر والظاهر أنه عطف على الرأس اي وامسحوا بأرجلكم الى الكعبين . ومن هنا اختلف المسلمون في غسل الرجلين ومسحهما فالجماهير على ان الواجب هو الغسل وحده والشيعة الإمامية انه المسح وقال داود بن علي والناصر للحق من الزيدية : يجب الجمع بينهما ، ونقل عن الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري ان المكلف مخير بينهما ، وستعلم ان مذهب ابن جرير الجمع

اما القائلون بالجمع فارادوا العمل بالقراءتين معا للاحتياط ولانه المقدم في التعارض اذا امكن ، واما القائلون بالتخيير فاجازوا الاخذ بكل منهما على حدته ، والقائلون بالمسح فقد اخذوا بقراءة الجر وارجعوا قراءة النصب اليها . وذكر الرازي عن القفال ان هذا قول ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشعبي وابي جعفر محمد بن علي الباقر . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح عند ذكر مذهب الجمهور : ولم يثبت عن احد من الصحابة خلاف هذا الا عن علي وابن عباس وانس ، وقد ثبت عنهم الرجوع عن ذلك . واما الجمهور فقد اخذوا بقراءة النصب وارجعوا قراءة الجر اليها ، وايدوا ذلك بالسنة الصحيحة وإجماع الصحابة ، ويزاد على ذلك انه هو المنطبق على حكمة الطهارة . وادعى الطحاوي وابن حزم ان المسح منسوخ

وعمدة الجمهور في هذا الباب عمل الصدر الاول وما يؤيده من الاحاديث القولية ، واصحها حديث ابن عمر في الصحيحين قال : تخلف عنا رسول الله (ص) في سفرة فأدركنا وقد أرهقنا العصر فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا . قال فنادى بأعلى صوته « ويل للأعقاب من النار » مرتين أو ثلاثا . وقد يتجاذب الاستدلال بهذا الحديث الطرفان فللقائلين بالمسح ان يقولوا ان الصحابة كانوا يمسحون فهذا دليل على ان المسح كان هو المعروف عندهم ، وانما أنكر النبي (ص) عليهم عدم مسح أعقابهم . وذهب البخاري الى ان الانكار عليهم كان بسبب

المسح لا بسبب الاقتصار على غسل بعض الرجل ، ذكره في نيل الاوطار ثم قال : قال الحافظ (أي ابن حجر) وهذا ظاهر الرواية المتفق عليها . وفي أفراد مسلم فانتهينا اليهم وأعقابهم بيض تلوح لم يمسها الماء ، فتمسك بهذا من يقول باجزاء المسح ويحمل الانكار على ترك التعميم ، لكن الرواية المتفق عليها أرجح فتحمل عليها هذه الرواية بالتأويل وهو أن معنى قوله لم يمسها الماء أي ماء الغسل جمعا بين الروايتين ، وأصرح من ذلك رواية مسلم عن أبي هريرة ان النبي (ص) رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال ذلك . اه وهذه واقعة أخرى

وقد روى ابن جرير المسح عن النبي (ص) وعن كثير من الصحابة والتابعين منهم علي كرم الله وجهه قال : اغسلوا الاقدام الى الكعبين ، وروى عن أبي عبد الرحمن قال قرأ على الحسن والحسين رضوان الله عليهما فقرآ « وأرجلكم الى الكعبين » فسمع علي عليه السلام ذلك وكان يقضي بين الناس فقال : « وأرجلكم » هذا من المقدم والمؤخر من الكلام . وتفسير هذا مارواه عن السدي من قوله : اما « وارجلكم الى الكعبين » فيقول اغسلوا وجوهكم واغسلوا أرجلكم وامسحوا برؤسكم فهذا من التقديم والتأخير . ومنهم عمر وابنه (رض) وروى عن عطاء انه قال : لم أر أحدا يمسح على القدمين . ومذهب مالك الغسل دون المسح وهو يحتج بعمل أهل المدينة فلو كان أحد منهم يمسح لما منع المسح البتة ، ولا يتفقون على الغسل الا لأنه السنة المتبعة من عهد النبي (ص) ولكن ابن جرير روى القول بالمسح عن ابن عباس وأنس من الصحابة وعن بعض التابعين ، ومن الرواية عن ابن عباس ان الوضوء غسلتان ومسحتان ، وعن أنس « نزل القرآن بالمسح والسنة الغسل » وهو من أعلم الصحابة بالسنة لانه كان يخدم النبي (ص) ثم قال ابن جرير بعد سوق الروايات في القولين ما نصه :

والصواب من القول عندنا في ذلك ان الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم واذا فعل ذلك بهما المتوضئ كان مستحقا اسم ماسح غاسل لان غسلهما امرار الماء عليهما أو اصابتهما بالماء ومسحهما امرار اليد وما قام مقام اليد عليهما ، فاذا فعل ذلك بهما فاعل فهو غاسل ماسح ، وكذلك من احتمال المسح المعنيين اللذين وصفت من العموم والخصوص

اللذين أحدهما مسح ببعض والآخر مسح بالجميع اختلفت قراءة القراء في قوله «وأرجلكم» فنصبها بعضهم توجيها منه ذلك الى ان الفرض فيهما الغسل وانكارا منه المسح عليهما مع تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم مسحهما بالماء، وخفضها بعضهم توجيها منه ذلك الى ان الفرض فيهما المسح، ولما قلنا في تأويل ذلك انه معنيّ به عموم مسح الرجلين بالماء كره من كره للمتوضىء الاجتزاء بادخال رجليه في الماء دون مسحهما بيده أو بما قام مقام اليد توجيها منه قوله « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين» الى مسح جميعهما عاما باليد أو بما قام مقام اليد دون بعضهما مع غسلهما بالماء، – (وههنا روى عن الحسن ان لمن يتوضأ في السفينة ان يغمس رجليه في الماء غمسا، وفي رواية يخضخض قدميه في الماء ثم قال) – فاذا كان في المسح المعنيان اللذان وصفنا من عموم الرجلين به بالماء وخصوص بعضهما به وكان صحيحا بالادلة الدالة التي سنذكرها بعد ان مراد الله من مسحهما العموم وكان لعمومها بذلك معنى الغسل والمسح فبيّنٌ صواب قراءة القراءتين جميعا أعني النصب في الارجل والخفض لان في عموم الرجلين بمسحهما بالماء غسلهما وفي امرار اليد وما قام مقام اليد عليهما مسحهما، فوجه صواب من قرأ ذلك نصبا لما في ذلك من معنى عمومها بامرار الماء عليهما، ووجه صواب قراءة من قرأه خفضا لما في ذلك من امرار اليد عليهما أو ماقام مقام اليد مسحا بهما، غير ان ذلك وان كان كذلك وكانت القراءتان كلتاهما حسنا صوابا فاعجب القراءتين الي ان أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضا لما وصفت من جمع المسح المعنيين اللذين وصفت، ولانه بعد قوله « وامسحوا برؤوسكم » فالعطف به على الرؤس مع قربه منه أولى من العطف به على الايدي وقد حيل بينه وبينها بقوله « وامسحوا برؤوسكم » فان قال قائل: وما الدليل على ان المراد بالمسح في الرجلين العموم دون ان يكون خصوصا نظير قولك في المسح بالرأس ؟ قيل: الدليل على ذلك تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال« ويل للاعقاب وبطون الاقدام من النار » ولو كان مسح بعض القدم مجزيا عن عمومها بذلك لما كان لها الويل بترك ماترك مسحه منها بالماء بعد أن يمسح بعضها، لان من أدى فرض الله عليه فيما لزمه غسله منها لم يستحق الويل

بل يجب ان يكون له الثواب الجزيل فوجوب الويل لعقب تارك غسل عقبه في وضوئه أوضح الدليل على وجوب فرض العموم بمسح جميع القدم بالماء وصحة ماقلنا في ذلك وفساد ماخالفه اه كلام ابن جرير ورأيه واضح وهو العمل بالقراءتين معا بان يغسل المتوضىء رجليه ويمسحهما بيديه أو غير يديه في أثناء الغسل لأجل استيعاب غسلهما عناية بنظافتهما لأن الوسخ أكثر عروضا لهما من سائر الاعضاء، فاذا لم يمسحا لايؤثر الماء الذي يصب عليهما التأثير المطلوب لتنظيفهما اذ يغلب عليهما الجفاف والوسخ، وبمسحهما في الغسل يستغنى بقليل الماء عن كثيره في تنظيفهما، والاقتصاد في الماء وغيره من السنة وكانوا في زمن التنزيل قليلي الماء في الحجاز . وقد تنبه الزمخشري لهذا المعنى فقال في بيان حكمة قراءة الجر : الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها، وقيل « الى الكعبين » فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة . اه

وقد أطنب السيد الآلوسي في (روح المعاني) في توجيه كل من أهل السنة والشيعة للقراءتين وتحويل احداهما الى الاخرى ورجح قول أهل السنة ثم تكلم عن الرواية عن الشيعة فقال :

« بقي لو قال قائل: لا أقنع بهذا المقدار في الاستدلال على غسل الأرجل بهذه الآية مالم ينضم اليها من خارج مايقوى تطبيق أهل السنة فان كلامهم وكلام الامامية في ذلك عسى أن يكونا فرسا رهان؟ قيل له ان سنة خير الورى صلى الله تعالى عليه وسلم وآثار الأئمة رضي الله تعالى عنهم شاهدة على ما يدعيه أهل السنة وهي من طريقهم أكثر من ان تحصى. واما من طريق القوم فقد روى العياشي عن عليّ عن أبي حمزة قال سألت أبا هريرة عن القدمين فقال تغسلان غسلا . وروى محمد بن النعمان عن أبي بصير عن أبي عبدالله رضي الله تعالى عنه قال : اذا نسيت مسح رأسك حتى غسلت رجليك فامسح رأسك ثم اغسل رجليك. وهذا الحديث رواه ايضا الكلبي وابو جعفر الطوسي بأسانيد صحيحة بحيث لا يمكن تضعيفها

ولا الحمل على التقية لأن المخاطب بذلك شيعي خاص. وروى محمد بن الحسن الصفار عن زيد بن علي عن أبيه عن جده أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه انه قال جلست أتوضأ فأقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما غسلت قدمي قال «ياعلي خلل بين الاصابع» ونقل الشريف الرضى عن أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه في نهج البلاغة حكاية وضوئه صلى تعالى عليه وسلم وذكر فيه غسل الرجلين، وهذا يدل على ان مفهوم الآية كما قال أهل السنة ولم يدع أحد منهم النسخ ليتكلف لاثباته كما ظنه من لا وقوف له. وما يزعمه الامامية من نسبة المسح الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وانس بن مالك وغيرهما كذب مفترى عليهم فان احدا منهم ماروي عنه بطريق صحيح انه جوز المسح الا ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فانه قال بطريق التعجب: لانجد في كتاب الله تعالى الا المسح ولكنهم ابو الا الغسل. ومراده ان ظاهر الكتاب يوجب المسح على قراءة الجر التي كانت قراءته ولكن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه لم يفعلوا الا الغسل، ففي كلامه هذا اشارة الى أن قراءة الجر مؤوّلة متروكة الظاهر بعمل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة رضي الله تعالى عنهم. ونسبة جواز المسح الى ابي العالية وعكرمة والشعبي زور وبهتان ايضا وكذلك نسبة الجمع بين الغسل والمسح او التخيير بينهما الى الحسن البصري عليه الرحمة، ومثله نسبة التخيير الى محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ الكبير والتفسير الشهير، وقد نشر رواة الشيعة هذه الاكاذيب المختلفة ورواها بعض أهل السنة ممن لم يميز الصحيح والسقيم من الاخبار بلا تحقق ولا سند واتسع الخرق على الراقع. ولعل محمد بن جرير القائل بالتخيير هو محمد بن جرير بن رستم الشيعي صاحب الايضاح للمسترشد في الامامة، لا ابو جعفر محمد بن جرير بن غالب الطبري الشافعي الذي هو من اعلام اهل السنة، والمذكور في تفسير هذا هو الغسل فقط لا المسح ولا الجمع ولا التخيير الذي نسبه الشيعة اليه. ولا حجة لهم في دعوى المسح بما روي عن امير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه انه مسح وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه وشرب فضل طهوره قائما، وقال: ان الناس يزعمون ان الشرب قائما لا يجوز وقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صنع مثل ما صنعت، وهذا

وضوء من لم يحدث لان الكلام في وضوء المحدث لا في مجرد التنظيف بمسح الاطراف كما يدل عليه ما في الخبر من مسح المغسول اتفاقا. واما ماروي عن عباد بن تميم عن عمه بروايات ضعيفة انه صلى الله تعالى عليه وسلم توضأ ومسح على قدميه فهو كما قال الحفاظ شاذ منكر لا يصلح للاحتجاج مع احتمال حمل القدمين على الخفين ولو مجازا، واحتمال اشتباه القدمين المتخففين بدون المتخففين من بعيد. ومثل ذلك عند من اطلع على احوال الرواة مارواه الحسين بن سعيد الاهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال سألت ابا جعفر رضي الله تعالى عنه عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبريل عليه السلام. وما روي عن احمد ابن محمد قال سألت ابا الحسن موسى بن جعفر رضي الله تعالى عنه عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفيه على الاصابع ثم مسحهما الى الكعبين، فقلت له لو ان رجلا قال بأصبعين من اصابعه هكذا الى الكعبين ايجزئ؟ قال لا الا بكفه كلها، الى غير ذلك مما روته الامامية في هذا الباب ومن وقف على احوال رواتهم، لم يعول على خبر من اخبارهم، وقد ذكرنا نبذة من ذلك في كتابنا (النفحات القدسية في رد الامامية) على أن لنا ان نقول لو فرض ان حكم الله تعالى المسح على مايزعمه الامامية من الآية فالغسل يكفي عنه ولو كان هو الغسل لا يكفي عنه فبالغسل يلزم الخروج عن العهدة بيقين دون المسح، وذلك لان الغسل محصل لمقصود المسح من وصول البلل وزيادة، وهذا مراد من عبر بانه مسح وزيادة فلا يرد ما قيل من ان الغسل والمسح متضادان لا يجتمعان في محل واحد كالسواد والبياض، وايضا كان يلزم الشيعة الغسل لانه الانسب بالوجه المعقول من الوضوء وهو التنظيف للوقوف بين يدي رب الارباب سبحانه وتعالى لانه الاحوط ايضا لكون سنده متفقا عليه للفريقين كما سمعت دون المسح للاختلاف في سنده، وقال بعض المحققين قد يلزمهم بناء على قواعدهم ان يجوزوا الغسل والمسح ولا يقتصروا على المسح فقط اهـ كلام الآلوسي

أقول ان في كلامه عفا الله عنه تحاملا على الشيعة وتكذيبا لهم في نقل وجد مثله في كتب أهل السنة كما تقدم، والظاهر انه لم يطلع على تفسير ابن جرير الطبري وقد نقلنا بعض رواياته ونص عبارته في الراجح عنده آنفا. وصفوة القول في مسألة فرض الرجلين في الوضوء

يتضح بامور (١) ان ظاهر قراءة النصب وجوب الغسل وظاهر قراءة الجر وجوب المسح (٢) ان مجال النحو واسع لمن أراد رد كل قراءة منهما الى الاخرى وربما كان رد النصب الى الجر أوجه في فن الاعراب، وكذلك مجال التجوز كقول أهل السنة أن المراد بمسح الرجلين غسلهما لانه ورد اطلاق لفظ التمسح على الوضوء، وهو تكلف ظاهر، وأقوى الحجج اللفظية لأهل السنة على الامامية جعل الكعبين غاية طهارة الرجلين وهذا لا يحصل الا باستيعابهما بالماء لأن الكعبين هما العظمان الناتئان في جانبي الرجل، والامامية يمسحون ظاهر القدم الى معقد الشراك عند المفصل بين الساق والقدم ويقولون انه هو الكعب ففي الرجل كعب واحد على رأيهم، ولو صح هذا لقال الى الكعاب كما قال في اليدين الى المرافق لأن في كل يد مرفق واحد (٣) ان القول بكل من الغسل والمسح مروي عن السلف من الصحابة والتابعين ولكن العمل بالغسل أعم وأكثر وهو الذي غلب واستمر، ولم ينقل عن النبي (ص) غيره الا مسح الخفين (٥) ان القول بعدم جواز الغسل أبعد عن النقل والعقل من القول بعدم جواز المسح وان روي كل منهما، اما النقل فلانه ظاهر قراءة النصب ولصحة الروايات فيه، واما العقل فلان الغسل هو الذي تحصل به الطهارة أي المبالغة في النظافة التي شرع الوضوء والغسل لاجلها، كما هو منصوص في الآية نفسها، ولأن المسح قد يدخل في الغسل دون العكس (٦) اذا قيل ان القراءتان متعارضتان والسنن متعارضة أيضاً، نقول ان أهل السنة والشيعة متفقون على انه اذا أمكن الجمع بين المتعارضين يقدم على ترجيح أحدهما على الآخر، والجمع هنا ممكن بما قاله ابن جرير وهو المسح في أثناء الغسل، لان المسح هو امرار ما يمسح به على ما يمسح وإلصاقه به، وصب الماء لا يمنع منه، بل يتحقق به، والآية لم تقل امسحوا أرجلكم بالماء ولا رؤوسكم، ولو قال هذا لكان أمرا بامرار اليد بغير ماء كمسح رأس اليتيم. ولكن لما قال « وامسحوا برؤوسكم » في سياق الوضوء علم بالقرينة وباء الالصاق ان ذلك يحصل ببل اليد بالماء ومسحها بالرأس، ولما قال « وأرجلكم » بالنصب والجر ولم يقل وبأرجلكم كان الظاهر ان يغسل الرجلان ويمسحا في أثناء الغسل بادارة اليد عليهما، والا كان أمرا بامرار

اليد عليهما بغير ماء، وهو غير معقول ولم يقل به أحد، (٧) اذا امكن المراء فيما قاله ابن جرير فلا يمكن أن يماري أحد في الجمع بين المسح والغسل بالبدء بالاول على الوجه الذي يقول به موجبو المسح والتثنية بالغسل المعروف. (٨) لا يعقل لإيجاب مسح ظاهر القدم باليد المبللة بالماء حكمة بل هو خلاف حكمة الوضوء لأن طروء الرطوبة القليلة على العضو الذي عليه غبار أو وسخ يزيد وساخته وينال اليد الماسحة حظ من هذه الوساخة، ولولا فتنة المذاهب بين المسلمين لما تشعب هذا الخلاف في هذه المسألة وأمثالها كالمسح على الخفين

وخلاصة الخلاصة أن الغسل للرجلين المكشوفتين ومسح المستورتين هو الثابت بالسنة المتواترة المبينة للقرآن والموافق لحكمة هذه الطهارة ولا تعارض بين القراءتين، ومن سرى اليه شيء من قراءة الجر في الصدر الاول رجع عنه لبيان النبي صلى الله عليه وسلم، والله أعلم وأحكم

المسح على الخفين وما في معناها

ورد في المسح أحاديث كثيرة متفق على صحتها بين المحدثين. قال النووي في شرح مسلم وقد روى المسح على الخفين خلائق لا يحصون من الصحابة، قال الحسن حدثني سبعون من أصحاب رسول الله (ص) ان رسول الله (ص) كان يمسح على الخفين، أخرجه عنه ابن أبي شيبة. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وقد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة. ونقل ابن المنذر عن ابن المبارك انه ليس في المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف لان كل من روي عنه منهم إنكاره فقد روي عنه اثباته. وأقوى الاحاديث حجة فيه حديث جرير فقد روى عنه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي انه بال ثم توضأ ومسح على خفيه فقيل له: تفعل هكذا؟ قال نعم رأيت رسول الله (ص) بال ثم توضأ ومسح على خفيه. قال أبو داود: فقال جرير لما سئل: هل كان هذا قبل المائدة أو بعدها؟ « ما أسلمت الا بعد المائدة ». وفي الترمذي مثل هذا وقال الترمذي: هذا حديث مفسر لان بعض

من أنكر المسح على الخفين تأول مسح النبي (ص) على الخفين انه كان قبل نزول آية الوضوء التي في المائدة فيكون منسوخا اه

وهذا التأول هو سبب إنكار بعض الصحابة للمسح بعد المائدة وكأنه لما استفاض بينهم النقل عن مثل جرير رجعوا عن الانكار . وما روي في الانكار عن علي وأبي هريرة وعائشة لايصح بل صح المسح عن علي وأبي هريرة بعد موت النبي (ص) . قال في نيل الاوطار : وأما القصة التي ساقها الامير الحسين في الشفاء وفيها المراجعة الطويلة بين علي وعمر واستشهاد علي لاثنين وعشرين من الصحابة فشهدوا بأن المسح كان قبل المائدة فقال ابن بهران (من علماء الشيعة الزيدية) لم أر هذه القصة في شيء من كتب الحديث ويدل لعدم صحتها عند أئمتنا ان الامام المهدي نسب القول بمسح الخفين في البحر الى عليّ عليه السلام اه ونقول هب أنها صحت أليس قصاراها اثبات المسح قبل المائدة ونفيه بعدها بطريق اللزوم أو النص ؟ أوليس من القواعد ان المثبت مقدم على النافي ؟ بلى والصواب أن النقل الثابت المتواتر عن الصحابة هو المسح وان ماروي خلافه لايعارضه وقد عرف ان سببه اما عدم رؤية المسح واما ظن انه قد نسخ ، ثم عرف جمهورهم انه لم ينسخ وجرى على ذلك العمل

وأما فقهاء المذاهب وعلماء الامصار فقد اتفق أهل السنة منهم على جواز المسح. قال الحافظ ابن عبد البر : لاأعلم من روى عن أحد من فقهاء السلف إنكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة مصرحة عنه باثباته اه وقال ابن رشد الحفيد في بداية المجتهد في المسألة الاولى من مسائل المسح : فاما الجواز فيه ثلاثة أقوال القول المشهور انه جائز على الاطلاق وبه قال جمهور فقهاء الامصار ، والقول الثاني جوازه في السفر دون الحضر ، والقول الثالث منع جوازه باطلاق وهو أشذها ، والاقاويل الثلاثة مروية عن الصدر الأول وعن مالك . والسبب في اختلافهم مايظن من معارضة آية الوضوء الواردة في الامر بغسل الأرجل للآثار التي وردت في المسح مع تأخر آية الوضوء . وهذا الخلاف كان بين الصحابة في الصدر الأول فكان منهم من يرى أن آية الوضوء ناسخة لتلك الآثار وهو مذهب ابن عباس ، واحتج

القائلون بجوازه بما رواه مسلم انه كان يعجبهم حديث جرير وذلك انه روى انه رأى النبي عليه الصلاة والسلام يمسح على الخفين فقيل له انما كان ذلك قبل نزول المائدة فقال : ما أسلمت الا بعد نزول المائدة . وقال المتأخرون القائلون بجوازه ليس بين الآية والآثار تعارض لان الامر بالغسل متوجه الى من لاخف له والرخصة انما هي للابس الخف . وقيل ان تأويل قراءة الارجل بالخفض هو المسح على الخفين . وأما من فرق بين السفر والحضر فلان أكثر الآثار الصحاح الواردة في مسحه عليه الصلاة والسلام انما كانت في السفر مع ان السفر مشعر بالرخصة والتخفيف ، والمسح على الخفين هو من باب التخفيف فان نزعه مما يشق على المسافر اه كلام ابن رشد. ويرد حجة المفرقين بين السفر والحضر الاحاديث الصحاح في التوقيت وسيأتي الكلام فيه ، وموافقة مسح الخفين لمسح العمامة ، ولحكمة التشريع ويؤيدها اشتراط لبس الخفين على طهارة وسيأتي

ونقل في نيل الاوطار اثبات المسح في السنة وتواتره عن الصحابة واتفاق علماء السلف عليه الا ماروي عن مالك من الخلاف في جوازه مطلقا أو للمسافر دون المقيم وعن ابن نافع في المبسوط ان مالكا انما كان يتوقف في خاصة نفسه مع افتائه بالجواز . ثم قال : وذهبت العترة جميعا والامامية والخوارج وأبو بكر بن داود الظاهري الى انه لايجزئ المسح عن غسل الرجلين واستدلوا بآية المائدة وبقوله (ص) لمن علمه « واغسل رجلك » ولم يذكر المسح وقوله بعد غسلهما « لايقبل الله الصلاة من دونه » قالوا والاخبار بمسح الخفين منسوخة بالمائدة ، وأجيب عن ذلك

(ثم ذكر الاجوبة فقال مانصه) : « اما الآية فقد ثبت عنه (ص) المسح بعدها كما في حديث جرير المذكور في الباب وأما حديث « واغسل رجلك » فغاية مافيه الامر بالغسل وليس فيه مايشعر بالقصر ولو سلم وجود مايدل على ذلك لكان مخصصا بأحاديث المسح المتواترة. وأما حديث لايقبل الله الصلاة بدونه فلاينتهض للاحتجاج به فكيف يصلح لمعارضة الاحاديث المتواترة مع انا لم نجده بهذا اللفظ من وجه يعتد به. وأما حديث ويل للاعقاب من النار فهو وعيد لمن مسح رجليه ولم يغسلهما ولم يرد في المسح على الخفين، فان قلت هو عام فلا يقصر على السبب، قلت

لا نسلم شموله لمن مسح على الخفين فانه يدع رجله كلها ولا يدع العقب فقط ، سلمنا، فاحاديث المسح على الخفين مخصصة للماسح من ذلك الوعيد . وأما دعوى النسخ فالجواب ان الآية عامة أومطلقة باعتبار حالتي لبس الخف وعدمه فتكون أحاديث الخفين مخصصة أو مقيدة فلا نسخ، وقد تقرر في الاصول رجحان القول ببناء العام على الخاص مطلقا. وأما من يذهب الى أن العام المتأخر ناسخ فلا يتم له ذلك الا بعد تصحيح تأخر الآية وعدم وقوع المسح بعدها، وحديث جرير نص في موضع النزاع، والقدح في جرير بأنه فارق عليا ممنوع فانه لم يفارقه وانما احتبس عنه بعد إرساله الى معاوية لاعذار، على أنه قد نقل الامام الحافظ محمد بن ابراهيم الوزير الاجماع على قبول رواية فاسق التأويل في عواصمه وقواصمه من عشر طرق ونقل الاجماع أيضا من طرق أكابر ائمة الآل وأتباعهم على قبول رواية الصحابة قبل الفتنة و بعدها ، فالاسترواح الى الخلوص عن أحاديث المسح بالقدح في ذلك الصحابي الجليل بذلك الامر مما لم يقل به أحد من العترة وأتباعهم وسائر علماء الاسلام، وصرح الحافظ في الفتح بأن آية المائدة نزلت في غزوة المريسيع وحديث المغيرة الذي تقدم وسيأتي كان في غزوة تبوك، وتبوك متأخرة بالاتفاق، وقد صرح أبو داود في سننه بأن حديث المغيرة في غزوة تبوك وقد ذكر البزار ان حديث المغيرة هذا رواه عنه ستون رجلا

« واعلم أن في المقام مانعا من دعوى النسخ لم يتنبه له أحد فيما علمت وهو أن الوضوء ثابت قبل نزول المائدة بالاتفاق فان كان المسح على الخفين ثابتا قبل نزولها فورودها بتقرير أحد الأمرين اعني الغسل مع عدم التعرض للآخر وهو المسح لا يوجب نسخ المسح على الخفين لا سيما اذا صح ما قاله البعض من ان قراءة الجر في قوله في الآية (وأرجلكم) مراد بها مسح الخفين . وأما اذا كان المسح غير ثابت قبل نزولها فلا نسخ بالقطع، نعم يمكن أن يقال على التقدير الأول ان الأمر بالغسل نهي عن ضده والمسح على الخفين من أضداد الغسل المأمور به ، لكن كون الامر بالشيء نهيا عن ضده محل نزاع واختلاف وكذلك كون المسح على الخفين ضدا للغسل، وما كان بهذه المثابة حقيق بأن لا يعول عليه لاسيما في ابطال

مثل هذه السنة التي سطعت أنوار شموسها في سماء الشريعة المطهرة

« والعقبة الكؤود في هذه المسئلة نسبة القول بعدم اجزاء المسح على الخفين الى جميع العترة المطهرة كما فعله الامام المهدي في البحر ، ولكنه يهون الخطب بأن امامهم وسيدهم أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب من القائلين بالمسح على الخفين ، وأيضا هو اجماع ظني وقد صرح جماعة من الائمة منهم الامام يحيى بن حمزة بأنها تجوز مخالفته ، وأيضا فالحجة إجماع جميعهم وقد تفرقوا في البسيطة وسكنوا الاقاليم المتباعدة وتمذهب كل واحد منهم بمذهب أهل بلده، فمعرفة اجماعهم في جانب التعذر وأيضا لا يخفى على المنصف ماورد على اجماع الامة من الايرادات التي لا يكاد ينتهض معها للحجية بعد تسليم امكانه و وقوعه وانتفاء حجية الاعم يستلزم انتفاء حجية الاخص اه

أقول أما حديث المغيرة بن شعبة الذي أشار اليه وقال انه كان في غزوة تبوك وقال انه تقدم وسيأتي فهو كما جاء في باب جواز المعاونة على الوضوء من المتن وعزاه الى الصحيحين « انه كان مع رسول الله (ص) في سفر وانه ذهب لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضأ فغسل وجهه ويديه ومسح برأسه ومسح على الخفين » قال في الشرح : الحديث اتفقا عليه بلفظ : كنت مع النبي (ص) في سفر فقال لي يامغيرة خذ الاداوة فأخذتها ثم خرجت معه وانطلق حتى توارى عني حتى قضى حاجته ثم جاء وعليه جبة شامية ضيقة الكمين فذهب يخرج يده من كمها فضاق فأخرج يده من أسفلها ، فصببت عليه فتوضأ وضوءه للصلاة ثم مسح على خفيه . اه ومن المعلوم ان النبي (ص) انما لبس الجبة الرومية في غزوة تبوك كما ثبت في الصحيح وهي بعد نزول المائدة و بعد فتح مكة . ثم ذكر الحديث في باب شرعية المسح على الخفين من المتن وعزاه الى أحمد وأبي داود وفيه زيادة قلت : يا رسول الله أنسيت ؟ قال « بل أنت نسيت بهذا أمرني ربي عز وجل » قال في الشرح الحديث اسناده صحيح اه أقول لعله مما يستدل به من قالوا ان قراءة (وأرجلكم) بالجر مراد بها مسح الخفين

المسح على كل ساتر كالجوربين والنعلين

قال في منتقى الاخبار : عن بلال قال رأيت النبي (ص) يمسح على الموقين

والخمار رواه أحمد . ولابي داود : كان يخرج فيقضي حاجته فآتيه بالماء فيتوضأ ويمسح على عمامته وموقيه . ولسعيد بن منصور في سننه عن بلال قال سمعت رسول الله (ص) يقول « امسحوا على النصيف والموق » . وعن المغيرة بن شعبة ان رسول الله (ص) توضأ ومسح على الجوربين والنعلين . رواه الخمسة (أي أحمد وأصحاب السنن الاربعة) الا النسائي وصححه الترمذي اه

وقال شارحه ان حديث بلال أخرجه الترمذي والطبراني والضياء أيضا . . قال أبو داود ومسح على الجوربين علي بن طالب وابن مسعود والبراء بن عازب وأنس بن مالك وأبو أمامة وسهل بن سعد وعمرو بن حريث وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عباس . وذكر روايات أخرى للحديث أعلوها ثم قال :

« والحديث بجميع رواياته يدل على جواز المسح على الموقين وهما ضرب من الخفاف قاله ابن سيده والأزهري ، وهو مقطوع الساقين قاله في الضياء . وقال الجوهري الموق الذي يلبس فوق الخف قيل وهو عربي وقيل فارسي معرب — وعلى جواز المسح على العمامة وعلى جواز المسح على النصيف وهو أيضا الخمار قاله في الضياء – وعلى جواز المسح على الجورب وهو لفافة الرجل قاله في الضياء والقاموس وقد تقدم انه الخف الكبير ، وقد قال بجواز المسح عليه من ذكره ابو داود من الصحابة ، وزاد ابن سيد الناس في شرح الترمذي عبد الله بن عمر وسعد بن ابي وقاص وابا مسعود البدري عقبة بن عمرو ، وقد ذكر في الباب الاول ان المسح على الخفين مجمع عليه بين الصحابة وعلى جواز المسح على النعلين . وقيل وانما يجوز على النعلين اذا لبسهما فوق الجوربين . قال الشافعي ولا يجوز مسح الجوربين الا أن يكونا بنعلين يمكن متابعة المشي عليهما » اه

أقول انما اشترط بعضهم في المسح على النعلين أن يلبسا على الجوربين لأن نعالهم لم تكن تستر الرجلين ومتى كانت الرجل مكشوفة كلها أو أكثرها وجب مسحها . واما النعال المستعملة الآن التي تستر القدمين فلا يشترط ان تلبس على الجوارب على انها تلبس عليها غالبا . وقد علمت ان الجوارب هي التي يسميها عامة المصريين « شرابات » وعامة الشوام « قلاشين » وكل مايستر الرجلين يمسح

عليه لاعبرة بالاسماء ولا الاجناس . وما دام الساتر يلبس عادة يمسح عليه لايمنع من ذلك حدوث الخروق فيه ، لأن النبي (ص) واصحابه (رض) كانوا يمسحون في الاسفار الطويلة كسفر غزوة تبوك ولا يعقل ان تخلو خفافهم من الخروق ، ولم ينقل ان أحدا نهى عن المسح على خف فيه خروق ، ولو وقع ذلك لتوفرت الدواعي على نقله . ولكن بعض الفقهاء الذين كانوا يعيشون في حواضر الامصار ذات السعة واليسار كبغداد ومصر والمدينة المنورة شددوا في كثير من الاحكام بالرأي والقياس

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في فتوى له : « والمسح على الخفين قد اشترط فيه طائفة من الفقهاء شرطين (أحدهما) ان يكون ساترا لمحل الفرض وقد تبين ضعف هذا الشرط (أي من كلام له في أول الفتوى بين انه يخالف لاطلاق النصوص في المسح والمعلوم بالضرورة من حال الصحابة وهو ما أشرنا اليه آنفا والقياس) (والثاني) ان يكون الخف يثبت بنفسه ، وقد اشترط ذلك الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد ، فلو لم يثبت الا بشده بشيء سير أو خيط متصل به أو منفصل عنه ونحو ذلك لم يمسح . وان ثبت بنفسه لكنه لايستر جميع المحل الا بالشد كالزربول الطويل المشقوق يثبت بنفسه لكن لايستر الى الكعبين الا بالشد ففيه وجهان أصحهما انه يمسح عليه . وهذا الشرط لاأصل له في كلام أحمد بل المنصوص عنه في غير موضع انه يجوز المسح على الجوربين وان لم يثبتا بأنفسهما بل بنعلين تحتهما ، وانه يمسح على الجوربين مالم يخلع النعلين (أي ولا يشترط هذا في الجوربين اللذين يثبتان بأنفسهما كالجوارب المستعملة في هذا العصر)

« فاذا كان أحمد لايشترط في الجوربين ان يثبتا بأنفسهما بل اذا ثبتا بالنعلين جاز المسح عليهما فغيرهما بطريق الاولى . وهنا قد ثبتا بالنعلين وهما منفصلان عن الجوربين فالزربول الذي لايثبت الا بسير يشده به متصلا به أو منفصلا عنه أولى بالمسح عليه من الجوربين . وهكذا مايلبس على الرجل من فرو وقطن وغيرهما اذا ثبت ذلك بشدها بخيط متصل أو منفصل مسح عليهما بطريق الاولى

« فان قيل فيلزم من ذلك المسح على اللفائف وهو ان يلف على الرجل لفائف من البرد أو خوف الحفاء أو من جراح بهما ونحو ذلك . قيل في هذا وجهان ذكرهما

الحلواني والصواب انه يمسح على اللفائف وهي بالمسح أولى من الخف والجورب ، فان اللفائف انما تستعمل في العادة وفي نزعها ضرر – إما إصابة البرد وإما التأذي بالحفاء وإما التأذي بالجرح – فاذا جاز المسح على الخفين والجوربين فعلى اللفائف بطريق الاولى . ومن ادعى في شيء من ذلك اجماعا فليس معه الا عدم العلم ولا يمكنه ان ينقل المنع عن عشرة من العلماء المشهورين فضلا عن الاجماع ، والنزاع في ذلك معروف في مذهب احمد وغيره » .

ثم ذكر خلاف السلف وأهل البيت في المسح وقال

« فعلم ان هذا الباب مما هابه كثير من السلف والخلف حيث كان الغسل هو الفرض الظاهر المعلوم فصاروا يجوزون المسح حيث يظهر ظهوراً لاحيلة فيه ولا يطردون فيه قياسا صحيحا ولا يتمسكون بظاهر النص المبيح . والا فمن تدبر ألفاظ الرسول (ص) وأعطى القياس حقه علم أن الرخصة منه في هذا الباب واسعة ، وان ذلك من محاسن الشريعة ومن الحنيفية السمحة التي بعث بها . وقد كانت أم سلمة تمسح على خمارها فهل تفعل ذلك بدون اذنه ؟ وكان ابو موسى الاشعري وأنس يمسحان على القلانس . ولهذا جوز أحمد هذا وهذا في الروايتين عنه . وجوز أيضا المسح على العمامة ، اه

ثم ذكر قول من اشترط في العمامة ان تكون محنكة لانها يعسر نزعها وضعفه وبين ان سبب تحنيك العمائم طرد الخيل والجهاد لئلا تسقط وان أولاد المهاجرين والانصار لبسوا العمائم بلا تحنيك ثم كان الجند يربطون العمائم بالكلاليب أو العصائب، وانتقل من المقابلة والتنظير بين المسح عليها وعلى الخف الى المسح على الجبيرة وكونه يكون واجبا ،والى نظائر اخرى لامحل لذكرها هنا . وجملة القول ان مذهب الحنابلة في باب المسح أوسع المذاهب وأقربها الى السنة ويسر الشريعة كما أن مذهب المالكية أوسع في باب الطعام ، وكل ما كان أيسر ، فهو الى الحق أقرب ، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وسيأتي بيان هذا في آخر الآية التي نحن بصدد تفسيرها

شرط المسح لبس الخف على طهارة

جاء في احدى روايات حديث المغيرة بن شعبة المتقدم الثابت في الصحيحين وغيرهما انه قال : كنت مع النبي (ص) ذات ليلة في مسير فأفرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه وغسل ذراعيه ومسح برأسه ثم اهويت لانزع خفيه فقال « دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما . وروى الحميدي في مسنده عنه قال : قلنا يارسول الله ايمسح احدنا على الخفين ؟ قال « نعم اذا ادخلهما وهما طاهرتان » وروى الشافعي واحمد وابن خزيمة والترمذي والنسائي وصححاه وغيرهم عن صفوان ابن عسال قال « أمرنا – يعني النبي (ص) – ان نمسح على الخفين اذا نحن ادخلناهما على طهر ثلاثا اذا سافرنا ويوما وليلة اذا أقمنا ولا نخلعهما الا من جنابة » وقد حمل الجمهور الطهارة في الحديث على الطهارة الشرعية فاشترطوا لجواز المسح ان يلبس الخف وما في معناه على وضوء . وذهب داود الظاهري الى ان المراد بها الطهارة اللغوية يعني انه لبسهما ورجلاه نظيفتان لاقذر عليهما ولا نجس اه

انما المسح على ظهر الخف

روى ابو داود والدار قطني عن علي كرم الله وجهه قال : « لو كان الدين بالرأي لكان اسفل الخف أولى بالمسح من اعلاه ، لقد رأيت رسول الله (ص) يمسح على ظاهر خفيه » قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام : اسناده حسن ، وقال في التلخيص : اسناده صحيح . وروى احمد وابو داود والترمذي وحسنه عن المغيرة بن شعبة قال : رأيت رسول الله (ص) يمسح على ظهور الخفين . وجمهور العلماء على ان مسح ظهور الخفين كاف وهو المشروع وقال بعضهم لابد من مسح ظهورهما وبطونهما وروي عن ابن عمر انه كان يمسح على أعلى الخف وأسفله ، وروى احمد وابو داود والترمذي والدارقطني وغيرهم عن المغيرة بن شعبة ان النبي (ص) مسح اعلى الخف وأسفله ، ولكن هذا الحديث معلول وقال ابو زرعة والبخاري لايصح . والعمدة ان الواجب في المسح مايطلق عليه اسم المسح

توقيت المسح

تقدم حديث صفوان بن عسال فيه . وروى احمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن شريح بن هانئ قال سألت عائشة (رض) عن المسح على الخفين فقالت : سل عليا فانه أعلم بهذا مني ، كان يسافر مع رسول الله (ص) فسألته فقال قال رسول الله (ص) « للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن وللمقيم يوم وليلة » وروى احمد وابو داود والترمذي وابن حبان وصححاه عن خزيمة بن ثابت عن النبي (ص) انه سئل عن المسح على الخفين فقال « للمسافر ثلاثة ايام ولياليهن وللمقيم يوم وليلة » زاد في رواية ابي داود وابن ماجه وابن حبان « ولو استزدناه لزادنا » وحديث ابن ابي عمارة عند ابي داود صريح في الزيادة الى السبع ثم قال (ص) « نعم وما بدا لك » ولكن لا يصح . وجمهور علماء السلف على التوقيت بثلاثة أيام بلياليها للمسافر ويوم وليلة للمقيم . ومذهب مالك والليث بن سعد انه لا وقت له وان من لبس خفيه على طهارة مسح ما بدا له المسافر والمقيم فيه سواء . ذكره في نيل الاوطار وقال : وروي مثل ذلك عن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر وعبد الله ابن عمر والحسن البصري اه

﴿ ترتيب أعمال الوضوء ﴾

تلك فرائض الوضوء العملية المنصوصة وقد ذكرت في الآية مرتبة مع فصل الرجلين عن اليدين وفريضة كل منهما الغسل بالرأس الذي فريضته المسح ، ومضت السنة العملية في هذا الترتيب فدل ذلك على اشتراطه فيها ، وصح حديث « ابدأوا بما بدأ الله به » وهو عام وان كان سببه خاصا لوروده في السعي بين الصفا والمروة . ويؤيد الكتاب والسنة في ذلك القياس على سائر العبادات المركبة التي التزم النبي (ص) فيها كيفية خاصة كالصلاة ، ولا شك في ان الوضوء عبادة ومدار الأمر في العبادات على الاتباع فليس لأحد أن يخالف المأثور في كيفية وضوئه كما انه ليس له ان يخالفه في الصلاة كعدد الركوع والسجود وترتيبهما . ولا يظهر التعبد والاذعان لأمر الشارع وهديه في شيء من العبادة كما يظهر في التزام الكيفية المأثورة . ومن فوائد هذا الالتزام أنه من الامور التي تتوحد بها شخصية الامة فانما الامم بالصفات والاعمال

المشتركة التي تجمع بينها ، كما يدل عليه ما ورد في تعليل النهي عن الاختلاف في صفوف الصلاة . وقد صرح الشافعي بعد الترتيب من فرائض الوضوء وصرح الحنفية بأنه سنة لا فرض ، ونحمد الله ان كان الخلاف بالقول لا بالعمل ، فالكل يرتبون هذه الاعمال كما رتبها الله تعالى في كتابه ورسوله (ص) بسنته ، ولو عمل الناس بدعوى الجواز فتوضأ كل أهل مذهب بكيفية لكان عليهم هذا من شر ما تفرقوا فيه فتفرقت قلوبهم وضعف مجموعهم

﴿ النية للوضوء ككل عبادة ﴾

روي عن أئمة آل البيت عليهم السلام وعن اشهر علماء الامصار اشتراط النية في الوضوء فهو مذهب ربيعة ومالك والشافعي واحمد والليث واسحق بن راهويه ، واستدلوا على فرضيتها بحديث « انما الاعمال بالنية وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » رواه الجماعة كلهم من حديث عمر . واستدل عليه بعضهم بآية الوضوء نفسها لأن ترتيب أعمال الوضوء على القيام الى الصلاة يدل على ان هذه الاعمال لأجل الصلاة وذلك لا يكون الا بالنية . وقد عرف الشافعية النية بأنها قصد الشيء مقترنا بفعله ، واشترطوا لتحققها وصحتها عدة شروط . وقال البيضاوي : النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا ، والشرع خصصه بالارادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضاء الله وامتثال حكمه . ولهم في تعريفها أقوال أخرى وهذا أحسن ما رأيناه لهم فيها لأنه جامع للمعنى الطبيعي والمعنى الشرعي

ذلك أن النية نيتان : نية شرعية وسيأتي معناها ، ونية طبيعية وهي القصد الذي يتميز به فعل المختار الشاعر بفعله عن فعل المضطر والذاهل الذي تشبه حركته حركة النائم ، وهذا المعنى للنية ضروري في تحقق الفعل الاختياري فلا معنى للقول بوجوبه وافتراضه ، وقد يظهر القول بعده شرطا ليخرج به ما يقع للمحدث من غسل أطرافه لنحو الابتراد - وناهيك اذا غسلها بغير الترتيب المأثور - فاذا اراد الصلاة بعد ذلك يجب عليه الوضوء لها ، لأن عمله السابق لم يكن امتثالا لما أمر الله به وجعله شرطا لها .

وليس هذا هو المراد من النية بالحديث، وانما المراد المعنى الثاني للنية وهو الغرض الباعث على الفعل الاختياري وهو ابتغاء مرضاة الله تعالى باتباع ما شرعه والاتيان به على الوجه الذي شرعه لأجله ، وهذا هو الإخلاص أو يلزم منه الاخلاص ، أي جعل العبادة خالصة من شوائب الرياء والاهواء لا غرض منها الا ما ذكر من التحقق بها على وجهها ، وابتغاء مرضاة الله تعالى فيها . كل من يهاجر يقصد الهجرة قصدا مقترنا بالفعل ، وكل من يتوضأ يقصد الوضوء عند الشروع فيه ، وكل من يصلي يقصد الاتيان باعمال الصلاة عند الشروع فيها ، وكل من يحرم بالحج يقصد الاتيان بمناسكه ، وما كل من يتلبس بهذه العبادات يقصد بها مرضاة الله تعالى بتحصيل الغرض منها كنصر الله ورسوله وإقامة دينه بالهجرة في عهد النبي (ص) وكالتمكن من إقامة الدين والاهتداء به بهجرة المسلم في هذا الزمان من مكان لا حرية له في دينه فيه إلى غيره . وقل مثل هذا في الوضوء وحكمته التي شرع لأجلها والصلاة وحكمتها والحج وحكمته ، فكما يهاجر بعض الناس لأجل الدين في الظاهر ولأجل التجارة أو الزواج أو غير ذلك من أغراض الدنيا في الباطن ، كذلك يسافر بعض الناس الى الحج لأجل التجارة والكسب أو غير ذلك من أغراض الدنيا فقط ، ومنها الرياء والسمعة ، واذا كان في الناس من يصلي رياء وسمعة ومنهم من يصلي لموافقة من يعيش معهم في عاداتهم كما يوافقهم في الزي والطعام والشراب، ففيهم من يصلي ابتغاء مرضاة الله والاستعانة بمناجاته وذكره على تهذيب نفسه ونهيها عن الفحشاء والمنكر، وكل منهم ينوي النية الطبيعية وهي قصد أعمال الصلاة عند فعلها ، اذ لا تحصل هذه الصلاة الا بهذا القصد

فظهر من هذا ان النية الطبيعية التي هي قصد الشيء عند فعله ضرورية لا معنى لفرضيتها وعدها من اركان الصلاة ، وان النية الواجبة في جميع الاعمال المشار اليها في الحديث هي النية بالمعنى الآخر الذي شرحناه ، و به يتحقق الاخلاص الذي هو روح العبادة وينتفي الرياء الذي هو شعبة من الشرك . ومن لاحظ له من هذه النية لاحظ له من عبادة الله تعالى، وما يأتيه من صورة العبادة لا يقبله الله منه في الآخرة، لانه لا تصلح به حاله ولا تتزكى به نفسه في الدنيا ، وان أنكر هذا الجسمانيون

الجامدون الذين جعلوا الدين عبارة عن حركات لسانية و بدنية لا علاقة لها بالقلب، ولا فائدة لها في تزكية النفس، فتراهم من أشد خلق الله تنطعا في ظواهر العبادة وأشدهم انسلاخا من روحها وسرها وحكمتها ، وجعلوها حرجا وعسرا خلافا لما قاله الله تعالى. يتنطعون في الطهارة ، وقد علت أجسادهم وثيابهم الوساخة ، ويتنطعون في تجويد القراءة وحركات الاعضاء في الصلوات ، ولا ينتهون عن الفواحش والمنكرات

ومن العجائب انهم جهلوا حقيقة النية المشروعة التي هي من أعمال القلب المحضة وابتدعوا كلمات يسمونها النية اللفظية لم يأذن بها الله ولا رسوله ولا عرفت في سنة ولا عن أحد من السلف ، وقد غلوا في التنطع بها حتى انهم يؤذون المصلين بأصواتهم ، ومنهم الموسوسون الذين يكررون هذه الاقوال و يرفعون بها أصواتهم : نويت فرائض الوضوء مع سننه ، نويت فرائض الوضوء مع سننه ... الخ و يفعلون مثل هذا في نية الصلاة عند تكبيرة الاحرام ، وأكثر هؤلاء الوسوسين من الشافعية الذين دقق بعض فقهائهم في فلسفة نيتهم فاشترط ان يتصور المصلي جميع أركان الصلاة القولية والعملية عند البدء بها ، وذلك بين النطق بهمزة لفظ الجلالة المفتوحة وراء أكبر الساكنة من كلمة (الله اكبر) ليتحقق معنى قصد الشيء مقترنا بفعله ، والمعلوم من الدين بالضرورة ان المطلوب عند كل ذكر تصور معناه فاذًا لا ينبغي للمصلي أن يتصور عند التكبير الا معنى التكبير، والامر لله العلي الكبير،

التسمية قبل الوضوء والذكر والدعاء بعده

ورد في التسمية للوضوء أحاديث ضعيفة يدل بعضها على وجوبها و بعضها على استحبابها قال الحافظ ابن حجر الظاهر ان مجموعها يحدث منها قوة تدل على ان له أصلا ، ودعمها النووي بحديث « كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بسم الله فهو أجذم » وهو مثلها. ولما كانت التسمية أمرا حسنا في نفسه ومشروعا في الجملة تساهل الفقهاء في علل ما ورد فيها من الاحاديث وقال بعضهم بوجوبها و بعضهم بسنتها . حتى ان ابن القيم المحقق الشهير قال في بيان هدي النبي (ص) في الوضوء من كتابه (زاد المعاد) : ولم يحفظ عنه انه كان يقول على وضوئه شيئا غير التسمية، وكل حديث في اذكار الوضوء الذي يقال عليه فكذب مختلق لم يقل رسول الله (ص) شيئا منه

ولا علمه لأمته ولا ثبت عنه غير التسمية في أوله وقول « أشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » في آخره اهـ

أقول اما الشهادتان بعد الوضوء فقد روى حديثهما أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن حبان عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (ص) « مامنكم أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول « أشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » والعمدة في صحته رواية مسلم . واما زيادة الدعاء فهي في رواية الترمذي وقد قال هو في الحديث : وفي اسناده اضطراب ولا يصح فيه كثير شيء . ولكن رواية مسلم سالمة من هذا الاضطراب كما قال الحافظ ابن حجر ، وزاد النسائي في عمل اليوم والليلة والحاكم في المستدرك من حديث أبي سعيد بعد قوله من المتطهرين « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت، استغفرك وأتوب اليك » وقد روي هذا مرفوعا وموقوفا فضعفوا المرفوع ، وأما الموقوف فصححه النسائي وأنكر الحافظ ابن حجر على النووي تضعيفه . ومن هذا تعلم ان دعاء الاعضاء باطل وقد قال النووي في الروضة والمنهاج انه لا أصل له . قال الرملي في شرح المنهاج أي لا أصل له يحتج به ، وذكر انه روي ولكنه واه لا يعمل به ولا في فضائل الاعمال التي يعملون فيها بالحديث الضعيف

التيامن في الوضوء وغيره

فيه حديث عائشة في الصحيحين وغيرهما قالت « كان رسول الله (ص) يحب التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله » التنعل لبس النعلين والترجل ترجيل الشعر أي تسريحه . والطهور يشمل الوضوء والغسل . وفيه حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن النبي (ص) قال « اذا لبستم فابدوا بأيامنكم » جمهور المسلمين على ان البدء باليمين سنة قال النووي في باب التكريم والتزيين ليخرج دخول الخلاء ونحوه . ومذهب الشيعة وجوب التيامن في الطهارة ، ولكن روي عن علي كرم الله وجهه « ما أبالي بدأت بيميني

أو بشمالي اذا أكملت الوضوء » رواه الدارقطني . وروي عنه العمل بذلك أيضا طرق يقوي بعضها بعضا

الموالاة في الوضوء والتثليث

مضت السنة في الموالاة في الوضوء وعليها عمل المسلمين سلفا وخلفا ولا يعقل ان يغسل الإنسان بعض أعضائه بنية الوضوء ثم ينصرف الى عمل آخر ثم يعود الى إتمام مابدأ به الا لضرورة عارضة لا يطول فيها الفصل ، وقد اختلف الفقهاء الذين يفرضون وقوع ماينذر وقوعه في الموالاة في الوضوء فذهب الاوزاعي ومالك وأحمد الى وجوبه ، وأبو حنيفة والشافعي في القول المعتمد عنه الى سنيته، والاصل في ذلك تعارض الاحاديث فيمن توضأ فكان في رجله لمعة أوموضع ظفر لم يصبه الماء فأمره النبي (ص) باعادة الوضوء في حديث وباحسان الوضوء في حديث أصح، والاحتياط ان لا تترك الموالاة ، والعمدة فيها ان لا يقطع المتوضيء وضوءه بعمل أجنبي يعد في العرف انصرافا عنه ، وقال بعض العلماء اذا جف بعض الاعضاء قبل إتمام الوضوء انقطعت الموالاة . وهذا غير مسلم فقد يجف بعض الاعضاء بسرعة في الهواء الحار الجاف ولا يعد المتوضيء منقطعا عن وضوئه . ومثل هذا مما يعرفه الناس بغير تعريف . وقد ثبت في الصحيح ان النبي (ص) توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا ولكن لم يثبت عنه انه مسح بالرأس أكثر من مرة فالسنة ان يغسل كل عضو ثلاثا وان يمسح الرأس مرة واحدة ، وكذلك الحلف

غسل الكفين في أول الوضوء ومسح العنق

سيأتي في بيان كيفية وضوء النبي (ص) انه غسل كفيه ثلاثا قبل المضمضة فهو من سنن الوضوء باتفاق جمهور علماء الأمة ، وذهب بعض علماء الزيدية الى انه واجب ، ومجرد الفعل لا يدل على الوجوب ولكنهم دعموه بحديث أبي هريرة في الصحيحين والسنن مرفوعا « اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده حتى يغسلها ثلاثا فانه لا يدري أين باتت يده » وكلمة ثلاثا فيما عدا رواية البخاري . والمراد لا يغمس يده في الماء سواء كان يريد تناوله لأجل الطهارة أو غيرها ، وقد بين سببه فانهم كانوا ينامون بالازار ولا يلبسون السراويلات الا قليلا وكانوا

كما قال الشافعي يستنجون بالحجارة و بلادهم حارة فلا يأمن النائم ان تطوف يده على ذلك الموضع النجس أو على قذر غيره . فالأمر بغسل اليدين لمن يريد غمسهما في الاناء واجب في هذه الحال ، وهي حال تغليب النجاسة ، و ينبغي ان تكون مما يرجح فيه الغالب على الاصل عند تعارضهما ، والاصل في اليد الطهارة . وقد حمل الجمهور الحديث على إفادة كراهة غمس اليدين في الماء قبل غسلهما وندب الغسل قبله عملا بالاصل . وقال احمد ان النهي للتحريم والأمر للوجوب ولكن خصه بنوم الليل لانه رواه هو والترمذي وابن ماجه بلفظ « اذا استيقظ أحدكم من الليل » قال النووي وحكي عن احمد في رواية انه ان قام من نوم الليل كره له كراهة تحريم ، وان قام من نوم النهار كره له كراهة تنزيه (قال) ومذهبنا ومذهب المحققين ان هذا الحكم ليس مخصوصا بالقيام من النوم بل المعتبر الشك في نجاسة اليد ، فمن شك في نجاستها كره له غمسها في الاناء قبل غسلها سواء كان قام من نوم الليل أو نوم النهار او شك . وجملة القول ان الحديث ليس في الوضوء فلا يدل على وجوب غسلهما فيه ، ولكن ثبت كون غسلهما سنة من كيفية وضوئه الآتية

وأما مسح العنق فقد قال النووي انه بدعة ، وابن القيم : لم يصح عنه (ص) في مسح العنق حديث ألبتة . والصواب انه ورد فيه احاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة ومرسلة وقال بعضهم بحسن بعضها . ولذلك تعقب بعض الشافعية انفسهم ماقاله النووي بان البغوي وهو من أئمة الحديث قال باستحبابه

صفة وضوء النبي (ص)

روى احمد والشيخان عن عثمان بن عفان انه دعا باناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ، ثم أدخل يمينه في الاناء فمضمض واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاث مرات ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ، ثم قال رأيت رسول الله (ص) توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه » أي لا يحدث نفسه بشيء من الدنيا كما رواه الحكيم الترمذي . وقد روى احمد وغيره هذه الكيفية عن المقدام بن معد يكرب ، ولكنه قال « ثم مضمض واستنشق

ثلاثا ثم مسح برأسه واذنيه ظاهرهما و باطنهما » فعبر بالاستنشاق بدل الاستنثار في حديث عثمان المتفق عليه ، والاستنثار يستلزم الاستنشاق كما تقدم في بحث المضمضة. قيل ان « ثم » في الحديث لعطف الجمل لا للترتيب، فان لم يصح هذا كان معنى الرواية انه كان (ص) نسي المضمضة والاستنشاق قبل غسل الوجه فغسلهما بعد ذلك ، فاذا ثبت هذا كان دليلا على ان باطن الفم والانف لا يعدان من الوجه الواجب غسله ، وهذا اقرب من القول بأن الترتيب في الوضوء غير واجب ، وقد تقدم الخلاف في ذلك . وصح الأمر بالمبالغة في المضمضة والاستنشاق لغير الصائم ، وتقدم حديث ابي هريرة في صفة وضوئه (ص) وفيه ذكر الغرة والتحجيل

وروى الترمذي وصححه وابن ماجه عن ابي حية قال رأيت عليا توضأ فغسل كفيه حتى انقاهما ثم مضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا وذراعيه ثلاثا ومسح برأسه مرة ثم غسل قدميه الى الكعبين ، ثم قال : أحببت ان اريكم كيف كان طهور رسول الله (ص) . وصح ان النبي (ص) توضأ مرة مرة رواه احمد والبخاري واصحاب السنن عن ابن عباس .ومرتين مرتين رواه احمد والبخاري عن عبد الله بن زيد ، وأما التثليث فهو السنة التي جرى عليها العمل في الاكثر وغيره لبيان الجواز. ولم يصح مسح الرأس اكثر من مرة .

ومن سنن الوضوء الاقتصاد في الماء . صح عنه (ص) انه كان يتوضأ بمد و يغتسل بصاع كما في حديث أنس في الصحيحين وحديث سفينة في مسلم . وتقدير المد بالدراهم ١٢٨ ٤/٧ (مئة وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع الدرهم) والصاع أربعة أمداد . واتفق العلماء على ان الاسراف في ماء الطهارة مكروه شرعا ، وان اغترف من البحر ، والحكمة فيه تعليم الامة الاقتصاد في كل شيء . وكان (ص) على اقتصاده في الماء يسبغ الوضوء ويتمه . وورد في أحاديث السنن تعاهد موقي العينين وغضون الوجه وتخليل الاصابع واللحية وتحريك الخاتم ، وفي اسانيد هذه الاحاديث كلام فهي ليست في درجة الصحيح وانما يعمل بها لأنها موافقة لسنة الاسباغ ومتممة للنظافة

السواك من سنن الوضوء والصلاة

روى الجماعة (احمد والشيخان واصحاب السنن الاربعة) من حديث ابي هريرة مرفوعا «لولا ان اشق على امتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» وفي رواية لاحمد «لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء» وللبخاري تعليقا «لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء» قال ابن منده في حديث الجماعة انه مجمع على صحته. وروى احمد والنسائي وابن حبان من حديث عائشة مرفوعا «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» وروي عنها وعن غيرها في الصحاح والسنن انه (ص) كان يستاك عند القيام من كل نوم في ليل أو نهار وعند دخول بيته. والسواك يطلق على العود الذي يستاك به وعلى الاستياك نفسه، وهو دلك الاسنان بذلك العود أو بشيء آخر خشن تنظف به الاسنان. يقال ساك فمه يسوكه سوكا، ويقال استاك ولكن لا يقال استاك فمه. وخير العيدان للاستياك عود الأراك المعروف الذي يؤتى به من الحجاز لانه اذا دق طرفه قليلا يصير خيرا من السوك الصناعية التي تسمى «فرشة الاسنان» ويقال ان من خواصه شد اللثة اي ان فيه مادة تنفصل منه عند الاستياك به تشد اللثة. وتحصل السنة بالاستياك بالفرشة كما تحصل بشوص الاسنان بكل خشن يزيل القلح (صفرة الاسنان) وينظف الفم. ومن يواظب على السواك من أول عمره تحفظ له أسنانه التي هي ركن من أعظم أركان الصحة والجمال. وهي نعمة لا يعرف اكثر الناس قيمتها الا بعد ان يفسدها السوس ويضطر الى قلعها بعد ان يقاسي من آلامها مايقاسي

(لتفسير الآية بقية)

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اسئلة من البحرين ﴾

«عن حكم الحج وترك الملوك والامراء و بعض العلماء له»

(س ٣٠ - ٣٦) لصاحب الامضاء بجزيرة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة سيدي العلامة المصلح العليم مرشد الامة ورشيدها الفيلسوف الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير ادام الله تعالى شريف وجوده وسلام الله عليك ورحمته ورضوانه. وبعد فالداعي لتحريره عرض مسئلة عرضت لنا في هذه الايام وهو اننا عشرة أشخاص نوينا هذه السنة التوجه لحج بيت الله الحرام، والتمتع بمشاهدة مهد الاسلام، وبهذه المناسبة صار بيننا جدال وكلام كثير بخصوص الحج ومناسكه فألجئنا الى طلب الاستهداء من حضرتكم لارشادنا الى السبيل الأقوم والصراط المستقيم، فعليه قدمنا هذا الكتاب مؤملين فيه الجواب من حضرتكم على هذه الاسئلة وهي: -

علمنا ان الله سبحانه وتعالى قد اختار لنا الاسلام دينا وجعل هذا الدين مقاماً على خمسة أركان رئيسية وهي شهادة أن لا إله الا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا. هذه هي الخمسة الاركان التي لا يكمل الاسلام الا بها - وبفضل المنار المنير وباقي كتب العلماء المصلحين الافاضل قد فهمنا المقاصد والحكم من الصلوات والزكاة والشهادتين والصيام كما قد فهمنا المقصد من الحج على الوجه العام، ولكن اسمح لنا يا حضرة المفضال الحكيم ان نقول ان في الحج بعض أعمال لم نعرف الحكمة منها فلذلك جئنا بهذا الكتاب نلتمس منك هدايتنا الى ماجهلناه وهو

(١) ماهي الحكمة في الاجماع على تقبيل الحجر الاسود اذ عرفنا انه حجر

عادي لايضر ولا ينفع ولا يخفى مافي ذلك من المظاهرة الوثنية .

(٢) ما الحكمة في رمي الحجارة (الجمار) في القليب (؟ في (مزدلفة)

(٣) ما الحكمة في الهرولة بين المروتين

(٤) ما المقصد في ذبح الذبائح على كثرتها ودفن لحومها في (منى) وفي ذلك مافيه من النتائج الوخيمة التي تصدر من تعفن اللحوم اذ تنتشر الاوبئة منها ولماذا يمنع الناس من أكلها ؟ وهل ذلك لازم ومن المناسك التي لايتم الحج الا بها على هذه الصورة ؟ ولا يخفاكم مبلغ النقود الطائلة التي يدفعها الحجاج سنوياً ثمنا لهذه اللحوم اذ هي لا تقل عن خمسين الف جنيه فما قولكم لو صرفوا هذه المبالغ على اصلاح آبار مكة وطرقها وتكاياها وتنظيفها وعلى كل ما يعود على الحجاج بالراحة والصحة والسلامة .

(٥) لماذا اقاموا دون عرفه بنائين عن اليمين والشمال تعرف بالعلمين وكل من لم يكن خلف هذين البنائين ليس مقبول الحج مع أنه تكلف العناء ووصل الى مادونهما ؟ ولماذا يكون من خلفها مقبول الحج وهو في لهوه ولعبه وممارسة ما اعتاده في بلاده من الاعمال ؟ ومن كان دونها غير مقبول ولو كان على غير ذلك ؟ وهل هذان البناآن حدّ فاصل بين الله والناس أو بين الجنة والنار .

(٦) نرى كثيراً من علماء الامة الاسلامية ومرشديها المصلحين منهم من عاش ومات وهو لم يحج مع انه ربما رحل في سنته مرتين أو ثلاثا الى أوربا أو الى غيرها من البلاد ولم يذهب الى مكة مع انه كان الازم والاوجب ان يقصد مكة والحج كل موسم للنصح والارشاد . فهذا ساكن الجنان الاستاذ الامام والمرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهم عاشوا وماتوا وهم لم يروا مكة في وقت الحج . وحضرتك أيضا كذلك . فما هي الاسباب ياترى ونحن نعتقد ان امتناعكم جميعاً عن الحج لابد له من سبب فما هو ذلك السبب العظيم الذي يمنع رجال الاصلاح العظام عن الحج المقدس

(٧) وكذلك نرى ان جميع ملوك الاسلام وأمراءه وأغنياءه لا يحجون ولا نرى الحجاج سواهم الا من فقراء الهند والصين والروسيا وجاوا وبلاد العرب كمصر وتونس وسوريا والعراق وغيرها. وهذا كثير من سلاطين آل عثمان (الخلفاء) وامراء البيت السلطاني وأعاظم الرجال من الوزراء والحكام والاغنياء المشار اليهم بالبنان كلهم لايحجون ولا يدور في خلد أحدهم ان يحج، فما هو السر في ذلك ياترى . وكم عجبنا لما سمعنا بحج أمير مصر قبل سنتين وكثر تحدث الناس في ذلك حتى تجرأ أحدهم فقال ان المقصود من حج العزيز غرض سياسي ورحلة في جهات

الحجاز لاغير وليس له مقصد في الحج قطعا . هذا ماوجهناه لحضرتكم ملتمسين التنازل بمجاوبتنا عليه ولك ياسيدنا الخيار في المجاوبة ان تكون على صفحات المنار أو كتاب مخصوص . واذا كانت في المنار تكون أعم وأنفع . وان أردت ان تجاوب على بعضها في المنار وبعضها كتابة مخصوصة فالامر اليك، ونحن قد اتكلنا بعد الله عليك ، ولنا كبير الامل ان حضرتك تهدينا الى سواء السبيل لا سيما وحجنا يتوقف على جوابكم لانه لايخفاك اننا نقصد الحج نطلب الاجر والغفران ،لاالاثم والخسران، فامط لنا بما أعطاك الله من سعة العلم نقاب الباطل عن وجه الحقيقة أدامك الله سراجا يهتدي به من ضل عن محجة الصواب والسلام عليك

من المخلص

٤ شعبان سنة ١٣٢١ الى مصر القاهرة — ناصر مبارك الخيري بالبحرين

أجوبة المنار

قد سبق لنا القول في مجلدات المنار السابقة عن حكم الحج جملة وتفصيلا، والانتقاد على ملوك المسلمين وامرائهم أنهم تركوا هذه الفريضة، وعذر الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تأخير هذه الفريضة الى أن وافاه أمر ربه ، وكون عذرنا عين عذره . وما نظن ان السائل وأصحابه الذين أشار اليهم قد علقوا حجهم على جواب هذه الاسئلة ، ولعله قال ذلك لنبادر الى الجواب عنها ،وهانحن أولاء نبادر الى ذلك وان كان لدينا كثير من الاسئلة مقدمة عليها في التاريخ

حكمة تقبيل الحجر الاسود

ماذكره السائل في تقبيل الحجر الاسود قد سرى اليه من شبهات النصارى والملاحدة الذين يشككون المسلمين في دينهم بأمثال هذا الكلام المبني على جهل قائليه من جهة وسوء نيتهم في الغالب من جهة أخرى. ومن عرف معنى العبادة يقطع بأن المسلمين لايعبدون الحجر الاسود ولا الكعبة ولكن يعبدون الله تعالى وحده باتباع ماشرعه فيهما . بل كان من تكريم الله تعالى لبيته أن صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين والكتابيين الذين كانوا يعظمونه قبل الاسلام عن عبادته. وقد وضعوا فيه الاصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه . ذلك ان عبادة الشيء عبارة عن اعتقاد ان له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه ، والخوف من ضره لمن لايعبده أو لمن يقصر في تعظيمه ، سواء كانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستقل بالنفع والضرر أو كانت غير ذاتية له بأن يعتقد انه واسطة بين

من لجأ اليه وبين المعبود الذي له السلطة الذاتية. ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد أن الحجر الاسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له ، ولا أن سلطته تقريب من يعبده ويلجأ اليه الى الله تعالى ، ولا كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك وتقوله في الحجر كما تقول في أصنامها (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانما عقيدة المسلمين في الحجر هي ما صرح به عمر بن الخطاب { رض } عند تقبيله ، قال « اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله { ص } يقبلك ماقبلتك » رواه الجماعة كلهم أحمد والشيخان وأصحاب السنن . وقد بينا في المنار من قبل ان هذا القول روي أيضاً عن أبي بكر { رض } وروي مرفوعا الى النبي {ص} وان أثر عمر كان العمدة في هذا الباب للاتفاق على صحة سنده . قال الطبري انما قال عمر ذلك { أي مع انه معلوم من الدين بالضرورة } لان الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الاصنام فخشي ان يظن الجهال ان استلام الحجر الاسود من باب تعظيم الاحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فاراد ان يعلم الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله (ص) لا لان الحجر يضر وينفع بذاته اه

فان قلت روى الحاكم عن ابي سعيد الخدري ان عمر لما قال ذلك قال له علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : انه يضر وينفع ، وبين ذلك بأن الله لما اخذ الميثاق على ولد آدم كتب ذلك في رق وألقمه الحجر ، وانه سمع النبي (ص) يقول « يأتي يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد » فالجواب ان هذا الحديث باطل انفرد بروايته عن ابي سعيد ابو هارون عمارة بن جوين العبدي، وأهون ماقيل فيه انه ضعيف، وكذبه حماد بن زيد ، وقال يحيى بن معين ضعيف لا يصدق في حديثه ، وقال الجوزجاني ابو هارون كذاب مفتر ، وقال ابن حبان كان يروي عن ابي سعيد ماليس من حديثه ، وقال شعبة كنت أتلقى الركبان أسأل عن أبي هارون العبدي فقدم فرأيت عنده كتابا فيه اشياء منكرة في علي (رض) فقلت ما هذا الكتاب ؟ قال : هذا الكتاب حق ، وقال شعبة أيضا : أتيت أبا هارون فقلت له اخرج الي ماسمعته من ابي سعيد، فأخرج الي كتابا فاذا فيه : حدثنا ابو سعيد ان عثمان ادخل في حفرته وانه لكافر بالله. فدفعت الكتاب في يده وقمت. وأقول إن طعنه في كل من الصهرين الكريمين يفسر لنا قول الدارقطني فيه « يتلون خارجي وشيعي » والذي يظهر لي من كلامهم هذا انه كان منافقا . فان قيل يقوي حديثه هذا حديث ابن عباس عند احمد والترمذي وغيرهما . قلت ليس في حديث ابن عباس انه ينفع ويضر وانما فيه انه يشهد لمن استلمه بحق ، فاذا صحت هذه الشهادة مهما كانت كيفيتها في عالم الغيب نهي لا تدل على ان الحجر الاسود يملك لأحد من الناس ضرا أو نفعا هو مختار فيه ، ولا يطالب أحد من المسلمين منه هذه الشهادة بألسنتهم ولا قلوبهم فيقال ان طلبه عبادة ، وشهادة أعضاء الانسان عليه يوم القيامة اصح من شهادة الحجر وليست معبودة بهذا المعنى

بقي ان يقال اذا كان هذا الحجر لا ينفع ولا يضر كما قال عمر في الموسم تعليما للناس واقره جميع الصحابة عليه . وكان استلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله (ص) كما يتبع في سائر العبادات ، فما هي حكمة جعل ما ذكر من العبادة ؟ وهل يصح ماقيل من ان النبي (ص) تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفا للمشركين واستمالة لهم الى التوحيد؟ والجواب ان الحجر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين، وانما هو من وضع امام الموحدين ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدأ للطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر اليها فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون . وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك كما تحترم الكعبة لجعلها بيتا لله تعالى وان كانت مبنية بالحجارة . فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الامتثال لأمر الشارع واتباع ماورد بلا زيادة ولا نقصان ، ولهذا لا تقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف وان قال به وبتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الامور التعبدية . وتعظيم الشعائر والآثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، واشد الناس عناية به الافرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاتحين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لا يعبدون شيئا منها ، فلماذا نهتم بكل ما يلغط به كل قسيس أو سياسي يريد تنفير المسلمين من دينهم اذا موّه علينا في شأن تعظيم الحجر الاسود فزعم أنه من آثار الوثنية، ونحن نعلم انه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم أمام موحد داع الى الله من النبيين المرسلين الذي عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذي جمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى ؟

وبقي من حكمة استلام الحجر وتقبيله ما اعتمده الصوفية فيها أخذا مما ورد في بعض الاحاديث الضعيفة كحديث علي السابق ، وحديث ابن عباس « الحجر الاسود يمين الله في أرضه » رواه الطبراني وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى فكأن الحجر يمين الله تعالى ومستلمه مبايع له على توحيده والاخلاص له واتباع دينه الحق، والاعمال

الرمزية معروفة في جميع الاديان الالهية ، وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال ان الحجر يمين الله في الارض يصافح بها عباده . ومعاذ الله ان تكون لله جارحة، وانما شرع تقبيله اختياراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حيث أمر بالسجود لآدم . اه وليس مراد من قال انه يمين الله ان لله جارحة ، وانما أراد ما ذكرنا ، والعمدة في رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه ، فان صح وجب قبوله ومعناه ظاهر . قال الخطابي معنى كونه يمين الله في الارض ان من صافحه في الارض كان له عند الله عهد . وجرت العادة بان العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به فخاطبهم بما يعهدونه . وقال المحب الطبري : ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم سن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ، ولله المثل الأعلى اه

ولعمري لو أن ملوك الافرنج وعلماؤهم أمكنهم ان يشتروا هذا الحجر العظيم لتغالوا في ثمنه تغالياً لايتغالون مثله في شيء آخر في الارض، ولوضعوه في أشرف مكان من هيا كل التحف والآثار القديمة ، ولحج وفودهم الى رؤيته وتمنى الملايين منهم لو تيسر لهم لمسه واستلامه . وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع ابراهيم أبي الانبياء عليهم السلام وانهم ليتغالون فيما لاشأن له من آثار الملوك أو الصناع.

هذا وان من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والفطرة في أقدم معابده ، واحياء شعائر ابراهيم التي طمسها وشوهتها الجاهلية بوثنيتها فطهرها الله ببعثة ولده محمد الذي استجاب الله به دعوته « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » عليهما الصلاة والسلام . روى أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال أتانا ابن مربع (كمنبر واسمه يزيد) الانصاري ونحن بعرفة - في مكان يباعده عمرو عن الامام (١) - فقال اما إني رسول رسول الله (ص) اليكم يقول لكم « قفوا على مشاعركم فانكم على ارث من أبيكم ابراهيم » هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه . وقال الترمذي حديث ابن مربع الانصاري حديث حسن لانعرفه الا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار

وجملة القول ان مناسك الحج من شريعة ابراهيم وقد أبطل الاسلام كل ما ابتدعته الجاهلية فيها من وثنيتها وقبيح عملها كطوافهم بالبيت عراة، وان الكعبة من بناء ابراهيم

(١) هذه الجملة مدرجة في الحديث ادرجها راوية عمرو بن دينار ومعناها انهم في مكان بعيد عن موقف الامام بحيث لا يسمعون كلامه . فقوله يباعده عمرو يعني يذكر عمرو بن عبد الله ابن صفوان التابعي أنه بعيد عن الامام الاعظم (ص) أي فلذلك ارسل اليهم رسولا

واسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالاجماع المتواتر بينهم وكانوا يعظمونها هم والامم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود ، ومن الثابت أيضاً انهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد ابراهيم وانما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد استلام الركنين اليمانيين دون غيرهما ويقال لأحدهما الركن الأسود لان فيه الحجر الاسود وللآخر اليماني فاذا ثنوهما قالوا اليمانيين تغليباً كما يقولون في تثنية الركن الشامي والركن العراقي الشاميين . ولما كانت الكعبة قد جدد بناؤها قبل الاسلام وبعده لم يبق فيها حجر يعلم باليقين انه من وضع ابراهيم الا الحجر الاسود لامتيازه بلونه وبكونه مبدأ المطاف كان هو الاثر الخاص المذكر بنشأة الاسلام الاولى في ضمن الكعبة المذكرة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظاً وشرفاً . وقد علم بهذا ان الحجر له مزية تاريخية دينية وان كان الاصل في وضعه بلون مخالف للون البناء اهتداء الناس بسهولة الى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا ان نقول ان لله تعالى ان يخصص ما شاء من الاجسام والامكنة والأزمنة لروابط العبادة والشعائر، فلا فرق بين تخصيص الحجر الاسود بما خصصه به وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر الحرام وشهر رمضان والاشهر الحرم ، ومبنى العبادات على الاتباع لاعلى الرأي

﴿ حكمة رمي الجمار ﴾

اذا وعيت ما تقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج أعني انها مما تعبدنا الله تعالى بها لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا، وانها احياء لدين ابراهيم أبي الأنبياء وامام الموحدين المخلصين ، وتذكير بنشأة الاسلام ومعاهده الاولى، وان لاستحضار ذلك لتأثيراً عظيما في تغذية الايمان وتقوية الشعور به ، والثقة بانه دين الله الخالص الذي لايقبل غيره ، فان جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أو حكمتها لايضرنا ذلك ولا يثنينا عن اقامتها ، كما اذا ثبت لنا نفع دواء من الادوية مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض، فان ذلك لا يثنينا عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ، ولا يدعونا الى التوقف وترك استعماله الى ان نتعلم الطب ونعرف حكمة اوزان تلك الاجزاء ومقاديرها .

أبسط ما يتبادر الى الذهن من منشإ هذه العبادة ان هذه المواضع التي تسمى

الجمرات كانت من معاهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فشرع لنا ان نقف عند كل واحدة منها نكبر الله سبع تكبيرات نرمي عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير ، والعدد بالحصى ـ ومثله النوى في مثل الحجاز ـ من الامور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة ، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة ابراهيم الذي اقام الدين الحق في هذه المعاهد وبين التعبد لله تعالى بكيفية لاحظ للنفس ولا محل للهوى فيها. والعبادة منها شعار يجتمع لها الناس وتقصد الامة بعملها إظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى ، وكل أعمال الحج من هذا القبيل ، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتزكيتها فقط كالتهجد وذكر الله في الخلوة ، فلا يقال ان الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان ، لان هذا القول لا يصح الا في غير الشعائر اذ الشعائر لا بد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين .

أما كون رمي الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتي حديث عائشة المصرح به في جواب السؤال التالي، واما سبب وقوف ابراهيم في تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعده بالحصى فلا يضرنا جهله، ويكفينا ان نقتدي به في هذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك . وورد في بعض الاحاديث الضعيفة السند ان ابليس عرض له هنالك أي يوسوس له ويشغله عن اداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . روى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس « لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الارض ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الارض » ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك

وروي عن محمد بن اسحق قال: « لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له : طف به سبعاً » ثم ساق الحديث وفيه انه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له ابليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل كبر وارمه سبع حصيات، (فرماه) فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل كبر وارمه فرماه ابراهيم سبع حصيات، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل كبر وارمه، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف، فغاب عنه ابليس . ثم مضى ابراهيم في حجه — الحديث . وليس تمثل الشيطان للانبياء ولا ظهوره لهم بغريب في قصصهم ففي الانجيل المعتمد عند النصارى انه ظهر للمسيح عليه السلام وجربه تجارب طويلة . فاذا صح ان ابليس عرض لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في اثناء أداء مناسكه

بظهور ذاته أو مثاله أو بمجرد التصدي للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة في قذفه ورجمه كما يطرد الكلب ، فمن المعروف في الاخلاق والطباع أن يأتي الانسان بعمل عضوي يظهر به كراهته لما يعرض له حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبراءته منه ، فأخذ الحصيات ورميها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وان حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب .. والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبري أو الاهانة معهود من الناس وله شواهد عند الامم كرجم بني اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع عليه السلام) لعجان ابن زراح واهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧ :٢٤ و٢٥ من سفر يشوع ، وكرجم النصارى لشجرة التين التي لعنها المسيح، ورجم العرب في الجاهلية لقبر ابي رغال في المغمس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشي الى مكة لاجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى . والعمدة في رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اتباعا لابراهيم اقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم في الارض، ومحمد خاتم رسل الله ومكمل دينه ومتممه الذي حفظ دينه كله في الارض ، صلى الله عليهم أجمعين

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بيان أسرار الحج من الاحياء : « وأما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للامر اظهاراً للرق والعبودية . وانتهاضا لمجرد الامتثال، من غير حظ للعقل والنفس في ذلك . ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية، فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لامله . فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان، فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان ، وانه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ، ويخيل اليك انه فعل لافائدة فيه ، وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي ، فبذلك ترغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره ، اذ لا يحصل ارغام أنفه الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الامر ، من غير حظ للنفس والعقل فيه » اه

﴿ حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا والمروة ﴾

الطواف بالكعبة المعظمة والسعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر

الاسلام ، من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وروي أن هاجر رضي الله تعالى عنها كانت تسعى بينهما والهة حيرى عند حاجتها الى الماء زمن ولادتها اسماعيل حتى هداها الله تعالى الى بئر زمزم . والعمدة في هذه العبادة ماذكرناه في الكلام على رمي الجمار من اقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفة في الارض واحياء سنن المرسلين فيها ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « انما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح من حديث عائشة . واذكاره معروفة في المناسك. وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا (ص) خاصة ومعناه سرعة في المشي مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب، ويسمى الخبب أيضاً فهو دون العدود وفوق المشي المعتاد ، فان زادت السرعة كان عدوا

أما سبب الرمل في الطواف والسعي بهمة ونشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث اظهار قوة المسلمين للمشركين، وكان قد علم النبي (ص) ان المشركين قالوا عام الحديبية في المؤمنين قد أوهنتهم حمى يثرب، وروي في الصحيح أيضاً أن النبي (ص) لما قدم مكة لعمرة القضاء قال المشركون ان محمداً وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال . لذلك أمر (ص) أصحابه أن يرملوا في ثلاث طوفات ويمشوا في أربع من الاشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لان النبي (ص) فعله لسبب عارض، ثم بدا له فمضى عليه لانه علم أن المحافظة على مافعله النبي (ص) ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جده ابراهيم (ص) ان لم تكن أولى، روى أبو داود وابن ماجه عنه أنه قال: « فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب وقد أطأ الله الاسلام (أي وطأه وأحكمه) ونفى الكفر وأهله؟ مع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وأصله في البخاري بلفظ « فما لنا والرمل انما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله — ثم قال — هو شيء صنعه رسول الله (ص) فلا نحب أن نتركه » وقوله « راءينا » مشاركة من الرؤية أي أريناهم قوتنا واننا لا نعجز عن مقاومتهم . وقيل هو من الرياء بمعنى اراءة ما هو غير الواقع أي أريناهم من الضعف قوة . والرياء مذموم لانه خداع والخداع جائز في الحرب وهذا من قبيل الحرب . وقوله في الرواية الاولى « والكشف عن المناكب » معناه الاضطباع وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلقى على كتف اليسرى فتظهر المناكب ، وحكمته عين حكمة الرمل ، وقيل انما هو لاجل التمكن منه .

وقد ورد في الصحيح أن المشركين قالوا عند مارأوا النبي (ص) وأصحابه يرملون مضطبعين : هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا . وفي رواية أجلد منا .

فعلم من هذا ان الرمل أو الهرولة كما قال السائل انما شرعت في الطواف لسبب واننا نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله (ص) وأصحابه (رض) اتباعاً وتذكراً لنشأة الاسلام الاولى في عهدهم ، وهل توجد أمة من الامم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين ؟ لا لا فالحمد لله رب العالمين

﴿ حكمة ذبائح النسك . ودفن لحومها في منى ﴾

حكمة ذبائح الهدي والاضاحي معروفة لا يجهلها عامة المسلمين ، وهي طاعة الله تعالى وتقواه واظهار نعمته بتوسعة المسلمين على أنفسهم وعلى الفقراء والمساكين في ايام العيد التي هي ايام ضيافة الله للمؤمنين ، وهي من مناسك الحج لانها إحياء لسنة ابراهيم وتذكر لنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده اسماعيل من الذبح الذي ابتلاه الله واختبره به لتظهر قوة ايمانه بالله تعالى وايثاره لرضاه . ونعمة الله بذلك على الناس كافة انما هي من حيث ان اسماعيل هو جد محمد (صلى الله عليهما وسلم) الذي ارسله الله تعالى خاتما لرسله وهاديا للناس كافة .

قال تعالى في البدن التي تنحر للنسك في (فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) وقال في ذبائح النسك عامة (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الآية . واما دفن لحومها في هذه الأزمنة ـ التي كثرت فيها الحجاج وقلت معرفتهم ومعرفة حكامهم باحكام الدين وحكمه ـ فليس من الدين في شيء، وانما هو من الجهل بأمر الدين والدنيا . ولو كان للحجاز حكومة عاقلة رشيدة لعرفت كيف تحفظ ما زاد عن حاجة الناس من تلك اللحوم بجعل بعضها قديدا ، وبعضها مقايا من النوع الذي يقال له (قاورمه) ولا فاضت منها على فقراء الحرم طول سنتهم، وها نحن أولاء نرى الامم العاملة التي تعرف كيف تستفيد من جميع نعم الله تعالى تنقل اللحم الغريض والسمك الطري من قطر الى قطر ، حتى ان الغنم تذبح في استرالية ويباع لحمها في مصر من شمالي أفريقية وفي شمال أوربة أيضا ، ونحن قد جعلنا حسنات ديننا سيئات بسوء تصرفنا فصرنا حجة عليه في نظر الأمم كلها وهو حجة علينا عند الله تعالى . واذا جاز ان تترك هذه الذبائح وينفق ثمنها فيما ذكر السائل فمن يضمن

ان يقوم الناس بذلك ؟ كلا إن هذا شعار لايقوم غيره مقامه ، ولو كان للمسلمين من الاهتمام بعمران الحرمين وخدمة الحجاج ما أشار السائل اليه لما توقف قيامهم به على تركهم لهذا النوع من النسك

فان كان في الانعام التي تذبح هنالك ما يضر لحمه الآكلين، وعرف ذلك بشهادة الاطباء والعارفين ، فالواجب على الحكومة ان تمنع دخول هذا النوع الضار حتى لا يسوق الناس الى الحرم من الغنم وغيرها من النعم الا كل صحيح لا يخشى منه ضرر .

﴿ العلمان وحكمة حدود عرفة ﴾

اذا كان من أركان الحج الوقوف بعرفة وجب ان يكون لعرفة حدود معينة والا بطل معنى فرضية الوقوف فيها ، وهكذا كل عبادة اعتبر في فرضيتها مكان أو زمان كالطواف والسعي بين الصفا والمروة وصيام رمضان وكون الصيام من طلوع الفجر الى غروب الشمس، لا تحصل العبادة لمن خرج عن الحد المكاني او الزماني . واما مسألة القبول فهي شيء آخر: ما كل من أتى بأعمال العبادة الظاهرة نجزم بأن عمله مقبول عند الله تعالى، اذ يجوز ان يكون مرائيا بعمله غير مخلص فيه، وانما يتقبل الله من المتقين المخلصين، ولكن المخلص اذا لم يأت بالعمل الذي فرضه الله تعالى كما فرضه تعالى بحدوده من زمان ومكان ، فلا مجال للقول بان عمله مقبول لأن العمل لم يوجد ، فمن سعى الى الحج ولم يدرك الوقوف بعرفة وراء العلمين الذين هما أول حد عرفة لم يدرك الحج حتى يبحث في قبول حجه وعدم قبوله ، ومثله مثل من سعى الى صلاة الجمعة ولم يدرك ركعة منها مع الامام لا يقال ان جمعته مقبولة أو غير مقبولة لأنه لا جمعة له وان سعى اليها من أول النهار مخلصا لله في ذلك ، ولكن الله لا يضيع أجر من سعى الى الحج أو الجمعة أو غيرهما من العبادات مع الاخلاص فيثيبه على ذلك وان لم يسقط عنه الفرض، وكان لا بد في الجمعة من صلاة الظهر وفي الحج من ادائه تاما في ميقاته. وقد علم مما ذكرنا ان العلمين حد لعرفة لا حد بين الله والناس، ولا بين الجنة والنار

﴿ ترك بعض العلماء لفريضة الحج ﴾

الحج فرض على من استطاع اليه سبيلا وهو على التراخي لا الفور اذا وجد العذر ، والخلاف في المسألة مشهور . ولم يحج رسول الله (ص) الا في آخر سنة من عمره ولكنه اعتمر قبل ذلك . ومن ترك الحج وهو يستطيع السبيل اليه حتى مات، مات عاصيا لله تعالى . ولا يقتدى به ولا يعد تركه اياه عذرا لغيره . والسائل يقول

انه يرى كثيرا من علماء الامة ومرشديها المصلحين لم يحجوا ، وانا لا اعرف أحدا من العلماء المصلحين ولا غيرهم من الجامدين الراضين بحال المسلمين السيئة ترك الحج بغير عذر حتى مات . وقد ذكر السائل منهم الاستاذ الامام والسيد الكواكبي رحمهما الله تعالى وذكرني معهما . فاما الكواكبي فهو من علماء الاجتماع والسياسة لا من علماء الدين وان كان له مشاركة ما في الفقه ونحوه لا تنكر ولا أدري احج أم لا ، وانا ما عرفته الا في مصر ولم يكن ذا سعة فيها ، نعم انه ساح بعد هجرته الى مصر في جزيرة العرب ثم عاد اليها ، ولكن بمساعدة من بعض الناس ، ومن لا يستطيع الحج الا بمال غيره لا يجب عليه الحج ، ولا ان يقبل تبرع غيره له بنفقته ان هو تبرع

واما الاستاذ الامام فانا أعلم انه كان عازما على الحج وقد سمعت ذلك من لسانه وانه يريد أن يقيم في المدينة المنورة وما جاورها طائفة من الزمن ويبحث عن مواضع غزوات النبي (ص) بحثا يستعين به على ما كان ينويه من الكتابة في تاريخ الاسلام ، وتحرير سيرته عليه الصلاة والسلام ، وقد بينت عذره وعذري وسبب تأخيرنا للحج من قبل ، فمن ذلك قولي في تفسير قوله تعالى { ومن دخله كان آمنا } من جزء التفسير الرابع ما نصه : ان كثيرا من امراء المسلمين ونابغيهم يعلمون ان دون أدائهم لفريضة الحج عقبات سياسية لا يسهل اقتحامها ، وقد جاء في صحف الاخبار أن أمير مصر استأذن السلطان في حج والدته وبعض أمراء اسرته فلم يأذن. وقد كان الاستاذ الامام يعتقد اعتقادا جازما فيه انه اذا حج يلقي بيديه الى التهلكة، وانه لا امان له في الحرم الذي كان يرى الجاهلي فيه قاتل ابيه فلا يعرض له بسوء . وان كاتب هذه السطور يعتقد مثل هذا الاعتقاد فنسأل الله تعالى ان يحقق لنا ثانية مضمون قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) لنمتثل ما فرضه علينا من حج هذا البيت» الخ

وأقول الآن قد ظهرت صحة اعتقاد الاستاذ واعتقادنا هذا في مرض موته حين قبضت الحكومة الحميدية العثمانية في بيروت على الحاج محيي الدين حماده عند عودته من مصر لانه كان ضيفا له وكانت بنت أخيه زوجا له، وأخذت أوراقه وحبسته على وجاهته وحسن سيرته وبعده عن السياسة ومذاهبها ، ثم علمنا ان الحكومة كانت ترسل العسكر بعد ذلك ليلا لمراقبة سواحل بيروت وما يجاورها لانه بلغها ان الاستاذ يريد النزول فيها ! وكانت هذه الحكومة قبل ذلك وبعده تصادر كل كتاب يدخل المملكة العثمانية اذا وجد عليه أو فيه اسم محمد عبده أو اسم المنار ، أو مطبعة المنار ، دع اسم صاحب المنار . وتمنع أيضاً ذكر هذه الاسماء في الجرائد ، ويعلم قراء المنار في زمن عبد الحميد انه

كان ممنوعا من ممالكه وان والدي مات والعسكر يحيط بداره وكان أخي في السجن لان المنار وجد عنده ، وكانت الحكومة تعاقب كل من تعلم انه يقرأ المنار او يكاتب صاحبه. والسبب في ذلك كله وسوسة جواسيس السوء للسلطان عبدالحميد باننا نريد اقامة خلافة قرشية عربية في الحجاز أو غير الحجاز وكان من هؤلاء الجواسيس مصطفى باشا كامل

خلع السلطان عبد الحميد بعد وفاة الاستاذ الامام فظهر ورثته من الاتحاديين بعداء للعرب أشد خطرا علينا مما كان من عداء عبد الحميد لنا ، جئنا الآستانة وحاولنا أن نقنعهم بحسن نية العرب ووجوب انصافهم فلم نستطع . ثم جعلوا صاحب هذه المجلة من أعدى أعدائهم وذنبه عندهم انه يدعو الى النهضة العربية، فكان قصد الحج في هذه المدة مما يقوي سوء ظنهم، ولا يؤمن معه غدرهم، وقد صادروا المنار في بريدهم، ومنعوا دخوله لبلادهم، كما فعل عبد الحميد لمثل ذلك السبب، وقد صار خلفاء مصطفى كامل من زعماء الحزب الوطني وكتاب جرائده جواسيس لهم كما كان زعيمهم جاسوسا لعبد الحميد، ويتهموننا بما كان يتهمنا به وفي مقدمتهم محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز شاويش، ولكننا دخلنا مع الاتحاديين الآن في طور جديد يرجى ان تمحى فيه سعاية الجواسيس ، فقد اعترفوا باننا نطلب حقا واجابونا الى بعضه رسميا ووعدوا بالباقي وعدا مؤكدا . فعسى أن يتم الاتفاق ، ويمحو آية الشقاق، ويكون قد ظهر لهم حسن نيتنا واخلاصنا نحن وسائر طلاب الاصلاح من قومنا لهذه الدولة، وحرصنا على تعزيزها واصلاح شأنها ، وهذا ما يظهرونه لنا الآن ، وقد بلغونا ان منع المنار قد ارتفع . ويترتب على حسن نيتهم في العرب رضاهم بعمران الحجاز ، وعدم خوفهم من زيارة طلاب الاصلاح له في النسك وغير النسك ، وحينئذ نرجو ان يوفقنا الله في العام القابل لاداء الفريضة بفضله وكرمه

﴿ ترك ملوك المسلمين وأمرائهم وأغنيائهم للحج ﴾

سبق لنا في مجلدات المنار السابقة الانتقاد على سلاطين آل عثمان وملوك ايران وغيرهم من أمراء المسلمين ترك فريضة الحج ، ولكن لم يخطر في بالنا ان أحدا من المسلمين يقتدي بهؤلاء الملوك والسلاطين في ترك هذه الفريضة ، وكذلك الاغنياء المترفون لايصح أن يكونوا قدوة في ذلك ولا أن يكونوا شبهة من الشبهات على الحج . ومن سوء الظن القبيح أن يقول مسلم ان حج عزيز مصر الامير عباس الثاني كان لغرض سياسي، وأي غرض سياسي يتوقف على ادائه لمناسك الحج ؟ على ان كثيراً من الاغنياء يحجون فان كان غير الاغنياء أكثر حجا فذلك لانهم في أنفسهم أكثر عدداً ، وأقل فسقا وترفاً .هذا ما نراه كافيا في جواب هذه الاسئلة نعسى ان يراه السائل كذلك، والله الموفق

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

(٨) جاء في انجيل متى ١٥: ٢٢ ـ ٢٨ أن امرأة كنعانية صرخت اليه ليشفي ابنتها المجنونة وكانت تقول له «ارحمني ياسيديا ابن داود » فلم يجبها بكلمة فصارت تصيح وراءه حتى طلب تلاميذه منه صرفها فقال لهم (لم ارسل الا الى خراف اسرائيل الضالة) فجاءت وسجدت له قائلة « ياسيد أعني» فقال لها « ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » فقالت « نعم ياسيد . والكلاب ايضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها » حينئذ شفي لها ابنتها بعد هذا العناء العظيم والالحاح الكبير . فانظر الى مقدار عطفه ورحمته بالضعفاء !! وهو الرجل الذي يقولون انه جاء لخلاص الناس أجمعين . ألا يدل ذلك على ان كل ماجاء في تعاليمه مما يفيد معنى الرحمة والمسامحة والاحسان الى الناس ما كان يريد به إلا امته اليهودية فقط لا غيرهم من الامم كما هو صريح عباراته في هذه القصة التي تدل على القساوة المتناهية حتى حركت اعمال المرأة عطف تلاميذه انفسهم قبله ولذلك طلبوا منه إجابة طلبها فأبى اولا . فهذه هي اخلاق هذا الرجل الذي يمدح نفسه بقوله (مت ١١: ٢٩) (لاني وديع ومتواضع القلب) فهل يتفق هذا مع فعله مع المرأة الكنعانية ؟ نعم هو وديع ومتواضع القلب ولكن مع من ؟ مع الاقوياء من امة اليهود (١) ومع الرومانيين حكامه وحكام أمته !! اما الضعفاء الاجانب فهم

(١) نعم انه لما يئس من اليهود أخذ يسبهم ويلعنهم بأفحش الالفاظ كقوله (مت ٢٣ : ١٣ ـ ٣٦) « أيها المراؤون والقادة العميان والجهال والحيات أولاد الافاعى» الخ وقوله لهم مت ٢١ : ٣١ «ان العشارين والزواني {وهم الذين كان يحبهم بنص الانجيل (أنظر مثلا يو ١١: ٥) } يسبقونكم الى ملكوت الله » فهذا مثل آخر من أمثلة محبته لاعدائه . ولكن أتدري ماذا حصل له بعد هذا السب مباشرة ؟ هم أخذوه وصلبوه =

عنده « كلاب » . فهذا هو مبلغ تعاليمه الداعية الى السلم والرحمة على غلوها احيانا . فهو نفسه كان يخص بها اليهود رغما عن دعواهم الآن انها للبشر اجمعين !!

وهذه القصة تدل على أنه ليس باله لانه مقيد بارادة من أرسله كما يفهم من قوله (لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة) ولذلك تركها يوحنا كعادته وأتى بقصة المرأة السامرية وهي تغايرها بالمرة (يو ٤ : ٧ – ٣٠) وغرضه منها ان يظهر ان بعثته كانت عامة فقال انه كان يتكلم مع هذه المرأة السامرية ويطلب الشرب منها مع أن اليهود لا يجوز لهم معاملة السامريين حتى صار تلاميذه يتعجبون من ذلك وهذه القصة – كغيرها مما تقدم – تدل على تأخر زمن هذا الانجيل عن الاناجيل التي قبله ولذلك أتى بها ليظهر ان بعثته ليست قاصرة على اليهود كما يفهم من قصة المرأة الكنعانية ومن (مت ١٠ : ٥ و ٦) بل كانت للبشر كافة . اما قول متى ٢٨ : ١٩ (اذهبوا وتلمذوا جميع الامم) – فهو ان لم يكن اضافة متأخرة كقول مرقس بدعوة الخليقة كلها (١٦ : ١٥) الذي ثبت عندهم اضافته أيضا كما سبق (في صفحة ٥٠) – فالمراد به امم اليهود كافة فانهم – كما قال سفر الاعمال – كانوا في أورشليم وحدها من كل امة تحت السماء (أع ٢ : ٥ – ١٣) فما بالك بمن كانوا في أرض اليهودية كلها ؟ ويؤيد هذا المعنى قول المسيح لتلاميذه مت ١٠ : ٢٣ « فاني الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتي ابن الانسان » فهذه المدن كانت عندهم العالم كله كما أريناك سابقا (ص ١٤ من هذه الرسالة) وعلى ذلك يحمل قوله في مرقس ١٣ : ١٠ « ينبغي ان يكرز اولا بالانجيل في جميع الامم » وقوله في متى ٢٤ : ١٤ « في كل المسكونة لجميع الامم . ثم يأتي المنتهى » ولا تنس قول لوقا ٢ : ١ « صدر امر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة » اي ارض اليهودية خاصة كما قال صاحب « كتاب الهداية » المسيحي في مجلد ٢ ص ٢٥٥ ، وغيره

ومن أمثلة وداعته وتواضعه ورحمته غير ما تقدم ما جاء في انجيل متى (١٨ : ٢١

= وأهانوه شر اهانة ثم قتلوه . فهذه نتيجة شجاعته أمام هؤلاء الاقوياء بعد يأسه منهم وفشله في أمره ! ! كل هذا نقوله ونحن بريئون منه الى الله وانما نقوله الزاما للخصم واظهارا لما تجر اليه قصص هذه الاناجيل

و ٢٢) أن أحد تلاميذه مات أبوه فاستأذنه في الانصراف ليدفنه فلم يقبل وقال له « اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم » والظاهر من هذا القول ان أبا هذا التلميذ لم يكن مؤمنا به فلذا حقد عليه حتى بعد موته ومنع ابنه من الذهاب ليدفنه ولا ندري ماذا كان يفعل به لو قدر عليه وهو حي ؟ فهل هذا خلق الرجل الذي أمر غيره بمحبة الاعداء !! وقد داس بعمله هذا مع تلميذه على أمر التوراة باكرام الوالدين وأيضا بعمله مع أمه مريم ومخاطبته لها بقوله « يو ٢ : ٤ ما لي ولك يا امرأة » . ولكن كان في أول الامر وخوفا من اليهود يقول لهم « مت ٥ : ١٧ لا تظنوا اني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء » فما أصدق كلامه هذا وغيره !! وهذه القصة تظهر أيضا أنه ما كان يريد بتعاليمه الداعية الى السلم والرحمة والاحسان اليهود عامة كما قلنا من قبل تساهلا (ص ١٩١) بل كان يريد بها من آمن به فقط من اليهود واتبعه ولذلك قال متى (١٢ : ٤٦ – ٤٩) إن أمه واخوته جاءوا مرة اليه ووقفوا خارجا طالبين أن يكلموه فأخبره واحد من تلاميذه بذلك فقال « من هي امي ومن هم أخوتي ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي لان من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي » يعني من آمن به فقط (١) ولذلك أمر أتباعه ببغض غيرهم

(١) الظاهر من هذه العبارة ومن غيرها في الاناجيل أن مريم أمه وأخوته لم يكونوا به مؤمنين (انظر يو ٧ : ٥ ومر ٣ : ٢١) ، ولا عن أعماله راضين ، فلذا حقد عليهم وكرههم حتى أمه ، وقد بلغ من قسوة قلبها عليه وجحوده أنها ذهبت ووقفت عند الصليب لتنظر ابنها وفلذة كبدها وهو مصلوب !! (يو ١٩ : ٢٥ – ٢٧) فلما رآها يسوع خاطبها مرة أخرى بقوله « يا امرأة » . فهذه هي أخلاق المرأة التي عبدها النصارى منذ القدم ، وهذه هي قيمتها عند ابنها . ولكن صورتها بحسب الاناجيل تغاير صورتها بحسب القرآن الشريف الذي أثنى عليها مراراً وعظمها وقال ان الله اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين وجعلها للناس آية . فالظاهر أن قصتها في الاناجيل مما دسه اليهود على النصارى ولشدة جهلهم وبعدهم عن التمحيص والتحقيق إذ ذاك دخلت عليهم الغفلة وصدقوهم فيها كما دخلت عليهم في غير ذلك كثيراً وصدقوا قصصهم في فسق أنبياء بني اسرائيل ومعاصيهم الكبيرة الكثيرة وصاروا يدافعون عن هذه القصص الفظيعة ويعتبرونها مقدسة الى الآن !! فحاشا لله =

كما سبق (لو ١٤ : ٢٦) فهل هذا هو الامر بالاحسان الى الناس كافة حتى الاعداء ؟ ومتى عمل هو نفسه بذلك أو أتباعه الذين استغاثت الارض من سفكهم دماء بعضهم بعضا لأقل الاسباب ودماء غيرهم من الأمم بغير حق الى الآن. ومن منهم أدار خده الآخر للضاربين (مت ٥ : ٣٩) وأحب اعداءه ؟ أليست هذه التعاليم كلها حبرًا على ورق، وهي مع ذلك غلو مذموم مخالف للعقل والعدل وللطبيعة البشرية، وإيجابها في جميع الاحوال مؤد الى الفساد بطغيان الاشرار وبتثبيط همة الاصدقاء وتنفيرهم لمساواتهم بالاعداء فيهملون ولا يبالون. ومن منهم ترك ما اعتادوه من الانغماس في الملاذ والشهوات والترف وباع كل ماله كما في لوقا (٢٢:١٨) ووزعه على الفقراء ؟ واذا أطاع الناس هذا الامر أتصلح أحوال هذا المجتمع ويتقدم الى الامام أم يبطل فيه كل عمل واختراع واكتشاف واجتهاد مادامت الاموال كلها توزع من الاغنياء على الفقراء بلا عمل ولا حساب ؟ قال ملحدوهم الظاهر ان يسوع ما أمر بذلك إلا حيلة ليتمكن هو وتلاميذه من أخذ أموال الاغنياء ليعيشوا بها بلا عمل سوى التجول من مدينة الى أخرى صارفين في حاجاتهم كلها من أموال غيرهم حتى من النساء (لو ٨ : ١ - ٣) كما هو شأن أهل البطالة والكسل المتشردين، واذا كان كل شيء ينال بالصلاة (كما قال في مت ١٨ : ١٩ و ٢٠) فما حاجته بعد الى أموال الناس التي كان يأخذها منهم ويحملها في صندوق مع يهوذا الاسخريوطي (يو ١٢:٦) ؟ فلماذا لم يترك المال لاهله ويسأل أباه السماوي فيعطيه كل ما احتاج اليه هو وتلاميذه الفقراء الذين لا عمل لهم بعد اتباعه (مت ٤ : ١٩ - ٢٢) سوى الانفاق من المال الذي كان يلقى لهم في الصندوق من الناس

فهذا شيء قليل من كثير مما أصبح بعض الافرنج يقولونه في المسيح. ومن أراد أكثر منه فليقرأ مثل كتاب «الحقيقة عن يسوع الناصرة» المذكور آنفا (The Truth about Jesus of Nazareth) واني أستغفر الله من كل هذا

= أن يصطفى من خلقه الفسقة الزناة السكيرين الكذبة الخونة (تك ٢٦:٧ و ١٩:٢٧) الكفرة (١ مل ١١:٥ و ٦) الاشرار كما صورهم اليهود لا سامحهم الله

ومما جاء في هذا الكتاب الانكليزي وغيره من تأليف ملحدي النصارى أنفسهم

وقال هؤلاء الملحدون أيضا «اذا صح أن يسوع صدق في نبوة واحدة من نبواته فهي قوله (مت ١٠ : ٣٤) (لا تظنوا اني جئت لألقي سلاما على الارض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا) فان الارض لم تخضب بدم اكثر مما خضبها به أتباعه منذ أن صارت لهم قوة ودولة ولم يصدر عن أمة في العالم ماصدر من أمته - حتى من رؤساء الدين منهم - (١) من ظلم الابرياء والاذى والاضطهاد وسائر انواع المفاسد والمظالم حتى الآن كما هو مشاهد» أنظر مثلاً ص ١٣٠ و ١٣١ من كتاب «الحقيقة عن يسوع الناصرة» ويقولون اذا كانت هذه ثمرة دينه في الارض فبئست الثمرة، واذا كان ذلك كله مما فعله في ثلاث سنين وهو فقير حقير ضعيف مضطهد (أش ٥٣:٣) فكيف به لو كان أوتي عزا ومالا وجاها وملكا كبيرًا وعمرًا طويلا. لذلك كفر به هؤلاء الناس وكفروا بدينه وبكل ماجاء به وألفوا المؤلفات الضخمة في مطاعنهم وردودهم وصاروا اليوم يدعون الناس في أوربة جهرًا الى آرائهم وأفكارهم. فليتأمل في ذلك دعاة النصرانية الذين يطعنون وهم في بلاد المسلمين (خوفا من أن يسمعهم ملحدوهم فيضحكون منهم) يطعنون في محمد بمطاعن ضعيفة واهية لا تعد شيئا بالنسبة لما فعله المسيح وما يفعله الان أتباعه كثيرًا كالانتحار وشرب الخمور والربا والمقامرة وحب المال لدرجة العناء فيه والفسق والخلاعة والتبرج والزنا والقتل والظلم والانغماس في اللذات والشهوات وغير ذلك مما أتت به الى بلادنا مدنيتهم الافرنجية التي يسمونها مسيحية ولا يخجلون ويظنون أن المسلمين يخجلون من حكم الطلاق وتعدد الزوجات في الاسلام وجهاد الاعداء (٢) في سبيل الله بسبب

(١) ولذلك تراهم الآن، وقبل الآن، في كل زمان ومكان، يباركون الجيوش، ويدعون «يسوع» لأجلها، ويصلون فرحا بانتصاراتها ونجاحها في سفك الدماء، وتيتيم الاطفال، وهتك الاعراض، وتخريب الديار، وهدم معالم التوحيد، وعبادة الرحمن، واستبدالها بالسجود للصور والصلبان، وعبادة (ابن الانسان) وهو في الحقيقة من كل ذلك بريء وعليه حاقد ناقم، وما هم فيه الا متبعون أهواءهم وشياطينهم، فلا حول ولا قوة الا بالله (٢) ان شئت أن تقرأ بحثاً مستفيضاً في هذه المسائل كلها فاقرأ رسالتنا «الاسلام» في الرد على اللورد كرومر

ظلمهم لنا، فهذه الاشياء ـ على فرض قبحها ـ ليست كالاشياء التي رووها هم أنفسهم عن المسيح وأشرنا الى بعضها هنا، والحكم عليها بالقبح مع ذلك ليس مما أجمع عليه العقل البشري كمسائلهم تلك بل هي أمور اعتبارية، ألا ترى ان مسألة تعدد الزوجات في الاسلام هي من المسائل التي يختلف الحكم عليها باختلاف عادات البلاد واختلاف أذواق أهلها فهي اقل من مسألة التزوج عند بعض الامم بالاقارب الاقربين مثلا. فنحن وان كنا نستفظع ذلك التزوج بالاقربين ونستقبحه ونمقته الا انه ليس من المسائل المجمع على قبحها بين سائر البشر، وكذلك عادة رقص النساء مع غير ازواجهن وابداء زينتهن لغير محارمهن هي عندنا قبيحة شنيعة وعند الافرنج حسنة وتعمل رسميا في قصور ملوكهم، فالخلاف بيننا وبينهم نقول فيه كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عنـــدك راض والرأي مختلف

فان قيل: اذا كانت هذه المسائل التي حكيتها عن المسيح صحيحة فما جواب المسلمين عنها وهي تنافي معتقدهم في المسيح الذي عظمه القرآن تعظيما، وان كانت كاذبة فهل يعقل أن الانجيليين وهم أحباب المسيح يخترعونها وينسبونها اليه كذبا؟ قلت: اننا لا نقول ان كل هذه المسائل اخترعها الانجيليون أنفسهم بل نقول إنها روايات كاذبة افتجرها بعض أعداء المسيح الاولين من اليهود وغيرهم وروجوها بين أتباعه حتى اشتهرت وظنوها روايات صحيحة فدخلت الغفلة على رواة النصرانية (حتى على كتاب الاناجيل) لشدة جهلهم وغباوتهم كما دخلت على كثير من محدثي المسلمين وكتاب السير منهم بعض أشياء من المنافقين والوضاعين توجب الطعن في محمد (ص) والاسلام مع الفرق العظيم بين رواة المسلمين ورواة غيرهم في نقد الحديث كما اعترف بذلك بعض علماء الافرنج أنفسهم (راجع مثلا كتاب «المسحاء الوثنيين» ص ٢٣٨ و ٢٣٩ لمؤلفه المستر روبرتسن J. M. Robertson). ومع ذلك فقد ترك بعض الانجيليين بعض هذه الاشياء ولم يشر اليها أو ذكرها ـ لذيوعها بين الناس ـ بطريقة مخففة لرفع الاشكال بقدر الامكان بحيث لا يرى منها أصل القصة جليا واضحا الا بالرجوع الى الاناجيل كلها أو بعضها وأخذ عبارة فيها من هنا وعبارة من هناك حتى يتم فهم القصة، كمسألة تردد المسيح على بيت مريم ومرثا في قرية

(بيت عنيا). فان علاقة المسيح بها وكونهما عاهرتين يحبهما المسيح ويكثر مخالطتهما والمبيت عندهما إلخ انما يستنتج ذلك كله من مجموع ما رووه فيهما لا من واحد منهم فقط

ومن أعظم الاسباب أيضا أن بعض هـذه المسائل كان يوجد مثلها عند الوثنيين الداخلين في المسيحية كما بيناه في حاشية (صفحة ١٨٥) وقد تأصلت في نفوسهم فلم يهن عليهم تركها فأدخلوها في دينهم الجديد ليجعلوا المسيح كأحد آلهتهم لكي لا يشعروا بالفرق الكبير بين الدينين — شأن البشر فيما ألفوه من آرائهم ومعتقداتهم ـ وقد قبل منهم أكثر النصارى ما أدخلوه جهلا منهم بحقيقة دينهم أو فرحا بهم واستمالة لهم لعلهم لا يرجعون

وربما كان غرض بعضهم أيضا من ذكر هـذه المسائل إظهار أن المسيح ـ وهو عندهم يغفر لمن يشاء (لو ٧ : ٤٧ ـ ٤٩) وقد أعطى هذه السلطة لتلاميذه أيضا كما سبق (مت ١٨ : ١٨ ويو ٢٠ : ٢٣) ـ فوق الناموس والشريعة وغير مقيد بها وله أن يتصرف فيها كما يشاء ويفعل ما شاء لانه هو واضعها ـ على زعمهم ـ وشارعها للناس (١) وأنه اذا اقترب من المعاصي فلا يقع فيها الا بمشيئته ولحكمة نجهلها، ولذلك ترى ان أكثر مثل هذه القصص التي أريد بها غالبا إظهار كبريائه وعدم مبالاته بالناموس وأنه فوق كل شيء واردة في انجيل يوحنا دون غيره أو مستوفاة فيه أكثر، وهو

(١) حاشية: هذا لا يدل على أنهم كانوا يعتقدون ألوهيته حقيقيـة لانهم يقولون إن ذلك مما أعطاه الله إياه كالقدرة على الخلق وغيره (أنظر يو ١٤ : ٢٤ و ٥ : ٣٠) وقال يوحنا أيضاً (٣ : ٣٥) (الاب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده) وهو صريح كما قلنا مراراً في أن الله هو الذي أعطاه كل شيء فهو عند كتاب العهد الجديد ليس إلها لذاته. فان قيل لعل هذا القول في {الابن} باعتبار الناسوت. قلت ان هذا الناسوت باعتراف النصارى عاجز جاهل كباقي البشر وليس في يده شيء وهو أيضاً حادث ولم يخلق شيئاً من العالم، وانما الذي في يده ـ بزعمهم ـ كل شيء وخلق العالم {يو ١ : ٣} هو {الله الابن} وهذا بنص الانجيل لم تكن له القدرة من ذاته بل الله هو الذي دفعها له كما قال يوحنا وغيره (أنظر أع ٢ : ٢٢ وأف ١ : ٢٢ و ١ كو ١٥ : ٢٧ و ٢٨ ومتى ١١ : ٢٧) فكيف إذاً يكون إلها حقيقيا مساويا للأب في كل شيء كما يزعمون؟!

ورفع مقامه رفعا حقيقيا عاليا . اما هذه الاناجيل فقد حطته من حيث لا تشعر وهي تسعى في تأليهه بنسبة أقوال اليه تدل — لو صحت ولن تصح — على جنون قائلها لشدة بساطة كاتبيها وبعدهم عن العلم الصحيح والعقل وشدة تأثرهم بالوثنية ، ومع ان رواية هذه الاناجيل هي عند النصارى أصح الروايات بل مكتوبة بالوحي الالهي ، فقد رأيت ما تؤدي اليه من نسبة ما لا يليق الى المسيح وهو منه براء عليه السلام . فكيف يكون الحال اذا عاملنا النصارى كما يعاملوننا في طعنهم في محمد (ص) وأخذهم بكل سخيف ضعيف من الروايات ؟ ولكن ديننا يحول بيننا وبين ذلك ، وهو أيضا لا يتيسر لنا لأنهم أضاعوا الروايات الاخرى وأغلب الاناجيل ولم يبق الا ما وافق آراءهم وأهواءهم ، ومع ذلك فنحن قد أخذنا بأصح رواياتهم في اعتقادهم وأريناك كيف تؤدي الى الطعن في المسيح عليه السلام ، وهم إنما يأخذون بأضعف الروايات عندنا وأسخفها بل بالموضوع منها وأحيانا يفتجر بعضهم الروايات لنا افتجارا ، فهل أمكنهم بعد ذلك كله نسبة شيء قبيح قبحا حقيقيا لمحمد (ص) [1] كخلوته بالزانيات

(١) هذا مع انحطاط الوسط الذي نشأ فيه محمد صلى الله عليه وسلم من أكثر الوجوه عن الوسط الذي نشأ فيه المسيح حيث كانت توجد شرائع اليهود وكتبهم الدينية وآداب اليونان والرومان وكتبهم العلمية والفلسفية وغيرها . وأما أهل مكة والعرب عموماً فكانوا وثنيين جاهلين منغمسين في الشهوات كالخمر وحب النساء وفي سفك الدماء ووأد البنات والسلب والنهب والاذى والقسوة ففاقهم محمد جميعاً بدرجات عالية منذ صغره وكان مثال الكمال بينهم في كل شيء . وأما المسيح فلا نعلم في أي شيء فاق قومه بحسب هذه الاناجيل وجميع تعاليمه الحسنى توجد في كتب اليهود وغيرهم من قبل كما بينه كثير من علماء الافرنج أنفسهم كما ذكرنا سابقا (راجع ص ١١٨ — ١٢٠ من هذه الرسالة) نعم نحن لا ننكر أنه نشر هذه التعاليم العالية بين عامة اليهود علما وعملا بعد أن كانت في كتبهم لا يقرؤها الا بعض خاصتهم ويندر وجود من يعمل بها كلها منهم ولذلك قال تعالى فيهم (مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وبسبب عيسى (ص) انتشرت بين العامة والخاصة حتى عرفت في العالم الروماني كله واشتهرت بين الناس الى اليوم ، ولكنها مشوبة بشوائب كثيرة حاول بعضهم كالفيلسوف تولستوي تجريدها منها

الانجيل الذي ذكر أيضا (٨ : ٢ — ١١) قصة عدم رجم المسيح للزانية ونقضه شريعة موسى في ذلك (لا ٢٠ : ١٠) (راجع أيضا يو ٤ : ٩ — ٣٠) وأما عبارة انجيل لوقا (٩ : ٥٦) التي تشبه في المبدأ مسألة الرجم هذه فقد وجدوا أنها متروكة من بعض النسخ القديمة وهو دليل على زيادتها فيه ليجعلوا انجيل لوقا كانجيل يوحنا (أنظر يو ٣ : ١٧ و ١٢ : ٤٧) فيجوز أن يكون اختراع هذه المسائل والقصص هو لمثل ذلك الغرض (أي إظهار أنه فوق الناموس وأنه أكبر من كل شيء) وان كان هذا الاختراع قد أدى الى عكسه فذم الناس المسيح ذما شنيعا بسبب ما نسب اليه ، ولكن كتابهم ما كانوا ينتظرون حصول هذه النتيجة المحزنة . وأيضا فقد كان الاستهتار بالشريعة الموسوية وعدم المبالاة بها وبأحكامها أكبر ما سعى اليه بولس وتبعه في ذلك كثير من الامم لسهولته كما هو معلوم ، فلذا قالوا عن المسيح ما قالوا فان مبادئهم كانت أقرب الى الاباحية والاشتراكية من أي شيء آخر كما سبق (أنظر صفحة ٥٩ و ١٠٥ و ١٨٧)

أما غرضنا نحن من ذكر هذه المسائل هنا مع اننا نبرأ منها الى الله مرارا وتنفر منها طباعنا والاسلام يحرم علينا نسبتها الى عيسى عليه السلام ويوجب علينا التأدب في حقه وحق سائر الانبياء — فهو أن نظهر أننا يمكننا ان نقابل النصارى بالمثل لولا ديننا وآدابنا وأن نُرِيَ متعصبيهم أن الطعن في محمد عليه السلام بالروايات الضعيفة والاحاديث الموضوعة أو بالمسائل المختلف بيننا وبينهم في قبحها وحسنها ليس من العقل ولا من الانصاف في شيء وعندهم في أناجيلهم القانونية (لا الموضوعة) ما يوجب الطعن في المسيح بأشد مما يوجد عندنا في محمد ، حتى نفر عقلاؤهم وعلماؤهم في أوربة من المسيح والمسيحية ، ومن كان في بيت من زجاج لا يليق به ان كان عاقلا أن يرمي بالحجارة الساكنين في بيوت من حديد

ومما تقدم ترى ان الاعتقاد بهذه الاناجيل ضار بمقام المسيح عليه السلام ضررًا بليغا ولا خلاص للناس من كل الاشكالات المتقدمة وغيرها التي أوقعت المفكرين والعقلاء في الالحاد الا بنبذ هذه الكتب والاعتقاد بالقرآن الشريف فانه هو الذي برأ المسيح — بالحق — من كل عيب ومن كل دعوة الى عقيدة باطلة

وحبه لهن وتردده عليهن مرارا هو وتلاميذه ودلكهن قدميه بالطيب ودهن رأسه به ومسح رجليه بشعورهن، وعدم انكاره على الناس شرب الخمر ومساعدتهم على ذلك بل فرضه عليهم وسكره، وتجرده من ملابسه مرة أمام تلاميذه وعشقه لاحدهم واجلاسه له في حضنه، وكذبه على اخوته، وعقوقه لوالدته ومنعه تلميذه من دفن أبيه، وحقده على كل من لم يؤمن به الخ وهو مع ذلك كله فقير مسكين ضعيف مضطهد، فما بالك اذا أوتي ما أوتيه محمد من الملك والعز والمجد والعظمة وسعة الرزق وطول العمر.

وقد حث عيسى تلاميذه ـ وهو ضعيف ـ على المقاومة للدفاع عنه وحمل السيوف واستعمالها في ذلك وأمر الناس كافة ببغض آبائهم وسائر أقاربهم الاقربين وإلقائه الشقاق والحرب والتفريق بينهم، ثم إن أعظم تعاليمه موجبة لضعة النفس والذل، وهي ليست عملية ولا يمكن إطاعتها وفيها من الغلو ما فيها وتؤدي الى خراب هذا المجتمع ـ بل القيام ببعضها مستحيل حتى عليه هو نفسه كمحبة الاعداء وهو نفسه لم يحبهم بل كان يسبهم سبا شنيعا (مت ٢٣: ١٣ ـ ٣٦) ويحتد عليهم وما منعه من الانتقام منهم الا ضعفه كما بينا ـ ومن ذلك حثه الناس على بذل «جميع» مالهم للفقراء وعلى عدم اهتمامهم بشؤون الحياة وترك العمل (١) (مت ٥: ٤٤ و٦: ٢٥ و١٩: ٢١ ـ ٢٥)

(١) مقتضى هذه التعاليم (مت ٦: ٢٥ ـ ٣٤) و(لو ١٢: ٢٢ ـ ٣١) أن لا يهتم الانسان بشيء من حاجاته الجسدية من أكل وملبس ومشرب ومسكن وأن يهملها كلها وعلى ذلك تكون قذارة الثوب ورثاثته ووساخة الجسد والمسكن وفساد هوائه والفقر من المستحبات ودلائل التوكل والايمان في المسيحية. فمن من النصارى يعمل بهذه الاوامر؟ واذا عملوا بها فكيف تكون حالتهم الصحية؟ وهل هذه التعاليم تساعد على الاكتشافات والاختراعات وترقي العلوم الطبية والهندسية والاجتماعية والاقتصادية والنظامات الدستورية وغيرها من علوم العمران والحضارة والمدنية الاجتماعية؟ وما حاجة الناس الى هذه العلوم اذاً واهمال الجسد والذل والفقر والكسل عن كل عمل دنيوي من أعظم دلائل الفضيلة والطاعة والايمان والتوكل على الله بحسب الانجيل؟ وهل اتهام متعصبي النصارى الاسلام بأنه هو السبب في قذارة المدن وفساد هوائها وضعف صحة أهلها وخرابها واستبداد ملوكها صحيح أم هو مقتضى تعاليم المسيحية التي أخذ بها متصوفو المسلمين ثم عمتهم كلهم حتى أصبحوا أشد تمسكا بها من أهلها الذين أهملوها =

وحضه لهم على عدم التزوج وعلى الخصاء (مت ١٩: ١١ و١٢) وايجابه الطاعة العمياء

= البتة حتى ضرب بينهم وبينها بسور من حديد كما هو مشاهد في كل زمان ومكان. قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقوله (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) الآية ونحو ذلك كثير سنذكر بعضه

وقول المسيح بحسب رواية لوقا (١٢: ٢٢ ـ ٣١) «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون .... تأملوا الغربان انها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها. كم أنتم بالحري أفضل من الطيور .. . . فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا .. .. بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم) ـ فضلا عما فيه من الحض الصريح على ترك السعي والعمل والجد والاجتهاد في الدنيا ـ هو أيضا غير صحيح فان سنة الله في هذا الكون أن الانسان اذا ترك السعي والعمل خسر كل شيء، ولو طلب ملكوت الله كل يوم الف مرة لما زيد له شيء من مطالب الحياة الا اذا أصبح عالة على الناس يحسنون اليه بشيء من كدهم وعملهم حتى اذا ورث شيئا وترك العمل فيه خسره تدريجيا الى أن يفقده. فاذا اتبع جميع الناس هذه التعاليم أكان العالم يصل الى ما وصل اليه من الرقي والتقدم؟ وهل ما وصل اليه الافرنج الآن هو بفضل هذه التعاليم المسيحية كما يدعي المبشرون؟ ومن منهم يعمل بها الا أهل البطالة والكسل أو الشحاذون؟ وهل هذه الاوامر تتفق مع سنن الوجود؟ فليجربها من شاء منهم وليترك الاهتمام والعمل ثم ليرنا أي شيء زيد له من مطالب الحياة؟ أما القرآن الشريف فقال (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقال (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) أي في أمورهما معا وما به صلاحهما فأين الثريا من الثرى؟

وقال القرآن الشريف أيضا (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا. ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا. كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) ونحوه في القرآن كثير وهو يفيد أن من أراد الدنيا وسعى لها سعيها أوتيها

والخضوع للرؤساء بلا قيد ولا شرط لشدة خوفه من قياصرة الرومان، ونصه على أن

= ولو كان كافرا ومن أراد الآخرة كذلك أوتيها وأما من لم يرد الدنيا ولم يعمل لها فلا يؤتى منها ما يؤتاه العاملون ولو كان صالحا تقيا طالبا ملكوت الله وهو الحق كما هو مشاهد بخلاف قول الانجيل فانه يفيد ان من طلب الآخرة ولم يطلب الدنيا أوتي الدنيا أيضاً. وقال القرآن (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) فطلب الدنيا شيء وطلب الآخرة شيء آخر ولا يعطاهما الا من طلبهما معا ولا يغني طلب الآخرة وحدها عن طلب الدنيا كما هو صريح الانجيل فان ذلك مخالف لسنن الكون المعروفة، وقد كانت هذه الافكار المسيحية من أسباب تأخر المسلمين فانها انتقلت اليهم ممن دخل في دينهم من النصارى الاولين وفشت فيهم مع ترك النصارى أنفسهم لها منذ أن ارتقوا ولو اتبعوها لتركوا كل عمل وكرهوا الحياة الدنيا وعدوها سجنا لهم يجب الخلاص منه بالتجرد عنه حتى يموت الانسان كبعض أهل الهند !! وهي مبادئ لا تتفق مع مبادئ القرآن في شيء كما لا يخفى على الباحثين . سر في المدن الاوروبية أو في الاحياء الافرنجية الشرقية، في أيام الآحاد، أو الاعياد، وانظر الى جمال الافرنج والافرنجيات وتأنقهم وجمال مساكنهم وملابسهم ومشاربهم ومآكلهم وتمتعهم بسائر أنواع اللذات والشهوات والمسرات وخصوصا التمتع بالنظر الى الكاسيات، العاريات، من الغانيات الحسان، والفتيات الفاتنات الكاعبات، الابكار والثيبات، وقل لي بأبيك في أي شيء تتفق هذه المدنية الاوروبية (أو الرومانية باعتبار أصلها) مع التعاليم المسيحية الحاثة على الفقر والتقشف وترك مطالب الحياة واهمالها كلها، والحاضة على الزهد في الدنيا والناهية عن الاعتناء بالجسد والآمرة بطلب الخبز الكفاف من الله يوما بيوم (مت ٦:١١) والمحرمة النظر بشهوة الى الاجنبيات (مت ٥:٢٨) مع أنه لا توجد نساء في الدنيا تبدي من الخلاعة والزينة وكشف أجزاء من أجسامهن واختلاطهن بالرجال والرقص معهم وتبادلهن معا كؤوس بنت الكروم أكثر من الافرنجيات المسيحيات !! فبأي حق أو عقل يسمون هذه المدنية الاوروبية بالمسيحية وبينهما كما بين السماء والارض، إني والله لا أجد في الدنيا اسما أكذب من هذا الاسم. ولا يصح اعتبار المسيحية الدين الكامل للبشر الختامي لهم بل كان فقط درجة تمهيدية في ذلك الزمن زمن بعد اليهود عن روح الدين وتعلقهم بقشوره وانتشار المدنية الرومانية وما فيها من الاسراف والترف والملاذ والاغراق في الماديات مع عدم ارتقاء العقل البشري الى الدرجة التي ارتقى اليها فيما بعد فأتت =

سلطتهم هي من الله (مت ٢٢: ١٥-٢٢ ويو ١٩: ١١) ولذلك قال بولس إتباعا له «ان من قاومهم فقد قاوم ترتيب الله وسيأخذ لنفسه دينونة» (رو ١٣: ١ و٢) (١)

= المسيحية بالغلو أيضاً لتقدر به على مقاومة كل ذلك ولتهيء النفوس لقبول الاصلاح الاسلامي الختامي الجامع بين مصالح الدين والدنيا ومطالب الروح والجسد والخالي من الافراط والتفريط لعدم حاجة الناس في زمنه الى غلو المسيحية لارتقاء العقول والنفوس عن ذي قبل فيكفيها الاعتدال في بيان الحقيقة على أكمل أوجهها، فهذا هو سبب اختلاف المسيحية عن الاسلام في أوامرها وتعاليمها فانها لا تناسب الا زمنها ولكن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ولذلك تجده أقرب الى الفطرة البشرية والعقل من كل دين آخر ولا تجد سواه يتفق مثله مع أصول المدنية الصحيحة والحضارة والعمران والعلم. والذي يدلك على ارتقاء الناس في الجملة علما وعقلا ونفسا في عهده عن ذي قبل (مع أن ذلك من مقررات العلم الحديث القائل بترقي المتأخر عن المتقدم) أنهم كانوا أبعد عن الوثنية، أميل الى التنزيه والتوحيد، وكان عندهم ميل شديد ورغبة عظمى في البحث والنقد والتمحيص حتى حفظت أصول دينا كلها بدون تحريف ولا تبديل، وقد بلغوا في علم النقد والفلسفة العقلية مبلغاً لا نكون كاذبين اذا قلنا ان الافرنج الى الآن لم يساووهم تماما في ذلك، ولذلك جاءهم الدين خالياً من التكاليف بالمحال ومن الغلو، معتدلا في جميع ما شرعه لهم، لأنهم كانوا قد ارتقوا عن درجة الطفولية التي كانوا فيها من قبل وأصبح عندهم من التمييز والعقل وقوة الارادة ما لم يكن عند الاولين، ولو جاءت المسيحية معتدلة مثله لما كان لها ما كان من التأثير في تلك العقول الضعيفة، والنفوس الصغيرة، ولبقي الناس حيث كانوا، فتبارك الله أحكم الشارعين

(١) قارن ذلك بقول القرآن الشريف (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (لاحظ قوله هنا «منكم») فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وهو صريح في أن طاعة أولي الامر لا تجب علينا الا فيما لا يخالف الدين فان اشتبه علينا الأمر جاز لنا أن نتوقف وننازعهم فيه ووجب أن نرده إذاً الى الله ورسوله (أي ان كان حيا) حتى لا نعمل الا بما وافق الدين وهو يدل على وجوب العمل بالقياس والاستنباط المبنيين على العقل والتفكر فيما أوحاه الله الينا . والرد الى الرسول في زمنه واجب لأنه عليه الصلاة والسلام كان أعقلهم وهو أدرى الناس وأعلمهم بأسرار شريعته ومع ذلك فهو مأمور بالشورى بنص قوله تعالى (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله)

= ولذلك كان عليه السلام يستشير أصحابه وكان منهم من يعارضه في أفكاره وآرائه حتى كان يرجع عن رأيه لرأيهم ولكن اذا قرر شيئاً بعد الشورى وبعد النظر في الكتاب العزيز ولو خالفهم فيه وجب الاذعان له واطاعته فانه كان يري مالا يرونه ولذلك قال تعالى (فردوه الى الله والرسول) والرد اليه خاص بزمنه وفي القرآن نحو ذلك من الآيات كثير كقوله تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) وقوله (اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيرد الامر كله الى كتاب الله أو الى ماعلم عنه صلى الله عليه وسلم باليقين ، والذين يردون الامر هم نواب الامة ورؤساؤها وأولياء أمرها لقوله تعالى (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر «منهم» لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فالمستنبطون الامر من كتاب الله هم هؤلاء الناس الخاصة من المؤمنين لا العامة منهم ويجب عليهم في بحثهم واستنباطهم مشاورة بعضا بعضا بحيث لايستبد أحد بالامر فيهم لقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) فاذا قرروا شيئا بعد ذلك وجب على عامة الامة اطاعته مالم يكن مخالفا لدين الله فان ذلك بالضرورة لايكون مستنبطا منه ، واذا اختلف هؤلاء المستنبطون معا وتساوي عددهم ولم يمكن الترجيح بينهم كان للامة الحق في أن تعمل بما تراه من آرائهم أقرب الى نصوص الدين . هذا هو ما يستفاد من مجموع آيات القرآن في هذا الباب فأي مبادئ أدعى من هذا الى العدل ومنع الاستبداد وايجاب الشورى والتفكر والحرية وعزة النفس ؟ وأي فرق بينها بين نظامات أرقى أمم العالم الحالي النيابية الدستورية؟ والى أي الدينين (الاسلام أم المسيحية) ترى أن مبادئ هذه الامم الراقية أقرب أو أشبه ؟ وأنت ترى أن المسيحية توجب عليك الخضوع للسلاطين ولو كانوا ظالمين وتنص على أن سلطتهم هي من الله وأن من قاومها فقد قاوم الله واستحق عقابه كما قال بولس إرضاء للقوة الحاكمة في زمنه وتملقا لها كعادته (رو ١٣: ١ـ٧) وقال بطرس أيضا (١ بط ٢: ٣) (فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ١٤ أو الولاة فكمرسلين منه الانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير الى قوله ١٨ أيها الخدام (أي العبيد) كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط للعنفاء أيضا) فاين ذلك من القرآن الذي قال { ولا يعصينك في معروف } وقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) والذي =

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(١٤) رأي الأثرية في الجهمية

احسن من كتب في هذا المعنى الامام ابن قتيبة في شرح مختلف الحديث ، فانه صنفه انتصاراً لحاملي الاثر من خصومهم ، وكان ابن قتيبة للأثريين كالجاحظ للجهمية خطيبا مفوّها كاتبا بليغا ، وهاك ماقاله في مقدمة كتابه المنوه به : « اما بعد اسعدك الله تعالى بطاعته ، وحاطك بكلاءته ، ووفقك للحق برحمته ، وجعلك من أهله ، فانك كتبت اليّ تعلمني ماوقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتهانهم ، واسهابهم في الكتب بذمهم ، ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض ، حتى وقع الاختلاف ، وكثرت النحل ، وتقطعت العصم ، وتعادى المسلمون ،

= الزم الناس بعتق من طلب الحرية من الأرقاء مكاتبة إن علمنا صلاحيته لذلك وأوجب عليهم إمداده بالمال حتى يقدر على مكاتبة سيده فقال تعالى (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) وأحكام الرق في الاسلام شهيرة وهي من أعظم مايفتخر به في هذا العصر وما وصلت الى مثلها أوربة الا بشق الانفس وبعد قرون عديدة بفضل ديننا وكتبه وقد بينا شيئا منها في كتابنا (الاسلام) في الرد على اللورد كرومر (ص ١٧ـ١٩ و ٤٠ـ٤٦) فليراجعه من شاء . ولكننا نعذر مؤسسي النصرانية كبولس وبطرس فيما قالا فانهما لو فاها ببنت شفة يفهم منها الانتقاد على نظامات الرومان اذ ذاك أو الخروج عليهم لما أبقوا للنصرانية باقية فكانت تلك السياسية في منتهى الحسن في زمن ضعفهم وذلهم فانهم كانوا يتقون كل ما يوجب ايذاءهم واضطهادهم وخصوصا مثل تلك المسائل السياسية ولذلك ترى الآن محققي المؤرخين من الافرنج أنفسهم يشكون في أكثر قصص اضطهاد النصارى الأولين بعد أن علمت مسالمتهم وخنوعهم اذ لايفهم هؤلاء المحققون سببا لها وقد كان الرومانيون واسعي الصدر أحرارا في المسائل الدينية وخصوصا مع رعاياهم الضعفا الاذلاء الخاضعين لهم كمال الخضوع كهؤلاء النصارى الاقدمين الدكتور محمد توفيق صدقي

*) تابع لما نشر في ج ٨ م ١٦ ص ٦٠١

وأكفر بعضهم بعضا، وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث (الى ان قال) ومع روايتهم كل سخافة تبعث على الاسلام الطاعنين، وتضحك منه الملحدين، وتزهّد في الدخول فيه المرتادين، وتزيد في شكوك المرتابين، وقد قنعوا من العلم برسمه، ومن الحديث باسمه، ورضوا بان يقولوا فلان عارف بالطرق ورواية الحديث، وزهدوا في ان يقال عالم بما كتب، او عامل بما عمل (ثم قال) هذا ما حكيت من طعنهم على اصحاب الحديث. (ثم قال) وقد تدبرت مقالة أهل الكلام، فوجدتهم يقولون على الله مالا يعلمون، ويفتنون الناس بما يأتون، ويبصرون القذى في عيون الناس، وعيونهم تطرف على الاجذاع، ويتهمون غيرهم في النقل، ولا يتهمون آراءهم بالتأويل، ومعاني الكتاب والحديث وما اودعاه من لطائف الحكمة، وغرائب اللغة، لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والأينية. ولو ردوا المشكل منهما الى أهل العلم بهما لوضح لهم المنهج، واتسع لهم المخرج، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة، وحب الاتباع، واعتقاد الاخوان بالمقالات، والناس اسراب طير يتبع بعضها بعضا، ولو وجد لهم من يدعي النبوة او الربوبية لوجد على ذلك أتباعا وأشياعا، وقد كان يجب مع مايدعونه من معرفة القياس، وإعداد آلات النظر، ان لايختلفوا كما لايختلف الحساب والمساح والمهندسون، فما بالهم أكثر الناس اختلافا ليس منهم واحد الا وله مذهب في الدين يدان برأيه، وله عليه تبع [1]

(١) يشير الى فرق المعتزلة العديدة، كما تراها في كتب الملل والنحل، وهم المعنيون بعداء أهل الأثر

(ثم قال ابن قتيبة) «وقد كنت في عنفوان الشباب، وتطلب الآداب، احب ان اتعلق من كل علم بسبب، وان أضرب فيه بسهم، فربما حضرت بعض مجالسهم، وانا مغترٌّ بهم، طامع ان اصدر عنهم بفائدة، أو كلمة تدل على خير، او تهدي لرشد، فاري من جراءتهم على الله تبارك وتعالى، وقلة توقيهم، وحملهم انفسهم على العظائم لطرد القياس، مارجع معه خاسرا نادما»

ولقد غلا كثير من الاثرية في الحمل على الجهمية، فصرح بالتكفير واستحلال الدم، نعوذ بالله من الغلو، حتى قام الائمة المحققون وحظروا النبز بالكفر، كما ستراه في بحث على حياله، آخر مقالنا هذا ان شاء الله

ومن استقرأ كلام السلف في ذم الجهمية، تبين له ان سببه شيئان (الاول) شدة تمسك السلف بالظواهر، واعظام تأويلها بوجه ما، ولو سوغته اللغة بما فيها من المجاز، كأنهم أشفقوا ان يفضي باب التأويل الى التعطيل، بل رأوه هو هو، حتى ان لازم المذهب عندهم مذهب [1] قال ابن تيمية: ولما كان أصل قول جهم هو قول المبدلين من الصابئة، وهؤلاء شر من اليهود والنصارى كان الائمة يقولون ان قولهم شر من قول اليهود والنصارى.

(السبب الثاني) قال ابن تيمية: ان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم كانوا إبان ظهورهم يتسترون بالتجهم والتشيع اه فالتبسوا على السلف، لذلك حملوا عليهم كما روى البخاري في كتاب خلق الافعال عن أبي عبيد قال: مابالي أصليت خلف الجهمي والرافضي، أو صليت

(١) لاتنس مامر من البحث والتفصيل في هذه المسألة في الكلام على التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم فتذكر

خلف اليهودي والنصراني ، ولا يسلم عليهم ولا يمارون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم اه ولا يشك ان مرادهم اولئك الزنادقة الملاحدة الذين تستروا بالتجهم والتشيع . اما صالحوا الجهمية والشيعة فبمعزل عن هذا الجرح كما لا يخفى

**

(١٥) رأي الجهمية في الأثرية

لما كان القصد مما جمعناه الوقوف على الحقائق التاريخية فيه ، كان من تمامه العلم بآراء هذه الفرق بعضها في بعض، ليزداد بصيرة في مذهبها من يروم مناقشتها الحساب ، قال الامام ابن بطة : ومن كلامهم — يعني الجهمية — : من انتحل مذهب الاثر واعتقد ما في الاحاديث على ظاهرها ، فهو حشوي زائغ ، وعند التحقيق كافر اه (١)

وقال الاديب عبد المؤمن الاصفهاني في « أطباق الذهب (٢) » ما مثاله : مثل المقلد بين يدي المحقق، مثل الضرير بين يدي البصير المحدق، ومثل الحكيم والحشوي ، كالميتة والمشوي ، ما المقلد الا جمل مخشوش ، له عمل مغشوش ، قصاراه لوح منقوش ، يقنع بظواهر الكلمات ، ولا يعرف النور من الظلمات ، يركض خيول الخيال ، في ظلال الضلال ، شغله نقل النقل ، عن نخبة العقل ، واقنعه رواية الرواية، عن در الدراية ، يروي في الدين عن شيخهم ، كمن يقوده أعمى في ليل مدلهم ، ومن طاب

(١) أي لان الظاهر — على ما يفهمونه — يؤدي الى التمثيل والتشبيه بالمخلوقات، وقد تقدم في فلسفة جهم شيء من التحقيق في معنى الظاهر، بما يرجع الخلاف لفظيا

(٢) في المقالة السادسة والثلاثين

العلم بالعنعنت ، تورط في هوة العنت ، والحق وراء السماع ، والعلم بمعزل عن الرقاع ، فما أسعد من هدي الى العلم ونزل رباعه ، وأري الحق حقا ورزق اتباعه ، وما أشقى جهالا قلدوا الآباء فهم على آثارهم مقتدون ، (أوَ لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) اه

ومن مثل هذا يعلم مبلغ نفرة الجهمية من الاثر والاثريين، ونبذهم اياهم بما تجل أقدارهم عنه ، ولئن وجد في الرواة من جعل همه التوسع في الرواية دون الدراية ، — وهم الذين عناهم الامام مسلم في مقدمة صحيحه — الا ان أئمة الرواية لم يقنعوا الا بالبحث والتأصيل والتفريع والتخريج، وقد طبق علمهم الآفاق ، وسارت بمذاهبهم وأصولهم الركبان ، وسنذكر تفريط الجهمية في المنقول ، وهو ما حداهم الى النيل من أهله ، وبالله التوفيق

**

(١٦) تفريط الجهمية في السمع والنقل ، وسواهم في العناية بالعقل

من المعلوم ان الجهمية قصروا في علم السمع والنقل، وهو علم الرواية، فجانبوا كثيرا من المرويات المشهورة المعروفة عند أهلها، وتمحلوا في ردها أو تأويلها بما لا يرتضيه منصف، ففاتهم ركن عظيم من أركان أصول الشرع وهو السنة ، وما يتبعها من علومها المتنوعة ، وفنونها المحررة، وهل يزرى بعلم زخر بحره ، وتلاطم بالشرائع موجه ؟

قال المقبلي في العلم الشامخ — في تخطئة المعتزلة في رد الحديث الصحيح بمجرد الرأي ما مثاله : فان صح الحديث لزمنا تصديقه ،فان فهمنا معناه والا رددنا علمه الى الله سبحانه ، ولكن هذه طريقة اعتمدها متكلمة المعتزلة ، وهي مردودة عقلا وسمعاً ، فلذا ردوا أحاديث الصفات ، وفي

القرآن مافي الحديث من ذلك وما ينبغي التفرقة بينهما، وما أحسن جواب بعض المحدثين ، وقد سئل عن أحاديث الصفات فقال :رواها الذين رووا لنا الصلاة والزكاة وسائر الشريعة فالواجب تسليم ماصح ، وما اشتبه معناه رددناه الى الله سبحانه ، فلا يغرنك قولهم آحادي فلا نقبله في مقابلة العقل، لان مارواه الثقات مقبول ، والا اطرحنا أكثر الشريعة ، والدليل على قبول الآحاد شامل لكل الدين، والتفرقة جاءت من قبلهم لامن قبل الله ورسوله ، اذ العقل قد فرضنا انه لم يدرك حقيقة ذلك ، فكيف يقال انه مصادم له اه

وأما خصوم الجهمية فهم أتقنوا علم السمع ، وعلموا منه كثيرا من القواعد ، وتواتر من السمع لهم مالم يتواتر لغيرهم، الا انهم ظنوا ان العلوم العقلية معارضة لما عرفوه من السمع الحق،وحسبوا ان الاصغاء لعلم المعقول والنظر اليه يستلزم البدعة من غير بد ، مع ان العقل السليم لاينافي السمع الصحيح . قال الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء : لاغنى بالعقل عن السماع ، ولا غنى بالسماع عن العقل ، فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل ، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور ، فاياك أن تكون من أحد الفريقين ، وكن جامعاً بين الاصلين، فان العلوم العقلية كالأغذية ، والعلوم الشرعية كالادوية اه

(لها بقية)



نموذج من انشاء طلبة السنة التمهيدية

﴿ لمدرسة دار الدعوة والارشاد ﴾

خيرنا الطلاب في امتحان آخر السنة التمهيدية (التحضيرية) الماضية بين موضوعين في الانشاء احدهما المفاضلة بين التربية والتعليم، وثانيهما حديث الصحيحين «المؤمن للمؤمن كالبنيان» الخ وانا ننشر هنا ما كتبه ثلاثة من المصريين لانهم زهاء نصف الطلبة وثلاثة من غيرهم : سوري وتركي وتتاوي . وانا ننشر ما كتبوه بنصه من غير تصحيح لاظهار درجة استفادتهم في سنة واحدة في لغتهم وأفكارهم ، وجل أفكارهم وآرائهم الاصلاحية والاجتماعية مقتبسة من دروس التفسير

﴿ اي الامرين اشد تأثيراً في اصلاح الافراد والامم ﴾

﴿ التربية أم التعليم ؟ (1) ﴾

ان اصلاح الافراد والامم يتوقف على كل من التربية والتعليم ، ولكن اذا قارنا بينهما من حيث التأثير الفينا التربية هي صاحبة المكانة العليا والقسم الاوفر. ذلك أن الانسان ينشأ في بادئ أمره ضعيف العقل ضئيل الجسم قصير الادراك فأول شيء يحتاج اليه التربية فاذا هو تعهد بالتربية الحسنة الموافقة للفطرة فما عقله على الاستقلال بعيدا عن الاسر، وربت نفسه على الفضائل، ووعي جسمه بما يحفظه من طوارئ الطبيعة، لم يلبث حتى يصبح انسانا بالمعنى الصحيح، قوي الارادة ، مستعدا لكل مايلقى عليه من العلوم والمعارف، أهلا لأن يميز مابين الصحيح الذي ترغب فيه فطرته وطبيعته، وبين الفاسد الذي ترغب عنه تربيته ونشأته، وحينئذ تبشر الامة التي يكون من أفرادها مثل هذا الذي أنبت نباتا حسنا ، فيعلو بها ويوصلها الى أوج الفلاح، كالسائل الذي يندفع بالحرارة وقوتها ويرتفع بها ما شاء الله أن يرتفع. واذا هو قد أهمل وترك فشب على التقاليد الوراثية، ونما على السخافات العادية، حتى تشبعت مدركاته بها، وتصلبت أعصابه عليها، أصبح خاسرا لنفسه، معاديا لما

(1) هذا ما كتبه محمد علي ابو زيد المصري البحراوي

وافق الفطرة من العلوم والمعارف فلم يقبل من العلم الا مايلائم تربيته ولم يثبت في فؤاده الا مايوافق نشأته وحينئـذ يكون علمه غير نافع فضلا عما يجلبه على الهيئة الاجتماعية من الوبال والخسران فمن ذلك تبين لنا أن التربية هي الاساس الاول الذي ينبني عليه اصلاح الافراد ويقوم بحفظ كيان الامم والتعليم طبقة ثانية بعدها لا اعتماد له الا عليها

وحسبنا المشاهدة التي هي أعظم حجة وتاريخ الامم الذي هو أقوى برهان

﴿ أي الامرين أهم وأشد تأثيرا في اصلاح الافراد والامم ؟ ﴾

« التربية أم التعليم ؟ (١) »

من نظر الى الامم في مجموعها، والافراد في تقلبها، وراقب ماتقوم به من الاعمال، وتتصف به من الخصال، وجد الفرق الكبير بين أمة وأخرى والبون الشاسع بين فرد ومن ماثله. ثم يجد هذه الامة قد ملكت المشارق والمغارب برا وبحرا، وصارت هي السائدة على العالم طرا، آخذة في النمو والارتقاء لا يعترضها محيط، ولا يثني عزيمتها صعوبة، اختراق الجبال واجتياز المفاوز. بينما هو يجد تلك الامة في غاية الضعف والاضمحلال، مهينة بين الامم لا تحترم لها حقوق، ولا يراعى لها عهد ولا يحفظ ميثاق، آخذة في التقهقر والانخزلان(؟) تخاف من كل ناعق، وترهب من كل ناعب. ويجد هذا الفرد قد أدهش العالم بمخترعاته، وحرك الامم ببراعه، بينما يكون الآخر عالة على غيره يحتاج من يطعمه ويسقيه. ولقد يقف الناظر أمام هذه الحال متفكرا يسائل نفسه هل هذا الفرق نتيجة التربية أم نتيجة التعليم ؟ نقول له أيها الناظر لا تذهب بفكرك بعيدا أن التربية هي أساس كل مجد، وأصل المفاخر والارتقاء، فمن رأيته سائدا من الامم أو الافراد فاجزم بأن سموه ثمرة تربية صحيحة، ومن رأيته في أسوأ حال فاحكم بأن تربيته قد أهملت فلا يأتي بخير وأن تعلم علوم الأولين والآخرين. ذلك أن التربية تشمل تربية العقل والنفس والجسم. واذا ربى الانسان عقله على الاستقلال مع صحة المبادئ كان كنز المعارف وأب (؟) التفننات النافعة التي يسود

(١) هذا ماكتبه عبد العزيز ابو حمد المصري

بها صاحبه من عداه. زد على ذلك أنه يدرك الحق على أنه حق، ويدفع الباطل لبطلانه ويميز بين الحسن والقبيح من كل شيء تمييزا صحيحا، ويستنتج من الوقائع أمورا قد يعجز غيره عن فهمها بعد الحصول. واذا ربى نفسه على احتمال المشاق في ابتناء المعالي سهل عليه الجولان في الارض والسماء، وتاقت نفسه الى اكتناه دقائقهما، والوقوف على أسرارهما، ولقد يتوقع الهلكة مرار (؟) وهو جاد في طريقه فلا تنثني عزيمته، ولا تهى قوته، حتى يحصل على مطلوبه أو يموت راضيا مطمئنا غير سائم من هذا السبيل، واذا ربى جسمه بما يحفظ صحته ويزيد في قوته، كان قويا على القيام بما يهيئه له عقله، وتشرئب اليه نفسه، فلا يفوته خير ولا تبعد عنه مكرمة، ويكسب الفخار غدوا ورواحا

أما التعليم فقد يكون مع عقل سقيم، ونفس حقيرة وجسم ضئيل، فلا ينفع فردا ولا أمة، بل قد يكون هو السبب في استئصال الافراد وهلاك الامم. لأن التعليم هو معرفة مسائل العلوم والفنون باعتبار نتيجته وهذه المعرفة يعبر عنها بالعلم، وهو كالريح تمر بالطيب فتطيب وبالخبيث فتخبث

وبالجملة فان من سره أن يكون سعيدا في الدارين، وشريفا في المقامين، فعليه بالتربية النافعة التي تكسب العقل صحة واستقامة، والنفس شجاعة واقداما، والجسم قوة وانماء، ولا يلوى على التعليم الا بعد الحظ الكبير من التربية، وربما بحسن التربية يعرف طريقا للتعليم أجدى من كل الطرق الموجودة (؟) في زمانه والله الموفق

﴿ أي الامرين اهم واشد تأثيرا في اصلاح الافراد والامم ؟ ﴾

« التربية أم التعليم؟ » (١)

التربية مصدر من تربى واصله ربا يربو. معناه النماء والزيادة وهذا النماء اما حسي واما غير حسي. فتربية الجسم تحصل بحفظه من الامراض والانحلال وبوقايته من الضعف

فمن اهتم بحفظ الصحة وراعى قانون الموازنة في اكله وشربه يسلم من الامراض ويكون صحيح الجسم قوي البنية. فبذلك يصفو دماغه ويكثر نشاطه الى كل عمل،

(١) هذا ماكتبه محمد سعيد الزكي القسطموني

والتربية المتعلقة بالروح والنفس تحصل باحتراز الانسان من الافعال الدنيئة والاعمال القبيحة حتى يكون ميل النفس الى الاعمال الصالحة . وميل الروح الى مرجعها الاصلي .

فبذلك تقوى همة الافراد والامم وتعظم همتها ؟ ويصلح شأنها . واذا نمت عقول الامم وتزكت نفوسها يكون الاصلاح شأنها والارشاد ديدنها . واما التعليم فانه يرى في كثير من الناس ولكن لعدم التربية في أنفسهم لم ينفعهم تعليمهم ولا يزيد فيهم (؟) الا ضلالا وشقاوة

واذا ربى شخص نفسه وزكيها (؟) وأردف فيها التعليم كان من أعظم الناس ارشادا واصلاحا . ومن أهم ما يصلح شأن الافراد والامم هي التربية الكاملة والتعليم الصحيح. ومعنى لفظ التعليم الوقوف والاطلاع في شيء مجهول سواء كان ضارا أو نافعا . ولكن التربية هي التزكية والتنمية والعلو والارتفاع . ولذلك ؟ مخاطبة الله لنبيه في كل مواضع في القرآن بلفظ الرب ، ويفهم من هذا ان من أعظم أسماء (؟) الحسنى هي (؟) لفظة (رب) .

وكذلك الخطاب للانبياء والامم الماضية صدر بلفظ الرب انه هو مربي العالمين ومربي كل شيء . ويقول وربك يعلم ما تكن صدورهم ، ورب العالمين ، أو غير ذلك . وأمر بالدعاء اليه بلفظ الرب . ولم يقل ولم يأمر ومعلمك ومعلم العالمين (؟) . فاذا ان التربية أهم وأشد تأثيرا في الاصلاح

﴿ أي الامرين أهم وأشد تأثيرا في اصلاح الأفراد والأمم ؟ ﴾

« التربية أم التعليم » (١)

الكل من التعليم والتربية تأثير في اصلاح الافراد والأمم فهما لازمان لمن يريد اصلاح نفسه أو أمته. وتأثير التعليم هو أنه يحرك الافكار ويجعل الانسان يحب البحث دائما عن كل ما يجهله في امور الدين والدنيا . والتفكر والبحث سبب وصول الحقائق وهما أم الاختراعات والاكتشافات (؟) ولذلك نرى الامم التي انتشر

(١) هذا ما كتبه امين خليل التتاري

بين أفرادها التعليم تقدموا في الارتقاء وغيرها بعكس ذلك . ولكن تأثير التعليم ليس بشيء بالنسبة لتأثير التربية العملية وهي تربية العقل والروح والجسم . فان كل فرد أو أمة توجد فيها هذه التربية يكون بالطبع جامعا بين العلم والعمل. والاعمال هي أساس الاصلاح. وكذلك هذه التربية تجعل نفوس الافراد والامم عزيزة أبية لا تقبل الخضوع لغيرها أبدا (؟) ولا ترضى بالذل والهوان بأي حال من الاحوال، وبالتربية تصلح الاخلاق أكثر مما تصلح بالتعليم ، فأننا نرى كثيرا من المتعلمين فاسدي الاخلاق لعدم التربية فيهم، ونراهم أيضا يكذبون ويسرقون ويخونون ويغشون ولا يفون بعهد اذا عاهدوك . وأما المتربون تربية صحيحة فهم يبتعدون من الاخلاق الذميمة ، ويحبون العمل أكثر من القول . ولا شك أن أمة انتشرت بينها التربية تسود على غيرها ، ولذلك ترى اليوم الامم المتربية سادت علينا معشر المسلمين من كل وجه . ومما يدل على أن التربية أشد تأثيرا في اصلاح الافراد والامم من التعليم ما وقع في صدر الاسلام للمسلمين من الاصلاح العظيم في الامة وفي أفرادها ولا شك أن سبب هذا الاصلاح هو تربية نفوسهم وتهذيبها من الاخلاق الفاسدة والعقائد الباطلة ، وما كان التعليم عندهم معهودا قط (؟) ومع ذلك سادوا على الامم المتمدنة (؟) المتعلمة بشدة تأثير التربية . فعلمنا من هذا أن التربية من أهم ما يؤثر في الاصلاح ، وأما اذا كان معها التعليم فبالضرورة يكون أكمل وأتم في التأثير، فحينئذ يجب علينا معشر المسلمين أن نصلح أحوالنا بالتربية الصحيحة والتعليم العملي كما يوجبه علينا ديننا الشريف حتى نكون خير أمة أخرجت للناس والله الهادى الى الصواب

﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ﴾ (١)

هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه أن المؤمنين في تناصرهم وتعاضدهم ومساعدة بعضهم لبعض في جميع ما يحتاج اليه كل فرد منهم من الامور

(١) هذا ما كتبه محمد مصطفى الشريف المصري

الدينية والدنيوية كالبنيان في شدة تماسكه وقيام أجزائه بعضها ببعض، فكل طبقة من طبقات البناء لا تقوم الا بالمجاورة لها المتصقة بها كما هو معلوم بالمشاهدة ، فكذلك المؤمنون حقا ، نراهم يسارعون الى مساعدة بعضهم بعضا بداعي الشفقة والرحمة الناشئين عن كمال الايمان والعلم بسنن الله تعالى في خلقه وحكمته البالغة، فقد اقتضت حكمته جل شأنه أن يجعل حاجات الانسان متنوعة وأفكاره متباينة ومقاصده متعددة ، وجعله عاجزًا عن القيام بجميع حاجياته بل يحتاج الى أبناء جنسه في قضاء مصالحه وسد عوزه ، فكل فرد يرجع الى الآخر فيما يعجز عنه ويقدر الآخر عليه ، تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فالمؤمن الكامل يجعل هذه السنة نصب عينيه فلا تمنعه المحبة الشخصية والمنفعة الذاتية عن ان يكون لاخوانه عونا، وعلى سنة ربه جاريا، بل يكون كالقطر أينما وقع نفع، وقد أرشدنا الله الى ذلك في القرآن الكريم في عدة مواضع فقال تعالى في الحث على الاتحاد الذي هو أساس كل خير ورأس كل فضيلة (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقال تعالى (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) الى غير ذلك . فينبغي للمؤمنين أن ينظروا بعين الانصاف ويهتدوا بهدي كتابهم حتى تتحسن أحوالهم، وتنتظم معاملتهم، وهيهات هيهات أن يفوزوا الا اذا امتثلوا أمر ربهم! أمرهم ربهم بأن يعطي غنيهم فقيرهم، وينصر قويهم ضعيفهم، ويعلم علماؤهم جهلاءهم، ويسعى كل منهم في الاصلاح حسب ما استطاع ، ولن يضيع أجر من أحسن عملا

وبالجملة فاني أرى ان أعظم أسباب التقهقر والخذلان التي أضرت بالمسلمين في سائر البقاع انما هو الغفلة عن هذه السنة الالهية والاعراض عنها ، فلا يرى الباحث عن أخلاق المسلمين المتفقد أحوالهم في الغالب الا أبا لا يرحم، وابنا لا يتأدب، ويرى عداوة كبرى منتشرة بينهم وخصوصا الاقارب والعشائر . فاللهم عطفك وحنانك ونصرك وتأييدك ، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا

﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ﴾ [1]

ان الله سبحانه وصف عباده المؤمنين بالإيثار على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة بقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وأمرهم بالتعاون والتضافر على مصالحهم ليسهل عليهم القيام بها « والمرء كثير بأخيه » فشأن المؤمن حقا أن يكون لاخيه كالعضو لباقي الجسد يألم لالمه ويتعب بتعبه ويرتاح لراحته ، يسعى كل عضو ويشتغل لمصلحة جميع الاعضاء، لا ينثني عن العمل ولا يمل منه الا اذا أصابه مرض شديد يمنعه عن القيام بوظيفته ، وهكذا شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين، وهكذا كانوا رضوان الله عليهم أجمعين، هم الذين بتعاونهم وشد أزر بعضهم بعضا أمكنهم أن يبثوا دين الله (الاسلام) في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يفتحوا البلاد ويخضعوا الملوك، ولولا التضافر على المصالح والقيام بدين الله الحنيف لما أمكنهم الوصول الى ما وصلوا اليه، وهذه سنة الله تعالى الكونية في الاستعلاء والاستيلاء وتنفيذ الاحكام دينية كانت أو غير دينية ، والمرء لا يمكنه القيام بمصالح نفسه بنفسه من دون معين فضلا عن القيام بمصالح أمته، فالتعاون شيء ضروري لابد منه في اكثر حالات الانسان . نرى المرء اذا مد يده الى الماء وفرق أصابعه لا يمكنه أن يأخذ من الماء شيئا ولكن اذا هو ضم أصابعه وصيرها كأنها قطعة واحدة من غير تفرق بين الاصابع أمكنه أن يأخذ مقدار ما تسع . ونرى الاسرة أو الامة اذا وقع بين أهليها الشقاق والبغضاء لا تلبث ان تتفرق رجالها، واذا تفرقوا آل أمرهم الى انحلال قواهم بتشتتها وتفرقها، وهناك الخسارة الكبرى حيث يمسون لا أمة ولا أسرة ولا ذوي شأن في العالم

ثم لا يحسب المرء أنه اذا أعان أخاه كان النفع لأخيه فقط ، وانما الفائدة مشتركة بينه وبين أخيه وغيرهما ، واذا كان كل انسان يرى أنه قادر على إعانة آخر وأعانه بما يستطيع تكون أكثر افراد تلك الامة مكتفين لا حاجة تلجؤهم (؟) الى النهب والسلب ولا الى التعدي على حقوق الغير (؟) مطلقا ويا سعادة رجال يكونون من هذه الامة

---

(١) هذا ما كتبه السيد عبد الرحمن عاصم السوري القلموني

﴿ صورة وثيقة شرعية بفسخ حاكم حنبلي لنكاح غائب معسر[1] ﴾
وتنفيذ الحاكم الحنفي لحكمه (منقولة بحروفها)

الحمد لله تعالى

نفذت
نمقه الفقير اليه تعالى
محمد رفعت زاده صدقي زاده
القاضي بدمشق الشام
غفر الله لهما

ما نسب اليه فيه صحيح
كتبه الفقير الى الله عز شانه مصطفى البرقاوى الحنبلي
ابن سليمان النابلسي المولى الخلافة بمحكمة
الكبرى بدمشق الشام

بمجلس الشريعة الغرا بمحكمة الكبرى بدمشق المحروسة أجله الله تعالى ثبت لدى مولانا فخر قضاة الاسلام الحاكم الحنبلي الموقع أعلاه بالبينة الشرعية العادلة المرضية بشهادة افتخار الافاضل الفخام الشيخ يسن افندي بن عمدة العلماء والمدرسين الفخام الشيخ حامد افندي عطار زاده والسيد مصطفى بن السيد عبد الله الحموي والسيد محمد بن السيد يسن الحموي المقبولين لديه بذلك شرعاً بمعرفة السيد محمد بن السيد سعيد الصواف الغائب عن دمشق وأعمالها منذ سنة واحدة وعشرة أشهر كوامل تقدم تاريخه الغيبة الشرعية المجوزة للحكم والقضاء على الغائب شرعاً ومعرفة زوجته الحرمة حنيفة المستقرة يومئذ في عصمته وعقد نكاحه بنت السيد يسن الحموي المرأة الكاملة الحاضرة بالمجلس وانه بعد ان عقد نكاحه الشرعي عليها ودخل بها واستمر بمعاشرتها برهة من الزمان سافر وغاب عنها الغيبة المزبورة تركها المدة المزبورة بلا نفقة ولا منفق شرعاً ولم يترك عندها شيئا تبيعه وتنفق ثمنه عليها ولا أحالها على أحد بالنفقة ولم تعلم له مكاناً فتراسله وانقطع خبره عنها بالكلية وانه فقير معسر لا مال له ولا نوال ولا ملكا ولا عقار وانها محتاجة لفسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور ثبوتاً شرعيا وزكاهم السيد حمزة بن السيد عبد الغني السرداح والحاج أحمد بن الحاج عثمان عوف الحلبي التزكية الشرعية خلفها الحاكم الحنبلي المشار اليه أعلاه يمينا بالله تعالى العظيم الرحمن الرحيم على طبق ما شهدت به البينة وان من شهد لها شهد حقا وصدقا وظاهر الامر فيه كباطنه الحلف الشرعي بالمجلس فصبرها ووعظها الحاكم الحنبلي المشار اليه أعلاه على ان يفرض لها نفقة على بعلها السيد محمد الغائب المزبور الى حين مجيئه فلم تصبر ولم تتعظ وأعادت تبدي فقرها وإعسارها وقلة ما بيدها

(١) ننشر هذه الوثيقة الشرعية اتماما للبحث الذي نشرناه في ص ٢٦٤ من منار هذا العام

واحتياجها لفسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور وطلبت الحرمة حنيفة المزبورة من الحاكم الحنبلي المشار اليه أعلاه أن يأذن لها بفسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور لغيبته ولفقره واعساره ولعدم النفقة والكسوة وغيرها اذناً شرعيا فعند ذلك استخار الله تعالى كثيراً واتخذه هادياً ونصيرا وأذن لها بفسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور لغيبته ولفقره واعساره ولعدم النفقة والكسوة وغيرها اذنا شرعيا فعند ذلك أشهدت عليها المأذون لها الحرمة حنيفة المزبورة شهود آخره أنها فسخت عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور لغيبته ولفقره واعساره ولعدم النفقة والكسوة وغيرها واختارت فراقه وطلبت من الحاكم الحنبلي المشار اليه أعلاه الحكم في ذلك فعند ذلك حكم لها في فسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور وبوقوع الفرقة بينهما حكما شرعيا بالتماس شرعي ثم أنفذ حكمه نائب سيدنا الحاكم الحنفي الواضع خطه وختمه أعلاه غب الدعوى والمرافعة لديه بحادثة ذلك انفاذاً شرعياً بالتماس شرعي بعد ان أعلمها السيد الحاكم الحنبلي أن عليها الاعتداد من يوم تاريخه أدناه بثلاث حيض كوامل حتى يحل لها أن تنكح زوجاً غيره إعلاماً شرعيا بالتماس شرعي وحرر في ثاني عشر ربيع الاول سنة خمسين ومائتين والف

شهود الحال

المحاسي
السيد محمد أمين

المحاسي
السيد محمد علي

سيد ابراهيم
محضر

حبرى
السيد محمد أمين

المحاسي
السيد محمد أسعد

المحاسي
السيد محمد سليم

﴿ قرارات المؤتمر السوري العربي ﴾

اجتمع المؤتمر السوري العربي في باريس في شارع سان جرمين عدد ١٨٤ بتاريخ ٢١ حزيران (يونيو) سنة ١٩ ٣ (١٦ رجب ١٣٣١) وقرر ما يأتي:

١ – ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب أن تنفذ بوجه السرعة

٢ – من المهم أن يكفل للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بأن يشتركوا في ادارة المملكة المركزية اشتراكا فعليا

٣ – يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها

٤ – كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة صودق عليها في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٣ باجماع الآراء وهي قائمة على مبدأين أساسيين وهما توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين أجانب فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين

٥ – اللغة العربية في مجلس النواب (المبعوثين) العثماني يجب أن تكون معتبرة (٥) ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية

٦ – تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية الا في الظروف والاحيان التي تدعو للاستثناء الاقصى

٧ – يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية أن تكفل لمتصرفية لبنان وسائل تحسين ماليتها

٨ – يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الارمن العثمانيين القائمة على اللامركزية

٩ – سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية

١٠ – تبلغ أيضاً للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية

١١ – يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسوية شكرا جزيلا لترحابها الكريم بضيوفها

﴿ ملحق للطلبات السابقة ﴾

١ – اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها هذا المؤتمر فالاعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح السورية العربية يمتنعون عن قبول أي منصب كان في الحكومة العثمانية الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها

٢ – ستكون هذه القرارات بروغراما سياسياً للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة أي مرشح للانتخابات التشريعية الا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البروغرام وطلب تنفيذه

﴿ بلاغ نظارة الداخلية العثمانية للولايات في شأن الاصلاح ﴾

جاء في جرائد سورية التي صدرت في شعبان الماضي ما نصه :

وردت من نظارة الداخلية الجليلة برقية مؤرخة في ٢٠ تموز (يوليو بالحساب الشرقي) سنة ١٣٢٩ مالية (١٣٣١ هجرية هذا تعريبها)

لما كان أمر ارتقاء جميع الولايات العثمانية وعمرانها وتأمين رفاهة وسعادة كل أفراد الاهالي بحسب أمزجتهم المتباينة وحاجاتهم المحلية نظر اليه بعين الاعتبار فبعد

(٥) سئل الرئيس في الجلسة ما معنى كلمة معتبرة هنا ? فقال «يعني مقبولة»

الاتكال عليه سبحانه وتعالى جرت المخابرة مع الولايات بشأن الاصلاحات التي جرى الامعان فيها وشرع في تنفيذها ووضعها موضع العمل تدريجا وقد أصدر مجلس الوكلاء الخاص القرار الآتي :

(١) تسليم العقارات والبنايات الوقفية المشروط صرف ريعها للجهات الخيرية المحلية الى المجالس الملية حسب شرط الواقف وتوفيقاً للقانون الخاص الذي هو قيد الوضع

(٢) خدمة الافراد المحلية العسكرية مدتهم النظامية تكون في زمن السلم في دائرة المنطقة التفتيشية التابعين لها ولكن اذا اقتضى لدى الدولة حشد جنود على جهة من الحدود اكثر من القدر المعين لتلك المنطقة فهي تسوق كل قسم من العسكر بلا قيد ولا شرط أما الجنود الضروري سوقها الآن الى المقاطعات البعيدة كالحجاز واليمن وعسير ونجد فهي ترسل من جميع البلاد العثمانية على نسبة معينة

(٣) لما كان التدريس باللسان العربي في جميع المدارس الموجودة في البلاد التي يتكلم أكثرية أهلها بذلك اللسان هو مفيد في الاصل لانه يؤدي الى أن تكون تلك البلاد بأقرب آن مظهراً للتكمل المدني المحتاجة له في الحال والاستقبال فقد تقرر الآن الشروع في التدريس باللسان المذكور في المكاتب الابتدائية والاعدادية وأن يتذرع في المستقبل بالوسائل التي تجعل التدريس العالي بلسان الاكثرية ولكن ينبغي لاجل تصحيح اللسان الرسمي أن يحافظ بصورة مستقلة على المكاتب الاعدادية الموجودة في مراكز الولايات على أن يظل التدريس فيها باللسان التركي

(٤) (يجب) ان يكون المأمورون في تلك الانحاء واقفين على اللسان العربي عدا وقوفهم على اللسان الرسمي وان يدقق في هذا الامر عند تعيينهم

(٥) (يلزم) ان تعين الولايات المأمورين الثانويين ضمن دائرة القوانين والاصول المخصوصة . اما تعيين الحكام ومأموري العدلية المنصوبين بارادة سنية فهو عائد الى المركز

وقد جرى تبليغ هذا القرار الى نظارات الحربية والمعارف والاوقاف

هذا وحبا بالاسراع في الاصلاح تقرر هنا جلب وتعيين مفتشين اجانب بقدر اللزوم الذي تحتاجه شعبات الادارات في كل ولاية ووضع قانون لذلك . ثم من مقتضى حصر قانون الولايات ضم مقدار من المخصصات على ميزانيات الولايات لسد عجز الميزانيات المتعلقة بالوظائف المعينة المتروك امر رؤيتها وتمشيتها للادارة المحلية وعلى الاخص ميزانية المعارف والنافعة . ومن المقرر ان تنفذ في الحال القرارات التي تصدرها المجالس العمومية ضمن دائرة صلاحيتها القانونية

فنبلغكم على سبيل التعميم ان تبذلوا مزيد الاهتمام في العمل بمقتضى ذلك

الارادة السلطانية

﴿ بشأن الاصلاح في البلاد العربية ﴾

نشرت صحف الآستانة يوم ٢٣ أغسطس الجاري الارادة السلطانية الصادرة بتنفيذ ما قرره مجلس الوكلاء من التغيير الاداري في البلاد العربية وهذه ترجمتها

« ان من وسائل الاصلاح الاساسية التي قرر مجلس الوكلاء تنفيذها والعمل بها (١) أن يعهد الى مجالس الطوائف المحلية بادارة أملاك ومعاهد الاوقاف المشروط صرف ريعها على الجهات الخيرية مع مراعاة شروط الواقفين والتزام نصوص القانون الخاص الذي باشرت الحكومة وضعه (٢) أن يؤدي الجنود خدمتهم الجندية في زمان السلم والامن داخل دائرة التفتيش التي هم تابعون لها . واذا رأت الدولة أن الحال تقتضي بزيادة عدد الجنود المحتشدة على جهة من جهات الحدود فللحكومة أن تحشد وتسوق كل صنف من أصناف العساكر من غير قيد ولا شرط . وأما العساكر الذين تمس الحاجة الآن الى إرسالهم الى الحجاز واليمن وعسير ونجد وأمثال هذه الاقطار فيؤخذون من كل البلاد العثمانية بنسبة صحيحة (٣) لأجل الاطمئنان على حصول ماتحتاج اليه البلاد العربية بوجه خاص من وسائل الحضارة والعمران في الحاضر والمستقبل فان من المفيد لذلك أن تكون لغة التعليم في مدارس تلك البلاد هي اللغة العربية ويبادر من الآن الى التعليم بهذه اللغة في المدارس الابتدائية والثانوية مع جعل تعليم اللغة التركية اجباريا ، وينظر من الآن في أسباب جعل التعليم العالي في المستقبل بالعربية في البلاد العربية ، ولكن لأجل تعميم اللسان الرسمي ينبغي أن يبقى التعليم بالتركية في المدارس الثانوية التي في مراكز الولايات (٤) يجب أن يلاحظ في تعيين الموظفين للبلاد العربية أن يكونوا عارفين اللغة العربية عدا اللغة الرسمية . أما الموظفون الذين من الدرجة الثالثة فتعينهم الحكومة المحلية في الولايات على النهج المنصوص عليه في القوانين الخاصة بذلك ، وأما الذين يتوقف تعيينهم على صدور ارادة سنية فيناط تعيينهم بالحكومة المركزية في الاستانة

على مجلس الوكلاء تنفيذ ارادتنا السنية هذه .

في ١٤ رمضان سنة ١٣٣١ محمد رشاد

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ شوال ١٣٣١ هـ ق ٩ الخريف الاول ١٢٩١ هـ ش ٣٠ سبتمبر ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

﴿ طهارة الغسل ، والتيمم والحدثان الاصغر والاكبر ﴾

ولما فرغ من طهارة الوضوء بين طهارة الغسل فقال ﴿ وان كنتم جنبا فاطهروا ﴾ أي اذا قمتم الى الصلاة وكنتم جنبا فتطهروا لها طهورا كاملا بان تغتسلوا ، فاطهروا أمر بالعناية بالطهارة والاستقصاء فيها وذلك لايكون الا بغسل البدن كله ، والدليل على ارادة الغسل بها قوله تعالى في آية التيمم (٤ : ٤٣ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولا جنبا - الا عابري سبيل - حتى تغتسلوا) والجنابة الموجبة للغسل معروفة عند جميع المسلمين ، وقد بينا في تفسير آية التيمم (ص ١١٦ ج ٥ تفسير) ان لفظ جنب استعمل استعمال المصادر في الوصفية فيطلق على المفرد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، وان المختار اشتقاقه من الجنب (بالتحريك) بمعنى الجانب فهو كناية عن المضاجعة المراد بها الوقاع على سنة القرآن في الكناية عما يستقبح التصريح به ،

وفي معنى الوقاع خروج المني وهو لازم له عادة فهو جنابة، وفي الحديث « انما الماء من الماء » رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري. أي انما يجب ماء الغسل من الماء الدافق الذي يخرج من الانسان مهما كان سبب خروجه ، وسيأتي بيان ذلك في الكلام على حكمة الغسل ، ولم يختلف المسلمون في هذا واختلفوا في الوقاع بدونه فقال بعضهم لا يجب الغسل به واحتجوا بهذا الحديث وحديث عثمان الناطق بانه لا يجب به الا الوضوء . وهو معارض بحديث أبي هريرة الناطق بوجوب الغسل في هذه الحال، وهو في الصحيحين وصرح فيه مسلم بكلمة «وان لم ينزل» و بظاهر الاية وعليه الجمهور، ولا حاجة الى اطالة الشرح في هذه المسألة اذ لا خلاف فيها اليوم ولا أهواء ، واختلفوا في المني اذا خرج بغير شهوة لعلة ما ، فاذا خرجت بقية منه بعد الغسل مما خرج بشهوة فعدم وجوب الغسل منها ظاهر جدا .

ولما بين وجوب الطهارتين وكان مقتضاهما أن المسلم لا بد له من طهارة الوضوء كل يوم مرة أو اكثر من مرة في الغالب ، ولا بد له من الغسل في كل اسبوع او كل شهر مرة أو عدة مرار في الغالب، بين الرخصة في تركهما عند المشقة أو العجز لان الدين يسر لا حرج فيه فقال عز وجل ﴿ وان كنتم مرضى ﴾ مرضا جلديا كالجدري والجرب وغير ذلك من القروح والجروح ، أو أي مرض يضر استعمال الماء فيه أو يشق عليكم ﴿ أو على سفر ﴾ طويل أو قصير مهما كان سببه فالعبرة بما يسمى سفرا عرفا، ومن شأن السفر أن يشق الوضوء والغسل فيه ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء ﴾ الغائط المكان المنخفض من الارض وهو كناية عن قضاء الحاجة من بول وغائط وصار حقيقة شرعية في هذا الحدث وعرفية في الرجيع الذي يخرج من الدبر ، وملامسة النساء هي المباشرة المشتركة بين الرجال و بينهن؛ كل من التعبيرين كناية على سنة القرآن في النزاهة، كالتعبير بالجنابة هنا و بالمباشرة في سورة البقرة. والمراد أو أحدثتم الحدث الموجب للوضوء عند ارادة الصلاة ونحوها كالطواف ، ﴿ ويسمى الحدث الاصغر ﴾ أو الحدث الموجب للغسل ﴿ ويسمى الحدث الاكبر ﴾ فلم تجدوا ماء تتطهرون به - أي اذا كنتم على حال من هذه الاحوال الثلاث: المرض أو السفر

أو فقد الماء عند الحاجة اليه لاحدى الطهارتين ﴿ فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ أي فاقصدوا ترابا أو مكانا من وجه الارض طاهرا لا نجاسة عليه فاضربوا بأيديكم عليه وألصقوها بوجوهكم وأيديكم الى الرسغين بحيث يصيبها أثر منه . وقد شرحنا آية التيمم في تفسير سورة النساء وقفينا على تفسيرها بعشر مسائل في بيان معنى التيمم اللغوي والشرعي، ومحله الذي بينته السنة الصحيحة، وكونه ضربة واحدة للوجه واليدين ولا ترتيب فيه ، ومعنى الصعيد وما ورد فيه ، وكون المسافر والمقيم فيه سواء اذا فقد الماء ، وكون الصلاة به مجزئة لا تجب اعادتها ، وبحث تيمم المسافر مع وجود الماء ، وبحث التيمم من البرد والجرح ، وكونه كالوضوء في الوقت وقبله، وفي استباحة عدة صلوات به، والمسألة العاشرة في بيان حكمة التيمم. فمن شاء فليراجع هذه المسائل في الجزء الخامس من التفسير (ص ١٢٣ - ١٣٥)

نواقض الوضوء

وقد علم من الآية بطريق الكناية أن الحدث الذي يكون في الغائط ينقض الوضوء فلا تحل الصلاة بعده الا لمن توضأ ، وذلك الحدث هو خروج شيء من أحد السبيلين: القبل والدبر ، وظاهر الآية أن الذي ينقض هو الذي يخرج في محل التخلي (قضاء الحاجة) الذي عبر عنه بالغائط فلا يدخل فيه الريح والمذي اللذان يخرجان في كل مكان ، ولكن ثبت في السنة نقض الوضوء بهما ، وصح الحديث أن الريح الذي يخرج من الدبر يعتبر في نقضه للوضوء أن يسمع له صوت أو تشم له رائحة . روى أحمد والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أبي هريرة « لا وضوء الا من صوت أو ريح » أي رائحة قال البيهقي : هذا حديث ثابت . وقد اتفق الشيخان على اخراج معناه من حديث عبد الله بن زيد ، فما يحس الانسان بخروجه منه لا يسمع له صوتا ولا يجد له رائحة لا يعتد به وان كان في الصلاة . وقد روي الحديث بلفظ « اذا كان أحدكم في الصلاة فوجد ريحا من نفسه فلا يخرج حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا » الريح الثانية الرائحة . والعمدة اليقين بأنه خرج منه شيء

واختلف العلماء في النقض بخروج الدم من البدن بجرح أو حجامة أو رعاف قيل ينقض مطلقا وقيل لا مطلقا وقيل ينقض كثيره دون قليله . ولا يصح في ذلك

حديث يحتج به مع توفر الدواعي على نقله لكثرة من كان يجرح من المسلمين في القتال، دع الحجامة وسائر الجروح والدمامل، بل روى أبو داود وابن خزيمة والبخاري تعليقا ان عباد بن بشر أصيب بسهام وهو يصلي فاستمر في صلاته، ولم ينقل ان النبي (ص) أمره باعادة الصلاة ولا بالوضوء من ذلك، ويبعد أن لا يطلع على ذلك وصح عن جماعة من الصحابة ترك الوضوء من يسير الدم

واختلفوا في القيء أيضا قالت العترة والحنفية ينقض اذا كان دفعة كبيرة من المعدة تملأ الفم وقال غيرهم لاينقض، ولم يصح في نقضه حديث يحتج به .

واختلفوا في النوم على ثمانية مذاهب: (١) لا ينقض مطلقا وعليه الشيعة الامامية (٢) ينقض مطلقا وعليه الحسن البصري والمزني واسحق بن راهويه وابن المنذر (٣) ينقض كثيره مطلقا وعليه الزهري وربيعة ومالك وأحمد في رواية (٤) ينقض اذا نام مستلقيا أو مضطجعا أو على هيئة المصلي فيما عدا القعود وعليه أبو حنيفة وداود الظاهري (٥) ينقض في الصلاة لا في خارجها وعليه زيد بن علي (٦و٧) ينقض نوم الراكع والساجد أو الساجد فقط، ورويا عن أحمد (٨) ان النوم ليس حدثا وانما هو مظنة الحدث فمن نام ممكنا مقعدته من الارض لاينتقض وضوءه بحال ومن نام غير ممكن انتقض وضوءه، وبهذا القول يمكن الجمع بين الروايات المتعارضة في ذلك وان كان من العمل بترجيح الغالب على الاصل الذي هو البراءة وعدم خروج شيء .

وقد ثبت في حديث ابن عباس في الصحيح ان النبي (ص) نام حتى سمع غطيطه ثم قام فصلى (صلاة الليل) ولم يتوضأ. قالوا تلك من خصائصه بقرينة ما ورد ان عينيه تنامان ولا ينام قلبه . وثبت في الصحيح من حديثه أيضا انه صلى معه صلاة الليل قال: « فجعلت اذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني » وثبت في حديث أنس ان الصحابة (رض) كانوا ينتظرون العشاء الآخرة حتى تخفق رؤسهم - أي تميل من النعاس أو النوم - ثم يصلون ولا يتوضؤن . رواه الشافعي في الام ومسلم وأبو داود وزاد من طريق شعبة « حتى اني لاسمع لاحدهم غطيطا » وحمله ابن المبارك والشافعي وغيرهما على نوم الجالس لان الغالب على منتظري الصلاة أن يكونوا جلوسا، ولكن جاء في بعض الروايات « فيضعون جنوبهم فمنهم من ينام ثم يقوم الى الصلاة » رواها ابن القطان

عن شعبة عن قتادة عن أنس . ونقل النووي اتفاق العلماء على ان الجنون والاغماء وكل مايزيل العقل من سكر أو دواء وغيرهما ينقض الوضوء مطلقا

واختلفوا في الوضوء من لمس المرأة أي مس شيء من بدنها بغير حائل، روي عن ابن مسعود وابن عمر والزهري انه ينقض وعليه الشافعي، وعن علي وابن عباس وعطاء وطاوس انه لاينقض وعليه العترة والحنفية، وقال بعضهم انما ينقض اللمس بشهوة فقط، وقاسوا على هذا لمس الامرد . استدل المثبت والنافي بالآية اذ حمل بعضهم الملامسة فيها على الجس والآخرون على الوقاع، وهذا هو الصحيح المختار وعليه ابن عباس . واختلفت الاحاديث في ذلك، فأما النقض فلا يصح شيء مما استدل به عليه . وأما عدمه ففيه حديث عائشة عند مسلم والترمذي وصححه، انها وضعت يدها على قدم النبي (ص) وهو يصلي في المسجد، وحديثها عند النسائي وصححه الحافظ ابن حجر في التلخيص : انه كان يصلي ليلا (أي في بيتها) وهي معترضة بين يديه كالجنازة فاذا أراد أن يسجد مسها برجله أي لتوسع له المكان . قيل يحتمل أن يكون المس بحائل وهو احتمال متكلف بل باطل، وروي عنها من عدة طرق انه كان يقبل بعض أزواجه ولا يتوضأ، واختلفوا في تصحيحها وتضعيفها. وأقول لو كان لمس المرأة ينقض الوضوء لتوفرت الدواعي على نقله بالتواتر

واختلفوا في نقض الوضوء بمس الفرج بدون حائل . والاصل فيه تعارض الاحاديث (فمنها) في اثبات النقض حديث بسرة المرفوع « من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ » رواه مالك والشافعي واحمد واصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي . وفي رواية لاحمد والنسائي « ويتوضأ من مس الذكر » قالوا ويشمل ذكر نفسه وغيره . وهو معقول وان كان الظاهر انه رواية بالمعنى. ولم يخرجه الشيخان في صحيحيهما لاختلاف وقع في سماع عروة من بسرة قيل سمع منها وقيل من مروان عنها ومروان مطعون فيه . وقيل ارسل مروان رجلا من حرسه الى بسرة فسألها عنه وعاد فأخبره بأنها قالته . والحرسي مجهول العدالة . وقال البخاري : ان هذا الحديث اصح شيء في هذا الباب . وان لم يخرجه في صحيحه لما ذكر . وحديث ام حبيبة المرفوع « من مس فرجه فليتوضأ » رواه ابن ماجه وصححه احمد

وأبو زرعة - وحديث ابي هريرة المرفوع « من افضى بيده الى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء » رواه احمد وابن حبان في صحيحه وصححه الحاكم وابن عبد البر أيضا - وحديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده يرفعه « ايما رجل مس فرجه فليتوضأ وأيما امرأة مست فرجها فتتوضأ » رواه احمد والترمذي. وروي الأخذ بهذه الاحاديث عن عمر وابنه عبد الله وابي هريرة وابن عباس وسعد ابن ابي وقاص وعائشة ، وعن عطاء والزهري وسعيد بن المسيب ومجاهد. وهو مذهب الشافعي واحمد واسحق ومالك في المشهور عنه . واشترط الشافعي ان يكون المس بباطن الكف وظاهر حديث ابي هريرة العموم لأن الافضاء معناه الوصول، وكأن الشافعي فهم هذا من ان الواقع ان المس الاختياري المعتاد انما يكون بباطن الكف وهو الذي يكون مظنة اثارة الشهوة التي هي علة النقض فيما يظهر فلا يعتد بغيره . وروي عن مالك ان الوضوء انما يندب من المس ندبا ، ويرده حديث ابي هريرة. وقيل ان رواية الفرج تشمل القبل والدبر وعليه الشافعي في الجديد . والظاهر ان المراد بالفرج القبل لموافقة اكثر الروايات ولأن شرج الدبر لا يلمس عادة ولا هو مظنة اثارة الشهوة .

وروي القول بعدم النقض بالمس عن علي وابن مسعود وعمار بن ياسر وعن الحسن البصري وربيعة وغيرهم من الصحابة والتابعين ،وهو مذهب الثوري والعترة والحنفية . وحجة هؤلاء في معارضة تلك الاحاديث حديث طلق بن علي ان النبي (ص) سئل: الرجل يمس ذكره أعليه وضوء؟ فقال « انما هو بضعة منك » رواه احمد واصحاب السنن الاربعة والدارقطني وصححه ابن حبان والطبري وابن حزم وعمرو بن علي بن الفلاس وقال هو عندنا اثبت من حديث بسرة ، وروى عن علي بن المديني انه قال هو عندنا احسن من حديث بسرة . والصواب انه صحيح وان حديث بسرة اصح منه وأقوى دعائم لما يؤيده من الاحاديث الاخرى . وادعى بعضهم نسخ حديث طلق لأنه روى حديث النقض بلفظ حديث أم حبيبة . وقال بعضهم انما ينقض المس اذا كان بلذة . ورأى الشعراني في الجمع بين الحديثين على طريقته في الميزان ، ان نقض الوضوء بالمس عزيمة فكان النبي (ص) يوجبه على

أهل العزائم من الصحابة سكان المدينة ومثلها سائر الامصار التي يسهل فيها الوضوء في كل وقت ، وعدم النقض رخصة رخص بها للسائل وكأن بدويا ، وعلماء الاصول يردون مثل هذا الجمع بان أحاديث النقض وردت بصيغة العموم

واختلفوا في الوضوء من أكل لحوم الإبل فذهب الجمهور الى عدم النقض به وعليه الخلفاء الاربعة وكثير من الصحابة والتابعين وهو مذهب الحنفية والمالكية والشافعية . وروي عن بعض الصحابة والتابعين القول بالنقض وهو مذهب احمد واسحق وكثير من علماء الحديث . وقد صح الحديث بالامر بالوضوء منها وقال الجمهور بنسخه، ولا يعرف حديث صريح مثبت للنسخ ولكن عمل الخلفاء الاربعة وجمهور الصحابة وأهل المدينة اذا لم يدل على النسخ فقد يدل على عدم صحة ماورد في النقض ، وان صحح المحدثون حديثين فيه حديث جابر بن سمرة وحديث البراء، فغير معقول ان يعرف جابر والبراء مايجهله الجمهور الاعظم ومنهم الخلفاء الراشدون

والخلاف في هذه المسألة كالخلاف في الوضوء مما مست النار أي من أكل ماطبخ وعولج بالنار قال بعضهم ينقض واحتجوا بحديث « توضئوا مما مست النار » رواه احمد مسلم والنسائي عن عائشة وزيد بن ثابت وابي هريرة . والجمهور على انه لاينقض ومنهم الخلفاء الاربعة والعبادلة الا عبدالله بن عمرو لم ار عنه شيئا ، وهو مذهب الفقهاء الاربعة واكثر علماء الامصار ، واحتجوا بأحاديث منها حديث ميمونة « اكل رسول الله (ص) من كتف شاة ثم قام فصلى ولم يتوضأ » وحديث عمرو بن أمية الضمري « رأيت النبي (ص) يحتز من كتف شاة (١) فأكل ولم يتوضأ » رواهما البخاري ومسلم

﴿ حكمة شرع الوضوء والغسل ﴾

ولما بين فرض الوضوء وفرض الغسل ، وما يحل محلهما عند تعذرهما او تعسرهما ، تذكيرا بهما ومحافظة على معنى التعبد فيهما ، وهو التيمم - بين حكمة شرعهما لنا مبتدئا ببيان قاعدة من أعظم قواعد هذه الشريعة السمحة فقال

(١) يحتز الخ اي يقطع منه بالسكين ويأكل قال النووي فيه جواز قطع اللحم بالسكين وقد تدعو الحاجة اليه لصلابة اللحم او كبر القطعة اه وقد أخطأ من قال يكره لغير حاجة الكراهة حكم شرعي يحتاج الى الدليل . ومن الحاجة ابقاء اليد نظيفة ومراعاة الصحة

﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ أي ما يريد الله ليجعل عليكم فيما شرعه لكم في هذه الآية ـ ولا في غيرها ايضا ـ حرجا ما ، أي أدنى ضيق وأقل مشقة ، لانه تعالى غني عنكم ، رؤف رحيم بكم ، فهو لا يشرع لكم الا ما فيه الخير والنفع لكم ، ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ من القذر والاذى ومن الرذائل والمنكرات والعقائد الفاسدة فتكونوا أنظف الناس أبدانا وأزكاهم نفوسا وأصحهم أجساما وأرقاهم أرواحا ، ﴿ وليتم نعمته عليكم ﴾ بالجمع بين طهارة الارواح وتزكيتها ، وطهارة الأجساد وصحتها ، فانما الانسان روح وجسد ، لا تكمل انسانيته الا بكمالهما معا ، فالصلاة تطهر الروح وتزكي النفس لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتربي في المصلي ملكة مراقبة الله تعالى وخشيته لدى الاساءة ، وحبه والرجاء فيه عند الاحسان ، وتذكره دائما بكماله المطلق فتتوجه همته دائما الى طلب الكمال ، (راجع تفسير « ٢ : ١٣٧ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » في الجزء الثاني من التفسير) والطهارة التي جعلها الله تعالى شرطا للدخول في الصلاة ومقدمة لها تطهر البدن وتنشطه فيسهل بذلك العمل على العامل من عبادة وغير عبادة ، فما أعظم نعمة الله تعالى على الناس بهذا الدين القويم ! وما أجدر من هداه الله اليه ، بدوام الشكر له عليه ! ولذلك ختم الآية بقوله ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي وليعدكم بذلك لدوام شكره فتكونوا أهلا له ويكون مرجوًا منكم لتحقق أسبابه ، ودوام المذكرات به ، فتعنوا بالطهارة الحسية والمعنوية ، وتقوموا بشكر النعم الظاهرة والباطنة .

وقد استعمل لفظ الطهارة في بعض الآيات بمعنى الطهارة البدنية الحسية ، وفي بعضها بمعنى الطهارة النفسية المعنوية ، وفي بعض آخر بالمعنيين جميعا لعدم المخصص . فمن الاول قوله تعالى (٧٤ : ٤ وثيابك فطهر) وقوله في النساء الحيض (٢ : ٢٢١ ولا تقربوهن حتى يطهرن) أي من الدم (فاذا تطهرن) أي اغتسلن بعد انقطاع الدم (فأتوهن من حيث أمركم الله) وختم الآية بقوله (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) والتطهر فيه شامل للطهارتين الحسية والمعنوية ، أي المتطهرين من الاقذار والاحداث ، ومن الفواحش والمنكرات ، فالسياق قرينة على المعنى الاول ، وذكر التوبة قرينة على المعنى الثاني ، ويشير اليه السياق

من حيث ان من أتى الحائض قبل ان تطهر وتتطهر يجب عليه التوبة . ومن المعنى الثاني خاصة قوله عز وجل (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) وقوله تعالى حكاية عن قوم لوط (أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) أي من الفاحشة . ومنه قوله تعالى (٢ : ١٢٤ وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) أي طهراه من الوثنية وشعائرها ومظاهرها كالاصنام والتماثيل والصور . ومن الآيات التي استعملت الطهارة فيها بمعنييها قوله تعالى (٩ : ١٠٩ لمسجدٌ أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه . فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) . فاذا تأملت هذه الآيات وعرفت استعمال القرآن لكلمة الطهارة في معنييها ترجح عندك ان الآية التي نفسرها من هذا القبيل ، فذكر الطهارة بعد الأمر بالوضوء والغسل قرينة المعنى الاول ، والسياق العام وذكر إتمام النعمة بعد الطهارة التي ذكرت بغير متعلق قرينة المعنى الثاني مضموماً الى الاول

أما تفصيل القول في حكمة الوضوء والغسل ـ ويتضمن حكمة ما يجب من طهارة كل البدن والثياب من القذر ـ فيدخل في مسألتين نبين فيهما فوائدهما الذاتية وفوائدهما الدينية

الفوائد الذاتية للطهارة الحسية

أما فوائدهما الذاتية فثلاث (الفائدة الاولى) ما أشرنا اليه آنفا من كون غسل البدن كله وغسل اطرافه يفيد صاحبه نشاطا وهمة ويزيل ما يعرض لجسده من الفتور والاسترخاء بسبب الحدث أو بغير ذلك من الاعمال التي تنتهي بمثل تأثيره ، فيكون جديرا بأن يقيم الصلاة على وجهها ، ويعطيها حقها من الخشوع ومراقبة الله تعالى ، ويعسر هذا في حال الفتور والكسل ، والاسترخاء والملل ، أو الحر والبرد ، ونزيد ذلك بيانا فنقول : من المعروف عقلا وتجربة ان الطهارة دواء لهذه العوارض فهي بمقتضى سنة رد الفعل تفيد البردان حرارة والحران ابترادا ، وتزيل الفتور الذي يعقب خروج الفضلات من البدن كالبول والغائط اللذين يضر احتباسهما كاحتباس الريح في البطن ، فالحاقن من البول والحاقب من الغائط

والحازق من الريح كالمريض، وكل منهم تكره صلاته كراهة شديدة ، ففي خروج هذه الفضلات الضارّ احتباسها يشعر الانسان كأنه كان يحمل حملا ثقيلا وألقاه ، ويشعر عقب ذلك بفتور واسترخاء ، فاذا توضأ زال ذلك ونشط وانتعش ، وكذلك من مس فرجه او قبل امرأته او مس جسدها بغير حائل يحصل له لذة جسدية في بعض الاحيان ، وحدوث اللذة عبارة عن تنبه أو تهيج في العصب يعقبه فتور ما بمقتضى سنة رد الفعل، والوضوء يزيل هذا الفتور الذي يصرف النفس باللذة الجسدية عن اللذة الروحية والعقلية ، ولهذا اشترط بعض من قال بنقض الوضوء بمس ما ذكر ان يكون بلذة ، واكتفى بعضهم بكونه مظنة اللذة .

اما اذا بلغ الانسان من هذه اللذة الجسدية غايتها بالوقاع أو الانزال فيكون ذلك منتهى تهيج المجموع العصبي الذي يعقبه بسنة رد الفعل اشد الفتور والاسترخاء والكسل ، وضعف الاستعداد للذة الروحية بمناجاة الله وذكره ، ولا يزيل ذلك الا غسل البدن كله فلذلك وجب الغسل عقب ذلك . واشترط بعضهم في الانزال اللذة، ويحصل نحو هذا الضعف والفتور للمرأة بسببين آخرين وهما الحيض والنفاس فشرع لها الغسل عقبهما كما شرع لها الغسل من الجنابة كالرجل. والظاهر ان سبب ما ورد في السنة من الامر بالوضوء من اكل ما مسته النار كله هو ما فيه من اللذة ، وخص منها لحم الإبل لانهم كانوا يستطيبونه أو لانه يستثقل على المعدة فيضعف النشاط عقب اكله ، ثم خفف النبي (ص) عن الامة في ذلك واكتفى بالحدث الذي هو غاية الاكل عن المبدإ كما هو مذهب الجماهير ، ومن زال عقله بمرض عصبي أو غيره كالاغماء والسكر وتناول بعض المخدرات والادوية لاينشط بعد افاقته الا اذا أمس الماء بدنه بوضوء أو غسل . وانني أرى ان هذا الدخان (التبغ والتنباك) الذي فتن به الناس في هذه الازمنة لو كان في زمن الشارع لأوجب الوضوء منه ان لم يحرمه تحريما ، ويقرب من الاغماء ونحوه النوم ، ومهما اختلف الفقهاء في نقض الوضوء به هل هو لذاته أو لكونه مظنة لشيء آخر ؟ وهل ينقض مطلقا أو يشترط فيه الكثرة أو عدم تمكن المقعدة من الارض ؟ فالجماهير على وجوب الوضوء عقب النوم المعتاد

واعلم ان هذه الفائدة تحصل بالماء دون غيره من المائعات حتى مايزيل الوسخ

أكثر من الماء كالكحول، فلا تحصل عبادة الغسل بغيره لانعاشه وكونه أصل الاحياء كلها، وهذا الذي تعبر عنه الصوفية بتقوية الروحانية للعبادة وهو ما يدل عليه قوله تعالى « فان لم تجدوا ماء فتيمموا » الآية . ولا ينافي روحانية المائية المادة العطرة التي تقطر من الورد وغيره

(الفائدة الثانية من فوائد الطهارة الذاتية) ما أشرنا اليه من كونها ركن الصحة البدنية ، وبيان ذلك ان الوساخة والقذر مجلبة الامراض والادواء الكثيرة كما هو ثابت في الطب ، ولذلك نرى الاطباء ورجال الحكومات الحضرية يشددون في أيام الاوبئة والامراض المعدية - بحسب سنة الله تعالى في الاسباب - في الامر بالمبالغة في النظافة . وجدير بالمسلمين أن يكونوا أصح الناس أجسادا ، وأقلهم أدواء وأمراضا ، لان دينهم مبني على المبالغة في نظافة الابدان والثياب والامكنة، وازالة النجاسات والاقذار التي تولد الامراض من فروض دينهم ، وزاد عليها ايجاب تعهد أطرافهم بالغسل كل يوم مرة أو مرارا اذ ناطه بأسباب تقع كل يوم، وتعاهد أبدانهم كلها بالغسل كل عدة أيام مرة، فاذا هم أدوا ماوجب عليهم من ذلك تنتفي أسباب تولد جراثيم الامراض عندهم . ومن تأمل تأكيد سنة السواك وعرف مايقاسيه الالوف والملايين من الناس من أمراض الاسنان كان له بذلك أكبر عبرة . ومن دقائق موافقة السنة في الوضوء لقوانين الصحة غير تقديم السواك عليه تأكيد البدء بغسل الكفين ثلاث مرات ، وهذا ثابت في كل وضوء فهو غير الامر بغسلهما لمن قام من النوم ، ذلك بأن الكفين اللتين تزاول بهما الاعمال يعلق بهما من الاوساخ الضارة وغير الضارة مالا يعلق بسواهما، فاذا لم يبدأ بغسلهما يتحلل مايعلق بهما ، فيقع في الماء الذي به يتمضمض المتوضئ ويستنشق ويغسل وجهه وعينيه ، فلا يأمن ان يصيبه من ذلك ضرر مع كونه ينافي النظافة المطلوبة . ومن حكمة تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل جميع الاعضاء اختبار طعم الماء وريحه فقد يجد فيه تغيرا يقتضي ترك الوضوء به .

(الفائدة الثالثة من فوائد الطهارة الذاتية) تكريم المسلم نفسه في نفسه وفي أهله وقومه الذين يعيش معهم ، كما يكرمها ويزينها لاجل غشيان بيوت الله تعالى

للعبادة بهداية قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ومن كان نظيف البدن والثياب كان أهلا لحضور كل اجتماع وللقاء فضلاء الناس وشرفائهم ، ويتبع ذلك انه يرى نفسه أهلا لكل كرامة يكرم بها الناس ، وأما من يعتاد الوسخ والقذارة فانه يكون محتقرًا عند كرام الناس لا يعدونه أهلا لان يلقاهم ويحضر مجالسهم ، ويشعر هو في نفسه بالضعة والهوان ، ومن دقق النظر في طبائع النفوس وأخلاق البشر رأى بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن ، أو طهارة الجسد واللباس وطهارة النفس وكرامتها ـ ارتباطا وتلازما ،

والطهارة في الآية تشمل الامرين معا كما تقدم ، وكل منهما يكون عونا للآخر ، كما ان التنطع والاسراف في أي واحدة منهما يشغل عن الاخرى . وهذا هو سبب عدم عناية بعض الزهاد والعباد بنظافة الظاهر ، وعدم عناية الموسوسين المتنطعين في نظافة الظاهر بنظافة الباطن ، والاسلام وسط بينهما ، يأمر بالجمع بين الامرين منهما ، وان اشتبه ذلك على بعض المحققين حتى هونوا أمر نظافة الظاهر في بعض كتبهم مع ذكرهم لادلتها في تلك الكتب ، والله تعالى يقول (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ولاجل هذا قال رسول الله (ص) « الطهور شطر الايمان » رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي مالك الاشعري وله تتمة . وذلك ان الانسان مركب من جسد ونفس وكماله انما يكون بنظافة بدنه وتزكية نفسه ، فالطهور الحسي هو الشطر الاول الخاص بالجسد ، وتزكية النفس بسائر العبادات هو الشطر الثاني ، وبكلتيهما يكمل الايمان بالاعمال المترتبة عليه .

ويؤيد ذلك ما ورد من تأكيد الامر بالغسل يوم الجمعة والطيب ولبس الثياب النظيفة ، لانه يوم عيد الاسبوع يجتمع الناس فيه على عبادة الله تعالى فيطلب فيه ما يطلب في عيدي السنة . وورد في أسباب الامر بالغسل فيه خاصة ان بعض الصحابة كانوا يتركون فيه أعمالهم قبيل وقت الصلاة فتشم رائحة العرق منهم ولا تكون أبدانهم نظيفة ، وفي بعض هذه الروايات انهم كانوا يلبسون الصوف فاذا عرقوا عات رائحته ، حتى شمها النبي (ص) مرة وهو يخطب ، فكان يأمرهم بالغسل والطيب والثياب النظيفة لاجل هذا ، رواه ابن جرير وغيره . وقد روى

مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من عدة طرق ان النبي (ص) قال « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » أي بالغ مكلف . وحكى ابن حزم القول بوجوب غسل الجمعة عن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وعمرو بن سليم وعطاء وكعب والمسيب بن رافع وسفيان الثوري ومالك والشافعي وأحمد ، ولكن المالكية والشافعية على كونه سنة مؤكدة ، والوجوب قول الشافعي في القديم ورواية عنه في الجديد . وعارض القائلون بأنه سنة حديث الوجوب بما يدل على ان المراد به التأكيد لصحة صلاة الجمعة ممن توضأ فقط ، وقال الظاهرية انه واجب لليوم وليس شرطا لصحة صلاتها . وقال ابن القيم ان أدلة وجوبه أقوى من أدلة وجوب الوضوء من لمس المرأة ومس الفرج والقيء والدم

شبهات الملاحدة على جعل الطهارة عبادة

تلك فوائد الطهارة الذاتية لها التي شرعت لاجلها . واما فوائدها الدينية وجعلها عبادة ودينا فاننا قبل بيانها ننبه أذهان المؤمنين ، الى جهالة بعض المعطلين ، الذين ينتقدون جعل الطهارة من الدين ، ويزعمون انهم ينطقون بحقائق الفلسفة ، ولا نصيب لهم منها الا السفه ، والتقليد في الكفر ، من غير بينة ولا عذر ،

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا

يقول هؤلاء العميان المنكوسون ، والاغبياء المركوسون ، ان الطهارة والآداب يجب ان تؤتى لمنفعتها وفائدتها المترتبة عليها ، لا لأن الله تعالى امر بها ، ويثيب على فعلها ويعاقب على تركها ، ويزعمون ان الدين يحول دون هذه الفلسفة العالية التي ارتقوا اليها ، ويفسد نفس الانسان بتخويفه من العقاب ، ويحجبه عن معرفة الواجب والعمل به لانه الواجب أي حجاب ، ويحتجون على ذلك بأنهم هم وأمثالهم ممن لا دين لهم ، أنظف ثيابا وأبدانا من جمهور المتدينين ، حتى المتنطعين منهم في الطهارة والموسوسين ، ومن يعدهم الجمهور من الاولياء والقديسين . ونقول في كشف شبهتهم ، واظهار جهالتهم :ـ

(اولا) ان الدين الاسلامي الذي لا يوجد في الارض دين سماوي سواه ثابت الاصل ، سامق الفرع ، لم يشرع للناس شيئا الا ما كان فيه دفع لضرر أو

مفسدة ، أو جلب لنفع أو مصلحة ، وهو يهدي الناس الى معرفة أحكامه مع معرفة حكمها ، الكاشفة لهم عن فوائدها ومنافعها (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم و يعلمكم الكتاب والحكمة و يعلمكم مالم تكونوا تعلمون) فما يتبجحون به من الاهتداء الى وجوب القيام بالاعمال والآداب مع مراعاة منافعها وفوائدها ، هو مما هدى اليه الاسلام الذي عظم أمر حسن النية في جميع الامور ، وحث على طلب الحكمة في كل عمل

و (ثانيا) ان أمر الامم بالاعمال والآداب التي تفيدها في مصالحها الاجتماعية، ومنافع افرادها الشخصية ، ونهيها عن الافعال التي تضر الافراد والجمهور ، لايقبلان ويمتثلان بمجرد تعليلهما بدفع الضر وجلب النفع كما يزعمون ، لأمرين (أحدهما) ان اقناعك جميع أفراد الامة أو أكثرها بضرر كل ماتراه ضارا ونفع كل ماتراه نافعا متعذر ، ولم يتفق لأحد من العقلاء والحكماء ارجاع أمة من الامم عن عمل ضار ، ولا حملها على عمل نافع ، بمجرد دعوتهم الى ذلك بالدليل على نفع النافع وضرر الضار ، ولا ترى أمة ولا قبيلة من البشر متفقة على شيء من ذلك الا بسبب دعوة دينية ، أو تقاليد أوصلها اليها اختبارهم الموافق لطبيعة معاشهم ، وكثيرا ما تكون هذه التقاليد المتفق عليها بين قوم مختلفا فيها عند آخرين ، أو متفقا على ضرر مايراه اولئك نافعا ونفع مايرونه ضارا (ثاني الامرين) أن مجرد الاقناع والاقتناع بضرر الضار ونفع النافع لايوجب العمل ولا الترك ، لانه قد يعارضه هوى النفس ولذتها ، فيرجح الكثيرون أو الاكثرون الهوى على المنفعة ، خصوصا اذا كانت لأمتهم لا لأشخاصهم ، واننا نرى هؤلاء المتفرنجين المساكين يشربون الخمر وهم يعتقدون انها ضارة ، وقد أفقر القمار بيوت أمثالهم وأشهرهم ، وأذل من أذل منهم بالدين والحجز على ما يملك و بيعه حتى قيل انه أمات بعضهم غما وكدا ، ونراهم مع ذلك مفتونين به لا يتركونه . فاذا كان هذا شأن أرقاهم علما وفهما وأدبا وفلسفة في اتباع اهوائهم التي ثبت لهم ضررها بالاختبار والعيان ، وليس وراء ذلك برهان؟ فكيف يزعمون انه يمكن تهذيب الامة بالاقناع العقلي على تعذره ، وما عرفوا من أثره. وأما مايعنون به من النظافة و بعض الآداب

فانهم لا يأتونه لما عندهم من الفلسفة والعلم بنفعه ، بل قلدوا فيه قوما اهتدوا اليه بأسباب اجتماعية علمية وعملية وتجارب واختبارات عدة قرون . حدثني رجل من أرقى الامة الانكليزية أخلاقا وآدابا وعلما واستقلالا — وهو مستر متشل أنس الذي كان وكيل نظارة المالية بمصر – انه لايزال يوجد في أوروبة من لا يغتسل في سنته أو في عمره ولا مرة واحدة ، وأن الشعب الانكليزي هو أشد الشعوب الاوربية عناية بالنظافة والقدوة لها فيها كما يظهر ذلك لكل مسافر في البواخر التي يسافر فيها كثير من الأمم بين المختلفي الاجناس ، وان الانكليز قد تعلموا الاستحمام وكثرة الغسل من أهل الهند

ومن دلائل تقليد هؤلاء المتفرنجين المساكين في النظافة الظاهرة ، وانهم ليسوا فيها على شيء من العقل والفلسفة ، انهم في غسل الاطراف يستبدلون ما يسمونه «التواليت» بالوضوء الذي هو أكمل منه وأنفع، وان من يعنى منهم بأسنانه يستبدل في تنظيفها «الفرشة» بسواك الأراك وهو أنفع منها بشهادة أئمتهم الافرنج، كما قال أحد الاطباء الالمانيين لمن اوصاه باسنانه «عليك بشجرة محمد» (ص) وقد جاء في مجلة (غازتة باريس الطبية) تحت عنوان «عناية العرب بالفم» : بتأثير السواك تصير الاسنان ناصعة البياض واللثة والشفتان جميلة اللون الاحمر – الى ان قالت – وانه ليسوءنا ان لا تكون عنايتنا بافواهنا ونحن أهل المدنية كعناية العرب بها . وقالوا ان ما في عود الاراك من المادة العفصية العطرة يشد اللثة ويحول دون حفر الاسنان ، وانه يقوي المعدة على الهضم و يدر البول . وقد فاتنا ان نذكر هذا عند الكلام على السواك

و (ثالثا) اذا ثبت بالعقل والبرهان ، والاختبار والعيان ، ان اقناع أمة من الامم بالنفع والضر متعذر ، وأن حملها على ترك الضار وعمل النافع للافراد وللجمهور لانه نافع غير كاف في هدايتها – ثبت ان اصلاح شأنها بالفضيلة والآداب ، وترك المضار والاجتهاد في سبيل المنافع ، يتوقف على تأثير مؤثر آخر يكون له السلطان الاعلى على النفس ، وهو الدين . فثبت بهذا ان الجمع بين معرفة حكم الاعمال وكونها طاعة لله تعالى تؤهل العامل لسعادة النفس في الآخرة كما يستفيد بها مايترتب عليها

من المنفعة في الدنيا ، هو الذي يرجى أن يذعن له جمهور الامة ، فمن الناس من لا يطمئن قلبه بالايمان والاذعان لاحكام الدين الا اذا عرف حكمة كل أصل من أصوله وحكم من كليات أحكامه ، ومنهم من يذعن لكل ما يأمر به ولا يهمه البحث عن حكمته لان استعداده لطلب الحكمة ضعيف ، ولكنه اذا قبل ذلك بادي بدء من غير معرفة حكمته لا يلبث أن ينال حظا من هذه الحكمة عند ما يتفقه في دينه كما يجب عليه. ومهما ضعف الدين فهو اعم تأثيرا من الاقناع العقلي ، فقلما يوجد مسلم متدين لا يغتسل من الجنابة . وما نراه من ترك كثير ممن يسمون مسلمين للكثير من مهمات الاسلام فسببه انه ليس لهم من الاسلام الا الاسم ، فلا تعلموا حقيقته، ولا تربوا على تزكيته .

و (رابعا) ان معنى كون الطهارة وغيرها من الاعمال الادبية والفضائل دينا هو ان الوحي الإلهي يأمرنا بها لما فيها من الخير والفوائد الذاتية التي تنفعنا وتدرأ الضر عنا وهو ما بيناه أولا ، ولفوائد أخرى لا ندركها الا بجعلها من أحكام الدين

و (خامسا) ـ وهذا هو المقصد وما قبله تمهيد ومقدمات ـ ان الفوائد من جعل الطهارة من أحكام الدين وعباداته أربع وهي:

الفوائد الدينية للطهارة الحسية

(الفائدة الاولى) أن يتفق على المواظبة عليها كل مذعن لهذا الدين من حضري وبدوي ، وذكي وغبي ، وفقير وغني ، وكبير وصغير ، وأمير ومأمور ، وعالم بحكمتها ، وجاهل لمنفعتها ، حتى لا تختلف فيها الآراء ، ولا تحول دون العمل بها الاهواء ، كما هو شأن البشر في جميع ما يتفاوتون فيه من الاشياء

(الفائدة الثانية) أن تكون من المذكرات لهم بفضل الله ونعمته عليهم ، حيث شرع لهم ما ينفعهم ويدرأ الضرر عنهم ، فاذا تذكروا انه يرضيه عنهم أن تكون أجسادهم على أكمل حال من النظافة والطهارة ، يتذكرون أن أهم ما فرض عليهم لاجله تطهير أجسادهم ، هو انه من وسائل تزكية أنفسهم وتطهير قلوبهم ، وتهذيب أخلاقهم التي يترتب عليها صلاح أعمالهم ، لانه تعالى ينظر نظر الرضاء والرحمة الى القلوب والاعمال ، لا الى الصور والابدان ، فيعنون بالجمع بين الامرين ، توسلا بهما الى سعادة

الدارين ، كما هو مقتضى الاسلام « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

(الفائدة الثالثة) ان مجرد ملاحظة المؤمن امتثال أمر الله تعالى بالعمل ، وابتغاء مرضاته بالاتيان به على الوجه الذي شرعه ، مما يغذي الايمان به ، و يطبع في النفس ملكة المراقبة له ، فيكون له عند كل طهارة بهذه النية والملاحظة ـ التي شرحنا معناها في بحث نية الوضوء ـ جذبة الى حظيرة الكمال المطلق ، تتزكى بها نفسه ، وتعلو بها همته ، وتتقدس بها روحه ، فيصلح بذلك عمله ، وقس على هذه العبادة سائر العبادات . لهذا كان لاولئك المصطفين الاخيار ، من صحابة النبي المختار ، تلك الاعمال والآثار ، والعدل والرحمة والإيثار ، التي لم يعهد البشر مثلها في عصر من الاعصار ، وهذا مما يتجلى به قول جمهور العلماء بوجوب النية للوضوء والغسل وضعف قول من ذهب الى عدم وجوبها

(الفائدة الرابعة) اتفاق المؤمنين على أداء هذه الطهارات بكيفية واحدة وأسباب واحدة ، أينما كانوا ، ومهما كثروا وتفرقوا ، وان اتفاق أفراد الامة في الاعمال ، من أسباب الاتفاق في القلوب ، فكلما كثر ما تتفق به كان اتحادها أقوى ، كما بيناه في موضع آخر

ثم نقول (سادسا) إن ما احتجوا به من تقصير كثير من المسلمين في الطهارة العامة لا حجة فيه . نعم انهم صاروا يقصرون في النظافة ، و يعدون الطهارة امرا تعبديا لا ينافي القذارة ، وانه يمكن ان يكون الانسان طاهرا وان كان كالجيفة في وسخه ونتنه ، وان يكون نظيفا تام النظافة وهو غير طاهر ، و يعدون كثيرا من الطيب والمائعات المطهرة نجسة كالكحول وانواع الطيب التي يدخل فيها . ونحن نقول ان الدين الاسلامي حجة على امثال هؤلاء وليسوا حجة عليه ، الا عند من يجهل حقيقته ، و يتلقاه عنهم لا عن كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، (ص) وا كثر هؤلاء المتفرنجين المعترضين يجهلون حقيقته ، ومنهم من لا يعرف من أصوله ولا من فروعه شيئا الا ما يسمعه و يراه من هؤلاء العوام ولا سيما المعممين منهم ، بل يعدون من الاسلام ما يسمعونه من بعض اعدائه

ويقرءونه في صحفهم وكتبهم التي ينشرها دعاة النصرانية ، ونحوها مايكتبه رجال السياسة، لانهم يتبعون فيه الهوى، فكل من هذين الفريقين ينظر الى كتب الاسلام والى حال المسلمين بعين السخط، ملتمسا منها ما يمكن له أن يعيبه و ينفر منه، فهو لا يطلب حقيقته ولذلك لا يدركها ، ولا يقول ما ظهر له منها على وجهه ، بل يحرف الكلم عن مواضعه .

وجملة القول في الطهارة انها هي المبالغة في النظافة من غير تنطع ولا وسوسة ، وقد اتفق العلماء على أنها من العبادات المعقولة المعنى حتى قال بعضهم لا تجب في الوضوء النية ولا الترتيب الذي ثبت في الكتاب والسنة والعمل المطرد. وقد اوجب الاسلام طهارة البدن والثوب والمكان ، كما أوجب غسل الاطراف التي يعرض لها الوسخ كل يوم بأسباب من شأنها ان تتكرر كل يوم ، وغسل جميع البدن بأسباب من شأنها ان تتكرر كل عدة أيام ، وأكد غسل الجمعة والعيدين وحث على السواك والطيب. وقد اشتهر امتياز الاسلام بالنظافة على جميع الاديان ، حتى صار هذا معروفا له عند غير أهله ، وسمعت كثيرين من أدباء النصارى يذكرون هذه المزية للاسلام ويعللونها بأن العرب كانت قليلة العناية بالنظافة لقلة الماء في بلادها ولقرب أهل الحضر منها من البدو في قلة التأنق والترف

﴿ نفي الحرج من الدين واثبات اليسر ﴾

مانفاه الله تعالى من الحرج في هذه الآية قاعدة من قواعد الشريعة وأصل من أعظم أصول الدين تبنى عليه وتتفرع عنه مسائل كثيرة . وقد أطلق هنا نفي الحرج والمراد به أولاً وبالذات مايتعلق بأحكام الآية أو بما تقدم من الاحكام من أول السورة ، وثانيا وبالتبع جميع أحكام الاسلام ، ولهذا لم يقل مايريد الله ليجعل عليكم من حرج فيما شرعه لكم من أحكام الطهارة مثلا، لان حذف المتعلق يؤذن بالعموم ، وقد صرح بنفي الحرج من الدين كله في سورة الحج فقال (٢٢ : ٧٨ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم ابراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ، ليكون الرسول عليكم شهيدًا وتكونوا شهداء على الناس) — الآية — وانما صرح في هذه الآية بنفي الحرج

من الدين كله لان سورة الحج من السور المكية التي بينت أصول الاسلام وقواعده الكلية، وهي تدل على ان القيام بما لابد منه من عزائم الامور ليس من الحرج في شيء ، لانه نفى الحرج بعد الامر بالجهاد في سبيل الله حق الجهاد وهو بذل الجهد في الطريق الموصل الى اقامة سنن الله تعالى وحكمته في خلقه وكل مايرضيه من عباده من الحق والخير والفضيلة ، ولا يصعد الانسان الى مستوى كماله الا ببذل الجهد في معالي الامور ، وانما الحرج هو الضيق والمشقة فيما ضرره أرجح أو أكبر من نفعه، كالإلقاء بالايدي الى التهلكة ، والامتناع من سد الرمق بلحم الميتة أو الخنزير أو الخمر لمن لا يجد غيرها، وكاستعمال المريض الماء في الوضوء أو الغسل مع خشية ضرره وكذلك استعماله في البرد بهذا القيد — او فيما يمكن ادراك غرض الشارع منه بدون مشقة في وقت آخر كالصيام في المرض والسفر . وقد صرح القرآن الحكيم بعد بيان فرضية الصيام والرخصة للمريض والمسافر بالفطر بأنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر

وقد بنى العلماء على أساس نفي الحرج والعسر وثبات ارادة الله تعالى اليسر بالعباد في كل ماشرعه لهم عدة قواعد وأصول، فرعوا عليها كثيرا من الفروع في العبادات والمعاملات ، منها : اذا ضاق الامر اتسع * المشقة تجلب التيسير * درء المفاسد مقدم على جلب المنافع * الضرورات تبيح المحظورات * ما حرم لذاته يباح للضرورة ، وما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة .

وقد ناط الفقهاء معرفة المشقة التي تجلب التيسير وتكون سبب التخفيف بعرف الناس فيما لا نص فيه . واستشكل القرافي هذا الضابط فيما يسكتون عن بيانه وتحديده من العرف وقال ان الفقهاء من أهل العرف وليس وراءهم من أهله الا العوام الذين لا يؤخذ بقولهم ولا رأيهم في الدين (وعبارته : لا يصح تقليدهم في الدين) ورأى إزالة الإشكال ان مالم يرد الشرع بتحديده يتعين تقريبه بقواعد الشرع، وبين ذلك بقوله : يجب على الفقيه ان يفحص عن أدنى مشاق تلك العبادة المعينة فيحققه بنص أو اجماع أو استدلال ، ثم ماورد عليه من المشاق مثل تلك المشقة أو أعلى منها جعله مسقطا ، وان كان أدنى منها لم يجعله مسقطا . مثاله التأذي بالعمل في الحج مبيح للحلق بالحديث الوارد عن كعب بن عجرة ، فأي مرض آذى مثله أو أعلى منه

أباح والا فلا . والسفر مبيح للفطر فيعتبر به غيره من المشاق . اه و وافقه عليه أبو القاسم ابن الشاط الانصاري

وأقول فيما استشكله من نوط مالم يرد في الشرع بالعرف نظر ظاهر ، فان العلماء الذين ناطوا بعض المسائل بالعرف انما وقع ذلك منهم أفذاذا في أثناء البحث او التصنيف ، ويجوز ان يجهل كل فرد منهم العرف العام في كثير من المسائل ، وما اجتمع علماء عصر أو قطر للبحث عن عرف الناس في أمر ومحاولة ضبطه وتحديده ثم عجزوا عن معرفته وأحالوا في ذلك على العامة . ان من العلماء الفقير البائس والضعيف المنة (اي القوة والجلد) والغني المترف ، والقوي الجلد، وغير ذلك فيشق على بعضهم مالا يشق على الجمهور ، و يسهل على بعضهم مالا يسهل على الجمهور ، فالرجوع الى العرف فيما يشق على الناس ومالا يشق عليهم ضروري لابد منه ، وهو لايعرف الا بمعاشرة الناس وتعرّف شؤونهم وأحوالهم، وقد كثرت الدواهي في آراء الفقهاء الاجتهادية الذين يجهلون أمر العامة . ورحم الله من قال « الفقيه هو المقبل على شانه ، العارف بأهل زمانه » وما ذكره القرافي من انتقريب محله مالا نص فيه ولا عرف مما يقع للافراد فيستفتون عنه ، واما نوط كل مالا نص فيه بآراء الفقهاء فهو الذي أوقع المسلمين في أشد الحرج والعسر من أمر دينهم حتى صاروا يتسللون منه لواذا ، ويفرون من حظيرته ذرافات وأفذاذا ، وسنعود الى هذا البحث ان شاء الله تعالى

بعد ما بين تعالى هذه الاحكام، وقاعدة رفع الحرج التي تم بها الانعام، ذكرنا بما ان ذكرناه نكن من الشاكرين له والموفين بعهده فقال ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا ﴾ أي تذكروا يا أيها المؤمنون اذ كنتم كفارًا متباغضين متعادين فأصبحتم بنعمته عليكم بالهداية الى الاسلام اخوانا في الايمان والاحسان. واذكروا ميثاقه الذي واثقكم به، أي عهده الذي عاهدكم به حين بايعتم رسوله محمداً (ص) على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر ، اذ قلتم له سمعنا ما أمرتنا به ونهيتنا عنه وأطعناك فيه ، فلا نعصيك في معروف ، وكل ما جئتنا فهو معروف. أخذ النبي (ص) العهد على الرجال والنساء بالسمع والطاعة فذكر

الله تعالى عهد النساء في سورة الممتحنة ولم يذكر عهد الرجال وهو في معناه الا انه يتضمن معنى القتال لحماية الدعوة الى الاسلام والدفاع عن أهلها . وكل نبي بعث في قوم أخذ عليهم ميثاق الله تعالى بالسمع والطاعة كما ترى مثال ذلك في الآيات الآتية. ومجرد قبول الدعوة والدخول في الدين يعد عهدًا وميثاقا بالسمع والطاعة . وعهد الله وميثاقه الذي اخذه نبينا صلى الله عليه وسلم على اول هذه الامة عام يدخل فيه كل من قبل الاسلام ومن نشأ فيه من بعدهم الى يوم القيامة . فيجب ان نعد هذا التذكير خطابا لنا كما كان سلفنا الصالح من الصحابة (رض) يعدونه خطابا لهم

﴿ واتقوا الله ﴾ ايها المؤمنون ان تنقضوا عهده بمخالفة ما امركم به ونهاكم عنه في هذه الآيات او غيرها . او ان تزيدوا فيما بلغكم رسولكم من امر ربكم او ان تقصروا في حفظه، او تحرفوا كلمه عن مواضعه بالتأويل ، فتكونوا كالذين اخذ الله ميثاقهم من اهل الكتاب فنسوا حظا مما ذكروا به ، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وزادوا في دينهم برأيهم ونقصوا منه، كما ترون في هذه السورة – وكذا في غيرها – كثيرًا من اخبارهم، وما كان من غضب الله عليهم وعقابه لهم ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾ لايخفى عليه ما اضمره كل واحد ممن اخذ عليهم الميثاق من الوفاء اوعدم الوفاء، وما تنطوي عليه سريرة كل احد من الاخلاص او الرياء ، وسيرون مايترتب على ذلك من الجزاء

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ وجود الله ووحدانيته والقضاء والقدر ﴾

(س ٣٧ – ٣٩) من صاحب الامضاء الشهير بفاقوس

حضرة الاستاذ الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الافخم

تحية وسلاماً واشواقا ، (وبعد) فارجو ان تجيبوا بالبرهان الكافي والبيان الشافي في المنار

الآن على هذه الاسئلة (١) شاع وذاع وملأ الاسماع ان استاذاً ملحدا تلقى العلوم في مدرسة المعلمين وكمل بمدارس أوربة وعين مدرسا بمدرسة التجارة بمصر، انكر وجود الخالق تعالى مستندا على علم الطبيعة الذي يبحث فيه عن اشياء الكون وظواهر الموجودات قائلا امام الطلبة: الاعتقاد بوجود الاله من الاوهام التي لم يقم عليها دليل علمي ولا برهان حسي (٢) مما ألقاه هذا الاستاذ الملحد من الشبه على عقيدة القضاء والقدر امام الطلبة ان الانسان اثناء ملابسة الشرور اما ان يكون في سلطة القضاء والقدر اولا، فان قيل بالايجاب امتنعت عنه المسؤولية وصار غير مستحق للجزاء لاشرعا ولا قانونا وان قيل بالسلب بطل القضاء والقدر . وأما القول بأنه مجبور باطنا مختار ظاهرا فهو من السفسطائيات التي لايرضاها العلم والفلسفة (٣) سأل سائل (المقتطف) كيف اعتقد بعض فلاسفة اليونان تعدد الآلهة مع قيام البرهان العقلي على التوحيد الخالص؟ فاجاب (المقتطف) ان البرهان العقلي لاينفي التوحيد ولا يثبته وانما ثبت التوحيد بالالهام . فأعاد السائل السؤال فاعاد المقتطف الجواب بما لايخرج عن معنى ماتقدم. هذا وارجوان يكون الجواب بالادلة العقلية والعلمية والفلسفية والتاريخية على الطريقة العصرية ولكم من الله الاجر ومن الامة الشكر ودمتم لصديقكم المخلص

احمد محمد الالفي خادم العلم الشريف

الادلة العلمية على وجود الله تعالى

(ج) - ١ - اذا صح مانقل عن ذلك المدرس بمدرسة التجارة فهو جاهل مغرور لايعرف العلم الالهي ولا العلم الطبيعي، فلم يقل عالم ولا عاقل مؤمن ولا ملحد ان العلم الطبيعي ينفي وجود الخالق، وكل مازعمه بعض من طمست بصيرتهم في ذلك ان العلم الطبيعي لايثبت وجود الخالق ولا ينفيه، ولكن السواد الاعظم من عقلاء البشر وعلمائهم أثبتوا وجود الخالق بالبراهين العقلية والحجج العلمية، والمثبت مقدم على النافي لان نفي ما عدا المحال جهل، لانه عبارة عن عدم العلم بالمنفي . وقد صرحتم فيما نقلتموه عن ذلك الملحد الجديد بأنه استدل على عدم وجود الخالق بعدم الدليل العلمي والبرهان الحسي على وجوده، وعدم الدليل لايقتضي عدم المدلول، على ان دعوى عدم الدليل باطلة، والصواب عدم علمه هو بالدليل، وعدم العلم بالشيء لايقتضي عدم ذلك الشيء باتفاق العقلاء، بل هو من البديهيات. وفي كتب الكلام كثير من الادلة العقلية على وجود الخالق، وفي القرآن كثير من الادلة العقلية والادلة العلمية الكونية على ذلك . وقد كتب محرر المقتطف مقالة عنوانها (آياته في خلقه) شرح

فيها الدلائل العقلية والطبيعية على وجود الخالق تعالى نشرناها في جزء ذي الحجة سنة ١٣٢٨ بعد مقدمة وتمهيد في الدين والالحاد والاشتراكية (راجع ص ٩١٣ م ١٣)

القضاء والقدر

٢ - ماقاله ذلك الاستاذ الملحد في القضاء والقدر مبني على جهله بمعنى القضاء والقدر وظنه انه عبارة عن الجبر وسلب الاختيار، وهو ظن باطل آثم، وقد بينا حقيقة المسألة في المنار مراراً فلا نعيدها عند هذيان كل هاذ، والسائل الفاضل يعرف مواضع تحرير هذه المسألة من المنار

وحدانية الخالق

٣ - واما مسألة وحدانية الخالق عز وجل فهي تعلم من الدلائل على وجود الخالق لان تلك الدلائل تثبت وجود خالق واحد، والتعدد مسألة ثانية تحتاج الى دليل آخر، والعدد لا نهاية له فلا بد لمثبت التعدد من دليل يرجح به العدد الذي يدعيه على غيره. وتعلم من دلائل أخرى مبنية على تلك الدلائل، فمقالة المقتطف التي أشرنا اليها آنفاً تثبت وجود الله تعالى ووحدانيته معاً، وما قال المقتطف ان التوحيد انما عرف بالالهام الا ذهولا عن هذا المعنى، وعن دلائل التوحيد الاخرى، وسبحان المنزه عن الغفلة والذهول. وجمهور فلاسفة اليونان كانوا إلهيين موحدين واثبتوا وجود الواجب بالادلة النظرية . وهؤلاء هم الفلاسفة الالهيون، واما الماديون فلايثبتون إلها ليثبتوا توحيده، وما ذكر في خرافات اليونان من تعدد الآلهة لايعني به ان واجب الوجود الذي يطلقون عليه اسم «علة العلل» أي لكل موجود - حقيقة لهاعدة افراد، وانما ذلك مبني على نظريات أخرى في نظام كل امر كلي عام، لا محل هنا لشرحها، لايتسع وقتنا الآن ولا هذا الجزء من المنار لاطالة الكلام في هذه المسألة فنكتفي بان نذكر السائل — وهو من أهل العلم الذين تكفيهم الاشارة — ببعض البراهين العقلية والطبيعية . فمنها الاستدلال بوجود الممكنات في جملتها على وجود الواجب اذ يستحيل ان تكون قد أوجدت نفسها وان تكون وجدت من العدم المحض بدون موجد فلم يبق الا ان لها منشأ وجوديا آخر ليس من جنسها، أي ليس من الممكنات، وهو الواجب الازلي الذي وجوده ذاتي له . وهو حقيقة واحدة اضطر العقل الى اثباتها مع عدم معرفة كنهها، فلا مجال لدعوى التعدد فيها الا التحكم والفرض رجما بالغيب من مكان بعيد . ومنها ان فرض تعدد الوجود الواجب يوقع العقل في مشكلات لا يمكنه التفصي منها الا بابطال الفرض واثبات الوحدة. فان الواجب الذي

أثبت العقل وجوده هو مصدر وجود الممكنات في جملتها، لأن كل ممكن منها يجوز ان يكون مصدره ممكن آخر، واما جملة الممكنات في أسبابها ومسبباتها، وعللها ومعلولاتها، فلا يمكن ان تكون هي مصدر نفسها ولا ان يكون جزء منها مصدر الكل، ولا ان تكون من العدم المحض بغير موجد كما تقدم آنفاً، فالوجود الواجب الذي أثبتناه هو مصدر مجموع الممكنات، ولا معنى لذلك الا انها صادرة بارادته حسب علمه وهما صفتان ذاتيتان واجبتان له. فاذا فرضنا وجود واجب آخر يكون ذلك تناقضاً معناه ان جملة الممكنات صادرة عن كل منهما غير صادرة عنه، لأن القول بصدورها عن كل واحد يقتضي عدم صدورها عن الآخر الذي هو غيره ذاتاً وعلماً وارادة، فاذا استطعت ان تفرض وجود واجبين أو أكثر لأن الفرض لاحجر فيه فيتناول المحال، فانك لا تستطيع ان تثبت ذلك ولا ان تتفصى من مشاكله.

ولك ان تقول من وجه آخر ان الخالق هو مصدر هذه الموجودات ومصدر التدبير والنظام فيها، فاذا فرضنا تعدده المستلزم لاختلاف صفاته من العلم والحكمة والارادة والقدرة اذ لا معنى للتعدد الا هذا — لزم من هذا الفرض ان يكون التدبير والنظام صادرين عن علمين أو علوم مختلفة وارادات متباينة وذلك يستلزم اختلاف المرادات لاختلاف المعلومات، التابعين لاختلاف كنه الذات، وبذلك يختل النظام وتفسد الكائنات. وهو هذا برهان التمانع في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) أي في السموات والارض.

ومن الادلة الكونية الطبيعية على الوحدانية ما يؤخذ من قول جماهير علماء الكون ان لمجموع الكائنات مصدر وحدة من حيث المادة والقوة، مجهول الكنه والحقيقة

دع ما يدل عليه النظام العام في الخلق من وحدة مصدره، ودع ما يدل عليه العلم الطبيعي من كون العناصر البسيطة التي يتركب منها عالم المادة لا بد لها من مبدإ وحدة، وتذكر قولهم ان الفاعل في مادة الكون الأولى الذي جعلها أطوارا انتقلت من طور منها الى طور بسنن طبيعية مطردة في منتهى الابداع والنظام انما هو شيء وجودي سموه القوة. وتذكر اعترافهم بالعجز عن معرفة كنه تلك القوة التي هي حقيقة واحدة، وان عمل القوة بالنظام الدقيق لا يعقل الا انه عمل عن علم وحكمة، يفتح لك باب آخر من دلائل التوحيد والوحدة، فان ادعاء ان هذه القوة عرض ذاتي للمادة لا يقوم البرهان الاعلى ضده لأنه يقتضي ان تكون هذه التطورات التركيبية ازلية وهي حادثة قطعا. ثم تذكر بعد ذلك كله ما انفتح من أبواب العلم لاثبات ما وراء المادة فان لم تعد منها مسألة إدراك الأرواح وظهور آثارها فلا يفتك ان منها ما يسمونه اليوم بالعقل الباطن، وللمقتطف فيه مقالة نشرت في جزء أغسطس من هذا العام، وهذا يحتاج كغيره الى شرح في جزء خاص.

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(١٧) بيان ان انقسام الناس الى التجهم يشبه انقسامهم الى التشيع وذلك ثلاث درجات

قال الامام ابن تيمية : ليس الناس في التجهم على مرتبة واحدة، بل انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع، فان التجهم والرفض هما أعظم البدع أو من أعظم البدع التي أحدثت في الاسلام، ولهذا كان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم انما يتسترون بهذين بالتجهم والتشيع، وقد كان أمرهم اذ ذاك لم ينتشر ويتفرع ويظهر فساده كما ظهر فيما بعد ذلك

فان الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية، بل كانوا مثبتة للصفات، وغالبهم يصرح بلفظ الجسم وغير ذلك، كما قد ذكر الناس مقالاتهم، كما ذكر أبو الحسن الاشعري وغيره في كتب المقالات

والجهمية لم يكونوا رافضة بل كان الاعتزال فاشيا فيهم، والمعتزلة كانوا ضد الرافضة، وهم الى النصب أقرب، فان الاعتزال حدث من البصرة، والرفض حدث من الكوفيين، والتشيع كثر في الكوفة، وأهل البصرة كانوا بالضد، فلما كان بعد عهد زمن البخاري من عهد بني بويه، فشا في الرافضة التجهم واكثر أصول المعتزلة، وظهرت القرامطة ظهوراً كثيرا، وجرى حوادث عظيمة

والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس وشيء من دين

(*) تابع لما نشر في ج ٩ م ١٦ ص ٧٠٣

مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ، ولا يتكلم ، وكذلك وصف العلماء حقيقة قولهم كما ذكره الامام أحمد فيما ذكره في الرد على الزنادقة والجهمية ، قال: فعندذلك تبين للناس انهم لا يثبتون شيئاً، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية ، فاذا قيل لهم فمن تعبدون؟ قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق. فقلنا فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ، قالوا نعم، قلنا قد عرف المسلمون انكم لا تثبتون شيئا ، انما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ، قالوا لم يتكلم ولا يتكلم ، لان الكلام لا يكون الا بجارحة ، والجوارح عن الله منتفية ، واذا سمع الجاهل قولهم يظن انهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يعلم انهم انما يقودون بقولهم الى ضلال . وقال أبو الحسن الاشعري في كتاب المقالات والابانة : الذين نفوا صفات رب العالمين ، وقالوا انه لا علم له ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ، انما أخذوه عن اخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون ان للعالم صانعا لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير، غير ان هؤلاء لم يستطيعوا ان يظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره، فاظهروا معناه ، وقالوا ان الله عز وجل عالم قادر سميع بصير من طريق التسمية من غير ان تثبت له علما أو قدرة أو سمعا أو بصرا . وقد أفصح بذلك رجل يعرف بابن الاباري كان ينتحل قولهم، فزعم ان البارئ تعالى عالم قادر سميع بصير في المجاز لا في الحقيقة . وهذا القول وهو قول الغالية النفاة للاسماء حقيقة هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من اخوانهم الصابئة الفلاسفة

الصابئة ، فأخذوا عن هؤلاء الاصلين النور والظلمة ، وعن هؤلاء العقل والنفس، ورتبوا لهم ديناً آخر ليس هو هذا ولا هذا ، وجعلوا على ظاهره من سيما الرافضة ما يظن الجهال به انهم رافضة ، وانما هم زنادقة منافقون، اختاروا ذلك لان الجهل والهوى في الرافضة أكثر منه في سائر أهل الاهواء

والشيعة هم ثلاث درجات (شرها الغالية) الذين يجعلون لعلي شيئا من الإلهية أو يصفونه بالنبوة ، وكفر هؤلاء بين لكل مسلم يعرف الاسلام وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه

(والدرجة الثانية) وهم الرافضة المعروفون كالامامية وغيرهم الذين يعتقدون ان عليا هو الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنص جلي أو خفي ، أو انه ظلم ومنع حقه ، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما ، وهذا هو عند الأئمة سيما الرافضة وهو بغض أبي بكر وعمر وسبهما

(والدرجة الثالثة المفضلة) من الزيدية وغيرهم الذين يفضلون عليا على أبي بكر وعمر ، ولكن يعتقدون امامتهما وعدالتهما ويتولونهما ، فهذه الدرجة وان كانت باطلة فقد نسب اليها طوائف من أهل الفقه والعبادة وليس أهلها قريبا ممن قبلهم ، بل هم الى أهل السنة أقرب منهم الى الرافضة ، لانهم ينازعون الرافضة في امامة الشيخين وعدلهما وموالاتهما ، وينازعون أهل السنة في فضلهما على علي ، والنزاع الاول أعظم ، ولكن هم المرقاة التي تصعد منه الرافضة، فهم لهم باب

(وكذلك الجهمية على ثلاث درجات) (فشرها الغالية) الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا هو

(والدرجة الثانية) من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون باسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته، وهم أيضاً لا يقرون باسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يجعلون كثيرا منها على المجاز، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون

(والدرجة الثالثة) هم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من اسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ويتأولونها، كما تأول الاولون صفاته كلها. ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من اهل الحديث (ومنهم) من يقر بالصفات الواردة في الاخبار أيضاً في الجملة، لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول، وذلك كابي محمد بن كلاب ومن اتبعه. وفي هذا القسم يدخل ابو الحسن الاشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف، وهؤلاء الى أهل السنة المحضة أقرب منهم الى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية، لكن انتسب اليهم طائفة هم الى الجهمية أقرب منهم الى أهل السنة المحضة، فان هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعا عظيما فيما يثبتونه من الصفات أعظم من منازعتهم لسائر أهل الاثبات فيما ينفونه

وأما المتأخرون فانهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر، وقدموهم على أهل السنة والإثبات وخالفوا أوليهم (ومنهم) من يتقارب نفيه واثباته، وأكثر الناس يقولون إن هؤلاء يتناقضون فيما يجمعونه من النفي والاثبات اه (١)

(١) للكلام تتمة واسعة في التسعينية فليراجعها المستزيد

البحث الثاني في المعتزلة

وفيه مطالب

(١) التعريف بالمعتزلة

هذه الفرقة — كفرقة أهل السنة والجماعة — من أعظم الفرق رجالا، وأكثرها تابعاً، فان شيعة العراق على الاطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الاقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية، ومثلهم الزيدية في اليمن، فانهم على مذهب المعتزلة في الاصول، كما قاله العلامة المقبلي في العلم الشامخ، وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين، بهذا يعلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا في قلة، فضلا عن أن يظن أنهم انقرضوا، وأن لا فائدة للمناظرة معهم، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها

أما البلاد المنتشر فيها مذهب السلف الاثرية خاصة في العقائد، فهي بلاد نجد بتمامها، فانها سلفية الاعتقاد، لكن يغلب عليهم الجفاء والغلو. وفي بلاد الهند طوائف سلفية داعية الى مذهب السلف بنشر كتبه ودرسها. وفي العراق والحجاز والشام ومصر جماعات قليلة منهم يغلب عليهم الاعتدال

وأما السواد الاعظم من معظم البلاد الاسلامية فعلى مذهب الاشعري أعني ما يدعى انه مذهبه من تلك العقائد المبثوثة في كتب المتأخرين المتداولة، والا فالاشعري قد صرح في كتابه الابانة (*) بانه

(*) طبع في الهند بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٢١

على مذهب الامام احمد في الاعتقاد تصريحاً لا شبهة فيه . ولا ادل على مذهب المرء وعقده من كلامه أو ما خطته يمينه ، وسنذكر في آخر البحث مادعا الى انتشار مذهب الاشعري فانتظر

* * *

(٢) سبب تلقيبهم بالمعتزلة

قال الامام عبد القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق : كان واصل ابن عطاء من منتابي مجلس الحسن البصري في زمان فتنة الازارقة، وكان الناس يومئذ مختلفين في أصحاب الذنوب من أمة الاسلام على فرق: فرقة تزعم أن كل مرتكب لذنب صغير أو كبير مشرك بالله ، وهو قول الازارقة . وفرقة تزعم أن صاحب الذنب المجمع على تحريمه كافر مشرك . وفرقة تقول انه منافق ، وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الامة يقولون: إن صاحب الكبيرة من امة الاسلام مؤمن لما فيه من معرفته بالرسل وبالكتب المنزلة من الله تعالى ، ولمعرفته بان كل ماجاء من عند الله حق ، ولكنه فاسق بكبيرته ، وفسقه لا ينفي عنه اسم الايمان والاسلام فلما ظهرت فتنة الازارقة بالبصرة والا هواز، واختلف الناس في أصحاب الذنوب على ما ذكرنا خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة ، وزعم أن الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والايمان ، فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة وانضم اليه صديقه عمرو بن عبيد ، فقال الناس يومئذ فيهما انهما قد اعتزلا قول الامة ، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة،

ثم انهما اظهرا قولهما في المنزلة بين المنزلتين ، وضما اليها دعوة الناس الى قول القدرية على رأي معبد الجهني اه ملخصاً

وذكر ابن خلكان في ترجمة قتادة البصري ـ أحد كبار علماء التابعين ـ أن قتادة دخل مرة مسجد البصرة فاذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت اصواتهم ، فامهم وهو يظن انها حلقة الحسن ، فلما صار معهم عرف انها ليست هي فقال : انما هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم اه

* * *

(٣) تلقيب المعتزلة بالجهمية

علم مما اسلفنا من حياة جهم وفلسفته أن انتشار آراء جهم وشيوع مسائله بين أولي العلم ولهج الناس بها كان سبق العصر الذي ظهرت فيه المعتزلة ، الا انه سبق قريب ، فان هذه الفرق والنحل الاسلامية كانت تترى يأتي بعضها أثر بعض ، وربما تعاصرت ، وقد يحمل بعضها بنباهة بعض ، أو تندغم احداها في الاخرى ، لما يجمعهما من القول بمسائل تتفقان عليها ، ومن ذلك المعتزلة مع الجهمية ، فان المعتزلة اخذت عن الجهمية القول بنفي الرؤية والصفات وخلق الكلام ووافقتها عليها، وان كان لكل فروع واختيارات غير ما للأخرى ، الا ان ما توافقوا فيه من هذه المسائل الكبيرة جعلهم كأهل المذهب الواحد ، فلذلك اطلق ائمة الاثر لفظ الجهمية على المعتزلة ، فالامام احمد في كتابه الرد على الجهمية ، والبخاري في الرد على الجهمية ومن بعدهم ، انما يعنون بالجهمية فيه المعتزلة، لأنهم كانوا في المتأخرين اشهر بهذه المسائل من الجهمية ، ولكن كان غرض

المتقدمين بالرد والمناقشة الجهمية، لانها الأم لغيرها، والسابقة على سواها في الظهور، بل هي اول فئة ظهرت في الاسلام بمذهب التأويل، وقام حزبها بالدعوة الى مذهبها في ريعان الدولة الأموية كما تقدم، فلذا غلب عند السلف اسمها على غيرها ممن قاربها وتلقى عنها

بما ذكرناه يزول الاشكال والاشتباه الذي يراه بعضهم من ذكر الجهمية في تلك المسائل، مع انها في عرفهم وما يدرسونه في كتب الكلام المتأخرة، مضافة الى المعتزلة. وحاصل دفع الاشكال ان تلقيبهم بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم للجهمية في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة، وتمهيدهم السبيل للتوسع فيها فاحفظه

قال الامام ابن تيمية في منهاج السنة [١]: لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في اوائل المائة الثالثة على عهد المأمون واخيه المعتصم ثم الواثق، ودعوا الناس الى التجهم وابطال صفات الله تعالى، وطلبوا أهل السنة للمناظرة، لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط، بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة والنجارية والضرارية وانواع المرجئة، فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزليا، لكن جهم اشد تعطيلا، لأنه ينفي الاسماء والصفات. وبشر المريسي كان من المرجئة ولم يكن من المعتزلة، بل كان من كبار الجهمية اه

(١) جزء (١) صفحة (٢٥٦)

(لها بقية)

العرب والعربية

﴿ بهما صلاح الامة الاسلامية ﴾

رسالة لصديقنا السيد عبد الحق الاعظمي البغدادي مساعد استاذ اللغة العربية في مدرسة العلوم الكلية الاسلامية الشهيرة في عليكره (بالهند) والخطيب المفوه الشهير بين في أولها ضعف المسلمين وسوء حالهم وكون اليأس منهم أقرب الى الرجاء فيهم لولا ان اليأس ينافي الايمان بقدرة الله تعالى وعنايته - ثم بين انه تصدى لاصلاح حالهم كثيرون من طريق الدين ومن طريق العلم والمدنية وتقليد الامم القوية، وشرح مذاهب دعاة الاصلاح المشهورة، وذكر ان بعض الافرنج ساعد بعضهم على بعضها كمساعدة الانكليز لمسلمي الهند في هذا العصر على التعليم، وبالغ في مدحهم على ذلك، ثم قال ان كل تلك المذاهب والطرق الاصلاحية لم تغن عن المسلمين شيئا فلا يزالون على سوء حالهم، والاخطار محدقة بهم. وانتقل من شرح ما تقدم بالاطناب التام بأسلوبه الخطابي الفصيح الى بيان رأيه في حل هذا المشكل، وازالة هذا المعضل، فقال ان لديه علاجا لاصلاح حال المسلمين، واصلاح حال البشر بهم اجمعين، وهو وصفة مؤلفة من جزئين يعرضهما على عقلاء المسلمين وأهل الغيرة منهم لعلهم يعالجون بتأليفهما والجمع بينهما هذه الامة التي تصلح بصلاحها كل الامم. أما الجزء الاول فهو تعميم اللغة العربية في العالم الاسلامي كله وجعلها لغة التكلم والتعلم والتعامل دون سواها. وهنا بين ان صلاح المسلمين يتوقف على هداية القرآن والسنة، وهدايتهما تتوقف على احياء تأثيرهما في نفوس الناس وذلك يتوقف على احياء لغتهما واتقانها. واطنب في وصف مزايا اللغة العربية واسرارها وشدة تأثيرها وتأثير القرآن الحكيم وما يشهد لذلك من نشأة الاسلام الاولى في العرب. وأما الجزء الثاني من هذه الوصفة فننقله لقراء المنار بنصه وهو قوله:

﴿ الجزء الثاني من هذه الوصفة ﴾

اما الجزء الثاني من هذه الوصفة فهو الشعب العربي، فالواجب يقضي على كل ساع في اعادة مجد الاسلام بايقاظ الامة العربية من نومتها، وتنبيهها من غفلتها، وانهاضها من كبوتها، وانتشالها من سقطتها، ومساعدتها

على الاستعداد للخطر المحدق بها ، والمهدد لكافة الامة الاسلامية على بكرة ابيها ، فقد فرغت اوربا او كادت تفرغ من القضاء على استقلال العنصرين العظيمين من العناصر الاسلامية اللذين كانا موضع رجاء بقية العناصر في جميع بقاع الارض ، ومطمح انظارهم في اعادة مجد الاسلام وحفظ سلطته وحماية اهله ، ووقاية مهد الدين ، وكعبة المسلمين ، من تغلب الاجانب ، وتوارد النوائب ، وتزاحم المصائب - وهما عنصر الترك والفرس - على انهما حماهما الله من كيد الاعداء ، بتوفيقهما لهدي القرآن ، قد استبدلا الرابطة الجنسية اللغوية ، بالجنسية الاسلامية القرآنية ، فلا ترجى مع بقائهما بهذه العصبية الجاهلية ، حياة الاسلام بالقرآن والسنة السنية ، الا ان يثوبا الى رشدهما بالعرب والعربية ،

اما العنصر الافغاني (ومن على شاكلته من الامارات الصغيرة المبعثرة هنا وهناك) فهو وان كان مستقلا في بلاده ، مختارا في اموره واعماله ، لم تأبه له اوربا ولم تعبأ به ، وهو في الحقيقة « لا في العير ولا في النفير » ولا امل لاحد فيه بان يرد للامة مقدار فتيل مما سلب منها او نقير : فلم يبق امام جمعيات اوربا من العقبات الشديدة لبلوغ امنيتها من محو الاسلام تماما واذلال ابنائه قاطبة ووضع اغلال الاستعباد في اعناقهم ، وانتزاع سائر ممتلكاتهم من ايديهم ، الا عنصر واحد هو اكبر العناصر الاسلامية وافضلها ، واغيرها على الدين واجدرها بالقيام بامر المسلمين ، الا وهو (العنصر العربي) الذي اعز الله به الاسلام ، ورفع مقامه فوق كل مقام ، وبه شيد صرح الايمان ، واعلى كلمة الرحمن ، واخرج الناس من الظلمات الى النور ، وهداهم الى الطرق المثلى في جميع الامور ، وجعل تعالت قدرته بلاد هذا العنصر الابي ، مشرق هذا

النور الالهي ، ومنبع حكمته ، ومثار هدايته ، ومصدر تعليمه وتربيته ، ومظهر جلاله وعظمته ، واختارها جل ثناؤه مقرا لبيته الحرام مطاف العائذين ، ومطهر المذنبين ، وقبلة المسلمين في سائر الارضين

فاذا غلب الاجانب العرب على امرهم ، وانشبوا براثنهم في احشاء بلادهم ، فلا عاصم للامة بعد ذلك من امر الله ولا ملجأ ولا منجاة لها من نوائب الدهر وغوائله ، ولتوطن نفسها على استقبال الموت الاحمر والبلاء الاسود ، ثم الفناء والزوال ، او الرسوف في اغلال الاستعباد الى ابد الآباد ، ومهما سلمت الامة العربية والبلاد العربية فان النفوس تظل مطمئنة راجية ان يعتز الاسلام بها يوما من الايام .

الا وان الخطر الذي يلحق بالاسلام من استيلاء الاجانب (الذين فرغوا له الآن) على الامة العربية والبلاد العربية ، اشد وامضى من كل خطر يصيبه من استيلائهم على غيرهما من العناصر والبلاد الاسلامية . لان العرب كما لا يخفى روح الاسلام وعزه ، وبلادهم نقطة دائرته ومركزه ، فالاستيلاء عليهما استيلاء على قلب الاسلام وضربة على ام دماغ الامة ، فلا يرجى لها بعدها انتعاش او قيام ، وقد قال عليه الصلاة والسلام [1] (اذا ذلت العرب ذل الاسلام) واذا ذل الاسلام فقل على الدنيا وما فيها السلام ، فان الخسارة تنتج من ذله ، والضر الذي يترتب على هوانه وزواله ، يعمان البشر قاطبة ويشملان الموجودات طرا ، لانه الدين الذي رضيه الله لعباده وأكمل به الاديان ، والشرع الذي ما بعده شرع ينتظر لاصلاح بني الانسان (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

(١) رواه ابو يعلى في مسنده عن جابر بن عبد الله — الجامع الصغير ج ١ ص ٢٥

فاذا رغب المسلمون في بقاء جامعتهم وحياة امتهم ، ورفع كلمتهم وحماية شريعتهم، وحفظ وجودهم وصيانة حقوقهم،وان يقام لهم وزن بين الامم، وتقوم لهم ومنهم دولة مهابة عزيزة بين الدول ، وان ارادوا ان يحافظوا على الوديعة التي اودعت لديهم ، والامانة التي بعد ان عرضت على السموات والارض فابين ان يحملنها فوضت اليهم،وهي وديعة التوحيد، وامانة الايمان بالعلي المجيد ، وان يتمموا مابدأوا به من اصلاح البشر اصلاحا يجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة ، وسعادتي الروح والجسم وطيب المعاش والمعاد ـ اذا ارادوا هـذا ورغبوا في ذاك ، فالواجب على عامتهم وخاصتهم قريبهم وبعيدهم عربيهم وعجميهم، ان يقوموا باحياء البلاد العربية بكل وسائل الحياة، وتقوية الامة العربية بجميع انواع القوى، وان يسدوا اولا بكل مالديهم من حول وقوة كل منفذ من المنافذ التي يدخل منها الاجانب لافساد هذا الشعب الكريم والتلاعب به ، واستدراجه وايقاعه في حبائل مكرهم وخداعهم، وأشراك غشهم واحتيالهم —

وليعلم المسلمون حيث ما كانوا واينما وجدوا ، ان كل دولة تنشأ لهم في اي بقعة من بقاع الارض وفي اي زمن من الازمان ، اذا لم يكن العرب بناة اساسها، واركان بنائها وعمد صروحها، ومدبرو امورها ومديرو حركتها، واليد العاملة فيها والقوة التي ترتكن عليها، والروح التي تسري في مفاصلها، والاصل الذي تتفرع عنه اغصانها وتنمو عليه افنانها، فهي دولة لاتدوم ولا تحسن حالها ولا تسعد رعاياها ، ولا يعتز بها الاسلام، ولا يبث هديه وارشاده بواسطتها بين الانام، ولا تقوم بما ندب اليه العرب رب العالمين، من جعلهم هداة مرشدين وائمة وارثين وزعماء مصلحين، وقادة

ناصحين وسادة عادلين —

وكما لا يعتز الاسلام بقيام دولة مثل هذه ولا يتمكن من اداء وظيفته على يديها ، فكذلك لا يفجعه سقوطها ولا يؤلمه هبوطها، ولا يؤثر فيه انحلالها ولا يضره زوالها ، فقد اعتز العنصر الفارسي عصورا ثم سقط ، واعتز العنصر التركي دهورا ثم هبط ، ولكنهما اهملا دعوة الاسلام ايام عزهما بل عطلا كثيرا من احكامه وتركا اكثر تعاليمه ، فلم يكن سقوطهما مدعاة الى اليأس من الاسلام نفسه (وان كان صدمة شديدة وزلزالا عظيما على المسلمين في هـذا العصر) لم يقل أحدانه سقطت به المدنية الاسلامية، فضلا عن الدعوة المحمدية، كفاجع سقوط العرب في الاندلس، ذلك الفاجع الذي قوض صروح السعادة ـ سعادة المدنية الفاضلة مدنية الاسلام الكاملة ـ من اوربا، وقضى على آمال العالم الانساني عامة والاسلامي خاصة من نشر الدين في هاتيك الربوع ، وبث هدايته بين تلك الجموع، مما لو تم لعمت هذه السعادة كل الناس ، ولفاز بالحسنيين جميع الشعوب والاجناس ، ولساد الصلاح في البشر ، وزال الفساد من البر والبحر ـ

نعم ان العنصر العربي جار عليه الظالمون وانهك قواه المعادون ، ومزق وحدته المارقون، وفرق كلمته المنافقون، وعادي بين امرائه المبطلون، وضرب بعضه ببعض المعرضون، وسعى في تبديده الساعون، حتى ازهقوا روحه الادبية، وحالوا بينه وبين كل قوة مادية اومعنوية. ومنعوا عنه العلوم والمعارف، وسلبوا منه التالد والطارف، وسدوا في وجهه المنافذ، وضيقوا عليه المسالك، وافسدوا حالته الاجتماعية واحاطوا به بكل شر ، وصدوا عنه كل خير (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين) — (كم تركوا من جنات

وعيون وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك واورثناها قوما آخرين، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين)

لكنه مع كل ذلك لا يزال اصلح العناصر الاسلامية للقيام بامر الاسلام، واعادة مجده الى الأنام، وصيانة هيكله من الانهدام، بل رفع مقامه فوق كل مقام، وبث دعوته وتجلية حقيقته، واصلاح الانام به واسعادهم بتعليمه، اذا كفر عن سيآتهم المسيئون، وتاب من خطيآتهم الخاطئون، وثاب الى رشدهم المفتونون، ورجع عن اغوائهم المغوون، وترك افسادهم المفسدون، واستبدلوا الوفاق بالنفاق، والاتحاد بالشقاق، والتعارف بالتناكر، والتآلف بالتنافر، والمحبة بالبغضاء، والاخلاص بالرياء، والصلح بالعداء، والاصلاح بالافساد، والتقرب بالابتعاد، والمساعدة بالاضطهاد، والتقوية بالاضعاف، والموازرة بالارجاف. ثم اطلقوا لهذا الشعب الكريم الحرية، وبثوا بين ابنائه الاذكياء المعارف والعلوم العصرية، وفتحوا لهم ابواب التجارة، ومكنوهم من اسباب الحضارة، وساعدوهم على اصلاح اراضيهم الواسعة المباركة، وعاونوهم على تفجير ينابيعها والانتفاع بمياه انهارها المتدفقة، وتنمية مزروعاتها، واستغلال خيراتها، واستخراج كنوزها، وتأمين السابلة، وتقريب طرق المواصلة، وتنظيم السبل وتسهيل التنقل، وتشييد المعامل الصناعية عليها، وترغيب ابناء البلاد فيها، وتنشيط عمالها، وترويج مصنوعاتها، وتنظيف مدنها وتخطيط دروبها، وترقية سكانها ورفعة شانها، وما اشبه ذلك من وسائل القوة واسباب الثروة ـ

فان فضائل الشعب العربي الكريم لا تزال كامنة فيه كمون النار في الزناد، واستعداده الفطري لا يزال راسخاً في طبيعته رسوخ الجبال على

المهاد، وخصائصه ومميزاته واخلاقه وصفاته لا تنفك قائمة فيه ومتمكنة منه، لا ينتزعها نازع، ولا يبدلها تبدل الاقاليم والمواضع، ولا تقلعها اعاصير المظالم والزعازع. الا وان العرب ليسوا بحديثي نعمة في المدنية والمجد كسائر الامم التي قامت وسقطت، وظهرت ثم اختفت، وارتفعت ثم هبطت، ووجدت ثم عدمت، واحييت ثم ماتت، فان العرب كما قال السيد الامام (١) « اعرق الامم في العلم والمدنية والفضائل تدل على ذلك لغتهم الراقية الواسعة، ويشهد لهم به التاريخ، فشريعة حمورابي اقدم الشرائع المعروفة كانت عربية، والشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع ومكملتها عربية، والمدنيتان الاشورية والمصرية اصلهما عربي، وكل ما بعدهما مقتبس منهما ومبني على اساسهما، كالمدنية اليونانية والرومانية »

فتهيئة العرب للوثوب، وانهاضهم لرد المسلوب، وتنبيههم لحفظ الموجود، وتنشيطهم على ارجاع المفقود، لا تحتاج الى عناء كبير وعمل خطير، ووقت وفير ومال كثير، فما هو الا ازالة الرماد عن تلك الجذوة المدفونة، وقدح الزناد لاشعال تلك النار الكامنة، والتوفيق بينهم وبين حكام الاستانة، ولا اقول وبينهم وبين اخوانهم الترك ـ فان حكومة الآستانة لم تغز جزيرة العرب مرة من المرار العديدة برأي ترك الاناضول ولا ترك تركستان.

فيا ارباب الافكار المنيرة من المسلمين تفكروا في حالكم! ويا اصحاب العقول الكبيرة من المؤمنين تدبروا في مآلكم! ويا ذوي القلوب البصيرة من الموحدين انظروا الى مصيركم في مسيركم! ويا اهل الغيرة من المحمديين هذا

(١) المنار ص ٣٣٧ من المجلد ١٥

وقت الغيرة على دينكم وامتكم؟ فاين شهامتكم وحميتكم؟ أين نجدتكم ومروءتكم؟ اين اخلاصكم في محبتكم؟ اين صدقكم في غيرتكم ؟

قوموا بارك الله فيكم فشدوا ازر العرب اخوانكم، وساعدوهم على حماية دينكم، وحياط جامعتكم، وحفظ وحدتكم، ووقاية قبلتكم وكعبتكم، وصيانة قبر نبيكم، جودوا عليهم بالاموال، شاركوهم في الاعمال، تحملوا معهم بعض الاثقال، واعدوهم لميادين النزال، اسسوا لهم وفيهم المدارس العلمية، وشيدوا بينهم المعاهد الفنية، وبثوا فيهم المعارف العصرية، ومدوهم بوسائل الحياة والدعة، واسباب القوة والمنعة، ليقوموا بما فطروا عليه وعهد فيهم من الاعمال الكبيرة، والافعال المدهشة الخطيرة –

قوموا ايدكم الله ورعاكم فحققوا دعوة ابيكم ابراهيم الحنيف في ذريته المباركة التي اسكنها بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم، ليقيموا الصلاة ويحيوا الموات، وينفخوا روح الحياة الطيبة النافعة في العالم، فاهووا اليهم بافئدتكم، واصرفوا عليهم من ثمرات عقولكم ومعارفكم، وابذلوا لهم من اموالكم ما تمكنكم منه مقدرتكم، لتطمئن منهم النفس ويستريح البال، فيشكروا الله على العناية والافضال، وينتاشوكم من مساقط الذلة والهوان، ويهبوا بكم الى مراقي السعادة والامان (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)

قوموا حاطكم الله بستره الوافي، ومنعه الكافي، فآثروا باموالكم ومساعيكم اخوانكم العرب مؤسسي جامعتكم، وموجدي عزتكم، واصل سعادتكم، وايقظوهم من هذا النوم الذي امتد وطال لتبعثكم من مقابر

الخمول يقظتهم، واحيوهم من هذا الموت الادبي الذي جلبه عليهم الانذال لتحيا بحياتهم امتكم من موتها العلمي والسياسي والحربي، وتعتزوا بعزهم، وتسلموا بسلامتهم، وتصان معاهد الدين بعزائمهم وتتأيد سلطة الشرع بهممهم، ويعود اليكم ماكان لديكم من المدنية الفاضلة، والحرية الشاملة والسيادة الكاملة، والساطة العادلة، فتصلحون وتُصلحون، وتَسعدون وتُسعدون، وتنالون وتعطون –

فان القصور الشواهق، والارائك والنمارق، واتساع مساحة البلاد، وكثرة عدد الافراد، وشرف الآباء والاجداد، والالقاب الضخمة، والمركبات الفخمة، وامارة موهومة بايدي افراد معدودة، وثروة معلومة في قبضة جماعة محدودة، لاتعصم الامة من مصارع الاستعباد، وشقاء العبيد والاسياد وتعاسة الابناء والاحفاد، واحتلال الاجنبي للبلاد، واستئثاره بخيراتها، وتفرده بنعمها وحاصلاتها، ولا تصد الاغيار عن اهانة الدين واذلال المؤمنين، وهتك الحرمات وقتل الارادات، والتحكم في الاموال والرقاب، والتصرف بالخيول والقصور والقباب

اذا لم يقبض على دفة سفينتكم ايها المسلمون في هذا البحر العجاج – بحر الحياة الواسع الارجاء – وسط تلك الامواج المتلاطمة – امواج تنازع البقاء – بين هاتيك العواصف المتناوحة – عواصف تغلب الاقوياء على الضعفاء – ملاح مدره خواض غمرات، وربان مقذف طلاع تلعات، ولم يقم بالامر حكيم حنكته التجارب، وعليم بالبوادر والعواقب، ولم يتول الزعامة قائد بصير باقتحام المضايق، وخبير بالمفاتح والمغالق، صبور على المشكلات وجسور

لدى الغارات، مدرب على المصاولات والمجاولات، كالشعب العربي الذي يعترف العالم باستعداده وخبرته وقدرته، وتقر الامم باقدامه وصبره وقوته، ويشهد له الله وملائكته وجميع مخلوقاته على عدله في سلطته وفضله في حكومته ونبله في سيرته، وعلى عظيم اعماله وكريم افعاله وقويم خصاله، وكمال اهليته وتمام جدارته ولياقته.

فقوموا اعانكم الله وسارعوا الى الانضمام الى هذا العنصر الكريم بعلومكم ومدارسكم، ونفوسكم ونفائسكم، واموالكم واعمالكم، وارحلوا اليه من كل مكان، واهجروا للاتصال به الديار والاوطان، واختلطوا به اختلاط الملح بالطعام، وامتزجوا به امتزاج الارواح بالاجسام، واتحدوا به به اتحادا تاما روحا وجسما حسا ومعنى قولا وفعلا سعيا وعملا، بحيث تكون اجسامكم كتلة واحدة، وقلوبكم مضغة واحدة، وعزائمكم عزيمة واحدة، وهممكم همة واحدة، وقواتكم قوة واحدة، وغاياتكم غاية واحدة، ونهاية اعمالكم الى نقطة واحدة، ومنتهى مساعيكم الى مصلحة واحدة، ليتحقق فيكم قوله تعالى (ان امتكم هذه امة واحدة) فيهب هذا العنصر القوي بكم هبته المعروفة، ويثب بكم كما وثب من قبل بآبائكم فيبدد هذه الشرور المتفاقمة.

واعلموا بصركم الله ان العمل لايقاظ العرب من نومهم عين العمل لاحياء الوحدة الاسلامية التي ما وجدت في القرون الاولى الا بالعرب، وان البذل لمساعدة العرب على احياء مجدهم عين البذل لاعادة مجد الاسلام الذي ما تأسس بناؤه من قبل الا بايدي العرب ونفوس العرب وارواح العرب وقلوب العرب، وانهما لن يعودا مرة اخرى الا بالعرب متحدين

ومتفقين مع سائر الاجناس من المسلمين، ولقد قال عليه الصلاة والسلام (١) ان الايمان «اي اهله» ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها) وقال جل جلاله (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين = ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون)

هذا ما اوحى به اللب، وارشد اليه القلب، وهدى له الايمان، وتوفيق الرحمن، وجالت فيه البصيرة وانعمت الفكرة، واملاه الوجدان على اللسان، فتحرك لتسطيره وعرضه بالقلم والبنان، فان كنت اصبت المرمى فأسأل الله ان يوفق اخواني المفكرين للعمل به ويعينهم على تحضير هذه الوصفة ومناولتها لهذا المحتضر بكل تحفظ واحتياط وصبر وثبات، وان كنت اخطأت الهدف، وعدوت فصرت دون الغرض، ولم اهتد الى سر هذا الامر فما انا باول سار غره القمر، وارجو ان يجازيني الله على حسن نيتي، ويتجاوز عن زلتي ويغفر لي خطيئتي، انه هو الرؤف الرحيم

خاتمة

وخطاب لايقاظ هذه الامة النائمة

قال السيد الامام منشئ المنار (٢) ان للعرب في التاريخ القديم نومات طويلة، تتلوها هبات ووثبات قوية، وكانت نومتهم قبل الاسلام اطول نوماتهم زمنا، وهبتهم بعدها اشرفها واعلاها اثرا، وقد عادوا الى النوم بعدها وتاريخهم يصيح بهم من ورائهم، وتلاميذهم في الحضارة يهيبون

(١) رواه احمد في مسنده والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة (الجامع الصغير ج ١ ص ٧٧) (٢) المنار ص ٣٤٧ من المجلد ١٥

بهم من امامهم : النوم في هذا الزمان سبات ، فمن نام مات ، ومن مات فات)

فيا ايتها الامة العربية، الجامعة لاشرف الخصائص البشرية ، وافضل الخصال وانواع الكمال ! يا ايتها الوسيلة الوحيدة ، لجمع كلمة الشعوب الاسلامية العديدة ! ياذات الاستعداد الفطري العجيب للنهضتين الدينية والمدنية !

لقد آن اوان هبتك لدفع جور الزمان، وحان وقت وثبتك لكف يد الحدثان، فقد بدا نجيث(؟) القوم، وبرح الخفاء فلا خفاء اليوم، وبلغ السيل الزبى، وبلغت العظم سكين العدى، فهبي بارك الله فيك من هذا النوم فان النوم في هذا الزمان سبات ، فمن نام مات ومن مات فات

ياايها العرب! ياأشد العناصر الاسلامية انفة وحمية، واقواهم جنسية وعصبية ، واحرصهم على اباء الضيم، وابعدهم عن موجبات العذل واللوم ، واصبرهم على المكاره والشدائد، وتذليل المصاعب في سبيل الوصول الى المقاصد ، وانشطهم على التغرب والسياحات ، واثبتهم في طلب اشرف الغايات، واعشقهم للاستقلال والحرية، واعرقهم في الفضائل النفسية، واعلمهم بقواعد الدين، واعرفهم بكتاب الله العربي المبين، واطوعهم لرسوله خاتم النبيين، واقدرهم على حماية دعوته، ورفع شأن امته، وصيانة دينه وشريعته، واجدرهم بتولي اصلاح شؤون المسلمين ، في امري الدنيا والدين

لقد اتتكم فالية الافاعي ايها العرب ! وجاوز الحزام الطبيين والتقى البطان والقتب ، فقوموا يا معقد الآمال وهبوا لتلافي مافات، وتدارك الامر قبل الفوات، وحفظ الامة من الشتات ، وانفضوا عن اعينكم غبار هذا النوم فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات، ومن مات فات

يا ايتها الامة العربية! ياذات الاخلاق الرضية والعقول الزكية! ياطيبة الاصول والاغصان! باهرة العروق والافتنان ! ياناضرة الازهار وحلوة الثمار! يا أقدم الامم حضارة ومدنية، واسبقها في وضع قواعد تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية ، واهداها الى قوانين المعيشة الاشتراكية، وارعاها لاصول الشورى في الشئون العمومية ، يامهذبة الاخلاق والعادت، ومقومة العقول والاعتقادات !

قومي ايدك الله ورعاك فأرجعي الانفس عن غيها والعقول عن زيغها، والافهام عن ضلالها والقلوب عن قساوتها، وردي الاخلاق الى نصابها والحقوق الى نقطها والعقائد الى مركزها ، وانقذي ابناء آدم من الحالة السيئة التي وصلوا اليها ، وخذيهم الى المستوى الذي يليق بهم ، اصعدي بهم الى المرتقى الذي يحسن لهم، واسلكي بهم سبيل النجاة التي توصلهم الى الفلاح في الدارين، والسعادة التامة في الحياتين، فقد وهبك الله من ذلك مالم يهبه لقوم ، فهل يليق بك ويحسن منك هذا النوم في هذا اليوم، وان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات و من مات فات=

يا ايها العرب! ياهداة الامم الى الطريق الاقوم! وكاشفي الظلم والظلم! ودافعي الكروب والنقم! ياباذلي المعروف! ومغيثي الملهوف! ومجيري الضعيف من القوي المخيف ! يامحرري الاقوام من رق الاستعباد! ومشيدي صروح العلوم والمعارف في كل قطر وواد ! وناشري ألوية العدل والامان والسكينة في جميع البلاد! ورافعي مرتبة الحق والصدق والامانة في كل محفل وناد، ومؤسسي معاهد التمدن والحضارة في القرى والبواد =

قوموا لما خلقتم له أعانكم الله فان شعوب العالم الاسلامي في مشرق

الارض ومغربها وشمالها وجنوبها قد توجهت الى جهتكم وجوهها، وامتدت اليكم اعناقها، وشخصت نحوكم ابصارها، وصغت لكم قلوبها، وانصتت لما يحدث عنكم اسماعها، وتعلقت بكم آمالها، ونيطت بقضيتكم آجالها، وهي تستصرخكم لحماية الدين فاجيبوها، وتستغيث بكم من جور الظالمين فأغيثوها، وتستنجد بهممكم على صيانة حقوقها فانجدوها، وتستثير عزائمكم لدفع الاذى عنها فأثيروها، وتستجير بكم في هذا اليوم العصيب فاجيروها، وتدعوكم لهذا الخطر الرهيب فلبوها، وترجوكم وتؤمل فيكم فلا تؤيسوها، وكونوا عند رجائها واملها، وبادروا ذوي الآمال بآمالهم، ياخير قوم ! وانهضوا من مضاجعكم فقد طال النوم، وان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات =

يا أيتها الامة العربية ! يا زينة الامم والشعوب ! وممهدة المسالك والدروب، وفاتحة البلدان، وملبسة التيجان، ياخواضة البحار ! وجوابة الاقطار ومجرية الانهار، وممدنة الاقوام والامصار، ومؤمنة السبل والديار، ومصلحة العقول والافكار، ياحامية العرض والجار، ومبعدة الذل والصغار! ومزيلة الوصم والعار —

قومي يا آخر أمة اختارها الله لاصلاح العالم الانساني على سائر الامم، وندبها سبحانه وتعالى لاخراج البشر من هاتيك التعاسة التي عششت وفرخت، والظلمات التي امتدت واكفهرت، والفتن التي عمت وطمت، والمفاسد التي تزاحمت وتراكمت، فقمت بما فوض اليك خير قيام من إصلاح الرعايا والرعاة، وارضاء الخالق والمخلوقات، وكما قمت

من قبل فقومي اليوم، واتركي هذا النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات —

ايها العرب لقد اكرمكم الله بلغة هي اقدم واوسع واغنى لغات العالم، وشرفكم بشريعة هي اكمل واتم واهدى الشرائع التي انزلت للامم، واوجدكم في اقليم جعله من جسم الكرة الارضية في محل القلب من ابن آدم، واودع فيه بيته العتيق، وندب اليه الناس من كل فج عميق، واوجد منكم وفيكم رسوله المصلح الاعظم، ونبيه الخاتم الاكرم، وزينكم بمحاسن لا تحصيها القلم والبنان، وخصكم بخصائص تجل عن ان يحيط بكنهها بيان

فقوموا ياخير امة اخرجت للناس واشحذوا انصل قرائحكم، واقدحوا ازند افكاركم، واجيلوا اجياد عقولكم، في وضع الخطط القويمة وتنظيم التدابير الحكيمة، وترتيب الاعمال العظيمة، للاخذ بناصر الشعوب الاسلامية المظلومة، وتطهير الارض من مظالم ومفاسد وشرور بقية الامم الظلومة، فان المعول عليكم بعد الله اليوم، فجافوا جنوبكم عن مضاجع النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات =

قوموا يا مركز دائرة الامم الاسلامية فتساندوا وتعاضدوا، وتحالفوا وتعاهدوا، وتفاوضوا وتشاوروا، وتظافروا وتناصروا، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وتهيئوا للعمل الاكبر، اجمعوا كلمتكم ولموا شتيتكم، ورتبوا جموعكم وعبوا جيوشكم ورصوا صفوفكم، وانشروا راياتكم وهيئوا معداتكم، وحصنوا ثغوركم، وأحكموا اموركم، وخذوا حذركم واسلحتكم، وكونوا في المحافظة على الجامعة الاسلامية أخيط من ذرة، وفي مدافعة هذه المصائب النازلة على الامة أضبط من عائشة بن غنم وقت اخذه بذنب البكرة،

واتركوا ايها المصطفون الاخيار هذا النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات ، فمن نام مات ومن مات فات

ايها العرب الاجواد، قوموا على بركة الله فتناسوا الضغائن والاحقاد، وتباعدوا عن المشاحنات والمنازعات، وتجاهلوا المسآت القديمات، وجددوا الروابط والصلات، وانفروا خفافاً وثقالا، شبانا وشيوخاً وكهولا ، اناثا وذكورا ، بدواً وحضراً، لتتميم مابدأتم به وتشييد ما وضعتم اساسه، قوموا اقال الله عثرتكم، وايقظكم من نومتكم، فاجعلوا العزم امامكم، والحزم امامكم، والصبر جنتكم والثبات عدتكم وحماية الدين والامة اعلى مرامكم، وصيانة حقوق البشر نهاية مساعيكم، واصلاح العالم الغرض المقصود من قيامكم، واعلاء كلمة الله اول وآخر أعمالكم، فانتم لاغيركم ياأشرف قوم، الوسيلة العظمى في هذا اليوم، فالسلام على الدنيا ومافيها ان لم تتركوا النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات

عبد الحق الاعظمي البغدادي

(١) المنار : قد طبعت هذه الرسالة على نفقة الشاب النجيب عبد الرحمن الذكير، التلميذ بمدرسة العلوم في عليكره نجل صديقنا البارّ الحاج مقبل الذكير التاجر الشهير في البحرين . وقد نشرت رسالة خطابية أخرى طبعت في العام الماضي تحث امراء جزيرة العرب وسادتها ورؤساء عشائرها على الاتحاد والاتفاق والاستعداد لحفظ الحرمين الشريفين وسياجهما المحيط بهما ، ثم لمساعدة الدولة العثمانية على حفظ بقية بلادها وأملاكها . وانما نبه أهل الغيرة ، على الاسلام والدولة ، الى كتابة امثال هذه الخطب والرسائل ما أصاب الاسلام والدولة من الفواجع في طرابلس الغرب والبلقان. بعد نكبة المغرب الاقصى وايران ، وقد كانت جماهير المسلمين والعثمانيين ، وادعين ساكنين ، غارّين مغرورين ، ظنا منهم ان قوة الدولة الحربية ، كافية لحفظ الحرمين مع سائر ولاياتها الاسيوية والافريقية والاوربية ، وكان أهل الرأي والاطلاع على

الحقائق قلما تجرأ أحد منهم على بيان الخطر المحيط بالدولة كغيرها من ممالك الشرق، ومن تجرأ على ذلك رد قوله واتهم ، ولا سيما من كان من العرب ،كما بينا ذلك مرارا، كأنه كان يجب على العرب ان يرضوا دائما بالجهل والفقر والبداوة ، لئلا يقال انهم يطلبون العلم والثروة والحضارة ، لأجل الملك أو الخلافة ، وهما ارث آل عثمان ، الدائم الى آخر الزمان ، ونهاية الدوران ، وكذلك كان يقول المفسدون بالسعاية لعبد الحميد خان ، ومنهم من لايزال يكرر هذه السعاية في الآستانة الى الآن ،

ولكن الليل عسعس ، والصبح تنفس ، والحق حصحص ، والامر تمحص ، وعرف الذكي والبليد ، والغوي والرشيد ، ان كلا من الترك والعرب ، على خطر قد اقترب ، وانه لانجاة للفريقين ، الا بازالة التنازع من البين ، واجتهاد كل منهما بتقوية نفسه ، ليمكنه ان يحمي حقيقته وحقيقة الآخر ، بأن يكون كل منهما عاملا لنفسه ولأخيه ، ولذلك قام اذكياء الترك أولا يحثون على نهضة تركية ،وتلاهم بعض بعض أذكياء العرب في الدعوة الى نهضة عربية ، وقد اتفق الفريقان اخيرا على القول بأنه لاتعارض بين النهضتين ، وأنه يجب ان يكونا متعاونين ، ولعنة الله على من ينكث ما فتلا من العهد ، وما سعيا اليه من احكام رابطة الود ، وعلى كل خادع منافق

أما نهضة الاسلام من حيث هو دين ، فلا ترجى الا من العرب ومتقني العربية من سائر المسلمين ، وقد صرحت الاحاديث النبوية ، بأن الاسلام سيأرز الى الحجاز ويعتصم بالبلاد العربية ، كما بينا ذلك من قبل ، وشايعنا عليه صاحبُ الرسالة اليوم ، روى مسلم عن ابي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن انس أن النبي (ص) قال « بدأ (١) الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » ورواه مسلم عن ابن عمر بلفظ « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ، ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » ورواه الترمذي عن عمرو بن عوف المزني بلفظ « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل. ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي » ــ والطبراني وابو نصر في الابانة عن عبد الرحمن ابن سنة بلفظ « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء ــ قيل يا رسول

(١) فعل لازم مهموز من البدء كما ضبطه النووي وقال انه الرواية، وهو بمعنى ابتدأ، وقد استشكل بعضهم ضبط النووي وجعل الفعل مقصورا بمعنى ظهر لأن المهموز متعد، وقيل هو بمعنى طرأ على التضمين

الله وما الغرباء ؟ قال ـ الذين يصلحون عند فساد الناس » . وفي رواية بدون ذكر السؤال وبزيادة « والذي نفسي بيده لينحازن الايمان الى المدينة كما يحوز السيل ، والذي نفسي بيده ليأرزن الاسلام ما بين المسجدين كما تأرز الحية الى جحرها » ـ واحمد عن سعد بن ابي وقاص بلفظ قريب من هذا اللفظ . والاروية في حديث الترمذي بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء انثى الوعول اي تيوس الجبل ، وهي تعتصم في اعلى الجبال ولذلك يقال للوعل الاعصم ، وارز (كعلم وضرب ونصر) تجمع وعاد وثبت . والمعنى ان الدين سيعتقل ويعتصم في الحجاز ويجتمع فيه عند ما يكون غريبا ، فيعود الى الحجاز كما بدأ منه ، ويكون عزيزا قويا فيه كالأروية في شناخيب الجبال ، ثم يمتد وينتشر منه ثانية فيتم صدق الرسول (ص) في كونه عاد كما بدأ . وبهذا يجمع بين الحديث وبين وعد الله باظهار الاسلام على الدين كله ، ونحوه من الوعود

ان دعاة النصرانية يطاردون الاسلام في كل مكان ، ووراءهم امهم تمدهم بالملايين من الدنانير ، ودولهم تحميهم وتنصرهم بنفوذها الذي لا يعارض ، وقد اردنا ان ننشيء مدرسة لتخريج الدعاة الى الاسلام في عاصمة السلطنة العثمانية فلم تتجرأ حكومتها على الاذن لنا بالتصريح بذلك ، ثم لم ترض بانشاء المدرسة ولو باسم آخر ، على ان لدعاة النصرانية عدة مدارس في تلك العاصمة ، منها مدرسة عظيمة للبلغار . فقد ظهرت مقدمات أروز هذا الدين الى الحجاز واعتصامه فيه ليعود منه كما بدأ ، ومن البديهي ان ذلك انما يكون باحياء هدي الكتاب والسنة كما هو صريح في الحديث ، ولا يكون ذلك الا بحياة اللغة العربية ونهضة الامة العربية في الحجاز وسائر جزيرة العرب . نعم ان البدع في الحجاز الآن كثيرة كغيره من بلاد المسلمين ، وليس فيه حرية لمن يريد مقاومتها ولكن هذا سيزول ، وتتم بشارة الرسول (ص) وسينهض المسلمون في كل قطر لمساعدة عرب الحجاز وسائر الجزيرة على احياء الاسلام في مهده الاول ، وقد ظهرت بوادر ذلك بتأسيس (جمعية خدام الكعبة) في الهند ، ويرجى ان يعم ذلك جميع البلاد الاسلامية اذا نقح قانون الجمعية على الوجه الذي اشرنا اليه . والشرط الاساسي للنجاح ان لا يكون لهذه الجمعية صبغة سياسية لا ظاهرة ولا باطنة ، ومنه ان لا يكون لها علاقة بحكومة الحجاز ولا بالدولة التي تحمي الحجاز

وما ظهرت بوادر ميل المسلمين الى مساعدة العرب والعربية على إحياء الاسلام في مهده الا بعد ان ظهرت بوادر نهضة الامة العربية وتوجهها الى الاصلاح الديني والاجتماعي والمدني ، وهي جديرة بذلك بدليل اتفاقها في سورية والعراق والجزيرة على بناء هذا

الاصلاح على اساس اللامركزية الادارية ، اذ بذلك تحفظ حقوق الدولة العثمانية ويتمكن الارتباط بها ، وبه يعطى كل قطر حقه بحسب استعداده ومذاهب اهله ، فلا يكلف امام الزيدية في اليمن وامراء عسير ونجد والحجاز ان يجعلوا ادارة بلادهم كادارة ولاية بيروت مثلا ، فضلا عن ادارة الاستانة وادرنة . وكانت العرب ترى أن لها خصما واحدا في هذا العصر وهو جمعية الاتحاد والترقي التي رأوا منها ما رأوا من مقاومة لغتهم وسفك دمائهم في اليمن وعسير والكرك وحوران ، والضغط على طلاب الاصلاح ببيروت . ولكن الجمعية اظهرت اخيرا الرجوع عن تلك السياسة والجنوح الى الاتفاق مع العرب فعسى أن تكون صادقة مخلصة في هذه المرة وينفذ ذلك قريبا

برح الخفاء وظهر ان الامة العربية تريد ان تحيا حياة مدنية اجتماعية سامية ، ومتى ارادت الامة فعلت ، وقد ظهرت إرادتها في الطبقة المستنيرة منها وألفت لذلك الاحزاب والجمعيات ، وعقدت في أشهر عواصم أوربة المدنية أول مؤتمر عربي للبحث في حقوقها وما تطلبه من دولتها ـ وكذلك ظهرت بوادر الاصلاح في كل الامم ـ فان عارضهم افراد ممن يسمون لوجهاء والسروات ، وتبع هؤلاء الافراد بعض اوشاب من الأوباش ، فليس هذا ببدع في سنن الاجتماع ، بل هو مطرد في كل الامم ، وستقضي سنة الانتخاب الطبيعي على هؤلاء المعارضين كما قضت على أمثالهم في الامم الاخرى

الأمة العربية تريد ان تحيا وقد بدأت تعمل عمل الأحياء ، وان لها دينا على جميع المسلمين ، لانها كانت استاذهم الأول في الدين ، ودينا على جميع امم المدنية ، لانها كانت الاستاذ لهم في جميع العلوم والفنون العقلية والكونية ، فالواجب على الفريقين ان يساعدوها ، ويجب على الدولة العثمانية من ذلك ما لا يجب على غيرها ، وهو ان تعترف باستقلال جميع امراء الجزيرة في اليمن وعسير ونجد ، وتسمح لسائر الولايات بالادارة اللامركزية المطلوبة ، فان لم تفعل تكن فتنة في الارض وفساد كبير ، ولله الامر من قبل ومن بعد ينصر من يشاء وهو القوي العزيز

﴿ نزوح العرب عن اسبانيا ﴾

ظهرت في احدى صحف نيويورك المسائية مقالة نفيسة لكاتب اميركي قدير ساعد بها على جلاء الريب العالق بالاذهان حول حقيقة خروج العرب من بلاد الاندلس التي تدعى اليوم اسبانيا فآثرنا ايراد ملخصها وهو هذا

منذ ثلاث مائة واربع سنوات نفت اسبانيا العرب من داخل حدودها بناء على

امر ملكي اصدره فيلب الثالث فكان لها بذلك النفي انحار وطني

اعطت اسبانيا قبائل ماريسكوز مهلة ثلاثة ايام فقط لينزحوا في خلالها عن البلاد مع ان عددهم كان مناهزاً مليوناً ونصف المليون، والمتبادر الى الذهن ان قوماً هذا عديدهم يستحيل عليهم العمل بما ينطبق على الامر الصادر بحقهم ولا يستطيعون الجلاء عن البلاد بكل تلك السرعة، وحينئذ انشأت الحكومة تطردهم وتطاردهم بقسوة بربرية تفوق الوصف ، فعاملتهم معاملة الحيوانات والضواري اذ ذبحت منهم الوفاً ونقلت الباقين على بواخر (؟) الى سواحل افريقيا . وقد اجمع ثقاة المؤرخين على ان كثيرين من المطرودين كانوا يعرضون على السيف وهم على متون السفن وتطرح جثثهم في البحر حتى لقد قيل ان الاسبان فتكوا بمائة الف عربي من مجموع ١٤٠ الفاً كانوا منقولين دفعة واحدة الى القارة السوداء ، وما صافحوا الموت الا بعد مقاساة صنوف التعذيب والاهانات وتمثيل فظائع بهم تقشعر منها الابدان

ابتدأ عهدد انحطاط اسبانيا وخرابها منذ ثورانها الجنوني على العرب ونفيهم من اراضيها . فان قبائل الماريسكوز كانت تؤلف افضل طبقات الشعب الاسباني فانها صاحبة الافكار والمعارف والصناعة. ولما دفعتها امواج الحوادث الى اراضي افريقيا - وبعضها الى بطون الحيتان وجوف الارض - ابقت فراغا في اسبانيا لم يقم بعدها من يملأه . فان العلوم والفنون والصنائع انحطت بعدها او تقلص ظلها بالكلية من البلاد الاسبانية، وامست مقاطعات واسعة من ارضيها ليس لها من يحرثها فكانت قفارا جرداء ليس فيها ساكن

ان الزراعة العجيبة التي صيرت سهول الاندلس مثال الفردوس قد امحت آثارها ولم يعد لها رسم ، وهكذا انقضى عهد المصانع الحريرية واساليب الري المنظمة التي كانت تحيا بها البلاد . وبالتالي فان البقاع التي كانت كجنة عدن برونقها باتت عبارة عن صحارى قاحلة

ان مغبة نفي العرب من الاندلس جاءت آفات على أبنائها . فان العلم الذي يتغلب على الطبيعة ويذلل قواتها لتخضع لارادة الانسان ، والذكاء الذي يصقل الاخلاق ويلطف العواطف ويمين على ايجاد الاخاء والتقدم، كانا في اسبانيا مجسمين بالعرب. ومنذ نفي العرب نفيت معهم تلك المزايا الراقية التي هي عناصر المدنية القديرة، وحل محلها بين الاسبانيين خرافات وأوهام هي شر اعداء الانسانية ومعاثر الارتقاء

عظيمة كانت زلة اسبانيا بنفيها العرب من بلادها وعظيما كان القصاص الذي وقع على الاسبانيين بسبب زلتهم (مرآة الغرب)

تركيا في بلاد العرب

عقد محرر جريدة التيمس الانكليزية الشهيرة مقالة في مسألة شبه جزيرة العرب ترجمتها بالعربية جريدتا الهدى ومرآة الغرب الشهيرتين في نيويورك فأحببنا ان ننشر ترجمتها في المنار وهي : —

اهتم الناس كل الاهتمام بالمأساة العظيمة التي تمثلت في شبه جزيرة البلقان حتى انهم لم يكترثوا كثيرا للمعارك الصغيرة التي نشبت من مضي شهرين أو ثلاثة أشهر في بلاد العرب

وقد كانت بلاد العرب من مضي عدة قرون ارضا مجهولة مهجورة مرت حولها مجاري التاريخ البشري دون أن تتوغل فيها . وهي شبه جزيرة كبرى واقعة بين ثلاث قارات كبرى تتكسر امواج البحار العظمى على شواطئها من ثلاث جهات وكل سنة يسير على سواحلها العارية الجرداء عشرات الالوف من الناس ولكنها بالرغم من ذلك لا يعرف الناس عنها اكثر مما عرفوه عن اشور في ايام اشور بانيبال

ولكننا نسمع بعض الاحيان من وراء كثبانها المحرقة اصداء ضعيفة عن قتال شديد ناشب هناك ، وترد على اسواق بومباي والقاهرة اخبار معارك شديدة بين محاربين مدرعين وجيوش تتماصع بالسيوف وتتطاعن بالذوابل وتتراشق بالسهام وتتقاتل في الليل ويقع بينها حصار وخروج وهجوم ومباغتة

وهؤلاء الناس بالرغم من انهم لا يزالون على بداوتهم يتأثرون بمجرى الشؤون الحديثة كما اثبتت الحوادث الاخيرة ، فلما انتصر البلغاريون على العثمانيين في تراقية وارجعوهم الى خطوط شتالجه قال الناس ان تركيا تقدر ان تنشيء مملكة عثمانية مجددة في اسيا الصغرى، وقد وافقهم على قولهم هذا القليلون الذين عرفوا الحقيقة ولكنهم ارتابوا في ما اذا كان الاتراك يقدرون ان يؤيدوا سلطتهم المتداعية في اطراف بلاد العرب ، فلم تكد معاهدة الصلح توقع في لندن حتى ثار العرب في اواسط شبه جزيرة العرب ولكن ثورتهم لم تكن منظمة اذ لم تسر كتائب من الجنود المنظمة على الطرق الصحراوية بل وقع القتال بين ثلات قليلة من فرسان العرب غير المدربين على أساليب القتال الحديثة وشراذم من الجنود العثمانيين ذوي الملابس الرثة، وقد انتصر العرب في الشهر الماضي على الجنود العثمانيين واخرجوهم من شرقي بلاد العرب وبذلك ذهبت فتوحات مدحت باشا المتقلقلة في بلاد العرب واصبحت الطرق الشرقية

الى مدينتي الاسلام المقدستين « مكة والمدينة » تحت رحمة زعماء العرب المنتصرين

ولا يمكن القول بأن اندحار الاتراك في الحرب البلقانية احدث هذه الحركة في بلاد العرب فانها بدون تلك الحرب ممكن حدوثها لان سيطرة الاتراك على بلاد العرب لم تكن قط قائمة على ركن منيع، فمن مضي مائة سنة قامت الحركة الوهابية في بلاد العرب واستولى الوهابيون الخارجون على الدين الاسلامي (؟) والخلافة الاسلامية على اكثر جهات شبه جزيرة العرب ونهبوا مكة مقدس المسلمين السنيين، وكربلاء محجة الشيعيين ، وهددوا مدينة دمشق، فعجز الاتراك عن اخماد ثورتهم فاستعانوا بمحمد علي باشا خديوي مصر فقمع من نخوتهم، واخمد الحركة الوهابية. ومنذ الغارة المصرية الكبرى على بلاد العرب نال الهلال انتصارات قليلة في تلك البلاد حتى ان الخط الحجازي لم تستطع الحكومة العثمانية تأمينه الا برشوة القبائل العربية ، فالخط الحديدي الممتد الى المدينة هو دائما تحت خطر

وقد نشبت بالامس ثورة طال عهدها في ولاية العسير جنوبي مكة، وثورة اخرى اعظم منها في ولاية اليمن ، ولا تزال نيران هاتين الثورتين كامنة تحت الرماد ، انفق الاتراك كثيرا من المال والرجال على اخمادهما فما نجحوا، ولذلك اخذ مركز الاتراك في تلك البلاد يتداعى يوما بعد آخر، ورؤية جنودهم المغلوبة المنطرحة على متن باخرة انكليزية في خليج بلاد فارس هي من الادلة الكثيرة الراهنة على تداعي مكانتهم في شبه جزيرة العرب

هذا وان تجدد القوة العربية في شكلها الحاضر يرجع الى عهد يزيد قليلا عن عن عشر سنين . اما منشئها الحقيقي فهو مبارك بن الصباح امير الكويت ذلك السياسي الشيخ والمحارب المنيع الجانب الذي ينبسط نفوذه على اكثر جهات بلاد العرب مع انه لم يطمع بارض خارجة عن حدود مسقط رأسه

وبيان الامر ان المصريين بعد ان اخمدوا الحركة الوهابية واسقطوا امراءها بني السعود انتقلت السيطرة على اواسط بلاد العرب الى ايدي امراء بني الرشيد الذين جعلوا عاصمتهم بلدة (حائل) في قلب شبه جزيرة العرب وحكموا هناك سبعين سنة وقد كانوا اقوياء الجانب اجرياء

وفي اوائل القرن الحاضر كان اميرهم المقيم في حائل ذا مطامع تتجاوز قوته فدعا نفسه « ملك بلاد العرب » وباشر الزحف على خليج فارس وهدد الكويت فخرج الامير مبارك بن الصباح من عاصمة امارته الصغيرة لملاقاته وقتاله فقاتله وانتصر

عليه، وتعقب رجاله المغلوبين حتى منتصف الطريق عبر بلاد العرب واستولى على حائل عاصمة ولايته . وكان غرض الامير مبارك من هذه الغارة تأديب ابن الرشيد فقط لا بسط حكمه على نجد ولذلك قفل راجعا ، وعند رجوعه الى الكويت أخذه ابن الرشيد على غرة فانه جمع جموعه وباغت رجال الامير مبارك ليلا وهم يعبرون معبرا صخريا وضربهم ضربة قاضية فقتل منهم خلقا كثيراء، والذين نجوا من الموت في هذه المعركة ترادف كل ثلاثة منهم على متن جواد ووصلوا سالمين الى الكويت

غير أن الامير مباركا كان شجاعا جريئا فأضمر الشر لابن الرشيد ودعا أبناء اسرة السعود الوهابية التي اسقطها المصريون وعالهم وآواهم واعطاهم مالا وسلاحا وارسلهم الى الصحراء العربية لاسترجاع مملكتهم المفقودة

وكانت لابن الرشيد عاصمتان الحائل في الشمال والرياض في الجنوب فزحف احد شبان اسرة ابن السعود على الرياض وكان يجمع الرجال في مسيره حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف، وقد توقف بهم سرا في احدى القرى القريبة من الرياض وهجم تحت الظلام الحالك على المدينة بخمسين فارسا باسلا لا يهاب الموت

وقد وقعت هذه الحادثة من مضي عشر سنين وبهؤلاء الفرسان الخمسين تجددت ولاية ابن السعود، فانهم عند وصولهم الى باب المدينة جعلوا رئيس الحراس يفتحها لهم بخدعة حربية، ولما دخلوا اعملوا المهامز في شواكل خيولهم واجتازوا اسواق المدينة بسرعة البرق وهجموا على قصر الحاكم ابن الرشيد وذبحوه، وعند انشقاق عمود الفجر دخل بقية رجالهم وجددوا الولاية الوهابية في تلك الجهة . وقد حصر ابن الرشيد ثلاث سنين في مدينة حائل ولكن ابن السعود انتصر عليه في آخر الامر وقهره في اقليم قاسم على منتصف الطريق بين المدينتين

أما المعركة الاخيرة التي نشبت بين رجال ابن السعود من جهة ورجال ابن الرشيد وبعض الجنود العثمانية من جهة اخرى، فقد اسفرت عن انتصار الاولين وقتل ابن الرشيد بثلاثة سهام اصابه احدها في فخذه فسمره بسرج جواده، وقد ابلى رجال ابن السعود في هذه المعركة بلاء حسنا فكانوا لا يرمون سهما الا بعد معرفتهم انهم سيصمون به رجلا من اعدائهم

وكانت نتيجة هذه المعركة ان ابن السعود صار مسيطرا على كل نجد وتم له ما اراد من مضي عهد طويل من اخراج الاتراك من بلاد العرب وارجاعهم الى سواحل خليج العجم، ولكن انتصاره هذا لا يدل على تجدد الحركة الوهابية الحقيقية، بل هو تجدد

موقت لها، كما انه لاينوي اعلان جهاد جديد لان العالم لم يعد يرى بعد تيارا سريعا من القوات الاسلامية متدفقا من رمال بلاد العرب

نعم ان عرب البادية هناك يتضامون ولكنهم غير متحدين اتحادا يستطيعون به ايقاد حروب وفتوحات، ولا تجول في صدورهم حمية دينية كافية لان تمكنهم من اعلان جهاد جديد أو ارغام غير المسلمين بالقوة، ولكن تجدد قوتهم يبطن خطرا على الاتراك، ولذلك ترى اصدقاء تركيا المخلصين لها ينصحون لها بنية صافية ان تصالح ابن السعود الذي يعتقد انه يميل الى مفاوضة السلطان بطاعة واحترام، فواحات الاحساء القليلة غير مفيدة لتركيا في حين ان علائقها الولائية بحاكم نجد تنفعها كثيرا، والامر الذي يهم تركيا اكثر من غيره في بلاد العرب هو ان تبقى لها السيطرة على مدينتي الاسلام المقدستين لتحفظ اعتبارها وهي صاحبة الخلافة الاسلامية في عيون المسلمين، وخير مايساعدها على ادراك غايتها هذه هو اتفاقها مع ابن السعود

وكان من الواجب عليها ان تكف عن ارسال الجنود الى اليمن، وتنشيء لها علائق ولائية مع امام صنعاء على قاعدة ان تساطه على تلك الولاية تحت سيادتها، وكذلك يجب عليها ان تنهي ثورة العسير بهذه الصورة فتسلط الادريسي على تلك الولاية تحت سيادتها ايضا. وبهذه الطريقة تكتفي مؤونة ارسال كثير من المال والرجال الى تلك البلاد على غير فائدة، ولا تخسر حقوقا ارضية لاينازعها إياها منازع في الوقت الحاضر، وتستطيع بعد ان يهدأ بالها من جهة العرب ان تنصرف كل الانصراف الى المهام الحيوية التي لا تزال تنتظرها في آسيا الصغرى اه

(المنار) خير مافي هذه المقالة خاتمتها، فهو النصح الخالص للدولة العثمانية الذي سبقنا اليه غير مرة (وقد يستفيد الظنة المتنصح) والقسم التاريخي منها يشوبه شيء من الخطأ كقوله ان الوهابيين كانوا خارجين على الدين الاسلامي والخلافة، فهذا خطأ فهم مسلمون متشددون في التمسك بالاسلام، وجل ما عزي اليهم من الشذوذ كذب افترته السياسة وبعضه من الخطأ الذي اقتضته طبيعة القتال لاتعاليم المذهب - وكقوله ان مكة مقدس أهل السنة ومحجهم، وكربلاء محج الشيعة. والصواب ان مكة هي محج جميع المسلمين، واما كربلاء فليست محجا واجبا لأحد ولكن يزورها الشيعة كثيرا وغيرهم قليلا، وما ذكره الكاتب من ان ابن سعود وامام اليمن والادريسي كلهم يودون الاستقلال في بلادهم تحت سيادة الدولة صحيح، وأصح منه قولا ونصحا قوله ان الواجب على الدولة ان تترك قتالهم، وتعطيهم استقلالهم، ولكن هل يعقل هذا رجال الآستانة ويعملون به؟ الله أعلم

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

لهذا كله كان اليهود معاصروه يرون أنفسهم أرقى منه علما ونفسا وأخلاقا وتدينا (١) وما كانت تعجبهم أحواله وأعماله حتى كانوا يعيرونه بكثرة شرب الخمر وحب الخطاة كما سبق (او ٧: ٣٤) وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلم ير فيه معاصروه أدنى عيب ولم يطمع أحد منهم في مسابقته في العلم والفضل، والكمال والعقل، والصدق والاخلاص، والصلاح والتقوى، حتى عرف بين مشركيهم من صغره بالأمين والمأمون، وكان لهم نبراس الهدى ومثال الكمال بينهم في كل شيء ففاقهم بمراحل واسعة، وأما المسيح - بحسب هذه الاناجيل - فلم يفق الوسط الذي كان فيه. هذا كله مع ملاحظة أنه لم ينقل لنا عنه إلا القليل من أخبار حياته، وأن مدة بعثته كانت قصيرة جدا، وأن الناقلين لأخباره هذه هم صفوة أتباعه وأخص تلاميذه الذين كانوا - كما تقول النصارى - ملهمين من الله، معصومين من الكذب والخطأ والنسيان في كل ما كتبوه عنه. فكيف بعد ذلك يليق بعاقل منصف أن يفضل عيسى على محمد وآداب المسيحية وتعاليمها على آداب الاسلام وتعاليمه؟ وهو الذي لم ينشر الا التقوى والفضيلة بين الناس، ونص كتابه صريحا ببراءة بعض أنبيائهم مما رموهم به من الكبائر (راجع القرآن ٢: ١٠٢ و٢٠: ٨٧-٩٧) ولم يذكر من تاريخ الآخرين الا ما فيه عبرة وما به تغذية النفوس بالصلاح والاستقامة وتحصين الاخلاق والآداب بسياج الفضائل، فلم ينسب لهم شرب الخمر ولا السكر به، ولا الخيانة ولا الزنا، ولا الغش ولا الكذب، ولا التعدي على بناتهم بالفسق فيهن، ولا عمل الاصنام لامهم ولا الشرك بالله وعبادة غيره، الى

(١) هذا الكلام كله مبني على فرض صحة جميع مافي هذه الاناجيل كما قلنا مرارا، فلا تنس ذلك، والحق أننا لانؤمن بها ولا نعبأ بروايتها

غير ذلك مما لا فائدة في نشره عن الأنبياء إلا إشاعة الفاحشة بين الناس والاستخفاف بالدين ومخالفة أوامره ونواهيه والكفر بالله أو الشرك به وخصوصا لأن كتبهم ذكرت بعض هذه الجرائم ولم تذكر معها ما ينفر منها كما ترى في سفر التكوين مثلا ، فللناس أن يقولوا اذا كانت الانبياء لم تقو على الاستقامة فكيف نقوى عليها ونحن أقل منهم في كل شيء ، واذا كان الله لم يبذهم مع أننا نرى أن بعضهم لم يتب من ذنبه أو كفره فلم نخافه أو نخشاه ؟ ومن ذلك يعلم أن القرآن قد امتاز عن كتبهم بالفضائل وبالآداب العالية وبالحث الكثير على الصلاح والتقوى والتوبة حتى أنه لم يذكر لنبي هفوة الا ذكر معها استغفاره وانابته الى الله وتوبته منها مع أنه لم يذكر عنهم مثل ما ذكرته كتبهم عن نوح مثلا (تك ٩ : ٢٠ - ٢٧) (١) ولوط (تك ١٩ : ٣٠ — ٣٨) (٢) واسحاق (تك ٢٦ : ٧) ويعقوب (تك ٢٧ : ١٩)

(١) من العجيب أن الله قد أظهر رضاه عن نوح بعد جريمة السكر بأن تقبل دعاءه لأولاده حتى أنه ظلم لأجله حفيده كنعان بن حام وآخذه بذنب أبيه (تك ٩ : ٢٢ و٢٥) فكيف يطيع الله نوحا لدرجة أن يعول على دعائه على كنعان البريء مع أن الظاهر من قصته أنه ما دعا على كنعان إلا لأنه لم يفق تماما من سكره فلم يميز بين ولده المذنب اليه وحفيده البريء ؟! ولم يذكر في كتبهم أن نوحا تاب من ذنبه هذا، فأي عبرة للناس في هذه القصة سوى انهم يعلمون منها ان الله تقبل دعاء السكران حتى ظلم لأجله حفيده ؟ فليكثر الناس اذاً من شرب الخمر ليكون دعاؤهم مقبولا عند إله النصارى هذا المحب للخمر وشاربيها حتى شبهته كتبهم بالسكران (مز ٧٨ : ٦٥) وامتلأت بذكر سكر الانبياء وإسكارهم لغيرهم وبإيجاب تقريبها للرب !! (راجع مثلا تك ٩: ٢١ و١٩ : ٣٢ و٣٣ و٣٥ و٢٧ : ٢٥ وخر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ١٣ و٢ صم ٦ : ٩ و١١ : ١٣ ويو ٢ : ٧ - ١٠ وت ٢٦ : ٢٧)

(٢) يقول بعض المتعذرين عن سيئات كتبهم وأنبيائهم ان جريمة لوط - سكره وزناه بابنتيه (تك ١٩ : ٣٠ - ٣٨) - هي منحصرة في السكر فقط لانه ارتكب ما ارتكب وهو لا يعي شيئا والحكمة عندهم في ذكر هذه القصة هي اظهار درجة قبح شرب الخمر وبيان ما تؤدي اليه ، مع ان القصة ذكرت في كتبهم كأنها أمر عادي وكأن لوطا لم يرتكب منكراً حتى لم يذكر أن الله وبخه أو عاقبه على ذلك أو أنه تاب من ذنبه ، بل قال ان ابنتيه حملتا من هذا الزنا ومنهما تناسل بعض الامم (الموآبيين وبني عمون) وبعد =

= ذلك سماه الكتاب المقدس بارا (٢ بط ٢ : ٧ - ٩) فأي عبارة أتى بها الكاتب في قصته هذه لبيان شناعة هذا العمل الفظيع واستقباحه له أو وجوب التوبة منه ؟ ومن من الناس من يجهل مضار الخمر وهي عند السكيرين أنفسهم أم الخبائث وكلهم يعرفون ذلك ويعترفون به وبضعف ارادتهم عن تجنبها فما فائدة هذه القصة اذاً ؟ ولماذا لم ينتخب الكاتب حادثة أخرى من التي وقعت على أيدي أحد الاشرار السكيرين — وهي كثيرة في كل زمان ومكان — بحيث تكون العبرة فيها أظهر وأوضح لبيان شناعة الخمر وقبحها وضررها اذا صح أن هذا هو حقيقة غرض الكاتب من ذكر هذه القصة ؟ أما كان الأولى بكتبهم أن لا تبيح لهم الخمر ولا تأمرهم بشربها بدلا من ذكر هذه القصص الساقطة ؟! أو لا يشعر الانسان عند قراءتها انها تهيئ الاشرار الادنياء لارتكاب أفظع المنكرات أكثر مما تزجرهم عنها، لانه اذا كان لوط نبي الله الذي اختاره الله لوحيه وكلامه ولارشاد الناس لم يقدر على منع نفسه عن السكر وأقبح الفسق فكيف بهم وهم من أضعف المخلوقين ؟ وكيف يقدرون على ما لم يقدر عليه الانبياء المختارون المؤيدون بعناية الله ورعايته ؟ واذا صح أن لوطاً كان لا يعي شيئا حتى لم يقدر أن يميز بناته من غيرهن فكيف أمكنه مجامعتهن والحالة هذه مع العلم بأن الانسان اذا اشتد سكره الى درجة عدم تمييز بناته ومعرفتهن وفقد شعوره حتى لم يعلم باضطجاعهن ولا بقيامهن كما قال سفر التكوين (١٩ : ٣٣ و٣٥) فلا يقوى على أي عمل أو أي حركة مقصودة . إذاً لوط ما زنى إلا بعلمه وارادته وانما كان تأثير الخمر عليه - كعادتها - انها جرأته على ارتكاب اكبر جريمة وأضعفت قدرته على مقاومة شهوته هذه البهيمية (بل الأحط) واذاً فهو مسؤول عما اقترف كما في قوانين الامم الراقية. ومن أعجب العجائب أنه مع علمه بذنبه هذا ومعرفته لابنته - كما بينا - وزناه بها في أول ليلة وشعوره بأنه لم يقدر على مقاومة نفسه بسبب تأثير الخمر عليه عاد في الليلة الثانية فسكر مع ابنته الاخرى وزنى بها أيضاً وافتضها كالاولى !! افلمَ كال الله له بغير ما كال به لقومه ولم يخسف به الارض مثلهم مع أن اثمه اكبر وجرمه أفظم ؟ أفلا تنفر النفوس من مثل هؤلاء الانبياء وهم أنفسهم لم يعملوا بما يعظون به غيرهم ؟ ثم ألا تضيع بذلك الفائدة من بعثهم ؟ فالحق ان هذه القصص مستحيلة على أنبياء الله بل على فضلاء البشر ولولا ذلك ما سمى كتابهم لوطاً بارا تقيا كما سبق ، وانما افتجر اليهود هذه القصص تبريرا لشرورهم الكثيرة وعصيانهم لله مرات عديدة واعتذارا بها عن جرائمهم وآثامهم المتكررة فكأن كاتبها يقول : « إذا كان أنبياء الله لم يقووا على الاستقامة فكيف يقوى أمثالنا عليها ونحن أضعف منهم طبعاً =

وهرون (خر ٣٢ : ١ - ٦) (١) وداود (٢ صم ١١ : ٢ - ٢٧) وسليمان (١مل ١١ : ٥ و٦) وغيرهم من أنبياء الله الامناء الطاهرين الذين أقامهم الله ليكونوا قدوة حسنة ومثالا صالحا للناس. فهل قدرة الشيطان عندهم وصلت الى حد أن تغلب على الله

= وكيف بعد ذلك يطالبوننا بالصلاح والتقوى أو يلومونا على العصيان والفسوق ؟ واذا كان الله غفر للانبياء هذه الجرائم كلها ولم يغضب عليهم ولم ينبذهم نبذ النواة بل رضي عنهم فلمَ لا يرضى كذلك عن اليهود ويغفر لهم كل ما اقترفوه ؟ » هذا وغيره - كما يأتي - ربما كان هو الحامل لكتاب اليهود على افتجار هذه الاقاصيص واختراع هذه الاكاذيب لارضاء أمتهم وملوكهم الفاسقين، ومكانها من الصحة لايخفى الا على من نقد كل تمييز فكاتبها انما هو دساس فاسق يريد بها غالبا ترويج الفسق والفجور واشاعة الفاحشة في الصالحين وستر قبائحه وقبائح قومه وإسكات اللائمين . فهذه ياقوم احدى قصص هذه الكتب التي يقولون انها لاتنشر الا الفضيلة بين الناس !

وقال العلامة « لينج » في كتابه {الاصول البشرية} صفحة ٨٧ ما مضمونه أن السبب الذي حمل اليهود على افتجار قصة لوط هذه هو بغضهم الشديد لنسله الموآبيين والعمونيين مع انهم أقاربهم، فقد كانت العداوة بين الفريقين شديدة جدا ومتأصلة فيهم من قديم الزمان كما لا يخفى على المطلعين على كتب اليهود (أنظر مثلا تث ٢٣ : ٣ - ٦)

(١) اذا أردت الاطلاع على الجواب تفصيلا عن شبهتهم في لفظ « السامري » الوارد في القرآن أنه هو الذي صنع العجل فاقرأ مقالات « القرآن والعلم » في المنار مجلد ١١ جزء ٤ صفحة ٢٨٦ وكذلك كتاب « الدين في نظر العقل الصحيح » صفحة ١١٤ - ١١٦، وص ٩٨ و٩٩ من الجزء الاول من كتاب « الهدى الى دين المصطفى » لأحد علماء الشيعة المحققين

وملخص الجواب وأحسنه : أن تعريب لفظ « شمرون » العبري (بكسر الشين وبضمها كما في يش ١١ : ١ و١ مل ١٦ : ٢٤ و١ أي ٧ : ١) هو سامر أو سامرة ، فالسامريّ (وبالعبرية شِمروني بكسر الشين) هو أحد الشِّمرونيين (عد ٢٦ : ٢٤) أولاد شمرون بن يساكر بن يعقوب (تك ٤٦ : ١٣) وكانوا من عشائر بني اسرائيل المعدودين في الجند على عهد موسى عليه السلام وخرجوا معه من أرض مصر (أنظر تك ٤٦ : ٨ و١٣ وعد ٢٦ : ٤ و٢٤) فالسامريون الذين منهم سامريّ القرآن هم أولئك الشمرونيون ، لا السامرون الحاضرون الذين وجدوا بعد موسى بقرون . واعلم أن لفظ (شمرون) بكسر الشين =

غرضه أيضا في ذلك كما قلبه يليه مرارا في غير ذلك مما بيناه آنفا (راجع ص ١٢٣

= ورد في كتبهم علما لشخص « كما في ١ أي ٧ : ١ » واسما لمدينة « كما في يش ١١ : ١ و١٩ : ١٥ » و{ شُمرون } بضم الشين وردت اسما لجبل ولمدينة كما في « ١ مل ١٦ : ٢٤ » وكلا اللفظين من مادة واحدة في العبرية ومعناها « الحفظ » وربما كان ضبطهما في الاصل واحدا فأخطأوا فيه على ممر الازمان وخصوصا لان جمهورهم كان قد نسي اللغة العبرية القديمة بعد سبي بابل « أنظر نح ٨:٨ » وهذا الضبط « الشكل » الحالي لم يكن عندهم قديما بل أحدثوه بعد المسيح بقرون ، واذا صح فلا يمنع مما ذكرنا ، وليس هذا التعريب المذكور هنا ببدع في اللغات، ألا ترى أن الافرنج تسمي « جبل طارق » مثلا في لغاتهم جبرولتار (Gibraltar) وكان العرب يستبدلون في لغاتهم « شين » العبري المعجمة « بالسين » المهملة، حتى أن أهل الكتاب « اليهود والنصارى » يعربون شين العبرية سينا فشُمرون « بضم الشين كما في ١ مل ١٦ : ٢٤ » يسمونها السامرة، وكذلك موشى « بالشين » موسى و(يشوع) يسوع أو عيسى كما سماه القرآن الشريف وكما هو في اللغة اليونانية وغيرها ايسس (Iesous) وفي الانكليزية جيسس (Jesus) ويسمي الافرنج ايضا شُمرون هذه ساميريا (Samaria) فكل اللغات تتصرف بالاسماء المنقولة، فلم يستبيحون لأنفسهم وللناس ذلك ولا يبيحون للقرآن أن يسمي أحد « الشمرونيين » بالسامريّ وهو من التعريب المعروف في لغته

فان قيل : اذا كان هذا الرجل معروفا شهيراً بين بني اسرائيل حتى اذا أطلق لفظ السامريّ في زمنه فلا ينصرف الا اليه فلماذا لم تذكره كتبهم ؟

قلت : الظاهر أن كتبهم - مع طولها ولغوها - لم تستقص كل شيء فكم من أشياء تُرك ذكرها فيها لسبب ولغير سبب . ألا ترى أن بولس ذكر في إحدى رسائله أن ينيس ويمبريس قاوما موسى « ٢ تي ٣ : ٧ » ولا وجود لهذين الاسمين في الاسفار الموسوية أو غيرها مطلقا ولا تعرفهما اليهود ، وكذلك ذكر يهوذا في رسالته أن ميخائيل خاصم ابليس بخصوص جسد موسى « عدد ٩ » وأن أخنوخ تنبأ عن مجيء الرب مع قديسه « عدد ع ١٤ » ولا وجود لشيء من ذلك في باقي أسفار كتابهم المقدس

فهل يدل هذا على كذب بولس ويهوذا ؟ فالحق أن اليهود لم تخص السامري هذا بالذكر لأنهم أرادوا أن ينسبوا لهارون عمل العجل كما نسبوا لسليمان الكفر وكما نسبوا لغيرهما مانسبوا ، ولم يعمل السامري شيئاً آخر بينهم قبل ذلك أو بعده =

من هذه الرسالة وص ١٠٩ و١١٠ من رسالة الصلب) حتى جعل الذين أراد الله أن يكونوا مثالا حسنا للناس وهداية لهم وقدوة صالحة جعلهم شر الاشرار فأتوا من الشرور ما تنفر منه طباع أحط البشر أخلاقا كزنا الانسان ببناته ! ! وكيف يقبل الناس على تعاليمهم بعد فعالهم هذه ؟ وكيف سردت كتبهم أكثرها ـ كما قلنا ـ بطريقة لا تشعر بشناعتها ولا ببشاعتها ولا بالانكار على فاعلها ونبذه كنبذ النواة ! ؟ راجع كتاب دين الله (ص ٦٧ ـ ٧١) ثم راجع أيضا قصة داود وسليمان مع شمعي بن جيرا (في ١ مل ٢ : ٨ و٩ و٣٦ـ٤٦) وفيها ترى أن داود وهو على سرير الموت يوصي ابنه سليمان بقتل هذا الرجل (شمعي بن جيرا) بعد ان أقسم له بالله أنه لا يقتله فسلط ابنه عليه وهو محتضر . وسيرة داود عندهم معروفة مشهورة وقساوته وظلمه لا مثيل لهما (حاشاه) حتى أنه نشر أسرى بني عمون بالمناشير ونوارج الحديد والفؤوس (٢صم ١٢: ٣١ و١أي ٢٠: ٣) وسيرهم في أتون الآجر أي أحرقهم بالنيران (راجع كتاب دين الله ص ١٢٥ و١٢٦) وداود هذا هو الرجل الذي نصت كتبهم على أنه كان بارًّا ولم يعص الله قط الا في مسألة أوريا وزناه بزوجته وتعريضه للقتل بكتاب أرسله معه وهو لا يعلم ما فيه فقال سفر الملوك الاول (١٥: ٥) عنه (لان داود عمل ما هو مستقيم في عيني الرب ولم يحد عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته الا في قضية أوريا الحثي) (١) وهو صريح في أن الله راض عن داود

= حتى يذكروه به في غير هذا المقام، فلما طال عليهم الأمد نسوا قصته الا قليلا منهم فان الظاهر أن القرآن لم يخالف في ذلك بعض روايات أهل الكتاب من العرب وهي التي كان يرويها عنهم ابن عباس وغيره كما في التفاسير ولذا لم يسمع انهم انتقدوا عليه هذه القصة ولو خالفهم لانتقدوها عليه كما انتقدوا عليه قوله عن مريم إنها أخت هارون وغير ذلك (راجع كتاب « الجواب الصحيح » لابن تيمية جزء ١ ص ٧٠ـ٧٣) على أن من راجع ما يكتبه الآن علماء الافرنج في كتبهم المقدسة علم أن هذه الكتب أصبحت مشكوكا فيها لدرجة أن الانسان لا يصح له أن يجزم بأي خبر فيها ولو كان مما يتوهم متواترا بين أهل الكتاب إذ لا شيء متواتر بينهم ، ولا مقطوع بصحته ، ولا مجزوم بأصله وحقيقته الا القليل فذكرها للشيء وعدمه عندنا سيان

(١) حاشية: بمقتضى هذه العبارة تكون جميع أفعال داود الآتية وغيرها مرضية =

في كل أعماله السيئة الشنيعة القاسية الا مسألة أوريا وهم لا يزالون يرتلون مزاميره ويعبدون الله بها ! ! فما بالهم الآن يطعنون على محمد لجهاده الاعداء الذين آذوه وآذوا أمته وفعلوا بهم من الاضطهاد والقتل ما فعلوا . أما اغتياله لبعض أعدائه المحاربين له ولأمته فقد تكلمنا عليه في كتاب « الاسلام » ص ٥٨ـ٦٠ (راجع أيضا كتاب « صدق المسيحية » في الانكليزية ص ٢٥١ و٢٥٢ ففيه كلمة في هذا الموضوع دفاعا عن كتبهم الآمرة بابادة الكنعانيين (١) يصح أن تكون أيضا دفاعا عن الجهاد

= عند الله وكلها مستقيمة في عيني الرب وطبق وصاياه، فمن ذلك ما فعله ببني عمون كما ذكر في المتن وقتله ٢٠٠ من الفلسطينيين ليتزوج ابنة شاول مع ان شاول طلب منه قتل ١٠٠ فقط (١ صم ١٨: ٢٥ و٢٧) وتعليمه يوناثان أن يكذب على شاول {١صم ٢٠: ٦} وكذبه على أخيمالك الكاهن (١صم ٢١: ٢) وشكره لله على موت نابال لكي يتمكن من زواج امرأته المسماة أبيجايل لانها جميلة الصورة (١صم ٢٥: ٣ و٣٩) وكذبه على أخيش بعد قتله الرجال والنساء (١صم ٢٧: ٩ـ١١) ووصيته وهو محتضر لابنه بقتل رجل أقسم له بالله أن لا يعاقبه على ما فعل (١مل ٢: ٨ و٩) وزواجه بنساء كثيرة وأخذه سراري عديدة { ٢ صم ٥: ١٣ } وحزنه على امنون ابنه حينما قتل وبكاؤه من أجله بكاء مرًّا كل يوم مع انه فسق بأخته ابنة داود أيضاً وافتضها كرهاً وهي عذراء بعد ان خدعها خدعة دنيئة « ٢صم ١٣ » فخالف داود بذلك أمر الله القاضي بقتله « لا ٢٠: ١٧ » حتى انه لم يرد أن يحزنه لانه بكره كما في الترجمة السبعينية « ٢صم ١٣: ٢١ » وحقد على ابنه « أبشالوم » الذي قتل امنون هذا انتقاماً لاختهما حتى طرده داود بعد رضاه بعودته اليه ولم ير وجهه مدة سنتين « ٢صم ١٤: ٢٤ و٢٨ » قارن ذلك بفعل عمر بن الخطاب الذي جلد ابنه حتى مات لزناه وهو غير محصن بامرأة، فلم يشفق عليه ولم يرحمه حتى أنفذ فيه حكم الله { راجع أيضا كتاب « التوراة غير موثوق بها » في الانكليزية ص ١٠٢ و١٠٣ } فكيف رضي إلههم لداود عن كل ذلك وغيره ولا يرضى الله تعالى لمحمد تعدد الزوجات القليل وغيره مما ينتقدونه عليه ؟ ! ولم يريدون ان يكيل تعالى لعباده بمكيالين ؟ ولو فرض جدلا ان النبي « ص » كان خاطئاً في شيء ما فالله تعالى قد طالبه مراراً في القرآن بالتوبة والاستغفار لذنبه ولم يقره على خطأ ما ، =

« ١ » راجع مثلا سفر التثنية « ٢٠ : ١٦ » تجد فيه الامر بابادة ست أمم حتى نسائهم وأطفالهم

وقتل الاعداء والوغيلة) وكان لداود أيضا نساء عديدة وامتن الله عليه باعطائهن اياه (٢ صم ١٢ : ٨) فما بال النصارى لايرون الخشبة في أعينهم ويرون القذى (ان سلم انه قذى) في أعين غيرهم ؟ ! فتراهم يستحسنون كل ذلك ويجعلون المسيح المثال الاكمل للبشر على ماوصفته كتبهم به مما سبق ذكره ، وأما محمد فينبذونه ويستقبحون أعماله ، وهو الذي أصلح العالم كله وخاصه من الشرك والوثنية وعبادة البشر والصور والصلبان والاصنام ودعا بوحي الله الى كل خير وحرم الخمر بتاتا وأمر باجتناب كل شر وضرر وأتى بمكارم الاخلاق الصحيحة قاطبة وفرض على أتباعه الصلوات الخمس وحث على قيام الليل في عبادة الرحمن وأوجب الصوم والزكاة وفعل كل خير بالايتام والفقراء وأبناء السبيل والاسرى والرقيق وغير ذلك مما فصلناه في كتبنا « الدين في نظر العقل الصحيح » و « الاسلام » و « دين الله في كتب أنبيائه » وغيرها ، وأصلح حال المرأة اصلاحا لم يسبقه به أحد ، ودعا للعمل للدنيا والآخرة كقول القرآن (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وغيره مما ذكرناه سابقا . ثم إنك ترى ان جميع تعاليمه عملية وصالحة لخير هذا المجتمع ولا تزيده الا عزا ورفعة وعلما وتقدما ومدنية وهي بعيدة عن كل عيب أو غلو أو استحالة . ولا يرد علينا بحال المسلمين اليوم فان الاسلام (كما في القرآن والسنة النبوية) غير مسلمي هذا الزمان وفقهم الله لمعرفة حقيقة دينهم التي أخفاها عنهم الجهل والتقليد . ومن تمسك بحال مسلمي اليوم فهو كالمتمسك بحال نصارى القرون الوسطى أو نصارى الحبشة ونحوهم الآن مستدلا على قبح المسيحية وانحطاطها ، فهل هذا من الانصاف والعقل في شيء ؟ !

= فأي الالهين أطهر وأقدس ؟ اذا صح أن الهنا غير إلههم كما يتبجح بذلك الآن متعصبو المبشرين منهم . على ان محمداً صلى الله عليه وسلم ما ارتكب صغيرة ولا كبيرة قط إلا هفوات بسيطة لايخلو منها بشر وهي المسماة بالذنوب في القرآن على حد قول القائل « حسنات الابرار سيئات المقربين » وعدم ذكر مثلها لغيره من الانبياء كشعيب وهود وصالح وعيسى ويحيى وزكريا وغيرهم سببه أنه لافائدة من ذكرها بالنسبة لهم بعد أن انقضى زمنهم ولان القرآن لم يأت بدقائق تواريخهم كلها إلا ما كان فيه عبرة لنا ولا يخفى ان عدم الدليل لايدل على عدم المدلول . أما ذكرها بالنسبة لمحمد « ص » فهو لارشاده وتأديبه وتكميله ولتعليم أمته وهدايتها لما فيه الخير والصلاح ولولا هداية الله لضل محمد كغيره من قومه وضلت أمته معه فلله الحمد هادي الضالين ، رب العالمين

حركة الأمة الهندية الشرقية

﴿ والحكومة الهولندية ﴾

أردت بالأمة الهندية الشرقية سكان جزائر الهند الشرقية (جاوه . سومطرة بورنيو ، سليبس . وغيرها من الجزائر المجاورة لها)

سكان تلك الجزائر اجناس متعددة ، وشعوب مختلفة متفرقة ، أعظمها وأشهرها جاوية فملاوية ثم باتاكية ثم مكاسرية ثم بوقيسية ثم سنداوية . فكلها من أصل واحد وهو الملايو ـ

هذه الأمم متأخرة عن بقية الأمم مدنية وحضارة ولم تزل الى السنوات الاخيرة في انحطاطها ورقدتها

وقد كانت نهضة اليابان أيقظتها بعض اليقظة اذ قام رجالها وشبانها المستنيرون بالدعوة الى الاقتداء باليابان والأمم الغربية ، وبعبارة أخرى قاموا بالدعوة الى المدنية والحضارة ، والى اقامة المدارس ، ونشر العلوم والمعارف في جميع البلاد الجاوية الملاوية . فكتب كتابهم في جرائدهم ومجلاتهم شيئا كثيراً من هذا القبيل ، وطلبوا من الحكومة زيادة المدارس . وكان القارئ لايقرأ في الجرائد الملاوية والجاوية الا كلمات التقدم والتعليم والمدنية والحضارة الخ ـ

وبعد أن كثرت الاصوات والصيحات ولم يفتر كتابها عن الطلب والالحاح على الحكومة . اضطرت الحكومة الى قبول مطالبهم رغبة في تقدمهم وارتقائهم (اي بعد ظهور هذه الحركة خوف ان .... وما كانت راغبة في.........) وبذلك أصبح عدد المدارس الهندية الشرقية الهولندية زهاء ستة آلاف مدرسة ما بين الابتدائي والثانوي والعالي ، وما بين مدارس الحكومة ومدارس الاهالي ـ أما الآن فلا أبالغ اذ قلت ان عددها ثمانية آلاف مدرسة .

قام الصينيون بعد قيام اليابان وقلبوا حكومتهم الاستبدادية الى الجمهورية الدستورية ، وارسلوا شبانهم الى بلاد اليابان والبلاد الغربية ، لتلقي العلوم والفنون العصرية . فكان نهوضهم هذا سببا لقيام الامة الهندية الشرقية بالسعي والاجتهاد ، وبترك الخمول والرقاد ، فظهرت حركاتها الوطنية الحية ونهضتها الحديثة في كل البلاد ، اكثر مما كانت عليها حين بدو النهضة اليابانية ، وتأسست بعد الانقلاب الصيني عدة من الجمعيات والشركات

التي تقوم بالاعمال التي تعود منافعها ومصالحها على الامة والوطن ـ

اما انواع تلك الشركات والجميات فأشهرها ما ترى :

(١) شركة الاسلام ـ هذه الشركة أسست منذ سنة وقد بلغ عدد أعضائها والمشتركين فيها الآن زهاء ٩٠٠٠٠

وغرضها الوحيد الوصول الى الدرجة الراقية واعلاء شأن الوطن والوطنيين معاً . وقد فتحت الشركة متاجر عديدة ، كما أنها أقامت مدارس كثيرة

ومن قانونها أن لايجوز لاعضائها والمشتركين فيها أن يشتروا شيئا ما من البضائع الاجنبية مادام ذلك الشيء موجوداً عند تجارها أوغيرهم من أصحاب التجارة الوطنية، وفوق ذلك تلح دائما على الوطنيين ان يفضلوا التجارة الوطنية على التجارة الاجنبية. وقد ظفرت بذلك بعض الظفر

(٢) حزب النابتة (الشبيبة) أو الحزب الوطني ـ هذا الحزب تأسس حديثاً وغرضه انقاذ الوطن والوطنيين من ظلمات الجهل الى نور العلم، ومن هاوية الانحطاط الى ميدان الحضارة والارتقاء

ومن وظيفته النظر في شؤونهم وأمورهم الاجتماعية والاقتصادية وفي المصالح العمومية ـ وبالجملة انه يقوم دائما بالواجب الوطني

(٣) جمعية المحبة ـ وغرضها الاتحاد والتضامن ، والاتفاق والتعاون ، وعلى الاخص مساعدة أبناء الفقراء واليتامى في تعليمهم وتهذيبهم

(٤) الشركات التجارية الوطنية ـ وهي الآن كثيرة الشيوع

وما عدا ذلك فانه توجد نهضتان عظيمتان ربما تعجبان من لم يعلم حركة تلك الامة من قبل ـ أولاهما أنه قد تأسست هناك مدرسة (الجامعة الجاوية) وغرضها ترقية العلوم والمعارف وهي تضاهي الجامعة المصرية في الغاية والمقاصد ـ ومركزها في بتاوى ـ وقد انتهت من اعداد المعدات اللازمة لها وللتدريس ـ وستبتدئ الدراسة فيها في أوائل سنة ١٩١٤

ولا يمكن أن يلتحق بهذه الجامعة لتلقي العلوم الا من تخرج في احدى المدارس العالية وكان يحمل الشهادة النهائية ـ ومؤسسو هذه الجامعة هم من أعضاء وكبار حزب النابتة

أما الثانية فهي حركة أعظم من الكل بل هي حادثة معجبة فان حصولها ما كان ينتظر في هذه الايام. وقد علم الكاتب علم اليقين أن مثل هذه الحادثة لابد أن تحصل بيد أن حصولها ليس في هذه الايام

وتفصيل ذلك أنه في شهر اغسطس الجاري أقامت الحكومة الهولاندية والشعب الهولاندي في البلاد الجاوية والملاوية احتفالا بعيد الاستقلال الهولندي والحرية الهولندية كما احتفلت الحكومة والامة الهولندية في بلادها

وقبل يوم الاحتفال بأيام اجتمع الشبان الجاويون في مجتمعهم للنظر في أمر هذا الاحتفال . وكان زعماؤهم أربعة هم الدكتور چيفتو ماغون كسوما المحرر بجريدة « دي اكسبرس الهولندية » وعبد الموبس رئيس تحرير جريدة (هنديا شريكت) الملاوية ، وسواردي سوريا نيغرت ، وويجنادي سنسترا، المحررين بجريدة (قوم مودا) الملاوية ، فهؤلاء كلهم من الوطنيين المسلمين المخلصين ومن عقلاء حزب النابتة

وكان من رأيهم بل رأي الاكثرين أن لايجوز للاهالي البتة أن يشتركوا مع الحكومة في الاحتفال ، ويفرحوا بذلك الاستقلال ، بدعوى أن الحكومة إذا احتفلت بعيد الاستقلال الهولندي ودعت الاهالي الى أن يشتركوا فيه ويفرحوا بسرورها فليس ذلك الا اهانة واحتقاراً للوطنيين أجمعين، ذلك لأن الاستقلال هو الاستقلال الهولندي لا استقلال الاهالي ، والاهالي لايزالون عبيداً لها ، فاذا اشترك الوطنيون في ذلك الاحتفال كان في الحقيقة احتفالين . احتفالا بالحرية الهولندية والاستقلال الهولندي، واحتفالا بعبودية الوطنيين والاهالي ـ ان ذلك لعيب كبير وعار عظيم

وبعدان اتفقت آراء المؤتمرين كل الاتفاق كتب زعماؤهم الاربعة صور المنشورات فطبعوها ثم وزعوها بين الاهالي خواصهم وعوامهم ـ وكان من ضمن تلك المنشورات

(١) نهي الاهالي أن يشتركوا في الاحتفال البتة، وبين المنشور سبب ذلك بيانا وافيا

(٢) الدعوة الى الاتحاد والاتفاق معهم في المطالب التي أرادوا تقديمها الى جلالة ملكة هولانده والى الحكومة الهولاندية ، وتلك المطالب مبينة في تلك المنشورات

(٣) الرجاء ممن يرغب في هذا المشروع أن يرسل اليهم بطاقة أو خطابا اعترافا برضائه واستحسانه ذلك المشروع ويجب عليه أن يوقع امضاءه عليه

أما مشروعهم فهو :

اتفقوا على أن يرسلوا ويقدموا الى ملكة هولاندة تهنئة بالتلغراف يهنئونها بعيد الاستقلال الهولندي بدلا عن الاشتراك مع الحكومة في الاحتفال، وفي الوقت نفسه يفدون الى الحاكم العام للهند الشرقية الهولندية يهنئونه بذلك العيد من جهة ويقدمون له مذكرة مطالبهم من جهة أخرى

وأما مطالبهم فكثيرة . أهمها وأعظمها ما يأتي :

الاول — إلغاء المادة الثالثة من قوانين الهند الشرقية الهولندية (أي امتياز الهولانديين خاصة والاوربيين عامة في الحكم والقضاء)

الثاني — اعطاء الوطنيين حقوقهم في مجلس شورى القوانين الهندية الشرقية الهولندية (Tweede kamer) الذي مركزه في عاصمة هولانده . أي أن يكون رجال ذلك المجلس من الوطنيين أكثر من الهولانديين ، أو يكون نصف الاعضاء منهم على الأقل ـ

الثالث — طلب المساواة والحرية التامة سواء كانت في الامور السياسية أو الدينية أو التجارية أو غير ذلك

هذا هو أهم مطالبهم وبعد نشر تلك المنشورات نشر سواردى رئيس تحرير جريدة قوم مودا (حزب الناشئة) منشورات أخرى ذكر فيها بلهجة شديدة أن من الواجب أن يطلبوا برلماناً (مجلس نواب) ـ ولكن من الأسف أنه قبل أن يتموا أعمالهم ومشروعهم الجليل وبعد أن نشروا زهاء خمسة آلاف نسخة من تلك المنشورات أصدرت الحكومة أوامرها بالقبض على هؤلاء الاربعة ـ فألقي عليهم القبض وأدخلوا السجن

وكان الدكتور جيقنو المحرر بجريدة (دي اكسبرس) الهولندية قبض عليه البوليس في ادارة الجريدة كما ان عبد المويس المحرر بجريدة (هنديا شريكت) قبض عليه وهو في ادارة جريدته أيضا ـ وأما سواردى المحرر بجريدة (قوم مودا) وونجادي سستررا رئيس تحرير تلك الجريدة فقبض عليهما في بيتيهما ـ

والتحقيق جري بينهم وبين قاضي التحقيق . وربما أترجم الى العربية بعض التحقيقات اذا سنحت لي الفرصة ـ

فيري القراء الكرام أن ما كتبه هؤلاء الاربعة لم يخرج ولم يتجاوز حقوقهم ولا حقوق الحكومة ، بل ذلك من مصالح الامة والوطنيين ـ

أما امتناعهم عن الاشتراك في الاحتفال فما كان الا دفاعاً عن كرامتهم وكرامة الاهالي ، وأما دعوتهم الى الاتفاق والاتحاد معهم في تلك المطالب فذلك من حقهم وواجباتهم فليس للحكومة حق في القبض عليهم وإلقائهم في السجن بوجه من الوجوه

وبمناسبة هذه المقالة أدعو اخواني الجاويين والملاويين الى تأييد تلك المطالب وضم أصواتنا الى أصواتهم ـ فكلنا نريد الحرية ولا نريد العبودية

كفانا أيها الاخوان الكرام نومنا السابق ، وذلنا الفائت ، فلا يجوز لنا ان نديم رقدتنا وذلنا فانا الآن في عصر الحضارة والتقدم لا في عصر الانحطاط والذل

يجب علينا جميعاً أيها الاخوان الكرام أن نلح على حكومتنا بأن تعترف بحقوقنا، وأن تقبل مطالبنا من غير تردد ولا عمه

يجب علينا ان نعلم ان بلادنا ليست (ملكا لهولندة) فان دخولها فيها كان بمعاهدات تجارية ثم بمعاهدات ودية عقدتها مع أمرائنا ، أما معاهدتا سنة ١٨١٤ وسنة ١٨٢٤ اللتان ضمتاها الى أملاكها فليستا باعترافنا

ولسلامة الحكومة الهولندية وسلامة الوطن والوطنيين ولبقائها محبوبة من الاهالي يجب عليها ان تقبل مطالبنا وتراعي مصالحنا وفوق ذلك يجب عليها أن تعترف بأننا أصدقاء واخوان لها لا عبيد لها

فاذا اعترفت الحكومة بذلك فلا ريب انها تبقى في تلك الاصقاع آمنة مطمئنة فان الاهالي حينئذ يحبونها ويساعدونها لا يريدون الفراق والانفصال عنها أبداً

وبمناسبة هذه الحركة الجيدة أقول لكم أيها الاخوان الكرام كلمة في أمر التعلم وهي انه قد اعتاد آباؤنا الكرام وأخواننا الاعزاء أن يقتصروا على ارسال ابنائهم وشبانهم الى مكة المشرفة ومصر المحروسة والى البلاد الهولندية وحدهن ، وأرى أن ذلك من الخطأ العظيم ، والتقصير المبين — ولست في حاجة الى الحجج والبراهين لاثبات قولي وتأييده أكثر مما نرى ونشاهد ، وهو تقدم اليابان والصينيين ، أليست سرعة تقدمهم ورقيهم بفضل ارسال أبنائهم وشبانهم النجباء الى بلاد وعواصم أوربا وأمريكا ؟ ! فاذا علمنا ذلك فلماذا نقتصر على تلك البلاد فقط ؟ ؟

اذاً يجب علينا أن نبذل غاية جهدنا في احتذاء مثال هاتين الامتين لنكون في صف الامم الراقية في اقرب وقت — هدانا الله لصالح الاعمال ونجانا من هاوية الجهل والانحطاط والسلام

أغسطس   د . ى

(المنار) يظهر ان الكاتب لا يزال يغلو في سوء الظن بهولنده المستولية على وطنه، ولكن بلغنا من الثقات في تلك البلاد ان الحكومة الهولندية كانت مؤيدة لهذه الحركة الجديدة ان لم تكن هي المحرك الاول لها، ومن الثابت انها صارت تتساهل مع الاهالي في أمر التعليم الديني واللغة العربية وكانت تشدد في ذلك كل التشديد. وسبب ذلك ان وزارة الحزب الديني قد سقطت من عاصمة هولنده وخلفتها وزارة حزب الاحرار، فيجب على مسلمي تلك البلاد الحزم واغتنام الفرصة وان يشكروا لوزارة الاحرار تساهلها ولا ينفروها بالغلو لعل ذلك يكون مدعاة المزيد، وان يثنوا عليها بقدر ما كانوا يقدحون في الوزارة السابقة وزارة التعصب الديني الفاضح وسلب الحرية الدينية وغيرها لا ردها الله تعالى

﴿ الاصلاح اللامركزي في البلاد العربية . واتفاق الترك مع العرب ﴾

نشرنا في منار شعبان صورة الاتفاق الذي عقد بين جمعية الاتحاد والترقي وطلاب الاصلاح من العرب وأقره المؤتمر العربي بباريس وأكدت الجمعية العهود والمواثيق لتنفذه الحكومة برمته. وقلنا انه لما وقع الخطأ من حزب اللامركزية بنشره نشرت الجمعية بلاغاً في أنديتها العربية يخالفه من عدة وجوه ، ثم ان طلعت بك عاقد ذلك الاتفاق بالنيابة عن الجمعية نشر بلاغاً رسمياً بصفته ناظراً للداخلية بين فيه ما عزمت الحكومة عليه من الاصلاح ، وهو بين بين، وفي ذلك قرار مجلس الوكلاء ، ثم نشرت إرادة السلطان السنية بتنفيذ ذلك ، ونشرنا في منار رمضان ترجمة بلاغ نظارة الداخلية ، وترجمة الارادة السنية، وكان قطب الرحى في هذه الحركة الجديدة طلعت بك الرجل الفعال في الجمعية المدبرة للحكومة وفي الحكومة المنفذة لمقاصد الجمعية.

فرح المشتركون في هذه الحركة في الاستانة بهذه القرارات ، وأقاموا في أثناء نشرها المآدب والاحتفالات ، فأكلوا وشربوا ، وأنشدوا وخطبوا ، عظموا أمرها واكبروا ، وهللوا لها وكبروا ،وارسلوا الكتب والبرقيات ، الى الأحزاب العربية والجمعيات ، في باريس ومصر وسورية والعراق ، يستنطقون ألسنتها ، وأقلامها وصحفها بالشكر والثناء ، على هذه النعم والآلاء، التي جاد بها على العرب الاتحاديون الاسخياء ، ويطلبون ارسال الوفود منها الى العاصمة البزنطية ،لأداء الشكر للحكومة والجمعية ، والاشتراك في الاحتفالات والمآدب، والمطاعم والمشارب، كان يرسل هذه البرقيات والرسائل عبد الكريم افندي قاسم الخليل، وعززه سليمان افندي البستاني ناظر الزراعة والتجارة. ولكن منعت الرزانة والبصيرة طلاب الاصلاح من اجابة الدعوة فما أجابها أحد، وانما أرسل جماعة المؤتمر الذين ينتظرون في باريس وعد جمعية الاتحاد بتنفيذ الاتفاق المعهود وفداً منهم الى الاستانة ليختبروا حال الحكومة بالمشافهة مع وزرائها ويكتبوا اليهم بذلك ، لا لأجل الشكر على نعمة لا تزال في حيز الوعد المضطرب

كان اعضاء وفد باريس ثلاثة من مندوبي بيروت في المؤتمر وهم الشيخ احمد طباره واحمد مختار افندي بيهم وسليم افندي سلام ، استقبلهم على البحر في الاستانة سليمان افندي البستاني الوزير العربي وبعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي وجمهور طلبة العرب في مدارس الحكومة الذين يجمعهم المنتدى الادبي،وقد ذهبوا بهم الى المنتدى الادبي حيث ألقيت الخطب المناسبة للمقام . وأعدت لهم جمعية الاتحاد مأدبة حافلة ألقيت عليها الخطب أيضاً، ولقوا الصدر الاعظم وطلعت بك ناظر الداخلية فوعداهم بتنفيذ

الاصلاح المطلوب كله، وأكد الاخير لهم الوعد مراراً ،وزاروا ولي العهد أيضاً فأكرم وفادتهم . ثم قابلوا مولانا السلطان فرحب بهم وهش لهم وأظهر لهم ارتياحه الى اسعاد البلاد والامة. وبين سليم افندي سلام في حضرته السامية اخلاص العرب لسلطانهم وتعلقهم بالخلافة وغيرتهم على الدولة، ودعا الشيخ أحمد طباره دعاء مناسبا، وقد كان كلام كل منهم في كل اجتماع ومع كل وزير ومكاتب جريدة موزونا بميزان الروية والاعتدال، ليس فيه شيء يشف عن الغرور ولا الاغترار، ولا ينبئ بشيء من التملق ولا الدهان

في أثناء هذه الحوادث والوقائع كان زعماء المقاومين للاصلاح في سورية يتميزون غيظاً لانهم رأوا أنهم سودوا وجوههم عند أمتهم ارضاء للحكومة والجمعية فكانت العاقبة أن ازدرتهم، وأجابت دعوة طلاب الاصلاح وكرمتهم، فطفقوا يكتبون الى مركز الجمعية العام في الآستانة يعظمون شأن أنفسهم، ويهونون خطر طلاب الاصلاح وينالون منهم، ويزعمون أن زعامة الامة العربية في أيديهم لا في أيدي المصلحين ، وان الحكومة اذا نفذت ما اتفقت عليه مع المصلحين يزول نفوذ الاتحاديين من بلاد العرب بتركهم اياها، فرأت الجمعية أن تأذن لهم بالمجيء الى الاستانة ، قيل لترضيهم بشيء من التكريم الذي كرمت هي والحكومة به من حضر الاستانة من المصلحين، وقيل لتصالح بين الفريقين فتكتفي أمر الجميع، وقيل لاحكام الشقاق بين الفريقين لتجعل لنفسها عذراً في الغاء بعض مواد الاصلاح وارجاء بعض آخر، وقالت بعض جرائد هؤلاء المعارضين للاصلاح انها تريد أن تعقد مؤتمراً منهم ومن أمثالهم ومن بعض أفراد الاحزاب والجمعيات الاصلاحية من العرب المخلصين ومن مثل عدد الجميع من الترك .

وجملة القول ان جمعية الاتحاد والترقي قد ساوت بين وفدها الذي استقدمته ووفد الاصلاح في التكريم الذي هو عبارة عن المادبة ولقاء مولانا السلطان ولقاء ولي العهد والصدر الاعظم. وامتاز وفد الاصلاح بتكريم جميع ابناء العرب الذين في الاستانة له واحتفالهم به وبأنه قد وعد الوعود المؤكدة بسرعة تنفيذ الاصلاح المطلوب ما أعلنته الحكومة منه وما لم تعلنه ، وبأنه لم يتملق ولم يدهن ولم يقبل ان يجتمع بمعارضي الاصلاح ، وقد سافر الى بيروت . وبذلت الآستانة الجهد قبل ذلك وبعده في استقدام السيد عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر من باريس الى الاستانة وحده او مع من بقي معه من أعضاء المؤتمر فخاب السعي كما خاب في طلب رفيق بك رئيس حزب اللامركزية الى الآستانة ،وذلك لأن حزب اللامركزية لم ير موجبا لذهاب الرئيسين ولا الوفدين الى الآستانة والحكومة لم تصرح بقبول الاتفاق الذي صدق عليه المؤتمر العربي

فمن هذه الخلاصة ومما نشرناه من قبل يعلم القاريء أن كل ماحصل من الاصلاح والاتفاق هو (١) ان الحكومة اعلنت بعض مطالب المصلحين وسكتت عن اهمها وهو توسيع سلطة المجالس العمومية على اساس الادارة اللامركزية وجعل جميع مسائل النافعة المحلية من خصائصها لتأمن الامة من بيع رقبة بلادها ومنافعها الى الاجانب بدون رأيها ولامراعاة مصلحتها (٢) أن افراد جمعية الشبان العربية أدبوا مأدبة لزعماء جمعية الاتحاد والترقي. والجمعية أدبت لهم مأدبة مثلها ، واخرى لوفد المؤتمر العربي من جمعية بيروت الاصلاحية ، وثالثة الاثافي من هذه المآدب الاتحادية لوفد المعارضين للاصلاح (٣) الوعود بالاصلاح (٤) الشروع بتنفيذ التعليم باللغة العربية في المكاتب الابتدائية وبعض المدارس السلطانية. أما هذه الاحتفالات والمآدب فلم يحضرها الا جماعة الاتحاديين وبعض الموظفين أو طلاب الوظائف من العرب في الاستانة وقليل من شباننا ورجالنا الذين هم على مشربنا في الاصلاح ، ولكن لم يقل فيها احد ممن يعده المصلحون منهم كلمة تشعر بالرضا مما حصل الا عبد الكريم افندي قاسم الخليل ، وقد آخذته على ماقال وفعل جميع الهيئات الاصلاحية في جميع الجهات ، وانما كان معظم التهليل والتهويل فيها لاشياع الاتحاديين الذين كثر بهم سواد هذه المآدب والمحافل كالشيخ عبد العزيز شاويش ومعروف افندي الرصافي ، وكانت نتيجة ذلك كله ان الجمعيات الاصلاحية في مصر واوربة وسورية والعراق والجزيرة لم تثق بحصول مطالبها فعمدت الى لم شعثها وتوحيد سعيها وانتظار وعد الحكومة الاخير لوفد المؤتمر من اخوانها البيروتيين ، ولعل هذا الانتظار لا يعدو هذا الشهر ، فان شرعت الحكومة في تنفيذ المطالب الاساسية من الاصلاح فقل ان الدولة قد هدأت أحوالها الداخلية ، وصارت الى طور جديد من الحياة المدنية ، وان لم تفعل فاجزم بان المسألة العربية قد دخلت في طور عملي عام سيعقبه انقلاب لايعلم كيف يكون الا الله ،

اما المطالب الاساسية فأهمها اربعة امور (١) ان تكون جميع المسائل الادارية الداخلية من خصائص المجالس العمومية فلا يعطى في البلاد العربية امتياز بطريق حديدي ، أو استخراج معدن ، أو عمل زراعي أو غير ذلك ، ولا يباع شيء من أرض البلاد العربية للشركات المالية - لايكون شيء من ذلك وأمثاله الا بقرار من المجالس العمومية (٢) مشاركة العرب للترك في السلطة العليا بالعاصمة مشاركة تضمن بها مصالحهم (٣) ان يكون رؤساء مصالح الحكومة في الولايات العربية ممن يعرفون لغتها معرفة صحيحة ، وان يكون من عداهم من الموظفين من أهل الولايات أنفسها (٤) ان تكون اللغة العربية هي لغة الحكومة في جميع دوائر الولايات العربية ، ومقبولة في العاصمة أيضا

﴿ تذييل للفصل السابق ﴾

﴿ في النبيذ عند العرب ﴾

ننقل هنا ما يأتي بحروفه عن كتاب « الهدى الى دين المصطفى » لاحد علماء الشيعة المحققين بالعراق ، قال حفظه الله في صفحة ٦٨ — ٧١ من الجزء الاول :

ان المتكلف (يريد صاحب « كتاب الهداية ») كان شاعرًا بما في كتب العهدين من تلويث قدس الانبياء وخصوصا المسيح بشرب الخمر فحاول أن يموه على البسطاء المغفلين ويلوث قدس خاتم المرسلين بشربها فتشبث لذلك بأخبار آحاد لم يتحقق سندها ولم يفهم مدلولها ، ولو انها صحت وكانت لها مداخلة فى أصول الدين لكانت أجنبية عن مقصوده الممتنع عليه

فقال فى الهداية ١ ج ص ١٣ ان محمدًا شرب الخمر — وذكر عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى السقاية فى مكة وقال اسقوني من هذا فقال العباس ألا نسقيك مما فى البيوت ؟ فقال صلى الله عليه وآله : لا ولكن اسقوني مما يشرب منه الناس ، فأتي بقدح من نبيذ فذاقه فقطب ثم قال هلموا وصبوا فيه الماء ثم قال زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثا ثم قال اذا صنع أحد منكم هكذا فاصنعوا به هكذا

وذكر عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله عطش وهو يطوف بالبيت فأتي بنبيذ من السقاية فشمه ثم دعا بذنوب (أي دلو) من ماء زمزم فصب عليه ثم شربه فقال له رجل أحرام هذا يارسول الله ؟ فقال لا

وقد غفل المتكلف أو تغافل عن ان اسم النبيذ مأخوذ من النبذ وهو الطرح . وقد كان النبيذ على قسمين « احدهما » ان يطرح التمر أو الزبيب في الماء في الاواني التي تصبر على التمادي الى ان يبلغ حد الاسكار كأواني الدباء وهو القرع اليابس ، والمزفت وهي أواني تطلى بالزفت ، والحنتمة وهي أوان خزفية تدهن بالقلي ، ونحوها فيترك زمنا طويلا الى ان يبلغ حد الاسكار « وثانيهما » ان ماء الحجاز كان مرا مضرا فيطرح فيه لمداواة طعمه وطبعه ما يتمكن الاعرابي منه في ذلك الزمان وهو

قليل من التمر فان ترق فالزبيب بمقدار الكف أو أقل يطرحونه في السقاء غدوة فيشربونه عشيا و يطرحونه عشيا فيشربونه غدوة حينما يؤثر طعم التمر أو الزبيب في الماء حلاوة ما . وقد تضافرت الاخبار الكثيرة بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى عن نبيذ الدبا والمزفت والحنتمة بسبب انه يصبر عليه حتى يبلغ حد الاسكار ويرخص في نبيذ الاسقية وهو ان يطرح في السقاء كف ونحوه من التمر أو الزبيب فيشرب في يومه أوصبيحة ليلته حينما يطيب طعم الماء بحلاوة التمر أو الزبيب ، لأن اسقية البيوت لا تحتمل ان تشغل زمنا طويلا بالنبيذ ، ولا تقوى على بقائه (١) الى ان يختمر ويتعفن ويبلغ حد الاسكار انظر الى مسند احمد وغيره من كتب الحديث ٭ فعلى المتكلف في تشبثه بما ذكر من الحديثين ان صحا في الجامعة الاسلامية (يعني اجماع المسلمين) ان يعين دلالتهما على ان النبيذ المذكور فيهما كان من القسم المسكر المحرم لا الذي ذكرنا انه يطرح فيه قليل من التمر أو الزبيب لمحض تطييب طعم الماء على عادة أهل الحجاز - ٭ - ونحن نقول ان المتعين كون النبيذ فيهما من هذا القسم لا القسم المسكر لوجوه (أولها) انه لو كانت في مكة مصانع للنبيذ المسكر كمصانع أوربا لما وسعت كفاية الألوف العديدة من الحجيج في الايام الكثيرة وهو يعطى مجانا لهم ، وكيف يقوى العباس على ذلك ؟ (وثانيها) ان السقاية في مكة كانت لإرواء الحجيج من العطش لا أنها حانوت خمار (وثالثها) ان هذه الواقعة ان كانت فانما تكون بعد فتح مكة في أواخر أيام النبي (ص) ومقتضى الاخبار التي يذكرها المتكلف (الهداية ١ ج ص ٢٣ و ٢٤) ان الخمر حرمت في اوائل الهجرة . وفي ما ذكره عن ابن مسعود ان رسول الله (ص) قال فيما شربه انه ليس بحرام، مع ان حرمة النبيذ المسكر كانت حينئذ مقررة معلومة في الاسلام (ورابعها) الذي يكشف الحجاب ما صح نقله عن جعفر الصادق وهو الأمام السادس من أهل البيت حيث قال في نبيذ السقاية . ان العباس كانت له حبلة

(١) يعني أنها تنفجر غالبا من الغاز الذي يتولد من الاختمار كما هي العادة إذا اختمر ما في الزق اختمارا شديدا وكان الزق قديما مستعملا من قبل كثيرا في البيوت كما يعرف ذلك يسوع نفسه ويضرب به المثل لكثرة مشاهدته لصناعة الخمر وممارسته لها حتى لم تغب عن ذهنه ولا في وقت تعليم الناس ولم ينس لذة العتيق منها !! حاشاه (راجع انجيل لوقا ٥ : ٣٧-٣٩ وغيره من أناجيلهم)

وهي الكرم فكان ينقع الزبيب غدوة فيشربونه بالعشي وينقعه بالعشي و يشربونه غدوة يريد ان يكسر به غلظ الماء على الناس

واما سر تقطيبه صلوات الله عليه في رواية ابن عباس فليس لان النبيذ الذي اعطي له كان من القسم المسكر ، بل لان حلاوة التمر والزبيب كانت زائدة على المتعارف من نبيذ الاسقية ، فان الحلاوة اذا ظهر أثرها مع مرارة الماء كانت من المهوعات ، فزاد عليها من الماء الى ان ردها الى النحو المتعارف ، وارشدهم الى ان هذا هو الذي ينبغي ان يكون عليه هذا النحو من المشروب لاصلاح طعم الماء . ولو تنزلنا وفرضنا ان النبيذ المذكور في الروايتين كان من القسم المسكر لكانتا دليلا على انه صلوات الله عليه كان يعاف المسكر و يشمئز و يقطب وجهه الشريف منه ، ولم يشرب به حتى اخرجه عن موضوعه وصورته بارقة الماء الكثير عليه (١)

(١) يقول مؤلف هذه الرسالة : سلمنا صدق هذه الرواية وأن رسول الله شرب — وهو مسافر في الحج وفي الحر الغالب في بلادهم — من هذا الشراب المخفف المشتمل فرضا على أثر من الكحول المتولد من قليل من التمر أو الزبيب ما روى به ظمأه حيث لم يجد ماء صالحاً للشرب سواه ، وهو — على فرض أنه كان متخمراً — أقل في ذلك عادة مما في البيوت لقصر زمن التخمير، ولذلك أبى أن يشرب مما في البيوت وشرب هذا بعد اضعافه بالماء الكثير · ولا يخفى أن تحريم شرب مثل هذا الشراب المخفف جداً لارواء الظمأ في وقت الحر والسفر والتعب هو لسد الذريعة إن كان يوجد غيره صالحاً وخاليا من كل أثر من الكحول ، وقال الفقهاء إن ماحرم سدا للذريعة يباح للمصلحة فما بالك اذا كان ثم ضرورة حيث لايوجد ماء عذب غيره ؟ أما من الوجهة الطبية فشرب ما كان به أثر من الكحول في الحر والسفر وبعد التعب لارواء الظمأ هو مغذ منبه مزيل للتعب ملطف للحرارة ولا ضرر فيه مطلقاً خصوصاً إذا لم يشرب به الانسان في حياته إلا مرة أو مرات قليلة جداً في مثل تلك الظروف ولم يعتده في جميع أوقاته كما يفعل مدمنو الخمر

فترى من هذا أن المصلحة بل الضرورة تبيح ما فعله رسول الله إن صح الحديث، وهو لا ضرر فيه مطلقاً بل هو مما يدل على سماحة الاسلام وانه لا يحرم الا ما كان مضرا أو ما يخشى ضرره فشرائعه ليست عبثا ولا إعناتا ، والا فليخبرنا هذا العنيد =

أفبهذا يتشبث الكاتب ويقول بملء فمه وبهوى قلمه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرب الخمر ؟ !! وقد فات المتكلف المتشبث أن في أخبار الآحاد التي لا تقيم لها

= أيّ ضرر في ذلك الشراب والنبي لم يروَ أنه شربه أو شرب غيره بعد التحريم الا في هذه المرة حتى في أضعف الاحاديث وأسخفها التي يتمسك بها النصارى عادة في الرد علينا . فاين هذا من سكر أنبيائهم وإسكارهم لغيرهم كما بينا ومن شرب المسيح مرارا الخمر بمقتضى قوله لو ٧ : ٣٣ « لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان ٣٤ جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة » وهو صريح في اعترافه بشرب الخمر (بخلاف يحيى) حتى عيره معاصروه بذلك ، ولو كانوا كاذبين لأنكر عليهم قولهم هذا ولما كانت عبارته كما ترى ، وقد ذكرنا أيضا أنه حول الماء خمراً للسكارى في العرس « يو ٢ : ١٠» وسقاهم أو أمرهم بشربها « عدد ٨ » وكذلك فرض على أتباعه شربها في العشاء الرباني ولو أنها كانت قليلة إلا أن شربها يتكرر كلما تكرر عمل هذا العشاء لذكراه ، وهو يعمل عندهم كثيراً فيجرهم إلى شربها الكثير وقد كان . وجاء في سفر التثنية ١٤ : ٢٦ قوله « وانفق الفضة في كل ما تشتهي نفسك في البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك وكل هناك أمام الرب إلهك وافرح أنت وبيتك » وأمرت كتبهم اليهود بتقديمها للرب ، وأمتنت عليهم بإنعام الله بها عليهم، وقدمتها انبياؤهم للناس مرات (راجع خر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ١٣ وعد ١٥ : ٥ و٢٨ : ٧ وراجع أيضاً تث ١٤ : ٢٦ و ٣٣ : ٢٨ و ٢ صم ١٦ : ١٩ الخ الخ ثم راجع « كتاب دين الله » صفحة ٩٨) فترى من هذا أن النصارى واليهود بمقتضى كتبهم يجب عليهم صناعة الخمر لاحتياجهم إليها في فرائض دينهم ولهم أن يشربوها قليلا أو كثيراً كما شاءوا . فمن يلوم الافرنج إذا على انغماسهم في شربها وكثرة صناعتهم لها وتجارتها حتى وقعوا ويقعون بسببها في كثير من الموبقات المهلكات فلهم العذر في ذلك فان دينهم هو الذي أداهم إلى ذلك كله !

نعم إن كتبهم قد ذمت الخمر والمسكر وشاربها في بعض المواضع (راجع أمثال ٢٠ : ١ و٢٣ : ٢٠ و٣٠ وأش ٥ : ١١ و٢٢ ولو ٢١ : ٣٤ وأف ٥ : ١٨) ولكنها عادت فاباحتها كما بينا وهو من عجيب تناقضها واضطرابها بسبب تحريفهم لها في ذلك وغيره اتباعا لشهواتهم ، تعالى الله وحاشا لأنبيائهم أن يبيحوها لهم كما يفترون

الجامعة الاسلامية وزنا ما يساعفه على مقصوده بعض المساعفة فقد روى في مسند احمد ان رجلا كان اذا قدم المدينة اهدى لرسول الله (ص) خمرا فقدم مرة ومعه زق خمر ليهديه الى رسول الله (ص) فقيل له ان الخمر قد حرمت. ولكن ماذا يعمل الوهم من هذا الخبر في مقابلة متواترات الآثار ومعلومات السير بأن قدس رسول الله لا تحوم حوله هذه الاوهام ، وقد جاء عنه صلوات الله عليه في مستفيض الحديث من طريق أهل البيت قوله (ص) أول ما نهاني عنه ربي شرب الخمر وعبادة الاوثان . وكذلك ان مشركي قريش، والعرب قد تمحلوا في تكذيب رسول الله وكابروا الوجدان وغالطوا العيان بدعواهم انه صلوات الله عليه مجنون ، ولو انه صلوات الله عليه كان يمكن ان يرمى بشرب الخمر والمسكر ليتيسر لهم ان يقولوا بلا مكابرة للوجدان ان ادعاءه (ص) للرسالة والوحي انما هو من سورة الخمر وعربدة السكر وخيالات الخمار . ولكنه كان صلوات الله عليه ولم يكن لقائل فيه مغمز. فياذا الرشد والفكر الحر الذي لم يستأسر للعصبية والتقليد، سألتك بفضيلة الصدق وشرف النفس هل كان من الرشد وأدب الكاتب أن يتغاضى هذا المتكلف عما لوثت به الكتب الالهامية في نحلته قدس الانبياء وخصوصا المسيح بشرب الخمر وحضور مجالس السكر صريحا ويتشبث لتلويث قدس رسول الله بهذه الاوهام . إه

(لها بقية) الدكتور محمد توفيق صدقي

تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

كثرت المطبوعات المراد تقريظها وحال ضيق الوقت عن النظر فيها نظر دقة وتزاحمت المواد فلم تدع محلا للاشارة اليها في كثير من أجزاء هذه السنة ونحن نشير الى طائفة منها في هذا العدد وموعدنا للاشارة الى باقيها الاعداد التالية

﴿ البيان السنوي للكلية العثمانية الاسلامية ﴾

(في بيروت سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٢ غ لعامها الثامن عشر)

مازالت الكلية العثمانية الاسلامية في رقي ونجاح حتى نهضت بكثير من الشبان في بيروت الى افق الانسانية الراقية

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

انشئت هذه الكلية سنة ١٣١٣ه فكانت مدرسة ابتدائية اجتمع لديها عشرات من التلاميذ وما زال يرتقي عدد التلاميذ بارتقاء المدرسة حتى بلغ في سنتها الماضية سنة ١٣٣٠ هـ — سنة ١٩١٢ ثمانمئة تلميذ وفيها من المعلمين من أبنائها وغير أبنائها زهاء أربعين معلماً . وقد كانت الى السنة العاشرة من سنيها نهارية وذاعت شهرتها في الآفاق فقصدها الطلاب من الأنحاء الاسلامية القاصية فأنشأت قسما ليلياً منذ ثمان سنوات . وقد زاد المهدة عنايتهم بالمدرسة فادخلوا تسعة بنود اصلاحية في برنامجها

وبالاجمال فان الكلية سائرة على سنن التقدم والنجاح ومن أدلة ارتقائها ان شبان بيروت الذين يرجى منهم الخير للبلاد والامة هم من تلاميذها . وقد كان التعليم العالي في بيروت منتشراً وكانت ولا تزال الكليات الاجنبية مفتحة الابواب وقد كثر المتعلمون من غير المسلمين في تلك المدارس أهلية وأجنبية ولم تزدد الطوائف الا تباعداً وعداء. ولكن تلاميذ الكلية العثمانية ما كادوا يخالطون الناس في المدارس العالية والاعمال العمومية حتى انتشرت روح السلام والوفاق بين طوائف بيروت التي كان يظن الناس أجنبيهم ووطنيهم انها ستكون فاتحة الشر والخراب في البلاد . من قرأ هذا البيان يزداد في شؤون المدرسة بياناً ، وفق الله هذه المدرسة وكثر من مثلها في البلاد العربية . واننا نحث اخواننا أهل العراق على ارسال أبنائهم اليها لانها أرقى المدارس العربية الاسلامية في البلاد العثمانية

﴿ التقويم الجزائري ﴾

لسنته الثالثة — سنة ١٣٣١ ه وسنة ١٩١٣ م — يصدر هذا التقويم في الجزائر الشيخ محمود كحول مدير تحرير جريدة كوكب افريقية والمستعرب بودى لوي ناظر صفافي الحروف العربية في مطبعة فونطانا الاخوين في الجزائر ، وثمنه فرنكان اثنان في الجزائر

صدر هذا التقويم سنة ١٣٢٩ الموافقة سنة ١٩١١ وفيه كثير من الفوائد الصحية والزراعية والجغرافية . ومناسك الحج والنبذ الادبية نظماً ونثراً مزيناً بصور مشاهير رجال القطر الجزائري ، وفيه أهم الحوادث التي وقعت في السنة الماضية ، وما زال في ارتقاء وزيادة في المادة حتى بلغت صفحاته ١٩٦ صفحة بقطع المنار بعد ان كانت في السنة الاولى ١٥٨

وقد رأيناه ينقل الفوائد عن المجلات المصرية فقد نقل في صفحة ٤٠ سنة ١٣٣٠ مقالة عنوانها « علم الفلك والقرآن » للدكتور محمد توفيق صدقي عن مجلة الطلبة المصريين (على انها نشرت في المنار بزيادة تنقيح وفوائد) ومقالة في التفسير في صفحة ٦٧ لسنة ١٣٣٠ عن مجلة المنار واخرى عنوانها « كلمات علمية عربية » في ص ١٢٩ عن المنار أيضاً . وقد حولها من الانكليزية الى الافرنسية السيد محمد بن أبي شنب أحد أساتذة المدرسة الثعالبية في الجزائر

﴿ الفصول المهمة في تأليف الامة ﴾

تأليف عبد الحسين بن شرف الدين الموسوي العاملي طبع بمطبعة العرفان بصيدا ص ٢٣٦ بالقطع الصغير ثمنه ثمانية قروش ويباع في مكتبة المنار بمصر

اوردها سعد وسعد مشتمل   ماهكذا تورد ياسعد الابل

اسم الكتاب يدل على موضوعه ولو وافق الاسم المسمى لكان الكتاب من احسن وانفع ما كتب في هذا العصر ولكن المؤلف نحا فيه منحى لا يؤدي الى الغاية المقصودة بحسب الظاهر . وسلك مسلك الدعوة الى مذهبه والازراء بمذهب المخالف بأسلوب جديد في الدعوة ، فقد جاء بأهم المسائل الخلافية بين السنية والامامية وأيد ماشاء ووهن ماشاء مما جعل كلا من الفريقين يتمسك بما عنده من التقاليد ويدافع عن عصبيته

وكان الطريق الاسلم ان يدعو الى ما اتفق عليه الفريقان وهو جميع أصول الدين وما علم منه بالضرورة وان يدع ما وقع فيه الخلاف قديماً وحديثاً فان من دعا الى مذهب فقد دعا الى عصبية . وشأن المصلح الداعي الى التأليف ان يتحامى مثارات التفريق ولا يغني ذكر بعض من ضللهم بالتعظيم فتيلا لان خصومه يزنونه بأنه يتخذ حصن التقية موئلا

﴿ العراقيات ﴾

الجزء الاول منه وهو مختار من شعر عشرة من مشاهير شعراء العراق لجامعيه رضا وظاهر وزين طبع مطبعة العرفان ص ٢٠٠ ونيف بالقطع المتوسط على ورق جيد ثمنه ٩ قروش وربع قرش يباع بمكتبة المنار بمصر

افتتح هذا الديوان بكلمة لناشريه في « ماهية الشعر » فذكروا فيها بحث « منزلة الشعر عند العرب » وبحث « أدوار الشعر » الخ

والحق أنهم قد استخرجوا بهذا الديوان كنوزاً كانت مخبوءة عن الناس في مجاهل العراق فقد أثبتوا من شعر السيد محمد سعيد حبوبي والسيد ابراهيم الطباطبائي والسيد حيدر الحلي والشيخ جواد شبيب والشيخ ملا كاظم الازدي والشيخ عباس بن ملا

علي النجفي والسيد جعفر الحلي والشيخ عبد المحسن الكاظمي والاخرس البغدادي مايزري بقلائد العقيان وذكروا ترجمة كل واحد من هؤلاء القراء

﴿ الشيعة وفنون الاسلام ﴾

لمؤلفه السيد حسن الصدر من أكابر علماء العراق طبع بمطبعة العرفان بصيدا ص ١٥٠ بقطع المنار على ورق متوسط ثمنه ستة قروش ويباع في مكتبة المنار بمصر

اختصر المؤلف بهذا الكتاب كتابه « تأسيس الشيعة الكرام لفنون الاسلام » ويعني بالشيعة ما يعم كل من كان يوالي أمير المؤمنين علياً المرتضى عليه الرضوان والسلام ، ويخطئ من خرجوا عليه ولا سيما بني أمية مفرقي كلمة الاسلام، والسواد الاعظم من المسلمين كلهم شيعة بهذا المعنى العام ، لان النواصب والخوارج قليل عددهم في كل زمان . وقد ذكر من أسماء أفاضل الصحابة والتابعين رجالا معروفين بالسابقة والفضل عدهم من الشيعة ، وذكر فنونا جمة وأسماء أول من ألف فيها وربما كرر اسم المؤلف في عدة علوم

﴿ كتاب تنزيه القرآن الشريف عن التغيير والتحريف ﴾

تأليف الشيخ عبد الباقي سرور نعيم من علماء الازهر . الطبعة الاولى بمطبعة الجمالية بمصر . ص ٦٨ بقطع المنار . ثمنه قرشان اثنان ويطلب من مكتبة المنار بمصر

وضع المؤلف كتابه هذا ردا على كتاب « هل من تحريف في الكتاب الشريف » الذي ألفه أحد دعاة النصرانية وانه والحق يقال قد ألجم ذلك الداعية بلجام الحجة والبرهان وأوضح فساد مايحتج به دعاة النصرانية من واهي الروايات وضعيفها وموضوعها . والكتاب كثير الفائدة بل هو أحسن كتاب رأيته في موضوعه وأحسن مافيه انه ينسب القول لقائله ويعزو الرأي لمقرره ، فحيا الله المؤلف وبياه ولا زال يرسل من شواظه على اولئك المبطلين ، مايردهم على أعقابهم خاسرين

﴿ دلائل الاعجاز ﴾

لامام الفن وواضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني أعيد طبعه بمطبعة المنار للمرة الثانيه واضيف اليه حواشي الاستاذ الامام التي على نسخة الدرس وصحح فيه غلط الطبعة الاولى صفحاته ٤٢٨ وثمنه عشرون قرشاً واجرة البريد ثلاثة قروش ويطلب من مكتبة وادارة المنار بمصر

مكتبة المنار

لاصحابها

رضا وخطيب وقبلان

اطلب قائمة مكتبة المنار ترسل اليك مجانا

العنوان : مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

هذه المكتبة مستعدة لتصدير مطبوعات المنار وسائر المطبوعات لخارج القطر المصري ولتصدير مايطلب منها من الكتب والادوات المدرسية وليس على الطالب سوى ارسال الثمن مع أجرة البريد والمكتبة لاتسأل عن الصادرات اذا كانت غير مسجلة (مسوكرة)

والمرجو من طلاب الكتب أن لا يعتمدوا على غير ادارة المنار بطلب مطبوعات مطبعة مجلة المنار في الجملة وأما مايطلب منها فردا كنسخة ونسختين فهو كسائر الكتب يطلب من « مكتبة المنار بشارع عبد العزيز » في خطاب مستقل يرسل اليها ولا يرسل باسم الادارة

اعلان

تعلن مطبعة المنار انها مستعدة لطبع الكتب والجرائد وجميع أشغال المحامين والجوابات والظروف وبطائق الزيارة « كارت فيزيت » والملاحق وسائر المطبوعات بالعربية والافرنجية مع الاتقان والنظافة واعتدال الاجرة . والمخابرة تكون بهذا العنوان (السيد صالح مخلص رضا الحسيني مدير مطبعة مجلة المنار بمصر)

اعلان من ادارة مجلة المنار بمصر

(المراسلات)

(١) ينبغي ان تكون جميع المراسلات المتعلقة بالادارة من طلب كتب او اشتراك او اجزاء مفقودة او تغيير عنوان او طبع مطبوعات بعنوان (ادارة مجلة المنار بمصر) وماكان منها خصوصيا أو ما يختص بالتحرير والاستفتاء يجب بأن يكتب باسم (السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر)

واذا كانت المراسلة مشتملة على عدة مواضيع فليكتب كل موضوع على حدة بورقة خاصة لان ذلك ادعى لانجاز العمل وتلبية الطلب

(الحوالات)

(٢) جميع الحوالات من بدل اشتراك أو ثمن كتب أو أجزاء من ادارة المنار أو أجرة طبع أو تجليد يجب أن ترسل باسم « السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر » وأما الكتب التي تطلب من مكتبة المنار فترسل حوالاتها باسم (عبد الفتاح أفندي قبلان مدير مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر)

(الاشتراك)

(٣) ان اشتراك المنار ٨٠ قرشا صحيحا في مصر والسودان المصري و ١٩ شلنا في انكلترة والهند وكندا وزنجبار ورأس الرجاء الصالح والترنسفال والاورانج الحرة وكفرورية وسائر المستعمرات البريطانية و٢٢ فرنكا في فرنسه وأفريقية الشمالية والغربية (كتونس والجزائر) ومراكش و٩ روابل في روسية ومستعمراتها و٢٠ شلنا في الصين واليابان وافغانستان وبلاد العجم والمحمرة ومسقط وعمان والبحرين وسائر البلاد التي يحصل منها الاشتراك بواسطة مكاتب البوستة الانكليزية و٢٢ كورون و٢١ هلر في النمسة والمجر وما الحق بهما كالبوسنة والهرسك و٤ بسوس و٦١ سنتافوس في الجمهورية الفضية (الارجنتين) واميركة الجنوبية وفنزويلا و١٨ ماركا و٩٠ فنتا في المانية وسائر مستعمراتها و ١١ فلورين و ١٨ سنتا في هولاندة وسائر مستعمراتها و٤ ريالات (دولار) وتسعة وعشرون سنتا في الولايات المتحدة الامريكية وجزائر الفيلبين و٤ ريالات مجيدية في بلاد الدولة العلية

وعلى طالب الاشتراك أن يرسل القيمة مع الطلب حوالة باسم السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار بمصر على البوستة أو أحد المصارف (البنوك) او تجار القاهرة أو يدفعها لوكيل المنار في بلده ان كان هناك وكيل وكذلك الذين يطلبون مطبوعاتنا والاجزاء المفقودة

(المسؤلية)

(٤) ان ادارة المنار غير مسئولة عن المراسلات اذا فقدت من البريد الا اذا كانت مسجلة على حساب المرسل اليه وقيمة التسجيل لجميع أعداد المنار في السنة ٦ قروش لمصر والسودان و٣فرنكات و١١سنتيم أوشلنان و٥ بنسات ونصف للخارج ولكل مراسلة ٥ مليات لمصر والسودان وقرش صحيح(صاغ) أو٢٦سنتيما أو بنسان ونصف بنس للخارج. ولكل طرد زنته ٥ كيلو عشرة قروش الى آسية الوسطى و ٨ قروش الى أوربة و ١٢ قرش الى الهند الشرقية الانكليزية وبغداد والبصرة والمحمرة ومسقط والكويت وعدن ومكاتب البوسطة الانكليزية في الشرق

(٥) كل ما يرسل الى مكتبة المنار يجب أن يكون بعنوان «عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبدالعزيز بمصر» ومنه تطلب الكتب غير المطبوعة بمطبعة المنار أيضا ومفردات مطبوعات المنار وفهرس (كتالوج) المكتبة وهو يرسل لمن يطلبه مجانا

الادارة

رجاء

نرجو من حضرة الكاتب الفاضل الشيخ محمد القلقيلي ان يبعث الينا بما عليه من النقود وعلى المشتركين والوكلاء أن لا يعطوه شيئا ما من مال الاداره

(الجزء الحادي عشر) ذي القعدة ١٣٣١ (المجلد السادس عشر)

المنار

١٣١٥

{قيمة الاشتراك}

عن سنة ٨٠ قرشا صاغا في مصر والسودان و ٤ ريالات في المملكة العثمانية و٢٢ فرنكا في الخارج و ١٩ شلنا في الهند و٩ روابل في روسيا (ويجب الدفع سلفا)

{تنبيه}

يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشىء المجلة والمستلم

الاشتراك في المجلة يكون دائما من أول سنتها «المحرم» ومنتصفها «رجب»

{مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران}

(لمنشئها) السيد محمد رشيد رضا

(مدير الادارة والمطبعة) السيد صالح مخلص رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي «المنار بمصر»

{فهرس الجزء الحادي عشر}

محمد رمضان

{وكيل مجلة المنار}

(اثمان مطبوعات المنار عدا أجرة التجليد)

البريد ملّيم	الثمن ملّيم	الثمن ـ	
٤		٣	تفسير سورة الفاتحة
٤	٥	١	» سورة والعصر
٣٠		١٢	» القرآن الحكيم ثمن كل جزء منه
٨		٥	المصلح والمقلد
٦		٥	أم القرى (طبع المنار)
٦		٣	الانقلاب العثماني
٥٠		٢٤	شرح عقيدة السفاريني
٦		٥	رسالة التوحيد
٨		٥	الاسلام والنصرانية
٨		٤	الدين في نظر العقل
٢٠		٥	دين الله في كتب أنبيائه
٣٠		١٥	انجيل برنابا
١٢		٢	الصلب والفداء ص١٦٨
٨		٤	شبهات النصارى
١٠		٣	نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص٢٤٠
٤		١	المسلمون والقبط
٦		٣	انتقاد مؤلفات زيدان
١٦		٩	التوسل والوسيلة
١٦		٨	سيرة خديجة
٥٠		٢٥	العلم الشامخ مع الذيل

البريد ملّيم	الثمن ملّيم	الثمن ـ	
٤٠		٢٠	التربية الاستقلالية
٣٠		٢٠	تاريخ الاستاذ الامام (المنشآت)
٣٠		١٠	تاريخ الاستاذ الامام (التأبين والمراثي)
٥٠		٦٠	ثمن مجموعة السنة الاولى والـ ٤ ـ ١٤ من المنار
٥٠		٢٠٠	ثمن المجموعة الثانية » »
٥٠		١٠٠	» الثالثة » »
٥٠		٨٠	» الخامسة عشرة
٥٠		٨٠	» السادسة »
٣٠		٢٠	دلائل الاعجاز . طبعة ثانية
٣٠		٢٠	اسرار البلاغة
٤		٢	اغاثة اللهفان
٤		٢	الجرح والتعديل (للقاسمي)
٦		٤	اصلاح المحاكم الشرعية
٢		١	فتاوى القضاء لاصلاح المرأة
٦		٥	اعمال مجلس ادارة الازهر
٢	٥	٠٠	خلاف الامة
٢	٥	٠٠	الصوفية والفقراء
		٣	تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي

ثمن كل جزء من المنار (ان وجد) للمشترك ٨ قروش و ١٠ لغير المشترك

يضاف خمسة قروش لكل جزء من اجزاء التفسير أو التاريخ ولكل نسخة من انجيل برنابا وأسرار البلاغة وقرش واحد لرسالة التوحيد اذا كان المطلوب من الورق الجيد.

اجرة التجليد الافرنجي بالكعب الجلد خمسة قروش لكل كتاب يكون ثمنه من عشرة قروش فصاعدا واربعة قروش لما دون ذلك والتجليد الممتاز عشرة قروش لكل مجلد

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣١ هـ ق ١٠ الخريف الثاني ١٢٩١ هـ ش ٣٠ اكتوبر ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٩ : ١١)[1] يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ،
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٠ : ١٢) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (١١ : ١٣) وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٢ : ١٤) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

(١) الجمهور على أن آخر الآية الاولى من هذه السورة « العقود » لا « يريد » كما في بعض مصاحف الاستانة الذي اعتمدنا عليه عند البدء بالسورة كما سبق لنا من قبل ، ثم بعد المراجعة علمنا ان عدد ذلك المصحف فيه غلط فاعتمدنا عدد المصحف الذي على هامشه تفسير البيضاوي فهو الصحيح وعليه تكون هذه الآية هي التاسعة . واما في عدد (فلوجل) الذي يعتمده المستشرقون فهي الحادية عشر لانه جعل كلا من آية محرمات الطعام وآية الوضوء آيتين

آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

نادى الله المؤمنين في الآية الاولى من هذه السورة وأمرهم بالوفاء بالعقود عامة، ثم امتنّ عليهم بإباحة بهيمة الانعام لهم الا مااستثنى وما حرم من الصيد في حال الإحرام. وناداهم في الآية الثانية بل الثالثة فنهاهم عن أشياء وأمرهم باشياء، وحرم عليهم مايضرهم من الطعام، الا في حال الضرورة التي يرجح فيها أخف الضررين على أشدهما، وأحل لهم الطيبات، وصيد الجوارح المعلمات، وطعام أهل الكتاب ونساءهم اذا كن محصنات، وذلك في أربع آيات، وناداهم ثالثا فأمرهم بالطهارة، وامتن عليهم برفع الحرج، وذكرهم بنعمه عليهم، وميثاقه الذي واثقهم به، ثم ناداهم بعد ذلك في الآية الاولى والآية الاخيرة من هذه الآيات بما ترى. واذا راجعت سائر السورة تجد النداء فيها كثيرا منه نداء بني اسرائيل في سياق الكلام عنهم، ونداء النبي (ص) مرارًا، ونداء المؤمنين مرارًا أيضا. هذا أسلوب في الخطاب يجوز ان يكون كل نداء منه مبدأ موضوع مستقل لا يناسب ما قبله، على ان المناسبة بين هذه الآيات ظاهرة، فانه تعالى بعد ان ذكرنا بميثاقه امرنا بأن نكون قوامين له شهداء بالقسط وذكرنا بوعده ووعيده لاننا بذلك يرجى ان نفي بميثاقه ولا ننقضه كما نقضه الذين من قبلنا كما حكى عنهم بعد هذه الآيات. ويظهر لك هذا الاتصال والتناسب مما يلي

﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ القوّام هو المبالغ في القيام بالشيء وهو الاتيان به مقوّما تاما لانقص فيه ولا عوج. وقد حذف هنا ما أمرنا بالمبالغة في القيام به فكان عاما شاملا لجميع ما أخذ علينا الميثاق به من التكاليف حتى المباحات، أي كونوا من أصحاب الهمم العالية وأهل الاتقان والاخلاص لله تعالى في كل عمل تعملونه من أمر دينكم أو أمر دنياكم. ومعنى الاخلاص لله في أعمال الدنيا ان تكون بنية صالحة بأن يريد العامل بعمله الخير

والتزام الحق من غير شائبة اعتداء على حق أحد أو إيقاع ضرر به. والشهادة بالقسط معروفة وهي ان تكون بالعدل بدون محاباة مشهود له ولا مشهود عليه، لالقرابته وولائه، ولا لماله وجاهه، ولا لفقره ومسكنته. فالشهادة إظهار الحق للحاكم ليحكم به، أو إظهاره هو اياه بالحكم به، أو الاقرار به لصاحبه. والقسط هو ميزان الحقوق متى وقعت فيه المحاباة والجور لاي سبب أو علة من العلل زالت الثقة من الناس، وانتشرت المفاسد وضروب العدوان بينهم، وتقطعت روابطهم الاجتماعية، وصار بأسهم بينهم شديدا، فلا يلبثون أن يسلط الله تعالى عليهم بعض عباده الذين هم أقرب الى اقامة العدل والشهادة بالقسط منهم فيزيلون استقلالهم، ويذيقونهم وبالهم، وتلك سنة الله التي شهدناها في الامم الحاضرة، وشهد بها تاريخ الامم الغابرة، ولكن الجاهلين الغافلين لا يسمعون ولا يبصرون، فأنى يعتبرون ويتعظون؟

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ﴾ أي ولا يكسبنكم ويحملنكم بغض قوم وعداوتهم لكم أو بغضكم وعداوتكم لهم، على عدم العدل في أمرهم، بالشهادة لهم بحقهم، اذا كانوا أصحاب الحق، ومثله الحكم له به، فلا عذر لمؤمن في ترك العدل وإيثاره على الجور والمحاباة، وجعله فوق الاهواء وحظوظ الانفس، وفوق المحبة والعداوة مهما كان سببها. فلا يتوهمن متوهم انه يجوز ترك العدل في الشهادة للكافر، أو الحكم له بحقه على المؤمن

ولم يكتف بالتحذير من عدم العدل مهما كان سببه والنية فيه، بل أكد أمره بقوله ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ أي قد فرضت عليكم العدل فرضا لاهوادة فيه فاعدلوا – هو أي العدل المفهوم من اعدلوا أقرب لتقوى الله أي لاتقاء عقابه وسخطه باتقاء معصيته وهي الجور الذي هو من أكبر المعاصي لمايتولد منه من المفاسد ﴿ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ﴾ الخبرة العلم الدقيق الذي يؤيده الاختبار، أي لا يخفى عليه تعالى شيء من أعمالكم ظاهرها وباطنها، ولا من نياتكم وحيلكم فيها، وهو الحكم العدل القائم بالقسط، فاحذروا ان يجزيكم بالعدل على ترككم العدل، فقد مضت سنته العادلة في خلقه بان جزاء ترك العدل وعدم إقامة القسط في الدنيا

هو ذل الامة وهوانها ، واعتداء غيرها من الامم على استقلالها ، ولجزاء الآخرة أذل وأخزى ، وأشد وأبقى . قال نبينا (ص) « اذا ظُلم أهل الذمة كانت الدولة دولة العدو » رواه الطبراني عن جابر

وقد تقدم في سورة النساء (٤: ١٣٤ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) — فراجع تفسيرها في ص ٤٥٥ – ٤٥٨ من جزء التفسير الخامس — وما أطلنا به هناك يغنينا عن الاطالة هنا ، على ان ماهنا ابلغ وان كان اخصر ، لأن حذف متعلق قوامين يدخل فيه القسط وغيره ، وتأكيد الامر بالعدل مع الاعداء والشهادة لهم به يفيد وجوبه مع غيرهم بالاولى .

ولما كان الأمر بالتقوى مما حتم على الاطلاق بعد بيان ان العدل هو أقرب ما يتقى به عقاب الله في الدنيا والآخرة لانه قوام الصلاح للافراد والإصلاح في الاقوام — ولما علل هذا الامر المطلق بأن الله خبير بدقائق الاعمال وخفاياها ، وكان هذا التعليل يشير الى جزاء العاملين المتقين وغير المتقين — قال عز وجل في بيان الجزاء العام :

﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي الاعمال الصالحات التي يصلح بها أمر العباد في أنفسهم وفي روابطهم ومرافقهم الاجتماعية ، ومن اسسها العدل العام التام ، والتقوى في جميع الاحوال ، وماذا وعدهم ؟ أو ماذا قال في وعده لهم — والوعد من جملة القول — ؟ قال تعالى مبينا هذا ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ وهذا التعبير أبلغ من تعلق الوعد بالموعود نفسه كقوله تعالى في آخر سورة الفتح (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) لان ماهنالك خبر واحد لاتأكيد فيه ولا زيادة عناية بتقريره . وما هنا خبر بعد خبر ، فيه زيادة تأكيد أو تقرير للوعد ، فقد وعد وعدا مجملا من شأنه أن تتوجه النفس للسؤال عن بيانه فهذا خبر مستقل ، ثم بين ذلك الاجمال بخبر آخر أثبت فيه ان لهم مغفرة وأجرا عظيما ، فكأنه قال انه وعدهم وعدا حسنا أو جزاء حسنا ، ثم بين أن وعده مفعول وان لهؤلاء الموعودين عنده كذا وكذا . هذا اذا جعلت الجملة استئنافا بيانيا

وهو التقدير المقدم المختار ، وكذلك اذا جعلت الجملة الثانية من باب مقول القول تتضمن زيادة التقرير للموعود به والتأكيد لوقوعه . ومعنى المغفرة ان ايمانهم وعملهم الصالح يستر أو يمحو من نفوسهم ما كان فيها من سوء تأثير الاعمال السابقة فيغلب فيها حب الحق والخير وتكون صالحة لجوار الله تعالى ، والاجر العظيم هو الجزاء على الايمان والعمل المضاعف بفضل الله ورحمته أضعافا كثيرة . ولما بين الوعد اقتضى أن يبين الوعيد كما هي سنة القرآن في مثل هذا المقام فقال :

﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ المراد الكفر بالله وبرسله ولا فرق فيه بين الكفر بجميع الرسل ، والكفر ببعض والايمان ببعض كما تقدم في سورة النساء (٤: ١٥٠) لان الكفر بأي رسول منهم لا يكون ممن يعقل معنى الرسالة الا عنادا واستكبارا عن طاعته تعالى كما بيناه في تفسير تلك الآية . وآيات الله قسمان آياته المنزلة على رسوله ، وآياته التي أقامها في الانفس والآفاق للدلالة على وحدانيته وكماله وتنزيهه ، وعلى صدق رسله فيما يبلغون عنه . فهؤلاء الكفار المكذبون هم أصحاب الجحيم أي دار العذاب ، والجحيم النار العظيمة كما يؤخذ من قوله حكاية عن قوم ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم) ومعلوم من الآيات الاخرى انهم جعلوا في ذلك البنيان نارا عظيمة . وهذا الجزاء على الكفر والتكذيب بقطع النظر عن أعمال الكافرين المكذبين ، ولا ينفع مع مثل هذا الكفر والتكذيب عمل ، فان افساده للارواح وتدسيته للنفوس لايمحوها عمل آخر من أعمال الخير « وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ »

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ روى غير واحد ان الآية نزلت في رجل همّ بقتل النبي (ص) ارسله قومه لذلك وكان بيده السيف وليس مع النبي (ص) سلاح وكان منفردا . وأقوى هذه الروايات ماصححه الحاكم من حديث جابر وهي ان الرجل من محارب واسمه غورث بن الحارث (قال) قام على رأس رسول (ص) وقال : من يمنعك ؟ قال « الله » فوقع السيف من يده فأخذه النبي (ص) وقال « من يمنعك ؟ » قال : كن خير آخذ . قال « تشهد أن لا إله الا الله واني رسول الله » قال: أعاهدك ان لا أقاتلك

ولأ كون مع قوم يقاتلونك . فخلى سبيله . فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس. وفي غير هذه الرواية ان السيف الذي كان بيد الأعرابي كان سيف النبي (ص) علقه في شجرة وقت الراحة فأخذه الرجل وجعل يهزه ويهم بقتل النبي (ص) فيكبته الله تعالى . وروى آخرون انها نزلت في قصة النبي (ص) مع بني النضير اذ ذهب اليهم ومعه ابو بكر وعمر وعلي (رض) يطلبون منهم الاعانة على قتل الرجلين الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري منصرفه من بئر معونة وكان معهما أمان من النبي (ص) لم يعلم به وقومهما محاربون. وكان النبي (ص) عاهد بني النضير على ان لايحاربوه وان يعينوه على الديات . فلما طلب منهم ذلك وهو بينهم اظهروا له القبول وقالوا اقعد حتى نجمع لك ، وفي رواية قالوا : نعم يا أبا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا . فلما جلس بجانب حصنهم وجدوا ان الفرصة سنحت للغدر به ، وقال لهم حيي بن اخطب : لا ترونه اقرب منه الآن اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه ولا ترون شرا أبدا . فهموا ان يطرحوا عليه صخرة وفي رواية رحى عظيمة . وانما اعتلوا بصنع الطعام ليكون لهم فيه وقت ينقلون الصخرة أو الرحى الى سطح الدار . ولا شك في انهم كانوا يريدون قتل من معه أيضا. وقيل كان معهم عثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف ايضا. وقد أعلم جبريل النبي (ص) بذلك فانطلق وتركهم ، ونزلت الآية في ذلك . وليس المراد أنها نزلت يومئذ وانما المراد انها نزلت مذكرة بهذه القصة، فان السورة نزلت عام حجة الوداع وذلك بعد غزوة بني النضير التي كانت في أوائل السنة الرابعة، وقيل قبل ذلك. وعلى هذا يجوز ان تكون الآية مذكرة بهذه الحادثة وبحادثة المحاربي وامثالهما من وقائع الاعتداء التي كانت كثيرة حتى بعد قوة الاسلام بكثرة المسلمين ، دع ما كان يقع في أول الاسلام من إيذاء المشركين وعدوانهم، فهو سبحانه يذكر المؤمنين بذلك كله. والمنة له جل جلاله في ذلك ليست قاصرة على من وقعت لهم تلك الوقائع من النبي (ص) والمؤمنين ، بل هي منة عامة يجب ان يشكرها له عز وجل كل مؤمن الى يوم القيامة، لأن حفظه لاولئك السلف الصالحين هو عين حفظه لهذا الدين القويم، فالنبي (ص) قد بلغ الرسالة وأدى الامانة ، وأصحابه هم الذين تلقوها عنها بالقبول وأدوها

لمن بعدهم بالقول والعمل • ومن فوائد هذا التذكير المتأخرين ترغيبهم في التأسي بسلفهم في القيام بما جاء به الدين من الحق والعدل والبر والاحسان ، واحتمال الجهد والصبر على المشاق في هذه السبيل وهي سبيل الله ، وهـذا هو المعنى العام للجهاد في سبيل الله

﴿ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ عطف على ما قبله ، اي اذكروا نعمة الله تعالى عليكم بعنايته بكم اذ همّ قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم اي شارفوا ان يمدوا أيديهم اليكم بالقتل فكف أيديهم عنكم فلم يستطيعوا تنفيذ ما هموا به وكادوا يفعلونه من الايقاع بكم ، واتقوا الله الذي أراكم قدرته على اعدائكم وقت ضعفكم وقوتهم ، وتوكلوا عليه وحده فقد أراكم عنايته بمن يكلون أمورهم اليه بعد مراعاة سننه والسير عليها في اتقاء كل مايخشى ضره وسوء عاقبته ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون بقدرته وعنايته وفضله ورحمته ، لا على أنفسهم أنفسها ، ولا على اوليائهم وحلفائهم ، لأن هؤلاء قد يغدرون كما غدر بنو النضير وغيرهم • ولأن أنفسهم قد يكثر عليها الاعداء ، وتتقطع بها الاسباب ، فتقع بين امواج الحيرة والاضطراب ، حتى تفقد البأس ، وتجيب داعي اليأس ، ولا يقع هـذا للمؤمن المتوكل على الله تعالى ، لأنه اذا هم ان ييئس من نفسه بتقطع الاسباب ، وتغليق الابواب ، وتغلب الاعداء ، وتقلب الأولياء ، يتذكر أن الله تعالى وليه ووكيله وانه هو الذي بيده ملكوت كل شيء ، وانه هو الذي يجير ولا يجار عليه ، فتتجدد قوته ، وتتفتق حيلته ، فيفر منه اليأس، ويتجدد عنده ما اخلولق من البأس، فينصره الله تعالى بما يستفيد من الايمان والذكرى والتوكل ، وما يخذل به عدوه ويلقي في قلبه من الرعب، وبغير ذلك من ضروب عنايته عز وجل التي رآها كل متوكل من المؤمنين الكملة مع سيد المتوكلين محمد (ص) أيام ضعفهم وقلتهم وفقرهم ، وتألب الناس كلهم عليهم • وجملة القول ان الله تعالى أمرنا بالتقوى ثم بالتوكل ، وانما التقوى بذل الجهد في الوقاية من كل سوء وكل شر ومن مبادئ ذلك وأسبابه . ولا تحصل حقيقة التوكل الا بالسير على سنة الله تعالى في نظام الاسباب والمسببات لأن من يوكل الأمر اليه يجب ان يطاع. ومن تنكب سنن الله تعالى في العالم

وخالف شرعه فيما أمر به من عمل نافع ، ونهى عنه من عمل ضار ، لا يصح ان يسمى متوكلا عليه واثقا به . وقد حققنا مسألة التوكل والاسباب في تفسير آل عمران (راجع ص ٢٠٥ — ٢١٤ من جزء التفسير الرابع)

(١٣ : ١٥) وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ، وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ، لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ، فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ

(١٤ : ١٦) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ، يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ، وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِ ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ، فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ، إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

(١٥ : ١٧) وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ

ان وجه الاتصال والمناسبة بين هذه الآيات وما قبلها يعلم مما تقدم من اخذ الله الميثاق على هذه الامة ، وهذا من المقاصد التي لا تختلف باختلاف الأزمنة فكان عاما في جميع الأمم التي بعث الله فيها الرسل ، كما قلناه في تفسير تلك الآية . فلما ذكرنا الله تعالى بميثاقه الذي واثقنا به ، على السمع والطاعة لخاتم رسله ، ذكر لنا اخذه مثل هذا الميثاق على اقرب الأمم الينا وطنا وتاريخا وهم اليهود والنصارى ، وما كان من نقضهم ميثاقه ، ومن عقابه لهم على ذلك في الدنيا ، وما ينتظرون من عقاب الآخرة وهو اشد وأبقى – لنعتبر بحالهم ، ونتقي حذو مثالهم ، وليبين لنا علة كفرهم بنبينا

وتصديهم لإيذائه وعداوة أمته ، وليقيم بذلك الحجة عليهم فيما نراه بعد هذه الآيات . فهذا مبدأ سياق طويل في محاجة أهل الكتاب وبيان أنواع كفرهم وضلالهم . قال تعالى

﴿ ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل ﴾ يقسم عز وجل انه قد أخذ العهد الموثق على بني اسرائيل ليعملن بالتوراة التي شرعها لهم ، لافادة تأكيد هذا الامر وتحقيقه والاهتمام بما رتب عليه ، لأن الرسول قد علمه بالوحي الالهي اذ كان أميا لم يطلع على توراتهم ولا على شيء من تاريخهم . ولا يزال هذا الميثاق في آخر الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى عليه الصلاة والسلام (راجع تفسير « ٤ : ١٥٣ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » من هذا الجزء من التفسير)

﴿ وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ﴾ النقيب في القوم من ينقب عن أحوالهم ويبحث عن شؤونهم ، من نقب عن الشيء اذا بحث أو فحص عنه فحصا بليغا ، وأصله الخرق في الجدار ونحوه كالنقب في الخشب وما شابهه . ويقال نقب عليهم (من باب ضرب وعلم) نقابة ، أي صار نقيبا عليهم . عدي باللام لما فيه من معنى التولية والرياسة . ونقباء بني اسرائيل هم زعماء اسباطهم الاثني عشر . والمراد بعثهم ارسالهم لمقاتلة الجبارين الذين يجيء خبرهم في هذه السورة ، قاله مجاهد والكلبي والسدي . فان صح هذا أخذ به والا فالظاهر ان بعثهم منهم هو جعلهم رؤساء فيهم ﴿ وقال الله اني معكم ﴾ اي اني معكم بالمعونة والنصر ما دمتم محافظين على ميثاقي ، قال الله هذا لموسى عليه السلام وهو بلغه عنه وكان يذكرهم به انبياؤهم ويجدده رسلهم ، ويتوعدونهم نحو ما توعدهم به موسى عند أخذه عليهم اذا هم نقضوه ﴿ لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ﴾ اي واقسم الله لهم على لسان موسى بما مضمونه لئن أديتم الصلاة على وجهها واعطيتم ما فرض عليكم في اموالكم من الصدقة التي تزكي بها نفوسكم وتتطهر من رذيلة البخل ﴿ وآمنتم برسلي وعزرتموهم ﴾ اي برسلي الذين ارسلهم اليكم بعد موسى كداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد

(صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين) وهذه هي نكتة تأخير الايمان بالرسل وهو من اصول العقائد على الصلاة والزكاة وهما من فروع الاعمال، فان الخطاب لقوم مؤمنين بالله ورسوله الذي بلغهم ذلك. والتعزير النصرة مع التعظيم كما قال الراغب، وسمي مادون الحد من التأديب الشرعي تعزيرًا لانه نصرة من حيث انه قمع للمعزر عما يضر ومنع له ان يقارفه. فالتعزير قسمان: ان ترد عن المرء ما يضره، او ترده هو عما يضره، والأول هو تعزير الناس للرسل ﴿ واقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ اي وبذلتم من المال والمعروف فوق ما أوجبه الله وفرضه عليكم بالنص فكنتم بذلك بمثابة من اقرض ماله لغني ملي وفيّ فهو لا يضيع عليه ولكنه يجده امامه عند شدة الحاجة اليه. واذا اردت ان تعرف ما في هذا التعبير، من البلاغة والتأثير، فارجع الى تفسير قوله تعالى (٢: ٢٤٥ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) في ص ٤٥٦–٤٦٢ من جزء التفسير الثاني ﴿ لأكفرنّ عنكم سيئاتكم ﴾ هذا جواب القسم، أي لأزيلن بتلك الحسنات الخمس – الصلاة والزكاة والايمان بالرسل وتعزيرهم والاقراض الحسن – تأثير سيئاتكم الماضية من نفوسكم، فلا يبقى فيها خبث يقتضي العقاب. وذلك بحسب ما مضت به سنة الله تعالى من اذهاب الحسنات للسيئات، كما يغسل الماء القاذورات، ﴿ ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ لا يدخلها الا من كان طاهر النفس من الشرك وما يتبعه من مفسدات الفطرة، وقد تقدم بيان هذا وتفسير هذه العبارة مرارًا. ولما بين الله تعالى العمل الصالح والوعد بالجزاء الحسن عليه، أعقبه ببيان حال من كان على ضده فقال ﴿ فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ أي ضل الصراط المستقيم والسبيل السويّ الذي يوصل سالكه الى إصلاح قلبه وتزكية نفسه، ويجعله أهلا لجوار الله تعالى في تلك الجنات، وانحرف عن وسطه فخرج عنه بسلوك احدى سبل الباطل المفسدة للفطرة والمدسية للنفس التي ينتهي سالكها الى دار الجحيم، والخزي المقيم

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ أي فبسبب نقضهم ميثاقنا الذي أخذناه عليهم وواثقناهم به – ومنه الايمان بمن نرسله اليهم من الرسل ونصرهم وتعزيرهم – استحقوا لعنتنا والبعد من رحمتنا، لان نقض الميثاق

قد دنس نفوسهم وأفسد فطرتهم، وقسى قلوبهم، حتى قتلوا الانبياء بغير حق، وافتروا على مريم وبهتوها، وأهانوا ولدها الذي أرسله الله تعالى لهدايتهم واصلاح ما فسد من أمرهم وحاولوا قتله، وافتخروا بذلك بمجرد الشبهة، فمعنى لعنهم وجعل قلوبهم قاسية أن نقض الميثاق وما ترتب عليه من المعاصي والكفر كان بحسب سنة الله تعالى في تأثير الأعمال في النفوس مبعدا لهم عن كل ما يستحقون به رحمة الله وفضله، ومقسيا لقلوبهم حتى لم تعد تؤثر فيها حجة ولا موعظة، فهذا معنى اسناد اللعنة وتقسية القلوب اليه تعالى، وليس معناه ما يزعمه الجبرية من أنه شيء خلقه الله ابتداء وعاقبهم به ولم يكن مسببا عن أعمالهم الاختيارية التي هي علة لذلك، ولا كما يفهمه بعض الجاهلين لسنن الله تعالى في الجزاء الإلهي، اذ يظنون انه من قبيل الجزاء الوضعي المرتب على مخالفة الشرائع والقوانين في الدنيا. وقد بينا مرارا انه ليس كذلك وانما هو من قبيل الامراض والآلام المرتبة على مخالفة قوانين الطب، وهذا أمر معقول في نفسه مطابق للواقع ولحكمة التكليف، وجامع بين النصوص، ولو خلق الله القسوة في قلوبهم ابتداء فلم تكن أثرا لأعمالهم الاختيارية السيئة لاستحال ان يذمهم بها ويعاقبهم عليها. قرأ حمزة والكسائي «قسيّة» بتشديد الياء على وزن فعيلة، وهو أبلغ في الوصف من «قاسية» وهي قراءة الباقين. ولاجل موافقة القراءتين كتبت الكلمة في المصحف الامام بغير ألف. وقيل ان قسية بمعنى رديئة فاسدة من قولهم: درهم قسيّ، على وزن شقي أي فاسد مغشوش. وقد رد الزمخشري هذا المعنى الى القسوة بمعنى الصلابة لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين فاذا غشا بادخال بعض المعادن فيهما كالنحاس أفادهما ذلك قسوة وصلابة

﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ التحريف إمالة الشيء عن موضعه الى أي جانب من جوانب ذلك الموضع، مأخوذ من الحرف وهو الطرف والجانب. والكلم جمع كلمة وتطلق على اللفظ المفرد وهو ما اقتصر عليه النحاة، وعلى الجملة المركبة ذات المعنى التام المفيد، كقولك كلمة التوحيد. وتحريف الكلم عن مواضعه يصدق بتحريف الالفاظ بالتقديم والتأخير والحذف والزيادة والنقصان، وبتحريف المعاني

بحمل الالفاظ على غير ما وضعت له . وقد اختار كثير من علمائنا الاعلام هذا المعنى في تفسير الآية وعللوه بأن التصرف في ألفاظ كتاب متواتر متعسر أو متعذر، وسبب هذا الاختيار والتعليل عدم وقوف أولئك العلماء على تاريخ أهل الكتاب وعدم اطلاعهم على كتبهم، وقياس تواترها على القرآن. والتحقيق الذي عليه العلماء الذين عرفوا تاريخ القوم واطلعوا على كتبهم التي يسمونها التوراة وغيرها (وكذا كتب النصارى) هو ان التحريف اللفظي والمعنوي كلاهما واقع في تلك الكتب ماله من دافع . وانها كتب غير متواترة . فالتوراة التي كتبها موسى عليه السلام وأخذ العهد والميثاق على بني اسرائيل بحفظها – كما هو مسطور في الفصل الحادي والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع – قد فقدت قطعا باتفاق مؤرخي اليهود والنصارى ولم يكن عندهم نسخة سواها ولم يكن أحد يحفظها عن ظهر قلب كما حفظ المسلمون القرآن كله في عهد النبي (ص) وهذه الاسفار الخمسة التي ينسبونها الى موسى فيها خبر كتابته التوراة وأخذه العهد عليهم بحفظها وهذا ليس منها قطعا ، وفيها خبر موته وكونه لم يقم بعده أحد مثله الى ذلك الوقت أي الذي كتب فيه ما ذكر من سفر التثنية . وهذا نص قاطع في كون الكاتب كان بعد موسى بزمن يظهر أنه طويل، وكون ما ذكر ليس من التوراة في شيء، ومن المشهور عندهم انها فقدت عند سبي البابليين لهم . وفي هذه الاسفار مالا يحصى من الكلم البابلي الدال على انها كتبت بعد السبي ، فأين التواتر الذي يشترط فيه نقل الجم الغفير الذين يؤمن تواطؤهم على التبديل والتغيير في كل طبقة من الطبقات بحيث لا ينقطع الاسناد في طبقة ما ؟ والمرجح عند محققي المؤرخين من الافرنج ان هذه التوراة الموجودة كتبت بعد موسى ببضع قرون، والمشهور ان أول من كتب الاسفار المقدسة بعد السبي عزرا الكاهن في زمن ملك ارتحشستا الذي أذن له بذلك إذ أذن لبني اسرائيل بالعودة الى بلادهم . وقد أوضحنا هذه المسألة في تفسير سورة آل عمران وسورة النساء ، وسنزيده بيانا

﴿ ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس انه قال « نسوا الكتاب » – وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد انه قال : نسوا كتاب الله إذ انزل عليهم، ومرادهما الحظ منه أي نسوا طائفة من أصل الكتاب، وروى

ابن مبارك وأحمد في الزهد عن ابن مسعود انه قال في تفسير الآية: اني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها. يعلل بذلك ما أفادته الآية من نسيانهم لبعض ما ذكرهم الله به من كتابه . وفسر النسيان بعض العلماء بترك العمل ، كأن هؤلاء استبعدوا نسيان شيء من أصل كتاب القوم وإضاعته ، لتوهمهم انه كان متواترًا . والحق انهم أضاعوا كتابهم وفقدوه عند ما أحرق البابليون هيكلهم وخربوا عاصمتهم، وسبوا من أبقى عليه السيف منهم ، فلما عادت اليهم الحرية في الجملة جمعوا ما كانوا حفظوه من التوراة ووعوه بالعمل به، أو ذكروه في بعض مكتوباتهم لنحو الاستشهاد به ، ونسوا الباقي . وقد حققنا هذا المعنى في تفسير الآية الثانية من آل عمران وكذا (٣: ٢٢ و ٤: ٤٤ و ٥٠ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب). ولعمري ان هذه الجملة « فنسوا حظا مما ذكروا به » وتلك الجملة « أوتوا نصيبا من الكتاب » لمن أعظم معجزات القرآن التي أثبتها التاريخ لنا بعد بعثة النبي (ص) بعدة قرون ، ولم يكن يخطر على بال أحد من العرب في زمن البعثة وهم أميون ان اليهود فقدوا كتابهم الذي هو أصل دينهم ثم كتبه لهم كاتب منهم نشأ في السبي والاسر بين الوثنيين بعد عدة قرون ، فنقص منه وزاد فيه ، ولم تعرف المصادر التي جمع منها ما كتبه معرفة صحيحة . بل كان هذا مما خفي عن علماء المسلمين عدة قرون بعد انتشار العلم فيهم .

أثبت الله تعالى في هذه الآية ان اليهود يحرفون كلم كتابهم عن مواضعه، وانهم نسوا حظا مما ذكروا به ، وفي سورتي آل عمران والنساء (٣: ٢٢ و ٤: ٤٤ و ٥٠) انهم اوتوا نصيبا من الكتاب ، وفي (٤: ٤٨) انهم يحرفون الكلم عن مواضعه . ومفهوم قوله « أوتوا نصيبا » انهم نسوا نصيبا آخر وهو ما صرح به هنا . وذهب بعض المفسرين الى أن المنسي هو البشارة بالنبي (ص) وبيان صفاته ، وهو لا يصح لانهم لو نسوها كلها لما صح قوله في علمائهم انهم « يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » وهو ما صرح به واقسم عليه من آمن منهم . وحمله بعضهم على ترك العمل به ، وهو مجاز من إطلاق اللفظ وارادة لازمه ، والاصل في الكلام الحقيقة وانما يصار الى المجاز عند امتناع ارادتها ، ولا امتناع هنا . ومن دلائل ارادة الحقيقة آية « اوتوا نصيبا

من الكتاب » فمعنى ماهناك وما هنا ان اهل الكتاب الذين كانوا في عهد النبي (ص) - ومثلهم من قبلهم فصاعدًا الى زمن السبي وخراب بيت المقدس الذي فقدت فيه التوراة ومن بعدهم الى اليوم والى ماشاء الله — اوتوا نصيبا من الكتاب ونسوا نصيبا منه بسبب فقد الكتاب وعدم حفظهم له كله في الصدور . ثم ان الذي اوتوه منه وبقي لهم، ما كانوا يعملون به كما يجب ولا يقيمون مايعملون به منه كما ينبغي، بل كانوا يحرفونه عن مواضعه باللي والتأويل، على انه وصل اليهم محرفا لفظه لأنه نقل من قراطيس وصحف متفرقة لا ثقة بأهلها ولا بضبط ما فيها . وسنذكر تتمة هذا البحث في الكلام على نسيان النصارى حظا مما ذكروا به

﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم ﴾ الخائنة هنا الخيانة كما روي عن قتادة . والعرب تعبر بصيغة الفاعل عن المصدر احيانا كما تعكس ، فاستعملت القائلة بمعنى القيلولة، والخاطئة بمعنى الخطيئة . أو هي وصف لمحذوف اما مذكر والهاء للمبالغة كما قالوا راوية لكثير الرواية ، وداعية لمن تجرد للدعوة الى الشيء . وإما مؤنث بتقدير نفس أو فعلة أو فرقة خائنة ، والمعنى انك أيها الرسول لاتزال تطلع من هؤلاء اليهود المجاورين لك على خيانة بعد خيانة ماداموا مجاورين او معاملين لك في الحجاز ، فلا تحسبن انك قد أمنت مكرهم وكيدهم بتأمينك اياهم على انفسهم، فانهم قوم لا وفاء لهم ولا أمان ، وقد نقضوا عهد الله وميثاقه من قبل، فكيف يرجى منهم الوفاء لك بعد ذلك النقض وما ترتب عليه من قساوة قلوبهم وقتلهم لأنبيائهم ؟ ﴿ الا قليلا منهم ﴾ كعبد الله بن سلام واخوانه الذين اسلموا فهؤلاء صادقون في اسلامهم لا يقصدون خيانة ولا خداعا ﴿ فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ﴾ فاعف عما سلف من هؤلاء القليل واصفح عن مسيئهم وعاملهم بالاحسان الذي يحبه الله تعالى ، وأنت أيها الرسول أحق الناس بتحري مايحبه الله ، وهذا رأي أبي مسلم . أو فاعف عما سلف من جميعهم واضرب عنه صفحا ، إيثارا للاحسان والفضل ، على مايقتضيه العدل، قيل كان هذا أمرا مطلقا ثم نسخ بآية التوبة (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) - الآية - وروي هذا عن قتادة . ويرده قتال النبي (ص) لليهود قبل نزول التوبة ، وكون آية التوبة نزلت بقبول الجزية وهو يتفق مع العفو والصفح ، فانهم

بخياناتهم صاروا حربيين واستحقوا ان يقتلوا ، وقبول الجزية منهم يعد عفوا وصفحا عن قتالهم ، واحسانا اليهم . وثم وجه آخر وهو ان الامر بالعفو والصفح انما هو عن الخيانات الشخصية لا عن نقض العهد الذي يصيرون به محاربين لا يؤمن جوارهم . وهذا اظهر من جعل الامر بالعفو مقيدا بشرط محذوف تقديره ان تابوا وآمنوا وعاهدوا أو التزموا الجزية ، هذا ملخص ما يقال في رأي الجمهور .

ولولا أن نزول هذه السورة متأخر عما كان بين النبي (ص) واليهود من القتال وعن نزول التوبة لقلت يحتمل ان يكون المراد هنا يهود بني النضير خاصة بقرينة ما جاء قبل هذا السياق من خبر محاولتهم قتل النبي (ص) غدرا منهم وخيانة ، ويكون المراد بالعفو والصفح عنهم ترك قتلهم والرضاء منهم بما دون القتل بعد القدرة عليه وهذا هو الذي وقع

ثبت في السيرة النبوية ان النبي (ص) رغب عند ما آوى الى المدينة في مصالحة اليهود وموادعتهم ، فعقد العهد معهم على ان لا يحاربوه ولا يظاهروا من يحاربه ، ولا يوالوا عليه عدوا له ، وان يكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم وحريتهم في دينهم. وكان حول المدينة منهم ثلاث طوائف : بنو قينقاع و بنو النضير و بنو قريظة .فكان بنو قينقاع أول من غدر وتصدى لحرب النبي (ص) جهرا ، لأنهم كانوا أشدهم بأسا ، فلما ظفر بهم وسأله عبد الله بن أبي رئيس المنافقين فيهم وهبهم له ، وكانوا حلفاء للخزرج ، وكان هو يتولاهم وينصرهم وينصر غيرهم من اعداء النبي (ص) ما استطاع ، وهذا ضرب من العفو والصفح .

وأما بنو النضير فنقضوا العهد أيضا وهموا بقتل النبي (ص) وحل له قتالهم ، ولكنه اختار السلم وأن يكتفي أمرهم بطردهم من جواره ، فبعث اليهم « أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها وقد أجلتكم عشرا ، فمن وجدت بها بعد ذلك ضربت عنقه » فأقاموا يتجهزون أياما . ثم ثناهم عن عزمهم عبد الله بن أبي اذ أرسل اليهم أن لاتخرجوا فان معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان . وكان رئيسهم حيي بن أخطب شديد العداوة للنبي (ص) وهو الذي كان أطمعهم بقتله وحملهم على الغدر به ، فغره قول رئيس

المنافقين، فبعث الى النبي (ص) اننا لانخرج فافعل مابدا لك. وهذا اعلان للحرب. فخرج النبي (ص) والمسلمون اليهم يحمل لواءه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. فلما انتهوا اليهم أقاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة، وخانهم ابن أبي ولم تنصرهم قريظة وغطفان، فلما اشتد عليهم الحصار رضوا بالخروج سالمين. وكان النبي (ص) قادرا على استئصالهم ولكنه اختار العفو والاحسان وا كتفاء شرهم بابعادهم عن المدينة، فألزمهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم وذراريهم وما حملت الابل الا السلاح. وأجلاهم الى خيبر. ولا شك ان هذا ضرب من ضروب العفو والاحسان عظيم. والظاهر أن الآية نزلت بعد ذلك كله لانها من آخر ما نزل، ولم يعاقب اليهود بعدها على خيانة ولا غدر، ولكنه أوصى باجلائهم عن جزيرة العرب بعده.

ولما بين الله تعالى العبرة بنقض اليهود لميثاقهم ومن كان من أمرهم، أعقبه ببيان حال النصارى في ذلك فقال ﴿ ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ﴾ أي وكذلك أخذنا ميثاق الذين سموا أنفسهم نصارى من اهل الكتاب الاول، وهم الذين قالوا انهم اتبعوا المسيح ونصروه، وقد صاروا طائفة مستقلة مؤلفة من الاسرائيليين وغيرهم. فنقضوا ميثاقهم ونسوا حظا ونصيبا مما ذكروا به على لسان المسيح عيسى بن مريم كما فعل الذين من قبلهم ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ﴾ الفاء للسببية اي فكان نسيان حظ عظيم من كتابهم سببا لوقوعهم في الاهواء والفرق في الدين الموجب بمقتضى سنتنا في البشر للعداوة والبغضاء. والاغراء التحريش واسناده الى الله تعالى مع كونه من أعمالهم الاختيارية سببا ومسببا لانه من مقتضى سننه في خلقه. فهذا جزاؤهم في الدنيا ﴿ وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ عند ما يحاسبهم في الآخرة، ينبئهم بحقيقة ضلالهم ويجازيهم عليها بعد ذلك ليعلموا انه حكم عدل لايظلم مثقال ذرة.

بين الله لنا ان النصارى نسوا حظا مما ذكروا به كاليهود. وسبب ذلك أن المسيح عليه السلام لم يكتب ما ذكرهم به من المواعظ وتوحيد الله وتمجيده والارشاد لعبادته، وكان من اتبعوه من العوام، وأمثلهم حواريه وهم من الصيادين. وقد اشتد

اليهود في عداوتهم ومطاردتهم، فلم تكن لهم هيأة اجتماعية ذات قوة وعلم تدون ماحفظوه من انجيل المسيح وتحفظه. ويظهر من تاريخهم وكتبهم المقدسة ان كثيرا من الناس كانوا يبثون بين الناس في عصرهم تعاليم باطلة عن المسيح، ومنهم من كتب في ذلك، حتى ان الذين كتبوا كتبا سموها الاناجيل كثيرون جدا كما صرحوا به في كتبهم المقدسة وتواريخ الكنيسة. وما ظهرت هذه الاناجيل الاربعة المعتمدة عندهم الآن الا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح عند ماصار للنصارى دولة بدخول الملك قسطنطين في النصرانية، وإدخاله إياها في طور جديد من الوثنية، وهذه الاناجيل عبارة عن تاريخ ناقص للمسيح، وهي متعارضة متناقضة مجهولة الاصل والتاريخ، بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها واللغات التي ألفوها بها. وقد بينا في تفسير أول سورة آل عمران حقيقة انجيل المسيح وكون هذه الكتب لم تحو إلا قليلا منه كما تحتوي السيرة النبوية عندنا على القليل من القرآن والحديث. وهذا القليل من الانجيل قد دخله التناقض والتحريف

وقد أورد الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (اظهار الحق) المشهور مئة شاهد من الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى على التحريف اللفظي والمعنوي فيها، نقلت بعضها على سبيل النموذج في تفسير آية النساء (٤:٤٨) ومنها ما عجز مفسرو التوراة عن تمحل الجواب عنه وجزموا بأنه ليس مما كتبه موسى عليه السلام. فراجعه في (ص ١٤٠ من جزء التفسير الخامس) • والظاهر ان التنكير في قوله « نصيبا وحظا » للتعظيم أي ان ما نسوه وأضاعوه منه كثير، وما أوتوه وحفظوه كثير أيضا، فلو كانوا يعملون به ما فسدت حالهم، ولا عظم خزيهم ونكالهم. وهذا هو المعقول في حال عدم حفظ الاصل بنصه في الصدور والسطور، ونحن نجزم بأننا نسينا وأضعنا حظا من حديث نبينا (ص) لعدم كتابة علماء الصحابة كل ما سمعوه، ولكن ليس منه ما هو بيان للقرآن أو من أمور الدين، فان جميع امور الدين مودعة في القرآن ومبينة في السنة العملية، وهي قد حفظت كلها بالعمل و بالتدوين. وما دون من الحديث مزيد هداية و بيان • هذا وان العرب كانت امة حفظ ودونوا الحديث في العصر الاول، وعنوا بحفظه

وضبط متونه واسانيده عناية شاركهم فيها كل من دخل في الاسلام ، ولم يتفق مثل ذلك لغير المسلمين من المتقدمين والمتأخرين

٥

لسنا في حاجة الى تفصيل القول في ضياع حظ عظيم من كتب اليهود ، وفي وقوع التحريف اللفظي والمعنوي فيما عندهم منها ، وفي ايراد الشواهد من هذه الكتب ومن التاريخ الديني عند أهل الكتاب على ذلك ، لانه ليس بيننا وبين اليهود مناظرات دينية تقتضي ذلك . ولولا أن النصارى أقاموا بناء دينهم وكتبهم التي يسمونها (العهد الجديد) على أساس كتب اليهود التي يسمونها (العهد العتيق) لما زدنا في الكلام عن كتب اليهود على ماثبت بماوصفها به القرآن العزيز بالاجمال.

وانما الحاجة تدفعنا الى بعض التفصيل في اثبات نسيان النصارى واضاعتهم حظا عظيما مما جاء به المسيح عليه السلام ، وتحريف الكتب التي في أيديهم ، لأنهم أسرفوا في التعدي على الاسلام والطعن فيه ، فكان مثلهم كمثل من بنى بيتا من الزجاج على شفا جرف من الرمل وحاول ان ينصب فيه المدافع ليهدم حصنا حصينا مبنيا على جبل راسخ (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جُرُف هارٍ فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين)

وقد قامت مجلتنا المنار بما يجب من هذا البيان، ودفع مابدأ به دعاة النصرانية من الظلم والعدوان ، وسبق في التفسير قليل من كثير مانشر في المنار . ونذكر هنا بعض المسائل في ذلك بالايجاز

﴿ فصل في ضياع كثير من الانجيل وتحريف كتب النصارى المقدسة ﴾

(١) ان الكتب التي يسمونها الاناجيل الاربعة تاريخ مختصر للمسيح عليه السلام لم يذكر فيها الا شيء قليل من أقواله وأفعاله في أيام معدودة بدليل قول يوحنا في آخر انجيله : « هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم ان شهادته حق . وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة ، امين »

هذه العبارة يراد بها المبالغة في بيان ان الذي كتب عن المسيح لا يبلغ عشر معشار تاريخه . ومن البديهي ان تلك الاعمال الكثيرة التي لم تكتب وقعت في أزمنة كثيرة ، وانه تكلم في تلك الازمنة وعند تلك الاعمال كثيرا . فهذا كله قد ضاع ونسي . وحسبنا هذا حجة عليهم في إثبات قول الله تعالى (فنسوا حظا مما ذكروا به » وحجة على بعض علمائنا الذين ظنوا ان كتبهم حفظت وتواترت . قال صاحب ذخيرة الالباب « ان الانجيل لا يستغرق كل أعمال المسيح ولا يتضمن كل أقواله ، كما شهد به القديس يوحنا »

(٢) الانجيل في الحقيقة واحد وهو ماجاء به المسيح عليه السلام من الهدى والبشارة بخاتم النبيين (ص) وهو ما كان يدور على ألسنة كتاب تلك التواريخ الاربعة وغيرهم حكاية عن المسيح وعن ألسنتهم أنفسهم . قال متى حكاية عنه (٢٦ : ١٣ الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها) أي مافعلته المرأة التي سكبت قارورة الطيب على رأسه . أوجب عليهم ان يخبروا كل من يبلغونهم الانجيل في عالم اليهودية كلها بما فعلته تلك المرأة ، فخبر تلك المرأة ليس من الانجيل الذي جاء في كلام المسيح . وقد ذكر في تلك التواريخ امتثالا لامره . وسميت تلك التواريخ أناجيل لأنها تتكلم عن انجيل المسيح ويجيء بشيء منه . ولذلك بدأ مرقس تاريخه بقوله «بدء انجيل يسوع المسيح » ثم قال حكاية عن المسيح (١ : ١٥ فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » فالانجيل الذي أمر الناس ان يؤمنوا به ليس هو أحد هذه التواريخ الاربعة ولا مجموعها . وهو الذي سماه بولس في رسالته الاولى الى أهل تسالونيكي «الانجيل» المطلق (٢ : ٤) وانجيل الله (٢ : ٨ و٩) وانجيل المسيح (٣ : ٢). والكتاب الالهي يضاف الى الله بمعنى انه أوحاه ، والى النبي بمعنى انه أوحي اليه أوجاء به كما يقال توراة موسى

(٣) كانت الاناجيل في القرون الاولى للمسيح كثيرة جدا حتى قيل انها بلغت زهاء سبعين انجيلا . وقال بعض مؤرخي الكنيسة ان الاناجيل الكاذبة كانت ٣٥ انجيلا.وقد رد صاحب كتاب (ذخيرة الألباب) الماروني القول بكثرتها

وقال ان سبب ذلك تسمية الواحد بعدة أسماء. وقال ان الخمسة والثلاثين لاتكاد تبلغ العشرين. وعدها كلها وذكر ان بعضها مكرر الاسم، وذكر منها انجيل القديس برنابا . وذكر ان جاحـدي الوحي طعنوا في الاناجيل ثلاثة مطاعن: (١) ان الآباء الذين سبقوا القـديس يوستينوس الشهيد لم يذكروا الا أناجيل كاذبة ومدخولة (٢) لاسبيل الى اظهار أسفار العهد الجديد التي خطها مؤلفوها (٣) قد فات الجميع معرفة الموضع والعهد الذين كتبت فيهما (٤) ان كورنتس وكربوكراتوس قد نبذا ظهريا منذ أوائل الكنيسة انجيل القديس لوقا، والألوغيين انجيل القديس يوحنا. ولم يستطع ان يرد هذه الاعتراضات ردا مقبولا عند مستقلي الفكر

وقال الدكتور بوست البروتستاني في قاموس الكتاب المقدس: ان نقص الاناجيل غير القانونية ظاهر لأنها مضادة لروح المخلص وحياته . ونحن نقول انا قد اطلعنا على واحـد منها وهو انجيل برنابا فوجدناه أكمل من مجموع الاربعة في تقـديس الله وتوحيده وفي الحث على الآداب والفضائل . فاذا كان هذا برهانهم على رد تلك الاناجيل الكثيرة واثبات هذه الاربعة فهو برهان يثبت صحة إنجيل برنابا قبل غيره أو دون غيره

(٤) بدء تحريف الانجيل من القرن الاول. قال بولس في رسالته الى أهل غلاطية (١ : ٦ إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر، لا ليس هو آخر غير انه يوجـد قوم يزعجونكم و يريدون ان يحوّلوا انجيل المسيح) فالمسيح كان له إنجيل واحد، و بين بولس انه كان في عصره من القرن الأول اناس يدعون المسيحيين الى انجيل غيره بالتحويل أي التحريف كما في الترجمة القديمة، وفي ترجمة الجزويت (يقلبوا) بدل يحولوا، وهي أبلغ في التحريف والتبديل، و بين بولس ان الناس كانوا ينتقلون سريعا الى دعاة هـذا الانجيل المحرف المحول عن أصله الذي جاء به المسيح

وقد بين بولس في رسالته الثانية الى أهل كورنثوس (١١ : ١٣ ـ ١٥) ان هؤلاء القوم الذين يحرفون انجيل المسيح « رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم الى رسل المسيح » وتتمة العبارة تدل انهم كانوا كرسل المسيح و يشتبهون

بهم كما يشتبه الشيطان بالملائكة، اذ « يغير شكله الى ملاك نور » وفي الفصل الخامس عشر من سفر الاعمال مايوضح هـذه المسألة وهو ان اليهود كانوا يبثون بين المسيحيين و يعلمونهم غير مايعلمهم رسل المسيح، وان المشايخ والرسل أرسلوا برنابا و بولس الى انطاكية ليحذروا أهلها من هؤلاء المعلمين الكاذبين، وان بولس و برنابا تشاجرا وافترقا هنالك . وهما ماتشاجرا وافترقا الا لاختلافهما في حقيقة تعليم المسيح، فبرنابا يذكر في مقدمة انجيله ان بولس كان من الذين خالفوا المسيح في تعليمه . ولا شك ان برنابا أجدر بالتقديم والتصديق من بولس لانه تلقى عن المسيح مباشرة، وكان بولس عدوا للمسيح والمسيحيين، ولولا أن قدمه برنابا للرسل لما وثقوا بدعواه التوبة والايمان بالمسيح ولكن النصارى رفضوا انجيل برنابا المملوء بتوحيد الله وتنزيهه و بالحكمة والفضيلة، وآثروا عليه رسائل بولس وأناجيل تلاميذه لوقا ومرقس وكذا يوحنا كما حققه بعض علماء اوربة، لان تعاليم بولس كانت أقرب الى عقائد الرومانيين الوثنية، فكانوا هم الذين رجحوها ورفضوا ماعداها، اذ كانوا هم أصحاب السلطة الاولى في النصرانية . وهم الذين كونوها بهذا الشكل،

(٥) اختلاف علماء الكنيسة وعلماء التاريخ في الاناجيل الاربعة التي اعتمدوها في القرن الرابع : من هم الذين كتبوها ؟ ومتى كتبوها ؟ و بأي لغة كتبت ؟ وكيف فقدت نسخها الاصليـة ؟ كما ترى ذلك مفصلا في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى وفي غيرها من كتب الدين والتاريخ . وهذه كلمات من كتب المدافعين عنها

قال صاحب كتاب (مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين) : ان متى بموجب اعتقاد جمهور المسيحيين كتب انجيله قبل مرقس ولوقا و يوحنا . ومرقس ولوقا كتبا انجيلهما قبل خراب اورشليم، ولكن لايمكن الجزم في اية سنة كتب كل منهم بعد صعود المخلص لانه ليس عندنا نص إلهي على ذلك »

(انجيل متى) قال صاحب ذخيرة الالباب : ان القديس متى كتب انجيله في السنة ٤١ للمسيح ..... باللغة المتعارفة يومئذ في فلسطين وهي العبرانية أو السيروكلدانية (ثم قال) : ثم ماتمم هذا الانجيل ان ترجم الى اليونانيـة ثم تغلب

استعمال الترجمة على الاصل الذي لعبت به أيدي النساخ الابونيين ومسخته بحيث أضحى ذلك الاصل هملا بل فقيدا ، وذلك منذ القرن الحادي عشر . اه

أقول ياليت شعري من هو الذي ترجم انجيل متى باليونانية ومن عارض هذه الترجمة على الاصل قبل ان يعبث به النساخ ويمسخوه ؟ الله أعلم

ثم قال صاحب الذخيرة « يترجح انه كتبه في نفس اورشليم » وقال « انما هو رواية جدلية عن المسيح لاترجمة حياته »

(وقال) ان البروتستانت المتأخرين امتروا وشكوا في كون الفصلين الاولين منه لمتى

وقال الدكتور (بوست) في قاموس الكتاب المقدس : واختلف القول بخصوص لغة هذا الانجيل هل هي العبرانية أو السريانية التي كانت لغة فلسطين في تلك الايام . وذهب آخرون الى انه كتب باليونانية كما هو الآن . ثم تكلم في شبهة عظيمة على أصل هذا الانجيل تكلم فيها صاحب الذخيرة أيضا وهي ان شواهده في العظات من الترجمة السبعينية للعهد العتيق ، وفي بقية القصة من الترجمات العبرانية ، واجاب كل منهما عن ذلك بما تراءى له ، ثم رجح (بوست) انه ألف باليونانية خلافا لجمهور رؤساء الكنيسة المتقدمين . فثبت بهذا أوذاك انه لاعلم عندهم بتاريخه ولا لغته ، وانهم لايظنون

ثم قال « ولا بد ان يكون هذا الانجيل قد كتب قبل خراب أورشليم ـ الى ان قال ـ « ويظن البعض ان انجيلنا الحالي كتب بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥ » وقد علمت ان صاحب الذخيرة زعم انه كتب سنة ٤١ . وان هي الا ظنون وأوهام يناطح بعضها بعضا

وأما علماء النصارى الاقدمين فالمأثور عنهم ان متى لم يكتب هذا الانجيل وانما كتب بعض أقوال المسيح باللغة العبرانية . والنصارى يحتجون الآن على كون هذه الاناجيل التي لاسند لها لفظيا ولا كتابيا كانت معروفة في العصور بأقوال لأولئك العلماء المتقدمين هي حجة عليهم لا لهم . وقد جاء في المنار بيان ذلك غير مرة

واقدم شهادة يتناقلونها في ذلك شهادة (بابياس) اسقف هيرا بوليس في منتصف القرن الثاني فقد نقل عنه (اوسابيوس) المتوفى سنة ٣٤٠ ماترجمته « ان

متى كتب مجموعة من الجمل باللغة العبرانية وقد ترجمها كل بحسب طاقته »

ويمتاز انجيل متى بأن من نسب اليه من تلاميذ المسيح ، وبأنه أقرب الى التوحيد وأبعد عن الوثنية من سائر الاناجيل

﴿ انجيل مرقس ﴾ ذكر صاحب الذخيرة ان مرقس كان عبرانيا ملة (اي لانسبا) وانه كان تلميذاً لبطرس وتبناه بطرس ، وأنه اقتبس انجيله من انجيل متى ومن خطب بطرس . وان بعض المتأخرين زعموا انه كان يوجد انجيل سابق لانجيلي متى ومرقس اخذا عنه انجيليهما ، وان بعض البرتستانت شكوا في الاعداد الاثنى عشر الاخيرة من الفصل السادس عشر من هذا الانجيل لاسباب منها انه لاذكر لها في النسخ الخطية القديمة

وقال (بوست) مرقس لقب يوحنا ، يهودي يرجح انه ولد في اورشليم . (قال) وتوجه مرقس مع بولس وبرنابا خاله في رحلتهم التبشيرية الأولى غير أنه فارقهما في (برجه) فصار علة مشاجرة قوية بين بولس وبرنابا وبعد ذلك تصالح مع بولس فرافقه الى (رومية) وكان مع بطرس لما كتب رسالته الأولى (ابط ٥ : ١٣) ثم مع تيموثاوس في (افسس) ولايعرف شيء حقيقي عن حياته بعد ذلك »

ثم ذكر انه كتب انجيله باليونانية وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية فاستدل بذلك على انه كتبه في رومية (قال) انما المشابهة بين انجيلي متى ومرقس حملت بعض الناس على ان يعتقدوا ان الثاني مختصر الاول .

ولم يذكر هذا ولا ذاك تاريخ كتابة هذا الانجيل . وقد روي عن ايرنياوس انه كتبه بعد موت بطرس و بولس فلم يطلعا عليه ، فكيف نثق بأنه وعى ماسمعه من بطرس واداه كما سمعه ؟ هذا اذا صحت نسبته اليه بسند متصل، ولن تصح

﴿ انجيل لوقا ﴾ قال في الذخيرة ان لوقا كان من انطاكية ومن الشراح من ظن انه اغريقي متهود لانه لايذكر الكتاب المقدس الا نقلا عن الترجمة السبعينية « ومنهم من قال انه وثني هاد الى الحق وارتد الى الدين القويم » وقال « لوقا كان تلميذا ومعاونا لبولس »

ثم قال ما نصه « قد اغفل متى ومرقس بعض حوادث وأمور تتعلق بسيرة المسيح ، وقام بعض الكتبة واختلقوا ترجمة مموهة ليسوع المسيح ، وكثيرا ما فاتهم فيها الرواية والتدقيق ، فبعث ذلك بلوقا على وضع انجيله ضنا بالحق ، فكتبه باليونانية وجاء كلامه اصح وأفصح واشد انسجاما من كلام باقي مؤلفي العهد الجديد .
وذهب كثير من المحققين الى انه كتب انجيله في السنة ٥٣ للمسيح وقيل بل سنة ٥١ »

ثم ذكر الخلاف في المكان الذي كتبه فيه وبين غرضه منه فقال في آخره « وان يكشف النقاب عن الاغلاط المدخولة في تراجم حياة المسيح المموهة (أي الاناجيل التي ردتها الكنيسة) وينفي كل ركون اليها » ثم بين انه كان يحمل انجيلي متى ومرقس وانه اقتبس منهما ما وافقهما فيه . ثم عقد فصلا لما اعترض به على ماحذفوه واسقطوه من هذا الانجيل لانهم رأوه لايليق بالمسيح أو لعلة أخرى

وقال الدكتور بوست في قاموسه : ظن بعضهم انه (أي لوقا) مولود في انطاكية الا ان ذلك ناتج من اشتباهه بلوكيوس (قال) « ومن تغيير صيغة الغائب الى صيغة المتكلمين في سياق القصة يستدل ان لوقا اجتمع مع بولس في ترواس (أع ١٦ : ١٠) وذهب معه الى فيلبي في سفره الثاني ، ثم اجتمع معه ثانية في فيلبي بعد عدة سنين (أع ٢٠ : ٥ و ٦) وبقي معه الى ان اسر واخذ الى رومية (أع ٢٨ : ٣٠) ولم يعلم شيء من حياته بعد ذلك »

فلينظر القاريء كيف يستنبطون تاريخه من أسلوب عبارته التي لم تصل اليهم بسند متصل لاصحيح ولا ضعيف ، كما استدلوا على كونه ايطاليا لا فلسطينيا من كلامه عن القطرين ، ذلك بأنه ليس عندهم نقل يعرفون به شيئا عن مؤسسي دينهم .

ثم قال «وظن البعض ان لفظة انجيلي» الواردة في (٢ : تي ٢:٨) تدل على ان بولس الف انجيل لوقا وان لوقا لم يكن الا كاتبا »

ثم قال « وقد كتب هذا الانجيل قبل خراب أورشليم وقبل الاعمال ويرجح انه كتب في قيصرية في فلسطين مدة اسر بولس سنة ٥٨ – ٦٠ غير ان البعض يظنون انه كتب قبل ذلك » اه

فأنت ترى من التعبير بلفظ الترجيح والظن ومن الخلاف بين سنة ٥١ و٥٣

كما في الخلاصة و٥٨ و٦٠ كما انه لاعلم عند القوم بشيء « وان هم الا يظنون » ولعل الذين قالوا ان بولس هو الذي كتب هذا الانجيل هم المصيبون لمشابهة اسلوبه لاسلوب رسائله باعترافهم . فان قيل وما تفعل بتحريفه ؟ قلت هو كتحريفها. وتجد فيه مثل ماتجد فيها من ذكر وضع بعض الناس لاناجيل كاذبة . ومن لنا بدليل يثبت لنا صدقه هو ؟ وانى لنا بتمييز هذه الاناجيل ومعرفة صادقها من كاذبها ؟

﴿ انجيل يوحنا ﴾ تقول النصارى ان يوحنا هذا هو تلميذ المسيح ابن زبدي وسالومه ، ويقول أحرار المؤرخين منهم غير ذلك كما في دائرة المعارف الفرنسية ويرجح بعضهم انه من تلاميذ بولس أيضا . وذكر في الذخيرة ثلاثة أقوال في تاريخ كتابته وهي ٦٤ و ٩٤ و٩٧ وانه كتبه باليونانية ليثبت الوهية المسيح ويسد النقص الذي في الاناجيل الثلاثة « اجابة لرغبة أكثر الاساقفة ونواب كنائس آسية والحاحهم عليه ان يبقى من بعده ذكرًا مخلدا » ومفهوم هذا انه لولا هذا الإلحاح لم يكتب ماكتب، واذًا لبقيت أناجيلهم ناقصة وخلوا من شبهة على عقيدتهم المعقدة التي لا تعقل، اذ لا توجد الشبهة عليها الا في هذا الانجيل الذي هو أكثر الاناجيل تناقضا، وناهيك بجمعه بين الوثنية والتوحيد، وقوله عن المسيح إنه ان كان يشهد لنفسه فشهادته حق ، ثم قوله عنه في موضع آخر انه وان كان يشهد لنفسه فشهادته ليست حقا ـ الى أمثال ذلك

وقال الدكتور بوست « ويظن انه كتب في أفسس بين سنة ٧٠ و ٩٥ ثم قال في الرد على علماء اوربة الاحرار ما نصه :

« وقد أنكر بعض الكفار قانونية هذا الانجيل لكراهتهم تعليمه الروحي ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح . غير ان الشهادة بصحته كافية: فان بطرس يشير الى آية منه (٢ بط ١ : ١٤ قابل يو ٢١ : ١٨) واغناطيوس و بوليكربس يقتطفان من روحه وفحواه. وكذلك الرسالة الى ديوكنيتس و باسيلدس وجوستينس الشهيد وتاتيانس . وهذه الشواهد يرجع بنا زمانها الى منتصف القرن الثاني. و بناء على هذه الشهادة وعلى نفس كتابته الذي يوافق مانعلمه من سيرة يوحنا نحكم انه

من قلمه . والا فكاتبه من المكر والغش على جانب عظيم . وهـذا الأمر يعسر تصديقه لان الذي يقصد ان يغش العالم لايكون روحيا ولا يتصـل الى علو وعمق الافكار والصلوات الموجودة فيـه . واذا قابلناه بمؤلفات الآباء رأينا بينه وبينها بونا عظيما حتى نضطر للحكم انه لم يكن منهم من كان قادرا على تأليف كهذا ، بل لم يكن بين التلاميذ من يقدر عليه الا يوحنا ، ويوحنا ذاته لايستطيع تأليفه بدون إلهام من ربه » اه

أقول ان من عجائب البشر ان يقول مثل هذا القول او ينقله معتمدا له عالم طبيب كالدكتور بوست ! فانه كلام لا يخفى بطلانه وتهافته على الصبيان . ولا أعقل له تعليلا الا ان يكون تصنعا وغشا لإرضاء عامة النصارى لا لارضاء اعتقاده ووجدانه ، أو يكون التقليد الديني من الصغر قد ران على قلب الكاتب فسلبه عقله واستقلاله وفهمه في كل ما يتعلق بأمر دينه . واليك البيان بالايجاز

ان الدكتور بوست من أعلم الاوربيين الذين خـدموا دينهم في سورية وأوسعهم اطلاعا ، وهو يلخص في قاموسه هـذا أقوى مابسطه علماء اللاهوت في اثبات دينهم وكتبهم ورد اعتراضات العلماء عليها . فاذا كان هذا منتهى شوطهم في اثبات إنجيل يوحنا الذي هو عمدتهم في عقيدة تأليه المسيح، فماهو الظن بكلام المؤرخين الاحرار والعلماء المستقلين في ابطال هذا الانجيل ؟

ابتدأ رده على منكري هذا الانجيل بأن بطرس أشار الى آية منه في رسالته الثانية . فهذا أقوى برهان عندهم على كون هذا الانجيل كتب في العصر الاول

فأول مانقوله في رد هذا الدليل الوهمي ان رسالة بطرس الثانية كتبت في بابل سنة ٦٤ و ٦٨ كما قاله صاحب كتاب (مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين) وانجيل يوحنا كتب سنة ٩٥ او ٩٨ على ما اعتمده بوست وصاحب هذا الكتاب وسائر علماء طائفتهم (البروتستانت) فهو قد الف بعد كتابة رسالة بطرس بثلاثين سنة أو اكثر على رأيهم، فاذا وافقها في شيء فأول ما يخطر في بال العاقل انه نقله عنها وان ألف بعدها بعدة قرون ، فكيف يكون ذاك دليلا على صحته ؟ ولو لم يكن في رد هذه الشبهة الواهية الا احتمال نقل المتأخر وهو يوحنا عن المتقدم وهو بطرس لكفى، وهم

جازمون بتقدمه عليه وان لم يكن عندهم تاريخ صحيح لاحد منهما ، بل تاريخ ولادة إلههم وربهم الذي يؤرخون به كل شيء فيه خطأ كما حققه يعقوب باشا أرتين وغيره

ونقول (ثانيا) اننا قابلنا بين (٢ بط ١ : ١٤) وبين (يو ٢١ : ١٨) فلم نجد في كلام بطرس في ذلك العدد اشارة واضحة الى ماذكره يوحنا . فعبارة بطرس التي سموها شهادة له هي قوله « عالما ان خلع مسكني قريب كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضا » وعبارة يوحنا المشهود لها هي أن المسيح قال لبطرس « الحق الحق أقول لك لما كنت اكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء . ولكن متى شخت فانك تمد يدك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لاتشاء »

فمعنى عبارة بطرس انه يستبدل مسكنه باختياره ويرحـل عن القوم الذين يكلمهم . ومعنى عبارة المسيح انه اذا شاخ وهرم يقوده من يخدمه ويشد له منطقته. فان فرضنا ان بطرس كتب هذا بعد يوحنا لم يكن فيه أدنى شبهة على تصديق يوحنا في عبارته هذه ، فضلا عن تصديقه في كل انجيله . فما أوهى دينا هـذه اسسه ودعائمه ! !

ذكرني هذا الاستدلال نادرة رويت لي عن رجل هرم من صيادي السمك (ولا أذكر هذا الوصف تعريضا بتلاميذ المسيح عليه السـلام وعليهم الرضوان) قال ان رجلا غريبا من الدراويش علمه سورة لا يعرفها أحد من خلق الله سواهما الا أن خطيب البلد يحفظ منها كلمتين يدلان على أصلها . وأول هذه السخافة التي سماها سورة : باسم الله الذين المددا . عند النبي أحمدا ، نبينا محمـدا ، في الجنان مخلدا ، إجت فاطمة الزهرا ، بنت خديجة الكبرى ، آلت لو يا بابتي يا بابتي علمني كلمتين الخ . والكلمتان اللتان يحفظهما الخطيب منها هما « فاطمة الزهرا وخديجة الكبرى » (عليه السلام) لانه كان يقول في دعاء الخطبة الثانية بعد الترضي عن الحسن والحسين « وارض اللهم عن أمهما فاطمة الزهراء ، وعن جدتهما خديجة الكبرى »

ولا يخفى على القارىء ان الاتفاق بين هذه الاسجاع العامية وخطبة خطيب البلد في تينك الكلمتين أظهر من الاتفاق بين رسالة بطرس وانجيل يوحنا ، بل ليس بين هذا الانجيل وهذه الرسالة اتفاق ما فيما زعموه تكلفا وتحريفا للعبارة عن معناها

واما استدلاله باقتطاف اغناطيوس و بوليكربس من روح هذا الانجيل فهو مثل استدلاله بشهادة بطرس له بل أضعف . اذ معنى هذا الاقتطاف انه روي عن هذين الرجلين شيء يتفق مع بعض معاني هذا الانجيل ، فاذا سلمنا ان هذا صحيح فهو لايدل على ان هذا الانجيل كان معروفا في زمنهما في القرن الثاني للمسيح لانهما لم يذكراه ولم يعزوا اليه شيئا . ويجوز ان يكون ما اتفقا فيه من المعنى — ان صح ذلك ولم يكن كالاتفاق الذي ذكروه بينه وبين بطرس — مقتبسا من كتاب آخر كان متداولا في ذلك الزمان ، كما يجوز ان يكون مأخوذا من التقاليد الموروثة عند بعض شعوبه . مثال ذلك ان يوحنا انفرد باستعمال لفظ (الكلمة) والقول بألوهية الكلمة ، ولم يؤثر هذا عن غيره من مؤلفي الكتب المقدسة عندهم ، ولا عن أحد من تلاميذ المسيح . وقد بينا في تفسير (وكلمته ألقاها الى مريم) ان هذه العقيدة وهذا اللفظ مما أثر عن اليونان والبراهمة والبوذيين وقدماء المصريين، وبحث فيها ايضا (فيلو) الفيلسوف اليهودي المعاصر للمسيح . فاذا فرضنا ان (اغناطيوس) استعمل هذا اللفظ وذكر هذه العقيدة في القرن الثاني، لايكون هذا دليلا على نقلها عن يوحنا وعلى ان انجيل يوحنا ورسائله ورؤياه كانت معروفة في القرن الثاني ، لاحتمال ان يكون نقل ذلك عن الامم الوثنية التي كانت تدين بهذه العقيدة قبل يوحنا وقبل المسيح عليه السلام . واذا كان الاتفاق بينهما في المعنى الذي انفرد به يوحنا عن غيره لايدل على ما ذكر فكيف يدل عليه الاتفاق في المعاني الاخرى التي لم ينفرد بها يوحنا

فتبين من هذا النقد الوجيز ان ماذكره بوست وسماه كغيره شهادة لانجيل يوحنا ليس شهادة ، وان سميناه شهادة فلا مندوحة لنا عن القول بأنها شهادة زور.

واما زعمهم ان نفس كتابة هذا الانجيل توافق ما يعرفونه عن سيرة يوحنا ، فهو تمويه بديهي البطلان ، وليس ليوحنا عندهم سيرة تثبت أو تنفي

بقي استدلاله الاخير على صحة هذا الانجيل بأنه لو لم يكن من قلم يوحنا لكان الكاتب له على جانب عظيم من المكر والغش ! قال: « وهذا الامر يعسر تصديقه لان الذي يقصد ان يغش العالم لايكون روحيا » الخ! فنقول إن هذا الاستدلال ينبيء بسذاجة من اخترعه ونقله وغرارتهم ، وان شئت قلت بغباوتهم أو قصدهم مخادعة الناس .

و بطلانه بديهي، فان الكاتب للمعاني الروحية لايجب ان يكون روحيا ، والكاتب في الفضائل لايقتضي العقل ان يكون فاضلا . وقد كان في مصر كاتب من أبلغ كتاب العربية في الاخلاق والفضائل ، ومع هذا وصفه بعض عارفيه بقوله « ان حروف الفضيلة تتألم من لوكها بفمه ، و وخزها بسن قلمه » وان الروحانية التي نجدها في انجيل برنابا وما فيه من تقديس الله وتنزيهه، وفي الافكار والصلوات، لهو أعلى وأشد تأثيرا في النفس من انجيل يوحنا ، ويزعمون مع هذا كله انه قصد به غش الناس وتحويلهم عن التثليث والشرك الى التوحيد والتنزيه ! !

ان هذا المسلك الاخير الذي سلكه بوست في الاستدلال على صحة نسبة انجيل يوحنا اليه يقبله المقلدون لعلماء اللاهوت عندهم بغير بحث ولا نظر، والناظر المستقل يراه يؤدي الى بطلان نسبته اليه لأسباب أهمها ثلاثة (١) جاء بعقيدة وثنية نقضت عقيدة التوحيد الخالص المقررة في التوراة وجميع كتب أنبياء بني اسرائيل ، وقد صرح المسيح بأنه ماجاء لينقض الناموس بل ليتممه . وأصل الناموس وأساسه الوصايا العشر، وأولها وأولاها بالبقاء ودوام البناء وصية التوحيد (٢) مخالفته في عقيدته وأسلوبه لكل ماهو مأثور عن جماعته وقومه قبل المسيح و بعده (٣) مخالفته للاناجيل التي كتبت قبله في أمور كثيرة، أهمها تحاميه ما ذكر فيها من الاعراض البشرية المنسوبة الى المسيح مما ينافي الألوهية كتجربة الشيطان له وخوفه من فتك اليهود به ، وتضرعه الى الله خائفا متألما ليصرف عنه كيدهم و ينقذه منهم ، وصراخه وقت الصلب من شدة الألم - الى غير ذلك .

ومن تأمل أساليب الاناجيل ونحواها يرى ان انجيل يوحنا غريب عنها، ويجزم بأن كاتبه متأخر سرت اليه عقائد الوثنيين ، فاحب ان يلقح بها المسيحيين

ونقول (ثالثا) اذا فرضنا ان موافقة بعض أهل القرن الثاني لهذا الانجيل في روح معناه يعد شهادة له بأنه كان موجودا في منتصف القرن الثاني، فأين الشهادة التي تثبت انه كان موجودا في القرن الاول والنصف الاول مما بعده ؟ ثم تبين لنا من تلقاه عنه حتى وصل الى أولئك الذين اقتطفوا من روحه

بعد كتابة ماتقدم راجعت (اظهار الحق) فرأيته استدل على ان انجيل يوحنا

ليس من تصنيف يوحنا الذي هو أحد تلاميذ المسيح بعدة أمور (منها) أسلوبه الذي يدل على ان الكاتب لم يكتب ما شاهده وعاينه بل ينقل عن غيره (ومنها) آخر فقرة منه وهي ما أوردناه في الاستدلال على أنه لم يكتب عن أحوال المسيح وأقواله الا القليل ، فانه ذكر فيها يوحنا بضمير الغائب وانه كتب وشهد بذلك ، فالذي ينقل هذا عنه لابد أن يكون غيره ، وقصاراه انه ظفر بشيء مما كتبه فحكاه عنه ونقله في ضمن انجيله ، ولكن أين الاصل الذي ادعى ان يوحنا كتبه وشهد به ؟ وكيف نثق بنقله عنه ونحن لانعرفه ورواية المجهول عند محدثي المسلمين لايعتد بها البتة (ومنها) أنهم نقلوا أن الناس أنكروا كون هذا الانجيل ليوحنا في القرن الثاني على عهد (ارينيوس) تلميذ (بوليكارب) الذي هو تلميذ يوحنا . ولم يرد عليهم أرينيوس بأنه سمع من بوليكارب ان أستاذه يوحنا هو الكاتب له (ومنها) نقله عن بعض كتبهم مانصه « كتب (استادلن) في كتابه : ان كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية بلا ريب » (ومنها) ان المحقق (برطشنيدر) قال: ان هذا الانجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها أحد (كذا) في ابتداء القرن الثاني (ومنها) ان المحقق (كروتيس) قال ان هذا الانجيل كان عشرين بابا فألحقت كنيسة افساس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا (ومنها) ان جمهور علمائهم ردوا احدى عشرة آية من أول الفصل الثامن الخ

(٦) علمنا مما تقدم ان النصارى ليس عندهم اسانيد متصلة ولا منقطعة لكتبهم المقدسة ، وانما بحثوا ونقبوا في كتب الاولين والآخرين وفلوها فليا لعلهم يجدون فيها شبهة دليل على ان لها أصلا كان معروفا في القرون الثلاثة الاولى للمسيح ، ولكنهم لم يجدوا شيئا صريحا يثبت شيئا منها ، وانما وجدوا كلمات مجملة أو مبهمة فسروها كما شاءت أهواؤهم وسموها شهادات، ونظموها في سلك الحجج والبينات، وان كانت هي ايضا غير منقولة عن الثقات ، ثم استنبطوا من فحواها ومضامينها مسائل متشابهة زعموا ان كلا منها يؤيد الآخر ويشهد له . وقد أشرنا الى ضعف كل واحدة من هاتين الطريقتين

فثبت بهذا البيان الوجيز صدق قول القرآن المجيد « فنسوا حظا مما ذكروا به »

وثبت به انه كلام الله ووحيه ، إذ ليس هذا مما يعرف بالرأي حتى يقال ان النبي (ص) قد اهتدى اليه بعقله ونظره. كيف وقد خفي هذا عن أكثر علمائنا الاعلام عدة قرون لعدم اطلاعهم على تاريخ القوم. وأغرب من هذا ان بعض كبراء المصريين الذين ارتقوا بعلمهم واختبارهم الى أرفع المناصب سألني مرة : كيف نقول نحن (المسلمين) ان للنصارى كتابا واحدا يسمى الانجيل هو عبارة عما أوحاه الله الى عيسى فدعا قومه الى الايمان به ، مع ان النصارى أنفسهم لايقولون هذا ولا يعرفونه وانما عندهم أربعة أناجيل هي عبارة عن قصة المسيح وسيرته ؟ فأجبته ان الانجيل الذي ننسبه الى المسيح ونقول انه هو ما أوحاه الله اليه هو الذي يذكر في هذه الاناجيل عن لسان المسيح باللفظ المفرد الخ ما علم مما تقدم

ونظير هذه العبارة وأمثالها في الدلالة على كون القرآن من عند الله تعالى قوله تعالى « وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء » فأنت ترى مصداق هذا القول بين فرقهم وبين دولهم لم ينقطع يوما ما

(٧) أن أحد فلاسفة الهنود درس تاريخ الاديان كلها وبحث فيها بحث مستقل منصف ، وأطال البحث في النصرانية لما للدول المنسوبة اليها من الملك وسعة السلطان والتبريز في الفنون والصناعات ، ثم نظر في الاسلام فعرف انه الدين الحق فأسلم ، وألف كتابا باللغة الانكليزية سماه (لماذا أسلمت) بين فيه ما ظهر له من مزايا الاسلام على جميع الاديان ، وكان أهمها عنده ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي له تاريخ صحيح محفوظ ، فالآخذ به يعلم انه هو الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله النبي الامي العربي المدفون في المدينة المنورة من بلاد العرب . وقد كان من مثار العجب عنده أن ترضى أوربة لنفسها دينا ترفع من تنسبه اليه عن مرتبة البشر فتجعله إلها ، وهي لاتعرف من تاريخه شيئا يعتد به ، فان هذه الاناجيل الاربعة على عدم ثبوت أصلها وعدم الثقة بتاريخها ومؤلفيها لاتذكر من تاريخ المسيح الا وقائع قليلة ، حدثت كما تقول في أيام معدودة . ولا يذكر فيها شيء يعتد به عن نشأة هذا الرجل وتربيته وتعليمه وأيام صباه وشبابه !! ولله في خلقه شؤون

فتاوى المنار

المتحا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿صرف الزكاة للاعانة على تعليم القرآن والكتابة وغيرهما من العلم النافع﴾

(س ٤٠) من الشيخ عبدالله بن عمر مدحج ناظر المدرسة الابتدائية الاسلامية ببلد الشيخ عثمان من ملحقات (عدن) نذكره بالمعنى مختصرا

سبب السؤال ان السائل اسس مدرسة في بلدة الشيخ عثمان لأجل تعليم أولاد الفقراء العاجزين عن أجرة التعليم ، ولا بد لهذا من نفقة . وملخص السؤال : هل يجوز ان يدفع أغنياء البلد شيئا من زكاة اموالهم للاعانة على هذا التعليم ويدخل ذلك في بعض الاصناف الثمانية التي تصرف لها الزكاة ام لا ؟

(ج) اذا كان المدير والمعلمون في هذه المدرسة من الفقراء والمساكين فلا خلاف في جواز دفع الزكاة لهم ، ولا يكلفون ان يتركوا التعليم لاجل كسب آخر وان قدروا عليه لأنهم قائمون بفرض من فرائض الدين وهو تعليم ما يجب علمه على المسلمين أو يسن لهم ، فان كانوا لا يحسنون كسبا آخر فالأمر أظهر . ويجوز ان يوكل مؤتي الزكاة ناظر المدرسة في صرف ما يعطيه اياه من زكاته على مستحقيه من المعلمين أو التلاميذ الفقراء أو المساكين . ولكن المعلمين ونظار المدارس لا يعدون من الاصناف التي تجب لها الزكاة لذاتهم وبوصف المعلمين الا على التوسع في تفسير (وفي سبيل الله) والمشهور عند جمهور الفقهاء ان المراد بهذا الصنف الغزاة في سبيل الله . وزاد بعض الائمة فيه الحج ، واختار الاستاذ الامام ان المراد بسبيل الله كل عمل صالح من المصالح العامة يتقرب به الى الله تعالى . وبهذا التوسع تدخل النفقة على تعليم العلوم المطلوبة شرعا.

وجملة القول إن القائمين بأمر التعليم يعطون من مال الزكاة اذا كانوا فقراء او مساكين أو غارمين بغير خلاف . ومثل ذلك اعطاؤها لأولياء التلاميذ الفقراء لينفقوا منها على تعليم أولادهم ، ويجوز التوكيل في الدفع للمستحق أيضا ، واظن ان هذا كاف في المقصود والله اعلم

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع لما قبله ﴾

﴿ فصل في رد ما يستدلون به من القرآن على عدم تحريف كتبهم ﴾

قد يقول بعض القارئين : إذا صح قولك فيما سبق بضياع جزء عظيم من الانجيل واختلاط الحق بالباطل فيما بقي منه حتى فسد تقريبا فما معنى قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) وقوله (ولكن تصديق الذي بين يديه) وكيف مدح الله التوراة والانجيل وحث أهل الكتاب على إقامتهما في مثل قوله في سورة المائدة (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) وغير ذلك ؟ قلت : —

أما قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) فمعناه أنه عليه السلام جاء طبق ما عندهم عنه في التوراة والانجيل يعني أن أحواله جميعا توافق البشائر المحررة بمجيئه تمام الموافقة ولا تختلف عنها في شيء كما بيناه في كتاب دين الله . وهناك فرق بين قولك (جئت مصدقا لقول فلان) وقولك (أنا مصدق بقوله) فمعنى الاول أن فلانا أخبر بمجيئك فجئت مصدقا لاخباره عنك ومعنى الثاني أنك تؤمن بقوله وتصدقه ، ولم يرد في القرآن مطلقا أنه قال إنه هو أو محمد (ص) جاء مصدقا بما معهم . (راجع أيضا صفحة ١٧٦ من هذه الرسالة)

واذا سلمنا أنه لا فرق بين قول القرآن (مصدقا لما معهم) وبين أن يقول (مصدقا بما معهم) فليست العبارة نصا على أنه مصدق بكتبهم هذه التي معهم إذ لم يذكر فيها لفظ « الكتب » ولا يجوز أن يكون القرآن مصدقا بجميع ما معهم من دينهم لأنه رد عليهم في كثير منه . فتعين إذاً أن يكون المراد أنه مصدق ببعض ما معهم ، وهذا حق فان القرآن يوافق دينهم في كثير من عقائده وآدابه وتعاليمه ، فدين

الاسلام أقرب الاديان اليهم ومع ذلك هم نفروا منه ورفضوه بأشد مما يرفضون الوثنية كما هو مشاهد حتى هذا اليوم. ويجوز أن يكون المراد مصدق بأن أصل ما معهم من الله وأن فيه أشياء كثيرة صالحة للناس ونافعة لهم وموروثة بينهم عن أنبيائهم

وأما قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه) فالمراد به أن قصص القرآن ليست مخترعة ولا مفتراة بدليل وجود أمثالها بين الناس قبل نزوله ، فهي وان اختلفت قليلا في بعض التفاصيل أو الجزئيات عما يرويه الناس الا أنها توافقها في الجملة وتصدقها في الجوهر ، فلا تظنوا أيها المشركون أن النبي اخترعها بعقله بل اسألوا عنها أهل الكتاب تجدوا أنها معروفة بينهم ومروية في كتبهم. فوجود قصص القرآن عند الناس من قبل لا يضعف حجته كما يتوهم المبشرون بل هو من أعظم ما يصدقه ويؤيده ولذلك ترى القرآن نفسه يستدل بها على كونه من عند الله لان النبي لم يطلع على كتب أهل الكتاب

ولا يستنتجن القاريء من هذه الآية أن قصص القرآن يجب أن لا تختلف عن قصص التوراة والانجيل في شيء ما . كلا ! اذ لو كان هذا الاستنتاج صحيحا لما قال تعالى (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) فقصصه قد تختلف عما عندهم وتبين لهم حقه من باطله . فلا منافاة بين تصديق القرآن لقصصهم في الجملة ومخالفته لها في بعض الجزئيات كما قلنا

ويجوز أن يكون المراد بقوله (تصديق الذي بين يديه) تصديق الحق الذي عندهم لا كل الذي عندهم والا ادخل في ذلك عقائدهم الفاسدة وأوهامهم وخرافاتهم وغيرها مما جاء القرآن لازالته ومحقه ، ويستحيل أن يكون مصدقا لما جاء لابطاله ، فتنبه لذلك ولا تكن من الغافلين

أما استدلالهم على عدم تحريف كتبهم بما في سورة المائدة ونحوها من مدح التوراة والانجيل وأمر أهلها بالحكم بهما . فهاك بيان ما اشتبه عليهم من آيات هذه السورة : قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة) وهي شريعة موسى (فيها هدى ونور) وهو أمر لا ننكره ونؤمن به ، ولكنه لا يفيد المبشرين شيئا في اثبات دعواهم (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وهم معلمو شريعة

اليهود وعلماؤها ، يحكمون ويفتون ويقضون (بما استحفظوا من كتاب الله) بما طلب منهم المحافظة عليه من التوراة ، وفيه دليل على أن بعض أحكام التوراة كانت وقتية ولم يطلب منهم المحافظة عليها فهم انما يحكمون بما لم ينسخ منها (وكانوا عليه شهداء) أي رقباء يعلمون انه لم يحرف لشهرته بينهم وتواتره ، فمعلمو اليهود وعلماؤهم الصالحون لا يفتون ولا يقضون الا بما لم ينسخ من شريعتهم وما لم يحرف منها لشيوعه وتداوله وتواتره بين الناس بالعمل به. ولما كانت شريعتهم صالحة لزمنهم ونافعة لهم قال الله تعالى لهم (فلا تخشوا الناس واخشون) الخ وذلك لأن كثيرا منهم كانوا لا يبالون بالتوراة ويحرفونها ، ويقاومون المصلحين، ويقتلون النبيين (عب ١١: ٣٧) ويشركون ويرتدون ، ولولا علم موسى ذلك عن طباعهم ما قال لهم ما قال (راجع مثلا سفر التثنية أصحاح ٢٨ـ٣١) ثم قال الله تعالى (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ... وآتيناه الانجيل ......) وكما قال تعالى لأتباع موسى « لا تخشوا الناس واخشون » الآية قال أيضا لاتباع عيسى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وانما خص « أهل الانجيل » بالذكر لبيان أن الانجيل لم ينزله الله للأمم كافة كما يزعمون وليست شريعته باقية لكل زمان . وقد بينا أن بعثة عيسى كانت خاصة بالأمة اليهودية (في صفحة ١٩٣ و ١٩٤) وحذف لفظ « القول » في القرآن كثير كما في قوله تعالى « لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار » وقوله (فأرسلون ، يوسف أيها الصديق) وغير ذلك مما يعرفه المطلعون على أساليبه وتراكيبه، فكذلك هنا حذف لفظ «قلنا» قبل لفظ « ليحكم » . وفي قراءة حمزة ـ وهي من القراآت السبعة المتواترة بين المسلمين ـ (ولِيَحكُمَ) بكسر اللام وفتح الميم، والمعنى آتينا عيسى الانجيل ليحكم به أهله وهم الذين بعث اليهم من بني اسرائيل (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) أي شاهدا على ما فيه من الحق والباطل، ولا يدل ذلك على أنه يمنع تحريفه كما زعم بعضهم فان الشاهد على أي شيء كالجرائم ونحوها ليس من شأنه أن يمنع مرتكبيها منها وانما هو يقرر أمام القضاء ما علمه عنها . وقد توسعنا في بيان ذلك في كتاب دين الله (في حاشية صفحة ٨٤ و ٨٥) فراجعه ان شئت (فاحكم بينهم «يا محمد» بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) بأن تعمل بما في كتبهم فانهم كتبوها كما شاءوا وشاءت

أهواؤهم وابقوا فيها من شرائع الله ما وافق أميالهم وأغراضهم حتى اختلط فيها الحق بالباطل. زد على ذلك أننا (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فاننا وضعنا لكل أمة سابقة ولاحقة طريقة وشريعة توافق مصلحتها وقد تخالف مصلحة غيرها فلا تعمل الا بما أنزلناه اليك فان شريعتهم – حتى السالمة من التحريف والتبديل – فيها ما لا يوافق امتك ولا يناسب حالها (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) أي لتسارع كل امة من السابقين واللاحقين في طريق الطاعات وعمل الخيرات، وهذا الكلام كما قيل لنا قيل أيضا لكل الامم الغابرة فان الجميع طولبوا بعمل الطيبات الصالحات والمبادرة الى طاعة الله تعالى والتسابق فيها مع الأمم الأخرى المعاصرة لهم أو بعضهم مع بعض (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بعضكم مع بعض أو بعض الامم السابقة بمن أدركوه من الامم اللاحقة. ثم قال تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون) فأي شيء في هذه الآيات يدل على عدم تحريف التوراة والانجيل مع أنها صريحة في عكس ذلك وفي نسخها والامر بعدم الالتفات اليها بعد القرآن؟ ألا ان الغرض يعمي ويصم!!

وأما قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) الآية فمعناها هكذا (لستم على شيء) يصح أن يقال له دين أو يعتد به (حتى تقيموا) أي تعملوا طبق الواجب بأحكام (التوراة والانجيل) وتحيوا شرائعهما وتطيعوا أوامرها وتنتهوا بنواهيها فان الاقامة هي الاتيان بالعمل على أحسن أوجهه كاقامة الصلاة مثلا أي فعلها على الوجه اللائق بها ولا يدخل في ذلك القصص التي في التوراة والانجيل ولا العقائد ونحوها فانها ليست عملية. والمراد ان يعملوا بما بقي عندهم من أحكام التوراة والانجيل على علاته وعلى ما به من نقص وتحريف وزيادة فان شرائع هذه الكتب وأوامرها ونواهيها هي أقل أقسامها تحريفا. وأكثر التحريف في القصص والاخبار والعقائد وما ماثلها وهي لاتدخل في الامر بالاقامة، ولا شك ان أحكام التوراة والانجيل

وما فيها من شرائع ومواعظ ونصائح ونحوها لاتزال فيها أشياء كثيرة لا عيب فيها ونافعة للبشر وفيها هداية عظمى للناس فهي مما يدخل تحت قوله تعالى (وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) فاذا أقام أهل الكتاب أحكامهما على علاتها كانوا لاشك على شيء يعتد به ويصح أن يسمى دينا واذا لم يقيموها وجروا على خلافها كانوا مجردين من كل شيء يستحق أن يسمى دينا وكانوا مشاغبين معاندين وبدينهم غير مؤمنين ايمانا كاملا. وهذه قضية صحيحة لا يشك فيها عاقل وهي المعنى المتبادر من الآية، فأي شيء في هذا المعنى يدل على عدم تحريف التوراة والانجيل وعلى وجودهما عند أهلهما كاملين وخصوصا بعد قوله تعالى كما سبق في اليهود والنصارى (ونسوا حظا مما ذكروا به). ولآية تشبه قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين) أي (وكيف يحكمونك) وهم لا يعتقدون صدقك وصحة نبوتك (وعندهم التوراة فيها حكم الله) في المسألة التي تحاكموا فيها الى النبي وهو حكم الله بحسب اعتقادهم أو بحسب الحقيقة ووجود هذا الحكم الخاص فيها لا ينافي القول بوجود أشياء أخرى كثيرة فيها محرفة، وسماها (التوراة) اما باعتبار عرفهم – كما نسميها نحن الآن وكما نسمي معبودات الوثنيين «بآلهتهم» ودعاة النصرانية «بالمبشرين» – أو باعتبار أصلها أو لاشتمالها على أشياء كثيرة من التوراة الحقيقية، ولولا ذلك ما صح أن نسمي هذه الكتب بالتوراة والانجيل مع اعتقادنا بتحريفها وتبديلها وعدم صحة كثير من أجزائها وكتبها (ثم يتولون من بعد ذلك) بعد أن حكمت لهم بعين الحكم الذي عندهم في توراتهم التي يدعون الايمان بها ويعتقدون صحتها (وما اولئك بالمؤمنين) بك ولا بكتابهم وانما هم قوم مشاغبون معاندون متلاعبون مستهزئون لايخافون الله ولا يخشون عقابه في الدنيا والآخرة لقساوة قلوبهم وخلوها من الايمان الصحيح، ولذلك لا يبالون بما خالف أهواءهم ولو كان في كتبهم المقدسة عندهم

ولنا أن نقول أيضا: ان معنى تلك الآية (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل الحقيقيين، وذلك يستلزم البحث والتنقيب والجد والاجتهاد في نقد ما عندهم منهما نقدا علميا عقليا تاريخيا صحيحا حتى يستخلصوا حقهما من باطلهما بقدر الامكان

كما يفعل علماء الافرنج الآن ، ونتيجة ذلك العناء كله أن يكونوا على شيء من الدين الحق وهذا أمر لاشبهة فيه . ولو اتبعوا القرآن لأراحوا واستراحوا، ولكنهم كما قال تعالى لايزيدهم القرآن إلا طغيانا وكفرا ، وحسدا وعنادا ، فلا يؤمنون به ولا يهتم جمهورهم بإصلاح دينهم من المفاسد وتنقيته من الشوائب، فلم يدركوا خير هذا ولا ذاك . فكأن الآية تريهم أنهم اذا لم يتبعوا القرآن يجب عليهم القيام بعبء ثقيل جدا من البحث والتمحيص وبعد ذلك يكونون على شيء من الحق لا على الحق كله ولو أقاموا التوراة والانجيل الحقيقيين غاية الاقامة ، فما بالك اذا كان ذلك مستحيلا لعدم وجودهما على حقيقتهما؟ فهم ليسوا على شيء مطلقا ولا يمكن أن يكونوا عليه ، فان كتبهم قد صارت خالقة بالية ، لذلك قال رسول الله لعمر –حينما رأى ورقة من التوراة بيده– «ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي» (أنظر كتاب « انتقاد كتاب تاريخ التمدن الاسلامي» صفحة ٥٦ و ٥٧)

فان قيل وكيف يحثهم الله على العمل بأي شيء من دينهم ومنه ما جاء القرآن ناسخا له ؟ قلت لاشك أن كل عاقل مهما كان دينه يقول كما قال القرآن، فانه خير لأهل الكتاب ولنا وللعالم أجمع أن يعملوا بشرائع دينهم فانهم حينئذ يتجنبون الكذب والتحريف والعناد والاذى والافساد في الارض واهلاك الحرث والنسل والزنا وغير ذلك مما يعمله الناس لولا اتباع الدين ولذلك يقول العقلاء جميعا « ثق بالمتدين ولو كان على غير دينك » فمراد القرآن – على التفسير الاول للآية – حثهم إن أصروا على عدم الايمان به (١) على العمل بدينهم على الأقل ليستريح النبي وأتباعه من أكثر شرورهم ورذائلهم . ولكن هل بعد العمل بدينهم يكونون على الدين الحق الكامل أم لا ؟ فالذي يفهم من الآية أنهم يكونون على شيء من الدين وهو – لا شك – خير من لا شيء ، ولا يفهم انهم يكونون على الحق كله وعلى الدين الكامل الذي لاغاية أعظم منه فان ذلك لا يكون الا بالاسلام (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون)

(١) كما ينبيء عنه قوله في آخر هذه الآية (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين)

الدكتور محمد توفيق صدقي

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(٤) انتشار مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وغيرهم

قال الامام ابن تيمية : لما كان بعد المائة الثانية انتشرت المقالة التي كان السلف يسمونها (مقالة الجهمية) بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه (ثم قال) وهذه التأويلات الموجودة اليوم بايدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها ابو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وابو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن احمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم ، هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه ، كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي احد الأئمة المشاهير في زمن البخاري ، وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد ، على الكاذب العنيد ، فيما افترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات باعيانها عن بشر المريسي ثم ردها ، ويعلم بمطالعة كتابه ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية اهـ

وقال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة بشر المريسي: انه تفقه على أبي يوسف فبرع ، واتقن علم الكلام ، ثم جرد القول بخلق القرآن وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ، انما اخذ مقالته ، واحتج لها ودعا اليها اهـ

***

(*) تابع لما نشر في ج ١٠ م ١٦ ص ٧٤٥

(٥) ظهور دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون، ودعوته الى مذهبهم وما جرى على المشاهير في مسألة خلق القرآن

من سنن الاحزاب والفرق في هذا الكون، أن كل حزب قويت عصبته وعصبيته يتطاول الى الغلب، ويتطالُّ على التغلب، فيصرف مستطاعه لهذه السبيل، ويسعى جهده لتأييده من اي طريق امكن، ابتغاء انفراده، وتكثير سواده، فاذا اتيح لعصبة مّا ان تمدها قوة سلطان قاهر، وجبار مستبد، وجد لها من نفوذ الكلمة وانتشار الدعوة، وكثرة الاعوان، ما تبلغ به اقصى امانيها، والناس على دين ملوكهم بين راغب في حطامهم، أو مقلد يتبع كل ناعق

وقد عرف الخليفة (المأمون) بمحبته للعلم والعلماء، وشغفه في الحكمة والحكماء، بل لم ير في اولاد الملوك من تعشق العلوم الحكمية على حداثة سنه، واقام بين العلماء لمناظرتهم في جميع انواع العلوم مثله، فما دخل عليه مرة الا وألفي في مجلس من العلماء والادباء. وقد ورث ذلك عن ابيه (الرشيد) فقد كان العلماء والادباء لا يفارقونه في حضر ولا في سفر، حتى أنه ليطلب شاعره في أطراف الليل فيجده ببابه مع غيره من محدث أو نديم. وانما قرب العلماء الى الرشيد ما بنفسه من الميل الى الأدب، والحرص على احراز العلوم، حتى كانوا اذا اجتمعوا بداره سما الى مناظرتهم من حيث العلم والتواضع له، لا من حيث السيادة عليهم، وهو بموضعه الجليل من الخلافة. وكان من الفضل بحيث ان مأدبه لم تخل قط من عالم أو أديب أوشاعر. وبلغ به التواضع لهم ان معاوية المحدث الضرير كان اذا جلس الى طعامه قام الرشيد من موضعه وصب الماء على يده تعظيما لقدر العلماء،

فقال له معاوية: يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك لأشرف من شرفك، وكانت همة الرشيد مصروفة الى ترجمة كتب الفلاسفة من يونان وغيرهم بعد ان رأى جعفراً وزيره يبتاع من صحفهم ما يأمر التراجمة بتعريبه، ثم يعطيهم زنة الكتاب المعرب ذهبا، لان سوق العلم كانت نافقة عند البرامكة، وقد استنهضوا همم العلماء الى تعريب صحف الاعاجم، فنافسهم الرشيد في ذلك، اذ كان في نفسه من الميل الى الأدب، والتشوق الى الاطلاع على كنوز الحكمة ما عرف، فانفذ رسله في احراز الاسفار القديمة، وامر بتعريبها [1] واخباره في العلم ومحاضرات العلماء كثيرة

ولما افضت الخلافة الى ابنه (المأمون) اقتدى بابيه أو اربى عليه، فطارت شهرته في العلم والفلسفة، الى أن حظي بقربه أحمد بن ابي دؤاد [2] وكان ابتداء اتصاله به انه قال: كنت احضر مجلس القاضي يحيى بن اكثم مع الفقهاء، فاني عنده يوما إذ جاءه رسول المأمون، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين انتقل الينا وجميع من معك من اصحابك، فلم يحب أن أحضر معه، ولم يستطع ان يؤخرني، فحضرت مع القوم، وتكلمنا بحضرة المأمون فأقبل المأمون ينظر اليّ اذا شرعت في الكلام، ويتفهم ما أقول ويستحسنه، ثم قال لي: من تكون؟ فانتسبت له، فقال: ما أخرك عنا؟ فكرهت ان احيل على يحيى فقلت: حبسة القدر وبلوغ الكتاب اجله، فقال لا اعلمن ما كان لنا من مجلس الا حضرته فقلت: نعم يا أمير المؤمنين

(١) عن كتاب حضارة الاسلام

(٢) بضم الدال وفتح الهمزة الممدودة بعده، على وزن فؤاد

وقيل: قدم يحيى بن اكثم قاضيا على البصرة من خراسان من قبل المأمون آخر سنة (٢٠٢) وهو حدث سنه نيف وعشرون سنة، فاستصحب جماعة من اهل العلم والمروآت، منهم ابن أبي دؤاد، فلما قدم المأمون بغداد في سنة (٢٠٤) قال ليحيى: اختر لي من اصحابك جماعة يجالسوني ويكثرون الدخول الي، فاختار منهم عشرين فيهم ابن ابي دؤاد. ثم قال: اختر منهم، فاختار خمسة فيهم ابن ابي دؤاد، واتصل امره، واسند المأمون وصيته عند الموت الى اخيه (المعتصم) وقال فيها: « وابو عبد الله ابن ابي دؤاد لايفارقك، أشركه في المشورة في كل امرك، فانه موضع ذلك »

ولما ولي (المعتصم) الخلافة، جعل احمد بن ابي دؤاد قاضي القضاة، وعزل يحيى بن اكثم وخص به احمد، حتى كان لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهراً الا برأيه

وكان ابو العيناء يقول[1]: ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من ابن ابي دؤاد، وكان اخذ عن واصل بن عطاء مسائل الكلام حتى تضلع من الكلام، واصبح داعية اليه، فلما اتصل بالمأمون دس له القول بخلق القرآن، وحسنه عنده، وصيره يعتقده حقا مبينا، الى أن أجمع رأي المأمون في سنة (٢١٨) على الدعاء اليه، فكتب الى نائبه على بغداد اسحق ابن ابراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء كتابا يقول فيه:

« وقد عرف أمير المؤمنين ان الجمهور الاعظم، والسواد الاكبر، »
« من حشو الرعية، وسفلة العامة، ممن لانظر له ولا روية، ولا استضاء »

(١) عن تاريخ ابن خلكان

« بنور العلم وبرهانه، أهل جهالة بالله، وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة »
« دينه، وقصور ان يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرقوا »
« بينه وبين خلقه، وبين ما انزل من القرآن، فاطبقوا على انه قديم لم »
« يخلقه الله ويخترعه، وقد قال تعالى « انا جعلناه قرآنا عربيا » فكل ما »
« جعله فقد خلقه[1] كما قال: « وجعل الظلمات والنور » وقال « نقص »
« عليك من أنباء ما قد سبق » فاخبر انه قصص لامور احدثه بعدها، »
« وقال « احكمت آياته ثم فصلت » والله محكم آياته ومفصله، فهو خالقه »
« ومبتدعه، ثم انتسبوا الى السنة، وانهم أهل الحق والجماعة، وان من »
« سواهم أهل الباطل والكفر، فاستطالوا بذلك واغروا به الجهال، حتى »
« مال قوم من أهل السمت الكاذب، والتخشع لغير الله، الى موافقتهم، »
« فنزعوا الحق الى باطلهم، واتخذوا من دون الله وليجة الى ضلالهم »

الى أن قال

« فرأى أمير المؤمنين ان اولئك شر الامة، المنقوصون من التوحيد حظا، أوعية الجهالة، واعلام الكذب، ولسان ابليس الناطق في

(١) التفريع بالكلية انما يصح في مادة جعل بمعنى خلق كآية « وجعل لكم السمع والابصار – وجعل الظلمات والنور » لا في جعل بمعنى صير، نفرق بين المعنيين الخلق والتصيير، فكما ورد في التنزيل جعل بمعنى خلق، فقد ورد بمعنى صير، ومنه آية « انا جعلناه قرآنا عربيا » اي صيره قرآنا عربيا وأنزله بلغة العرب ولسانها، ولم يصيره أعجميا فينزله بلغة العجم ومنه آيات « ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض – وجاعلوه من المرسلين – جعله دكا – ربنا واجعلنا مسلمين لك – رب اجعل هذا البلد آمنا » وامثالها مما الجعل فيه بمعنى التصيير البتة · وليس كتابنا هذا للمناقشة والتمحيص، فلا نطيل بذلك

أوليائه ، والمائل على اعدائه ، من أهل دين الله . واحق ان يتهم في صدقه ، وتطرح شهادته ، ولا يوثق به من عمي عن رشده وحظه من الايمان بالتوحيد ، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلا ، ولعمر أمير المؤمنين أن أكذب الناس من كذب على الله ووحيه ، وتخرص الباطل ، ولم يعرف الله حق معرفته ، فاجمع من بحضرتك من القضاة ، فاقرأ عليهم كتابنا ، وامتحنهم فيما يقولون ، واكشفهم عما يعتقدون في خلق الله واحداثه ، وأعلمهم اني غير مستعين في عمل ، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه ، فاذا اقروا بذلك ووافقوا فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود ، ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق ، واكتب لنا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم والامر لهم بمثل ذلك »

هذه صورة كتاب المأمون في المحنة ، وقد ذيله باشخاص كبار فقهاء بغداد وأئمة الاثر والرواية ، وتم الامر بالمحنة التي طار شررها وطال ضررها ، واشتهر من بين رجالها (الامام احمد بن حنبل) رحمه الله ورضي عنه ، ولها في التاريخ ذيل طويل ، وممن استوفى اطرافها التاج السبكي في طبقاته ، فليرجع اليها المستزيد

ثم موضع الغرابة من كتاب المأمون ، هو حمل الناس على غير مايعتقدون ، واكراههم على امر لم تمض به سنة ، ولم يجدوا فيه برهانا من أنفسهم ، مع أن الاكراه على أصل الأصول ، ومابه العصمة والنجاة ، — وهو الدين الخالص — قد اباه الشرع ونهى عنه في غير ما موضع من التنزيل الكريم ، كآية «لا اكراه في الدين» وآية «أفأنت تكره الناس

حتى يكونوا مؤمنين» وآية (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولكن سكرة الدولة ، وانقلاب الرأي عقيدة بالتسليم والتقليد ، وعظم الطول والقدرة ، كل ذلك يحول دون الانصاف والاعتدال غالبا

وقد يظن ان ما اذاقه المأمون من الاضطهاد لرجال محنته ، كان باعثه ما اشار اليه في رسالته من نبز من اضطهدهم لجماعته بالكفر والضلال ، واشاعتهم ذلك بين العامة ، اذ قال في رسالته المتقدمة اعذاراً لمن يلم به الملام «ثم انتسبوا الى السنة ، وانهم أهل الحق والجماعة ، وأن من سواهم اهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذلك واغروا به الجهال» وجلي انه لايطيق الصبر على هذا فئة رأسهم في هذا المعتقد الخليفة فقضاته ووزراؤه

ثم قد يمكن ان يكون ذلك من بواعثه ، وقد يكون انتقاما من اضطهاد سابق ، ومقابلته بالمثل في جزاء الاعتداء بنظيره ، اذ كان للاثرية دولة في عهد الامويين وصدراً من الخلافة العباسية ، وكانت اقوالهم في تكفير مخالفيهم من الجهمية ، ورميهم بالزندقة ، وهدر دمهم ، تغري بهم ، وتُحفظ الامراء عليهم ، وتستفز ذوي البطش منهم على الايقاع بهم ، كما يدري ذلك من سبر أقوالهم في الجهمية ، ولم يكن قتل الجعد بن درهم وغيلان الدمشقي ، بل ومثل محمد بن سعيد الشامي المصلوب [1] الا من جراء ، مقالاتهم فيهم ، والتاريخ ابو العجب

وقد كان بدء المحنة بالقول بخلق القرآن سنة (٢١٨) الى ان افضت

(١) اتهموه بالزندقة ، واغروا به ابا جعفر المنصور ، فصلبه ، مع ان غاية ما رمي به انه كان يضع الحديث ، ومع ذلك فقد روى عنه الثوري ومروان الفزاري وابو معاوية والمحاربي وآخرون ، وقد غيروا اسمه على وجوه ستراً له . انظر بسط ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي

الخلافة الى المتوكل . فأمر سنة (٢٣٤) بترك النظر والمباحثة والجدال وترك ماعليه الناس في ايام المعتصم والواثق من القول بخلق القرآن، وامر الناس بالتسليم والتقليد، وامر الشيوخ المحدثين باظهار السنة والجماعة. ولكل زمان دولة ورجال .

قال نابغة البلغاء ابو بكر الخوارزمي في احدى رسائله : ليس من فرق الاسلام فرقة ، الاوقد هبت لاهلها ريحة ، ودلت لها دولة ، كما اتفق المختار بن عبيد الله للكيسانية ، ويزيد بن الوليد للغيلانية ، وابراهيم ابن عبيد الله للزيدية، والمأمون لسائر الشيعة ، والمعتصم والواثق للمعتزلة، والمتوكل للنواصب والحشوية اه

(٦) اول من صنف من المعتزلة في محاجة الاثرية

قال السفاريني في شرح عقيدته : معظم خلافيات علم الكلام مع الفرق الاسلامية خصوصا المعتزلة ، لانهم اول فرقة اسسوا قواعد الخلاف، لما ورد به ظاهر السنة ، وجرى عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم . فأول من صنف في علم الكلام والجدال والخصام مع أهل السنة والجماعة ابو حذيفة واصل بن عطاء ، وهو رئيس المعتزلة واول من سمي معتزليا، وله من التصانيف كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الخطب في العدل والتوحيد، وكتاب السبيل الى معرفة الحق، وكتاب معاني القرآن، وكتاب ماجرى بينه وبين عمرو بن عبيد ، وكتاب التوبة ، وله غير ذلك ، وكانت ولادته سنة (٨٠) وتوفي سنة (١٣١)

قال ابن خلكان : كان واصل احد الائمة البلغاء المتكلمين وكان في ايام عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، — كما حكاه الشهرستاني

ومثله في السبق الى التصنيف في ذلك عمرو بن عبيد — من كبار ائمة المعتزلة له كلام كثير في العدل والتوحيد على اعتقاد المعتزلة توفي سنة (١٤٣) قال الذهبي في الميزان : كان المنصور — الخليفة الشهير — يخضع لزهد عمرو وعبادته ويقول : كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

* *

(٧) تلقيب المعتزلة بالقدرية وسبب التسمية بذلك

قال الشهرستاني :المعتزلة يسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية : وذلك لاسنادهم افعال العباد لقدرهم وانكارهم القدر فيها موافقة لرأي معبد الجهني ، وغيلان الدمشقي القدريين

وقال ابو منصور البغدادي في كتاب (الفرق) في تعداد المسائل التي اتفق عليها القدرية المعتزلة : ومنها قولهم جميعا بان الله تعالى غير خالق لأكساب الناس، وان الناس هم الذين يقدرون اكسابهم ، وانه ليس لله تعالى في اكسابهم صنع ولا تقدير ، ولاجل هذا سماهم أهل السنة قدرية اه

وقال ابن الاثير : سموا قدرية لانهم اثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، ونفوا ان تكون الاشياء بقدر الله وقضائه . وقد قالوا لمخالفيهم انتم الأولى بتسمية القدرية ، لانكم تجعلون الاشياء جارية بقدر من الله ، ومثبت الشيء احق بالنسبة اليه من نافيه ، فاجابهم المثبتون بان مثبت الشيء لنفسه أولى بالنسبة اليه ممن نفاه عن نفسه اه

وقال الامام ابن تيمية: في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية، واصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله ، والايمان بامره ونهيه، ووعده ووعيده ، وظنوا ان ذلك ممتنع ، وكانوا قد آمنوا بدين

الله وامره ونهيه، ووعده ووعيده، وظنوا انه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لانهم ظنوا ان من علم ماسيكون، لم يحسن منه ان يأمر وهو يعلم ان المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أيضاً انه اذا علم انهم يفسدون لم يحسن ان يخلق من يعلم انه يفسد، فلما بلغ قولهم بانكار القدر السابق للصحابة انكروا انكاراً عظيما وتبرؤا منهم، حتى قال عبد الله بن عمر: اخبر اولئك اني بريء منهم وانهم مني براء، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو ان لأحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. وذكر عن ابيه حديث جبريل، وهذا اول حديث في صحيح مسلم، وقد اخرجه البخاري ومسلم من طريق ابي هريرة أيضا مختصراً

ثم كثر الخوض في القدر، وكان اكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة. فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد، فصاروا في ذلك حزبين، النفاة يقولون: لا ارادة الا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد الا ما امر به، ولم يخلق شيئا من افعال العباد. وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وامثاله، فقالوا: ليست الارادة الا بمعنى المشيئة، والامر والنهي لايستلزم ارادة، وقالوا: العبد لافعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط. وكان جهم مع ذلك ينفي الاسماء والصفات اهـ

(لها بقية)

بيان للامة العربية من حزب اللامركزية (*)

من المعلوم أن الامة العربية المستظلة براية الهلال العثماني من أخلص الامم للدولة العلية وأشدها استمساكا بعروة الجامعة العثمانية وقد مضت على هذه الامة قرون عانت فيها ضروباً من المحن والمصائب بسبب الادارة السيئة التي أنتجها الحكم المطلق في المملكة العثمانية وهي صابرة على ذلك بحكم الجهل الذي كان مخيما عليها وعلى كل الشعوب العثمانية وراضية بما يصيبها من الجور رغبة في بقاء الرابطة التي تربط الشعوب العثمانية بالدولة العلية وتقيها شر التفرق المفضي الى ضياع المملكة واقتسامها بين الطامعين فيها من دول الاستعمار

صبرت الشعوب العربية العثمانية على ذلك طويلا وللصبر حد ينتهي اليه. ولما رأت هذه الشعوب أن الالتجاء الى رابطة عامة قد دخلها الوهن، والسكوت على مرض بلغ حد الاعضال ليس من الاخلاص للدولة التي يودون بقاءها في شيء، وان الاخطار التي ألمت بالمملكة فذهبت بقسم عظيم منها بسبب سوء الادارة وفساد الحكم تهددهم بمثل ما أصاب غيرهم لامحالة — هب عقلاؤهم والمفكرون فيهم الى البحث عن أقرب الطرق المؤدية الى السلامة، فصاح بهم اليأس ينذرهم فوات الوقت ودنو ساعة الخطر، فلم يجد الى قلوبهم منفذاً، بل رأوا ان اليأس استسلام للهلاك فنبذوه، ونظروا فرأوا ان أدواء الوطن والامة كثيرة ترجع كلها الى أمر واحد هو شكل الادارة التي تدار بها المملكة، ذلك الشكل الذي مضى عليه مئات من السنين لم يخط فيها بالامة والدولة الى الامام بينما الممالك الاخرى تسير في طرق الترقي والمدنية سير السابق المجد، بل أصبحت المملكة العثمانية في أخريات الممالك ثروة وقوة وعمراناً، بل هي لاتكاد تكون بالنسبة الى أصغر الممالك الاوربية شيئاً مذكورا

ذلك بأنه مامن ولاية من ولاياتها تستطيع أن تعمل لنفسها بنفسها عملا نافعاً لها موجبا لعمرانها، جالبا لثروتها، فتمهيد الطرق واقامة القناطر والجسور ومد السكك الحديدية وتخفيف المستنقعات واستخراج المعادن وتسيير مركبات الترام وتنوير المدن بالكهرباء أو غيرها وتأليف الشركات واستثمارها المرافق البلاد ونشر التعليم وانشاء المدارس وما شابه ذلك من أسباب الارتقاء والثروة والعمران

(*) نشر حزب اللامركزية هذا البيان بالتاريخ الذي يراه القراء في آخره وسنتكلم عنه في موضع آخر

— كله منوط بعاصمة الملك متوقف على اذن المركز وارادته ان شاء أعطى وان شاء منع .

وهانحن أولاء نرى معظم الولايات العثمانية بل كلها مملوءة بكنوز الطبيعة ومعادن الارض ، ولم نر ولاية من هذه الولايات انتفعت يوماً من هذه الكنوز المدفونة على كثرتها ، مع انها مورد رزق عظيم للحكومة ولاهل الولايات لو كانت تعمل فيها أيدي الشركات اليوم ، وهيهات أن يكون ذلك مادام أهل البلاد ليس لهم من أمر مرافق بلادهم شيء . وما دامت الحكومة المركزية هي المتصرفة بكل شيء

زد على هذا ان عدم كفاءة الموظفين الذين يقذف بهم المركز الى الولايات وجهلهم بكيفية تطبيق القوانين وعادات البلاد ولغاتها وحاجاتها قد أوجد اضطراباً وتشويشاً في ادارة الامور في كل ولاية ، فأساء سمعة الحكومة العثمانية حتى أحجمت كل شركة وطنية أوشبه شركة وطنية عن استثمار خيرات البلاد أو عمل أي عمل نافع لها ، فصار الاهلون عالة على الاجانب الذين تحتكر شركاتهم منافع البلاد وعالة على الحكومة التي لا تفتح لهم أبواب موارد الرزق الا بمقدار ، وفقدت منهم مزايا الجماعات الانسانية كالاعتماد على النفس والتعاون على المشاريع النافعة والنظر في وسائل عمران الوطن ، بل لايكاد يوجد أثر من روح الاستقلال الشخصي في نفوس أفراد العثمانيين فهم ينتظرون من حكومتهم أن تفتح لهم المدارس للتعليم وتنشىء الملاجىء للفقراء ، وتدفعهم الى كل عمل من أعمال الحياة ، وما ظنك بأسرة نشأت وهي عالة على ربها لا تطرق بابا من أبواب العمل ولا تألف التمرن على أي سبب من أسباب الحياة ، ماظنك بهذه الاسرة اذا قعد يوما صاحبها عن العمل واستسلم لعوامل الضعف ؟ ألا تصبح عرضة للفاقة وتصير الى الهلاك المحتم ؟!

ان حال الامة العثمانية اليوم يشبه حال هذه الاسرة لاعتمادها في كل شيء على الحكومة المركزية وفقدانها روح التضامن وروح الاستقلال الشخصي ، ولعموم الجهل بين اكثر الطبقات فيها لانها لا تملك لنفسها حتى ولا شؤون التعليم فضلا عن باقي شؤون الحياة

هذا ما فكر فيه عقلاء العرب وخشوا بعده من سوء مصير قومهم اذا استمر شكل الادارة في الحكومة على ما كان عليه من استئثار المركز بالسلطة على كل شيء ، وبهذا ثبت لديهم أن الضعف الذي اعتور الدولة وسرى الى سائر أجزاء المملكة لا يمكن تلافيه اذا أريد بقاء الدولة وسلامة استقلالها إلا بأن يناط بأهل كل ولاية النظر في شؤونها الادارية والتعليمية ، أي بأن يكون لها نوع من الحكم الذاتي الموجود في كل الممالك الراقية اليوم في أوربا وأميركا المعروف باسم

(Decentralisation Administratire) أي اللامركزية الادارية ، الذي يود رجال حكومتنا أن يسموه توزيع السلطة أو توسيع المأذونية . وعلى هذا المبدإ ولاجل نجاة الوطن والدولة تأسس في مصر حزب اللامركزية الادارية العثماني لا لمصلحة الشعوب العربية وحدها بل لمصلحة الدولة نفسها ، لان كل ارتقاء وغنى وقوة تنالها الشعوب العثمانية انما هو ارتقاء وغنى وقوة للدولة ، وهل للدولة قيام أو وجود الا بمجموعة هذه الاجزاء التي تتألف منها المملكة فاذا قويت قويت الدولة والعكس بالعكس ؟

ولقد تلقت الامة العربية وعقلاؤها والمخلصون من أبنائها في كل ولاية نبأ تكوين هذا الحزب بكل ارتياح وسرور ، لانهم شاعرون كشعور المؤسسين لهذا الحزب بالخطر المحدق بالاوطان وبالحاجة الى التمسك بأسباب الترقي الصحيح والنهوض السريع وانا صرنا من الحرج الى حالة لامخلص لنا منها ولا للدولة التي نود بقاءها وسلامتها لبقائنا وسلامتنا الا بانتهاج أقرب الطرق المؤدية للسلامة ، ألا وهو مشاركة الشعب للحكومة في ادارة شؤون البلاد والتوفر على عمرانها وارتقاء أهلها

لم يشذ عن مشاركتنا بهذا الشعور بفضل الله الا أفراد من عباد المنفعة في الامة العربية وآخرون يقادون الى مفتريات هؤلاء مكرهين بزمام الحاجة اليهم ، أو التقليد لهم على غير علم ، وهؤلاء متى حصحص لهم الحق كانوا اليه أميل ، وبأنصاره ألزم ، واذن لا يكون هناك أدنى ريب في أن سواد الامة العربية الاعظم وعقلاءها وذوي الرأي فيها مجمعون على استحسان مبدإ اللامركزية واثقون بأنه خير وسيلة للنجاة والنجاح ، وهذه حقيقة وان عرفتها الحكومة المركزية تحاول أن تتجاهلها ولا تعطي الامة العربية ماتريده لاجل حياتها ولاجل دولتها أيضاً

إننا لايجوز لنا أن نرتاب في نية الحكومة ومقاصدها اذا أقامت الدستور ، اذ ما من حكومة دستورية في العالم تأبى ترقي الشعب وراحته ، انما نرتاب في فهم هيئتها الحاضرة معنى اللامركزية التي ينشدها طلاب الاصلاح ومقدار اخلاص هؤلاء لدولتهم ووطنهم ، مع أننا أثبتنا للحكومة أننا لسنا طلاب عنت بل طلاب اصلاح ، بأن رضينا منها بدون ما هو وارد في برنامج حزبنا تمهيداً لسبيل الوفاق الدائم بين الحكومة والشعب العربي الذي كلما برهنت الحكومة على الثقة به وتوطين العزيمة على اصلاح حاله زادها اخلاصاً ، وازداد باخوانه الاتراك ثقة ، والى دوام مشاركتهم في السراء والضراء ميلا

رضينا منها بدون ما هو طلبتنا من الاصلاح على قواعد برنامجنا ولكنها ويا للاسف لم ترض حتى بما هو دون المطلوب لنا ، ولم تف بما وعدت به خلص

الامة العربية وعقلاءها الذين نابوا عنها في المؤتمر العربي. اذ هذا المؤتمر كما نعلم الامة العربية الكريمة عقد في باريس باسمها ، وكانت مباحثه دائرة على منافع اللامركزية الادارية وطلبها للبلاد العربية، واذ كان المؤتمرون فيه يمثلون معظم الجمعيات العربية والشعب العربي الكريم فقد أوفدت جمعية الاتحاد والترقي التركية التي هي حزب الحكومة اليوم المتكلم بلسانها مندوباً من قبلها للاتفاق مع أعضاء المؤتمر على مواد اصلاحية سبق الاتفاق عليها بين الشبيبة العربية وبين مركز الجمعية في الاستانة تمهيدا لعرضه على المؤتمر ، ورأى المؤتمرون أن يبرهنوا للحكومة وللعالم أجمع على أنهم انما يريدون الاصلاح ولو أتى تدريجاً ، وأن من الاخلاص لدولتهم أن لا يكون على عملهم مسحة من الجفاء ، وأن يقبلوا بمواد الاتفاقية مع بعض التحوير اذا وعدت الحكومة بقبولها وسرعة تنفيذها . ثم وعدت الحكومة بقبولها الا أنها لما أعلنت بيانها في الاصلاح جاء مخالفاً لنص الاتفاقية من بعض الوجوه وفيه تغيير ظاهر . ولما صدرت الارادة السنية على بيان الحكومة رأينا نص البيان قد تغير أيضاً ،

ولكي يرى أبناء الامة العربية الكرام الفرق بين برنامج حزب اللامركزية وما رضينا به دونه في اتفاقية باريس ، ثم بيان الحكومة لقرار مجلس الوكلاء المنافي لجوهر الاتفاقية ، ثم القرار الذي صدرت عليه الارادة السنية ومباينته للقرار الاصلي — نأتي في هذا البيان على نصوصها جميعاً لمقارنة بعضها ببعض ووقوف الشعب العربي الكريم على ما بينها من المباينة ، وانا مع رضانا بالقليل لم نحصل عليه

. . . .

(وههنا نشر في البيان برنامج حزب اللامركزية ، ثم الاتفاق الذي صدق عليه مؤتمر باريس ثم بيان الحكومة بما قررت قبوله من الاتفاقية ، ثم ترجمة الارادة السنية بتنفيذ ذلك — وكل هذا قد نشرناه في المنار من قبل، ثم عقب البيان على ذلك بما يأتي)

﴿ المقابلة بين برنامج الحزب واتفاقية باريس وماقررته الحكومة ﴾

بالمقابلة بين برنامج الحزب والاتفاق الذي صادق عليه مؤتمر باريس يرى القارىء الكريم الفرق العظيم بينهما ، فالبرنامج يتضمن طلب اللامركزية الادارية بكل معانيها والاتفاق ليس فيه الا شيء قليل غامض من مطالب اللامركزية ومع هذا رضي المؤتمر بمضمون هذا الاتفاق بانيا ذلك على حسن نية الحكومة وعزمها الاكيد على اجراء الاصلاح على قواعد اللامركزية بالتدريج ، فكان من الواجب أن تثبت الحكومة حسن نيتها للامة العربية بالمبادرة بتنفيذ مواد الاتفاق لتتأكد الثقة

بينهما ويتعاونا على ترقية البلاد واحياء قوة الدولة التي كاد يعروها الدثور بسبب الادارة السيئة

ولكن الحكومة لم تفعل ذلك بل أصدرت بيانها الذي رآه القراء الكرام وهو يباين ذلك الاتفاق من وجوه كثيرة. منها ان ذلك البيان يقول في المادة الرابعة «ان التعليم في الولايات العربية يكون في المدارس الابتدائية والاعدادية باللغة العربية» ولكنه نفى ذلك في المادة الخامسة أو الفقرة الثانية من المادة الرابعة بقوله : « ولاجل تعميم اللسان الرسمي يجب المحافظة على المدارس الاعدادية في مراكز الولايات ودوام التدريس فيها باللغة التركية »

ومنها ان البيان المذكور لم يترك للولايات سوى تعيين الموظفين الصغار واشترط معرفتهم التركية مع العربية بحجة انها اللغة الرسمية مع ان اتفاقية باريس تقضي بأن جميع موظفي البلاد العربية يعينون فيها ماعدا الرؤساء الذين يعينون بارادة سنية ، وأن يقبل مبدئيا أن تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللسان العربي فيتيسر أن يكون أولئك الموظفون من أهل الولايات نفسها وفي هذا التعديل الذي جاء في البيان حرمان اهل الولايات العربية حتى من الوظائف الصغيرة كالتسويد وكتابة المحاضر ، وفيه من الضرر على صغار المأمورين مافيه لان معظمهم يجهلون اللغة التركية فاشتراط معرفتهم بها بمثل هذا القيد القانوني يوجب طرد الالوف منهم طرداً من وظائفهم الحالية باسم القانون بدلا من فتح الباب لغيرهم في خدمة حكومتهم المحلية

ومنها ان اتفاقية باريس تقول بلزوم ترك أمور النافعة للادارة المحلية وهذا البيان لم يتعرض البتة لهذا الامر مع ان ترك الامور النافعة للولاية واعتبار اللغة المحلية لغة المعاملات الرسمية من أهم ماتعلق عليه آمال المصلحين في اصلاح ادارة البلاد بيد أهلها والاعتماد في ترقيتها على أبنائها

ومنها أن اتفاقية باريس نصت على أن يعطى مقدار من المال لسد عجز الدوائر التي تترك ادارتها للولايات (ويراد بها بالضرورة المعارف والنافعة) ويعطى غير ذلك نصف رسوم العقارات على أن يصرف للمعارف ولكن المادة التي جاءت في بيان الحكومة بخصوص مالية الولاية لم تصرح بذلك بل هي غامضة كما يرى القراء الكرام

أما ما يتعلق بالمناصب والوظائف التي تقرر أن تعطى للعرب في الاتفاق المكتوب والاتفاق اللساني المفصل له فنترك الكلام عليه لانه في نظر حزبنا أمر ثانوي يراد منه الثقة بتنفيذ تلك المواد على وجهها . على ان هذا البيان على نقصه وغموضه ومباينته لاتفاقية باريس وعدم الاشارة فيه الى ماورد فيها أيضاً من اعتبار قرارات

المجالس العمومية نافذة فانه طرأ عليه نقص آخر لما صدرت الارادة السنية بتنفيذه كما يعلم ذلك من مقابلتهما ولا حاجة للبيان

وهذا كله يدل على ان الحكومة لم تستعمل الصراحة في رفض أو قبول مطالب المصلحين فكان ذلك داعية الريب فيما تعد به من الاصلاح، ولهذا عدلت اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر عما كانت قررته عند ما أذيع خبر قبول الحكومة لمطالب العرب وهي أن ترسل وفدا الى الاستانة لشكر الحكومة على ما أظهرته من الميل لاجابة مطالب المصلحين فقد كانت رفعت شكرها ببرقية الى الصدارة معربة عن استبشارها بعصر ترق جديد تدخل فيه الامة العثمانية، وعصر وئام يكون فاتحة خير وسعادة على العنصرين الكريمين الترك والعرب العثمانيين ، وكتبت بغرضها من ارسال الوفد الى أحد أركان الدولة منتظرة رأيه في الامر ، وفي أثناء ذلك أعلن بيان الحكومة فاذا هو كما قدمنا مباين لاتفاقية باريس ، ولا يختلف عن قانون الولايات الا بشيء طفيف ، فأحزن ذلك الذين كانوا مستبشرين بحسن نية الحكومة من الشعب العربي ، وأوجب عدول اللجنة العليا عن ارسال الوفد ، وكتبت ببيان السبب الى أحد أركان الدولة الذي كانت كتبت اليه قبل ذلك. ومما جاء في آخر كتابها الذي أرسل باسمها من رئيس اللجنة العليا قوله :

« ولما جاءت التلغرافات العمومية مبشرة بتصديق الحكومة على الاتفاقية التي تمت مع العرب رأينا أن نبرهن للحكومة على اخلاصنا وحسن نيتنا وعلى شكرنا العظيم فقدمت تلغرافاً بالنيابة عن اللجنة للصدارة أعرب فيه عن شكرها وآمل أن نكون دخلنا في عصر جديد من عصور الاصلاح الحقيقي وذكرت فيه ان حزبنا سيوفد وفداً خاصا لتقديم الشكر للحكومة. ورغماً عن تكذيب مركز الاتحاد والترقي لخبر هذا الاتفاق بصورة مهينة لطلاب الاصلاح كما رأيتم ذلك بالضرورة في جريدة طنين فان اللجنة كانت باقية على هذا العزم لاعتبارها ان الحقائق هي التي تنشد لا الالفاظ وان ماصار الاتفاق عليه في باريس والاستانة مع أبناء العرب وان كان دون ما في بروغرام حزب اللامركزية الا انه يكفي للدلالة على حسن التفاهم مع الحكومة والسير في سبيل الاصلاح ولو بالتدريج ، وليس لنا غاية من وراء ذلك كما يشهد الله . ولكن الحكومة ببيانها الاخير شوهت مواد تلك الاتفاقية تشويها ولم نرض بذلك القليل الذي رضينا به فأدخلت اليأس من جديد في نفوس أعضاء حزبنا ونفوس الامة العربية جمعاء فرأت اللجنة أن تؤخر الآن ارسال الوفد وأن تخاطبكم بصفتكم من شهود ذلك الاتفاق في باريس بما عولت عليه ، وهو انها توقف ارسال الوفد على أحد أمرين : إما رضاء الحكومة بالاتفاقية

المذكورة وتطبيقها بالحرف ، واما أن تودع مسئلة اللامركزية برمتها الى رأي الامة بأن تصادق على بروغرام حزبنا ليسير في تأييد مبدئه بالطرق القانونية التي تسير فيها الاحزاب عامة في كل مملكة دستورية فاذا كانت البلاد مستعدة لهذا النوع من الحكم ثبت مبدأنا ونفذ بالتدريج ، واذا كان غير ذلك نكون قمنا بالواجب الذي تدعونا اليه ضمائرنا ونعتقد انه محتم علينا بازاء دولتنا ووطننا ، واذا كانت الحكومة لاترى هذا ولا ذاك ولا توافق على الاتفاقية ولا تقبل الاعتراف بهذا الحزب فقد عولنا معتمدين على الله وحسن النية والاخلاص لهذا الوطن ومعونة الامة العربية وأهل الرأي فيها على المضي في الوجهة التي رسمناها لا لانفسنا لاجل سعادة الاوطان وسلامتها وسلامة الدولة أيضاً ونترك تقدير النتائج المترتبة على ذلك الى ضمائر القابضين على زمام الامر اليوم » الخ

***

فهذا الكتاب وما قبله من البيانات الواضحة يثبت لابناء الامة العربية الكريمة اننا لم نأل جهداً في تحقيق رغباتها وتأييد مطالبها في اصلاح الوطن وترقيه وسعادته وان رائدنا الاخلاص لدولتنا ووطننا ، وانما هذا الاخلاص لا يمنعنا اذا رأينا اصراراً من الحكومة على رأيها القديم في الامة العربية ومطلاً وتسويفا في اجابة مطالبها ان نتخذ خطة العزم والحزم والثبات امام كل الموانع التي تحول دون تحقيق آمالنا في ترقي بلادنا واسعاد أهلها وجعلهم قوة ذات حياة وحركة، متضامنين في العمل على صيانة الوطن وسلامة العنصر العربي الكريم من الاخطار الحائقة به، خصوصاً في هذا العصر الذي اشتد فيه التنافس بين الامم في مضمار تنازع البقاء، وأصبحت كل العناصر العثمانية عرضة لفقد الاستقلال والموت الشائن المهين، موت الجمود والخمول، اذا استمرت عالة على الحكومة في كل شيء فاقدة كل وسائل الارتقاء والكمال والاعتماد على النفس

وانا نعتمد في هذا التضامن الداعي لنجاة الوطن ونجاة الامة من الاضمحلال على ذكاء العنصر العربي الكريم وكفاءة أبنائه واستعدادهم وعلى النية الخالصة لله وللوطن والدولة ، ونرجو أن يؤازرنا على سعينا هذا كل من أظلته سماء البلاد العربية لنثبت للعالم أجمع أن الامة العربية التي قوي الزمان على محو معظم الامم القديمة لم يقو على محوها ، وان الامة التي استمد منها العالم القديم روح المدنية والتشريع منذ ستة آلاف سنة أي من عصر حمورابي وكان العالم الجديد مديناً في مدنيته لها من الف سنة أي من عصر الرشيد والمأمون وما بعدهما لا يجوز العدل والانسانية أن تسحق بأقدام الطامعين والسياسيين . وان الاوطان التي أنبتت

حمورابي أول واضع للشرائع المدنية وأخرجت مثل موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام الذين قلبوا نظام العالم الانساني وأخرجوه من ظلمات الوثنية والرذائل الى نور التوحيد والفضائل،لا يجوز أن تكون أوطاناً لغير أهلها النابتين من ترابها والناشئين فيها مادام في صدورهم نفس يتردد ويدل على الحركة والحياة

* *

لايوجد فيما نعلم عربي مخلص تظله راية الهلال العثماني الا ويريد البقاء للدولة والحياة مع اخوانه الاتراك تحت راية واحدة هي راية الهلال ، ليكونوا قوة له وهو يكون قوة لهم وكلاهما قوة للدولة، كما انه لايوجد عربي يعقل معنى الحياة والوجود يرضى أن يكون مكانه من هذه الدولة مكان العبد المملوك من المالك ، والمسود من السيد ، ولا مكان الاجنبي من الفاتح المستعمر، بل يطلب كل عربي يعقل معنى الحياة أن يكون مكانه من التركي في هذه المملكة مكان الاخ الشقيق من أخيه الشقيق ، لايمتاز أحدهما عن الآخر بحق شرعي ولا قانوني، وانما يتفاضل افراد كل من الشعبين بعلومهم وأعمالهم. ويعتقد عقلاء العرب ان بقاء الدولة بدون هذه المساواة مؤلفة من هذين العنصرين محال ، واذا هما افترقا ــ لاقدر الله ــ فالله وحده هو العليم بالمآل

فاذا كان اخواننا هؤلاء لايريدون أن يفهموا هذه الحقيقة ــ وإن أودوا بنا وبأنفسهم فنبذوا الجميع في هاوية الدمار ــ فان الشعب العربي قد عرفها ، وهو يريد الحياة ويجاهد في سبيلها ، بمنتهى ماعنده من القوة والجد والحزم ، فمن العبث أو من الخطأ الموجب لتنافر القلوب وتجافيها أن يحال بينه وبين الاصلاح الذي يطلبه لنفسه ولاوطانه ، والقوة التي ينشدها لحفظ كيانه ، وبقاء الدولة التي يحترم وجودها ويود بقاءها،ولكن بقاء عزيزاً شريفاً نافعاً للامة العربية لاضاراً بها قاضيا على وجودها

وبما ان الواسطة لترقي هذه الامة وسلامتها هو أن يكون لها حق الاشراف على مرافق بلادها،وحق المشاركة في ادارة مصالحها،وحق التعلم والتعامل بلغتها ، وهذا لا يتأتى بغير الادارة اللامركزية فقد رأى عقلاؤها والمفكرون فيها وجوب السعي لنيل هذا النوع من الادارة بكل الوسائل الممكنة . وبما انه ما من عاقل من ابناء العرب يطلب شيئا فوق اللامركزية الادارية التي تضمن له الحكم الذاتي من جهة وبقاء الرابطة السياسية بالدولة العثمانية من جهة أخرى ــ بناء على ذلك كله ــ تدعو اللجنة العليا لحزب اللامركزية كل الجمعيات العربية وكل العقلاء من افراد هذه الامة الكريمة الى توحيد الكلمة والوجهة والغاية ومؤازرتها فيما تدعو اليه من المطالب العامة الموافقة لمصلحة الجميع ، ومتى نلنا هذه الاصول العامة تبعها بالسهولة ما يطلبه بعضهم لبعض الولايات خاصة ، على ان انصارها والقائلين

بصحة مبدئها في سائر انحاء البلاد العربية كثيرون ولله الحمد، بل هم جماهير أهل الرأي والغيرة والاخلاص ، لا كما يغش رجال الدولة طلاب المنافع والمناصب بالتملق والدهان ، وستعلم حكومتنا ان الامة العربية متحدة متكافلة، تردد صوت طلاب الاصلاح اللامركزي في كل مكان، وعسى ان تقنع بالآية التي تراها اليوم فلا تحتاج الى ما هو اكبر منها من الآيات .

(مظاهرة العرب السلمية اليوم)

في هذا اليوم الذي يصدر فيه هذا المنشور ترى حكومتنا العليا في الآستانة آية من آيات صدقنا ونصحنا واخلاصنا لها ــ في هذا اليوم تهتز أسلاك البرق وتنبض عروقه بين عاصمة الدولة وجميع الولايات العربية العثمانية والجاليات العربية العثمانية في الممالك الاجنبية ، فتشعر حكومة العاصمة بما تنبض به قلوب العرب العثمانيين في مشارق الارض ومغاربها ــ في هذا اليوم تستوي الشمس على كرسيها من القبة الزرقاء ــ وفخامة الصدر الاعظم مستو على كرسيه في الباب العالي، ووفود طلاب اللامركزية من العرب واقفون في ادارات البرق(التلغراف) في سورية وفلسطين والجزيرة والعراق وفي أوربا وأمريكا يخاطبون فخامته بما نصه العربي (بعد عنوان الخطاب) :

«قد برهنت الامة العربية باقوالها وأفعالها ، ومسلك أحزابها وجمعياتها وصحفها، على شدة اخلاصها لدولتها ، وحرصها على سلامة السلطنة العثمانية كلها ، واتفاق شعوبها على عمرانها وترقيتها.وقد ثبت لها بالبرهان ان ذلك لايتحقق ولا تبقى الدولة وتحيا الا بالادارة اللامركزية الواسعة التي يظهر بها استعداد كل شعب من شعوب الامة العثمانية فتتبارى في ميدان العلم والعمل.وقد سمعنا عن لسان مولانا السلطان الاعظم وأركان دولته مايدل على الرغبة في اجابة الامة والعرب خاصة الى مطالبهم الاصلاحية ، فنحن لهذا نسترحم من مقام الصدارة العظمى اعلان وتنفيذ أحكام اللامركزية الادارية الواسعة في ولايتنا ، واعطاء الشعب حريته في هيئاته النيابية وامور المعارف والنافعة وجميع الشؤون الاقتصادية المحلية ، واعتبار اللغة المحلية لغة رسمية ، والامر لوليه

*

ــ وفي هذا اليوم ترفع اللجنة العليا لحزب اللامركزية الادارية العثماني برقية الى فخامة الصدر الاعظم تؤيد بها برقيات امتها الكريمة هذا نصها :

الاستانة — الصدارة العظمى

اليوم تظهر لكم الامة العربية رأيها وارادتها بالبرق من كل جهة ، وتطالبكم بلسان أهل الرأي فيها باعلان اللامركزية الادارية الواسعة في كل ولاياتها . فلجنة حزب اللامركزية بمصر تنهي الى فخامتكم انها تؤيد هذا الطلب الحق بكل قوتها ، راجية من حكمة حكومتكم إحلال رأي الامة الموافق للشرع والدستور محل الاعتبار والقبول

رئيس حزب اللامركزية بمصر
رفيق العظم

صفوة القول وخلاصته

ان الأمة العربية متفقة في جميع الولايات العثمانية على طلب الادارة اللامركزية الواسعة المبينة قواعدها الكلية في برنامج الحزب ، ويؤيد أهل الولايات في ذلك المهاجرون من اخوانهم العرب في مصر وأوربة وأمريكا . ولا ينافي اتفاقهم على القواعد العامة وتضامنهم وتكافلهم فيها بعض المطالب الخاصة ببعض الولايات كطلب جمعية بيروت الاصلاحية امورا مخالفة لبعض مطالب جمعية البصرة مثلا . فطلاب الاصلاح كلهم إلب واحد وكلمتهم واحدة ، والامة كلها معهم تشد أزرهم وتنبذ من يخالفهم نبذ النوى . ولا تمكن ان تسكن هذه الحركة ، وتسكت الاحزاب والجمعيات عن الصراخ أمام الأمة والحكومة ، بالتلهي ببعض قشور المطالب وماهو مطلوب منها في المرتبة الثانية ، أو ماهو منها بمنزلة الفروع من الاصول

اصول المطالب وما لا تعتد بغيره الا معه

الاصول الاساسية من مطالب العرب هي ما اشارت اليه برقية الامة وهذا تفصيله بالاختصار :

(١) حرية الشعب في هيآته النيابية . وأهمها حريته في انتخاب أعضاء مجالس الولايات العمومية ومجلس المبعوثين وغيرها — وجعل جميع قرارات المجالس العمومية نافذة فيما هو داخل في اختصاصها وهو كل ما يتعلق بمصلحة الولايات التي لا تتعلق بالسياسة الخارجية ولا الحربية

(٢) حريته في أمور المعارف . وأهمها ان يكون التعليم كله باللغة العربية ، وان تناط ادارته بالمجالس المحلية

(٣) حريته في أمور النافعة والشؤون الاقتصادية بأن تكون جميع أعمالها بأيدي المجالس المحلية ، الا ما يتعلق بالسياسة الخارجية أو الحربية ، فللمجالس العمومية في هذا حق الرأي المحترم فقط ، وما حق التنفيذ فمن خصائص الحكومة العليا في العاصمة . وعلى كل حال لا يجوز اعطاء امتياز في الولاية بانشاء طريق

أو استخراج معدن أو عمل زراعي ولا بيع أرض أميرية ونحو ذلك من الشؤون المحلية الا بقرار من مجلسها العمومي

(٤) اعتبار اللغة العربية رسمية في جميع الولايات العربية بان تكون جميع معاملات الحكومة بها في هذه الولايات ، فلا يقبل فيها موظف الامن أهلها الذين يحسنونها قولا وكتابة ، لان نشر التعليم بلغة الامة كما يجب يتوقف على التعامل بها في شؤونها ومصالحها العامة

فمتى نالت الامة هذه الاصول الاساسية تساهلت فيما عداها وفي بعض الفروع المترتبة عليها والتدرج فيها . ذلك بان حياة الامة لا تكون الا بجريانها فيما مر ذكره ، وحياة لغتها بالعلم والعمل ، وتدبير ثروتها والاستقلال بمنافعها الاقتصادية كلها ، والا كانت جاهلة فقيرة ذليلة مضطهدة ابد الدهر . فاذا ساعدت الامة العربية حكومتها على ذلك تعتقد أنها تريد لها الحياة فتكون مخلصة لها كل الاخلاص ، والا عملت كل مافي طاقتها للوصول الى حقها في احياء لغتها والحياة بها ، واحياء أرضها ، والتمتع بخيراتها ومنافعها . ومن أراد الحياة الشريفة الطيبة لا يلام ، واذا سعى لها سعيها نالها بسلام او بغير سلام ، ومتى أرادت الامة فعلت ، ومتى سارت وصلت ، وتلك سنة الله في جميع الامم ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

صدر بمصر القاهرة في ٩ ذي القعدة سنة ١٣٣١ — ٢٦ ايلول سنة ١٣٢٩ (مالية عثمانية) ٩ اكتوبر سنة ١٩١٣

الجنسية واللغة

يراد بالجنسية الانتساب الى قوم تضمهم جامعة واحدة ويخضعون لقانون واحد بدون التفات الى وحدة الأصل وكثرة العدد واختلاف اللغة والدين ، كالجنسية الفرنساوية والالمانية والانكليزية والعثمانية والنمساوية الخ . وهي في عرف الناس وفي نظر رجال الحكومات صفة لازمة للقومية وقوة مقوّمة لكيان المملكة وحفظ المجتمع ، وفي نظر بعض علماء الاجتماع ضلال من ضلالات الزمان ، التي استولت ـ كما استولى غيرها ـ على الاذهان ، ولا بد ان يقضي الزمان بالغائها كما قضى على غيرها من الاوهام والخرافات

يظهر لاول وهلة ان هذا الرأي الاخير بدعة تزعزع أركان الوطنية ، وتبدد عناصر القومية ، وتضعف روابط الجامعة وتهدم بناء المملكة . ولكن يتضح بعد الامعان والتمعن في مايلي انه حقيقة لا بد من ثبوتها في المستقبل البعيد

اذا استولى الوهم على الذهن كان أشد تأثيراً فيه من العقل واذا اندس في أخلاق الامم وعاداتها كان شديد المراس لايزحزح الا بعد جهد وعناء شديدين . واذا طال الزمن على عقيدة فاسدة شق على العقل والعلم نقضها واقناع الجمهور بفسادها، لان الخرافات اعلق بالاذهان من الحقيقة وأشد منها تمكناً واستمساكا، بدليل ماترى منها الى الآن في عادات أرقى الامم مدنية وأعلاها علماً وأدباً . ومن قبيلها اجماع الناس على الاعتقاد بالجنسية اعتقاداً غلب فيه الوهم على الحقيقة ، فيعطونها ماليس لها من الحدود والصفات والمميزات التي لاتعتبر في نظر علماء الاجتماع الا حيلا سياسية لاستعباد الاقوام الصغيرة وتعضيد القوة الحاكمة. وهي تظهر بأشد مظاهرها في البلاد التي تقوى الروح الوطنية فيها وتصبح خطراً على البلاد المجاورة ، وحيث الرغائب والاميال والحذر من المستقبل والاستنكار من تقدم الامم الاخرى وتفوقها والانفعال من خسارة بعض الامتيازات تحول الاذهان عن فهم الحقيقة وتميل بها الى تفسير القضايا الاجتماعية تفسيراً يوافق تلك الرغائب والاميال . نرى ذلك في فرنسا التي خسرت سيادتها في أوربا بعد وحدة المانيا ووحدة ايطاليا ، وفي النمسا حيث تطالب الشعوب المظلومة بحقوقها، فاذا خلا الذهن من تلك الاكدار حسب الروح الوطنية ظاهرة من الظواهر الطبيعية تؤثر في الفرد كما تؤثر في العموم ولها حد من النمو لايمكن توقيفه أو منعه كما انه لايمكن توقيف المد والجزر أو منع حرارة الشمس في ابان الحر. على ان من الضلال الفاضح أن يكون أساس الجنسية الاساس الذي وضعته السلطات الحاكمة وتحاول أن ترسخ في الاذهان ان أقل جنوح عن نظامها يفقد الانسان جنسيته ويجعله شريدا طريداً في مجاهل الانسانية

فما هو أساس الجنسية ؟ وماهي علامتها المميزة ؟

اذا رجعنا إلى الانتروبولوجيا وهو العلم الوحيد الذي يرجى منه حل المسألة لم نجد فيه مايفي بالغاية ، لان علماء الانتروبولوجيا فريقان الواحد يقول بتعدد أصول الانسان والآخر يقول بوحدة الاصل ، فالقائلون بالتعدد يزعمون ان الاسباب التي ساعدت على ظهور الانسان في بقعة من الارض ساعد مثلها على ظهوره في بقعة أخرى، وان مابين الانسال البشرية من الاختلافات الجوهرية كاختلاف اللون والصفات والتركيب مسبب عن اختلاف الاصول وليس عن تحول الصورة الاصلية ، وتطبيق الحياة على الاحوال المحلية . فهذا الرأي لايحل المسألة حلا شافيا عدا عن انه لايخلو من النقد ولم يتفق عليه علماء الانتروبولوجيا . أما الفريق الثاني فيقول ان التغييرات

التي تحصل في النسل الواحد بفعل الاحوال المحيطة وتأثير العوامل المحلية هي حدود للجنسية وينسب لكل شعب صفات خاصة تميزه عن بقية الشعوب ولو كانت من نسل واحد . على ان تلك الصفات ليست الا صفات خارجية لاتدل دلالة صريحة على وجود حدود فاصلة بين الهيئات الوطنية لان في كل شعب ولا سيما في النسل الابيض أفرادا كبارا وصغارا وشعرا أشقر وأسود وعيوناً زرقاً وسودا ومزاجا باردا وحارا. واذا تغلبت بعض الصفات في شعب والبعض الآخر في شعب آخر فالعلامات الجسمية والعقلية تقرب أن تكون واحدة وليس فيها من الصفات الخصوصية مايمتاز بها شخص عن آخر وتعرف بها جنسيته كما يعرف النسل الاسود بالجلد الاسود والشعر الاجعد وهيئة القحف والوجه

فهذه الصفات التي يعلقون عليها أهمية كبرى ليست بيولوجية لتحدث تغييراً في ذاتية الانسان، ولا جوهرية لتضع حدوداً فاصلة بين الجنسيات، لانها تكتسب بالتعليم والتهذيب والتدريب وتزول بعد البلوغ وفي ظروف معلومة. تدلنا على ذلك أحوال الولد الذي ينقل طفلا من قومه وينمو ويعيش في وسط آخر بعيد عن أهله فانه يكتسب صفات ذلك الشعب الغريب ولا يظهر فيه أثر من صفات قومه لان تلك الصفات أعراض قابلة الزوال حتى لقد يخسر البالغ صفات قومه ويكتسب صفات قوم يخالطهم كما اكتسب البرامكة صفات العرب وضرب المثل ببلاغة توافيهم ، وكما ان الايوبيين وهم أكراد صاروا أشد نعرة للعرب من العرب أنفسهم، وكان منهم شعراء وعلماء وأجازوا الشعراء ووقف منهم على أبوابهم مالم يقف على أبواب غيرهم من ملوك العرب . والسموأل وابن سهل يهوديان وهما شاعران عربيان تتدفق الروح العربية من أنفاسهما . والامثلة على ذلك كثيرة يروى منها عند كل الامم فقد قام كتبة المانيون من أصل فرنساوي تفتخر بهم المانيا وقام المانيون في فرنسا وايطاليون في انكلترا وقس عليه . فالرابطة الدموية اذاً ليست شرطاً جوهرياً لتحديد الجنسية فالهيغونوت (وهم البروتستانت الفرنساويون الذين هربوا من الاضطهاد) الذين هاجروا الى براندبورج أصبحوا من أفضل الالمان، والهولانديون في امستردام الجديدة صاروا أميركيين لاغبار على وطنيتهم .أي ان الحرب والمهاجرات الكبرى والاسفار مزجت الناس بعضهم ببعض حتى لم يبق فارق يفرق العناصر القومية بعضها من بعض عدا عن ان التشريع لا يعير القرابة الدموية أقل أهمية ، لأنه يسهل للغرباء ان يتجنسوا بجنسية المملكة أي يصيروا وطنيين لهم ما لاهل الوطن من الحقوق وعليهم ما على

مواطنيهم من الواجبات. فالانثروبولوجيا ليست أساساً للجنسية وكل مايقال فيها واهن من هذه الجهة وغير ثابت

وقد حاولوا أن يجعلوا أساس الوطنية الاشتراك في المنافع والمرافق وقالوا: ان مايجعل الناس أعضاء أمة واحدة هو الماضي المشترك والمستقبل المشترك وكونهم تحت سلطة واحدة وخضوعهم لشرائع واحدة واشتراكهم في الافراح والاتراح. الا أن ذلك نظرية سفسطية تصح قولا ولا تثبت فعلا لان الروماني في غاليسيا لا يشعر على الاطلاق بكونه بولونيا مع ان الرومان والبولونيين اشتركوا في الشرائع والنظامات السياسية منذ اكثر من الف سنة. والفيلاندي يعتبر جنسيته غير جنسية السويدي رغماً عن انهما يؤلفان شعبا واحدا ويسيران على سياسة واحدة منذ اكثر من الف سنة أيضا. لاريب في أن الشرائع والنظامات واتفاق العادات والاخلاق وارتباط الاعمال تقرب العناصر بعضها من بعض وتولد فيها شعورا بالتضامن، الا أنها لا تنزع جنسية من صدور قوم ولا تخلق أخرى في قوم آخرين

كل ذلك فن احتيالي تضرب به الحقيقة عرض الحائط. فالجنسية لا تعرف من صفات الفرد الا ماندر والشرائع والنظامات لاتحدد الجنسية حدا صحيحاً فاصلا بالرغم عما لها من التأثير في الاخلاق. بل مايحددها هو اللغة لان بها وحدها يصبح الانسان عضواً من شعب خاص وبها يتولد فكره وشعوره وبها يقتبس منهج الشعب الذي كونها وأنماها ووضع فيها أسرار عقله ونفث فيها نسمات روحه وكساها بادق خصوصياته العالية. وبها يصبح ابنا ووارثاً لكل المفكرين والشعراء ولكل النبغاء وقواد الشعب، وبها يشابه قومه فكرا وعملا لانها تستهوي الافراد بتاريخها وآدابها. وهي بالحقيقة الانسان كله لانها سلك الايصال للمدركات الخارجية والآلة الجوهرية التي تساعد على العمل في العالم الخارجي. فمن بين الملايين يقوم مفكر واحد يفكر في قومه فيكتب لهم لاصلاح مجتمعهم فيأخذ الملايين عنه ما أنتجته قريحته الذكية وينالون باللغة ما لا ينالونه بأية آلة أو واسطة أخرى، فاللغة هي أقوى رابطة تربط الناس بعضهم ببعض لان أخوين لا يتكلمان لغة واحدة يكونان بعيدين أحدهما عن الآخر أكثر من غريبين يتعارفان ويتبادران السلام بلغة واحدة

كنت وبعض الزملاء في الاستانة وكنا نختلف الى بعض الأندية ونتكلم بلغتنا العربية فابتدرنا شيخ يناهز الستين تتقاذفه عوامل الفرح واليأس والقنوط والامل والحب والبغض قال بالحرف « ياشقاوتي هنا أبناء وطني يتكلمون العربية وأنا أموت

حسرة في الاستانة » قلنا: ومن أين الشيخ؟ قال: من بغداد، قلنا: وأين سورية من بغداد؟ قال: تجمعنا اللغة

وقعت بين الانكليز والاميركان حروب طاحنة وحصلت مشاكل شتى زادت شقة البعد بين الشعبين، ولكنهما تجاه غير الانكليزي واحد، ويشعران بانفسهما انهما أبناء بريطانيا العظمى

لما قامت الحرب بين الانكليز والبوير خفق قلب الهولانديين وتفتت ألماً رغما عن انقطاع العلاقة السياسية بين هولاندا والكاب منذ نحو قرن. وفي حرب ١٨٧ تشيع أهل سويسرا وبلجيكا للفرنساويين وحنوا اليهم بكل جوارحهم رغماً عما بينهم وبين الفرنساويين من الفرق العظيم في الشرائع والاخلاق والجنسية السياسية والتذكارات التاريخية وفي حرب الشلسويك هولشتين فزع النروجيون للدنمارك وتطوع بعضهم لمساعدتهم مع انهم يكرهونهم ويقبحونهم وقد تحرروا من سلطتهم بعد حروب طويلة ولا شيء يربطهم بهم سوى اللغة الا ان هذا اللاشيء هو كل شيء

رقي اللغة عنوان رقي الامة وانحطاط اللغة دليل على انحطاط الامة لانها تتخذ أهمية اذا استخدمتها الامة آلة لنهوضها ورقيها وتقل أهميتها اذا كانت الامة منحطة ومستعبدة للفئة الصغرى منها المستبدة بأحكامها. لان في مثل هذه الحال لاتحتاج اليها الهيئة الحاكمة لانها لاتتنازل الى مخاطبة الافراد ولا يحتاج اليها الافراد أيضاً لانه لايحق لهم ان يفرغوا مافي قلوبهم في قالب من الكلام الحسن ولا يبقى منها الا مايلزم القرويين للتفاهم أو للهذر والمزاح أو للتأوه والتحسر والشتم. وقانون الاستبداد يقضي باظلام البصائر فيحب الظلام ويقبح النور ويسد سبل التهذيب ويقفل أبواب المدارس ويجعل السوط قاموس اللغة ومتنها وكل علومها وآدابها. والشريف في الامة لايرى مايدعوه الى التعلم لان حقوقه يؤيدها شرف الولادة فهو سيد بدون أن يفتح فماً أو أن يغمس قلما في دواة

فالجنسية في هذه الحالة واطئة لان علامتها الرئيسية واطئة. الا ان الاحوال تغيرت في هذه الايام حتى في روسيا وتركيا وأصبح لكل فرد من أفراد الرعية حق الدفاع عن نفسه وأن يعلو فوق الحد الذي وضعته فيه أحوال ولادته. وفتحت أبواب التعليم وانتشرت الجرائد، وأعطيت حرية الخطابة فاتسع نطاق اللغة ورقت حواشيها وسمت آدابها، وأمعن فيها الكبير والصغير والغني والفقير حتى الملوك أنفسهم، اذ علموا ان لابد لهم من سهولة الكلام في كثير من الاحوال، وأصبح كل عقبة تقف في سبيل

استعمال اللغة الخاصة بالامة أو كل ضغط يوجب استعمال لغة أجنبية عاراً وعنفاً لايحتملان.

ومن كانت جنسيته الصغرى في البلاد التي يتوطنها وكانت لغته غير اللغة الرسمية وحُظر عليه استعمال لغته وأجبر على استعمال لغة أجنبية فانه يشعر بألم لايعرفه الا من مرّ بهذه الشقة وعانى مشقاتها لانه يكون كعبد من عبيد القرون الوسطى أو كمجرم محكوم عليه بالنفي . وما من أحد في الكون يرضى بحرمانه من أهم قوة في الحياة بها يبث شعائره ويعبر عن أفكاره . وما الحرمان من ألقاب الشرف بشيء بالنسبة الى الحرمان من اللغة الخاصة . وتقييد الارجل بالقيود ليس بشيء بالنسبة الى تقييد اللسان الذي به تحبس قوى العقل في قفص يمنعها من الظهور والانتشار ويشل حركتها ويقتلها في المحيط المفسد بسياسة الظلم . فنكران اللغة نكران للانانية لايرضى به إلا من سفلت طباعه وتدنى الى أن ينحني ويعفر وجهه بالتراب امام الهيئة الحاكمة المستبدة ويضحي حقوقه ويدوس على أقدس عاطفة من عواطف الجنسية . على ان مثل هذا السافل أو الجبان قليل في العالم لان الاكثرية تتمسك بلغتها وتدافع عنها كما تدافع عن حياتها وتقاوم كل قوة تعمل لاذلالها . ويمكن للامة الحاكمة أن تجعل لغتها اللغة الرسمية وأن تمنع لغة الامة المحكومة من المحاكم والمدارس والكنائس والجمعيات والمعاملات ولكنها لاتستطيع أن تمنع حركة الافكار التي تهيأ لنسف بناء تلك السياسة بعد ان أصبح سجنا لامسحة عليه من الانسانية بدلا من أن يكون ملجأ لتقوية الضعيف وتخفيف آلامه

لايمكن ان تقنع انسانا ذا عقل سليم بقطع رأسه ولا تستطيع شريعة ان تقنع امة حية بترك لغتها ومظهر عقلها الخاص . وكل مملكة تحتوي على جنسيات متعددة لابد من وقوع التنافر والشقاق فيها واذا تكافأت فيها القوات تجزأت وانحلت . فما هو العلاج الشافي لذلك؟ هذه مسئلة من أعقد المسائل الاجتماعية التي حارت في حلها الافهام وهي لاتحل الا بالطرق الراهنة التي لااشكال فيها ولا تمويه

أفضل حل يرتأيه رجال السياسة هو اللامركزية بكل معانيها المتسعة وهو حل مقبول يجب التسليم به الى ان يظهر أفضل منه لانه نظري أكثر مما هو عملي، فاللامركزية قد يمكن تطبيقها والعمل بها في المملكة التي تحتوي جنسيتين متساويتين عدداً وقوة وارتقاء بحيث يستطاع التساوي والتفاهم بينهما كما في بلجيكا ، ويعسر أو يستحيل في المملكة التي تكثر فيها الجنسيات كما في النمسا التي تحتوي على أكثر من عشر جنسيات متباعدة ومتنافرة بحيث لايتألف منها مجموع مندمج في جسم المملكة ، لان التساوي

بين العناصر المتعددة يقضي باستعمال كل لغات البلاد في كل الادارات من مكتب بوسطة القرية الى الوزارة ومن غرفة قاضي الصلح الى محكمة النقض والابرام ومن اللجان البلدية الى المجالس النيابية عدا مايوجب من انشاء المدارس الابتدائية والثانوية والعالية لكل عنصر والسعي لتهذيب آداب كل لغة ومكافأة النبوغ في كل منها . وتلك مطالب لا يمكن تحقيقها والعمل بها لان ذلك تجزئة للمملكة وتفكيك للروابط التي تربط عناصرها بعضها ببعض

ولا يمكن لمملكة تكثر فيها العناصر ان تستغني عن لغة للمملكة تكون اللغة الرسمية فالعنصر الذي تكون هذه لغته يصبح سائداً والعناصر الاخرى مسودة فتتفاوت الحقوق وتمتنع المساواة لان الشريعة تطلق لسان البعض وتخرس لسان البعض الآخر وتقسم أبناء الوطن الواحد الى قسمين أحدهما وطني حميم والآخر نصف وطني

رأينا مما تقدم ان اللغة مطلب حيوي لاينال بالاتفاقات المبرقعة والعقود المعوجة، وان عقدة الاشكال فيها لاتحل الا بالطرق التي ذكرناها حلا يرضي الجنسيات على اختلافها لما ظهر لنافيها من الاشكال والتعقيد وصعوبة التطبيق . فالحل الصادق الصحيح هو القوة لان كل ماعداها لايفيد الا لتهدئة ثائر الخواطر الى أجل معلوم، لان تنازع اللغة كتنازع البقاء لابد من أن يجري مجراه وينتهي بالهزيمة أو بالموت أو بالفوز . ويجب على المطالب بهذا الحق الحيوي أن يقبل الوعود بالامتيازات وأن يرفض الاقتراحات للتسوية والتراضي، فاما لاشيء وإما كل شيء

بدا تنازع الجنسيات منذ آلاف من السنين وكمنَ في مامضى من الزمان كما تكمن النار في الحطب، وقد هبّ من سباته ليسترد القوة التي سُلبت منه لان الجنسية المسلوبة الحقوق لا تقيم على الضيم الى الابد الا اذا ضعفت حيويتها وقضى الناموس الطبيعي عليها بالموت . يغير شعب نشيط على بلاد فيفتحها عنوة ويستولي على أهلها ويستبد بأحكامها الا انه اذا لم يكن له قوة كافية يوهن بها المغلوب ولم يمحُ لغته بقي دائما في خطر من القيام عليه . واذا كان المغلوب اكثر منه عددا قد يطرده من البلاد أو ينزع السلطة منه ويرغمه على انكار جنسيته

وأما في المهاجر فتغلب القوة بطريقة لاتبعد عن طريقة الفتح لان المهاجرين اذا كانوا أقوياء وكثيرين طردوا السكان الاصليين وحلوا محلهم، والا فاما أن ينكروا جنسيتهم ويندمجوا في جنسية البلاد أو أن يرحلوا عنها ويطلبوا مهجراً يستقلون به

ويحافظون فيه على جنسيتهم

وعلى ذلك يكون أفضل حلٍّ لتنازع الجنسيات اما الادماج والاندماج واما الفصل والانفصال ، وكلاهما لا يتمان الا بالقوة. والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث

هذه هي مسئلة الجنسيات في نظر بعض علماء الاجتماع وهي الفصل الاخير من فصول المأساة التي بدأ تمثيلها منذ بدء المهاجرات أو بعدها بمدة. وكانت الفترات بين الفصول طويلة الا انها لاتطول الى الابد ، فقد أرخي الستار على المشهد الاخير ليحضر بعده مشهد من أشد المشاهد هولا تمثل فيه معارك عنيفة بين الحق والقوة وتنتهي بانتصار القوة .

لا يوجد ناموس في الدنيا (يحظر) على الكائن الحي الاحتفاظ بشروط كيانه ، ولم يوجد في الدنيا من قال للاسد وهو يفترس خروفاً : تخل عن هذا الخروف . لان الاسد يقبض على الخروف بدافع يدفعه الى ذلك وهذا الدافع هو الحق الذي يخوله افتراسه . على ان للخروف أيضاً حقاً بان يقتل الاسد اذا استطاع الى ذلك سبيلا . فالحق والقوة يجتمعان في حالة الدفاع عن الحياة أو في ما كان باهميتها . والشريعة المدنية نفسها تخوّل الانسان حق الدفاع عن نفسه أي تجيز له في بعض الظروف ان يدافع عن حقه بالقوة . والحرب ليست الا دفاعاً بالقوة عن حق للامة . يرى شعب أن شيئا يلزم لحياته أو لكمالياته فيمد يده الى ذلك الشيء ويكون حقه به كحق الاسد بالخروف وصاحب ذلك الشيء يمنعهُ من اخذهِ اي يستعمل القوة للدفاع عن حقهِ وليس للمغلوب منهما ان يشكو بل عليهِ ان يستعد لاستئناف القتال في المستقبل . واذا غُلب ايضا وحكم عليه بالانكسار الى الابد وجب ان يرضى بما حكمت عليه الطبيعة وان يعلم انهُ خروف وليس اسداً فيطبق احوالهُ الحيوية على احوال الخروف لانه لايستطيع ان يحارب الطبيعة التي لم تلدهُ اسداً

للامة التي تسلب لغتها منها حق شرعي بالدفاع عن اثمن ملك لها واذا لم يكن لها قوة كافية للاحتفاظ بهذا الملك سقط حقها به . وللامة السائدة حق بالاحتفاظ بشرف لغتها ويمنع كل امتياز يضرّ بها او يضعف اهميتها واذا لم تستطع ان تؤيد حقها هذا بالقوة وجب ان تذعن لمطالب الامة المسودة فتساويها بحقوقها وتتنازل عن سلطتها المطلقة وتحتفظ بما يستطاع من السيادة ، لانها اذا كانت شرطاً لازماً لحياتها اصبح زوالها قاضياً عليها بالموت لا محالة

لايتوهمن احد اني ارمي في هذا البحث الى غاية مخصوصة او ان اعني فيهِ امة مخصوصة اذ لاغرض لي بالسياسة ووجهتي فيه الوجهة العلمية الاجتماعية فألمّ بالمسئلة من كل اطرافها واطلقهُ على كل الجنسيات المختلطة على الالمان في النمسا وبوهيميا وعلى الدنماركيين في الشلسويك الشمالية والبولونيين في بوزن والرومانيين في ترانسلفانيا والطليان في الترانتين ولا استثني العرب في تركيا. فالخمسة الملايين من المجر لهم الحق ان يحوّلوا الى مجر الاحد عشر مليونا المغايرين لهم الذين في هنكاريا وكأنهم بذلك يستمرون على العمل لاستقرار الفتح الذي بدأ سنة ٨٨٤ . الا ان الالمان والسلاف والرومان الذين في هنكاريا لهم الحق ايضاً بان يدافعوا عن انفسهم فاذا فازوا على المجر ونزعوا منهم جنسيتهم سقط حق المجر وقضي عليهم ان يرضخوا لما قدر لهم منذ اكثر من الف سنة . والتشك لهم حق بان يطلبوا مملكة لانفسهم يتحررون فيها من الالمان وكأنهم بذلك يستأنفون المعارك القديمة التي جرت بينهم وبين الالمان في المارش والجبال البيضاء . وللالمان حق ايضا بان يقاوموا بالقوة قوة اكبر وان يشهروا حربا ثالثة تكون الفاصلة بعد الحربين التاريخيتين السابقتين فيبرهنوا للتشك نهائيا انهم ليسوا اكفاء لمقاومة الفاتحين الذين دخلوا البلاد منذ اثني عشر قرنا ولم يقاومهم فيها احد

بقيت لي الكلمة الاخيرة عن تركيا وهي البلاد التي تهمنا اكثر من سواها لانها الوطن الذي نحنُّ اليه ونحافظ على وحدته وكيانه فاقول: ان انفصال بعض الجنسيات عن تركيا في الحرب الاخيرة قد يكون في مصلحتها ومنفعتها لانها كانت سوساً ينخر في جسم المملكة . وبقي فيها جنسيتان كبيرتان متكافئتان هما الترك والعرب وما عداهما فجنسيات صغيرة ليس لاحداها أو لمجموعها من القوة مايخشى منه على نزع السيادة من الأمة السائدة ويقدر لها اما الرضوخ للقوة واما الاندماج في احدى الجنسيتين الكبيرتين . فاذا اذعن الاتراك لمطالب العرب وساووهم بانفسهم واشركوهم في الاحكام والادارات اشتد ساعدهم وصلح حالهم وقوي ملكهم والا كان القول الفصل للقوة وانتهى بها الاشكال على احد امرين اما الاذعان واما الانفصال . وسيبرهن المستقبل صحة هذه النظرية ان لم يكن عاجلا فآجلا ، تلك سنة الكون لاتنقضها سياسة الرياء ولاتحولها عن مجراها الوعود الكاذبة والعقود المرقعة

ان مأساة الجنسية التي بدأ تمثيلها منذ الوف من السنين على مرسح العالم لابد ان تختم بمشهد تشهدهُ اوربا تمثل فيه المذابح والشرور والجرائم ويجانبها الشجاعة

والشهامة والشرف . تلك مظاهر الطمع والجشع وهذه مظاهر القوة الحيوية ، لان الفروع المنفصلة عن جذوعها تحن الى الرجوع الى اصلها فتجاهد ما استطاعت الى ذلك سبيلا، فاما ان تموت في جهادها او ان تفوز فتجتمع باصولها . ذلك جهاد عنيف تموت فيه الامم الصغيرة وتباد الفروع التي ليس لها قوة كبرى من جنسها تفزع اليها وتخلصها من نير عبوديتها، وتثبت الامم الكبرى التي لايقوى عليها منازع . وقد ينقضي القرن العشرون قبل تمثيل هذا المشهد المؤلم ومن يعش بعده يكن في امن من حفظ جنسيته والتمتع بها حيثما كان

تلك سنة الحياة العامة والقوة تكسبها الحق بالبقاء وهي سنة تحكم على الشموس في الفضاء، كما تحكم على القناعيات في الماء، اذا هلكت بها امة فلان ليس لها قوة تساعدوها على البقاء كالكائنات البيولوجية التي تهلك في ادوار النمو

(المقتطف) الدكتور امين ابو خاطر

صحيفة

﴿ التيمس الافريقية ومجلة الشرق ﴾

سيدي الاستاذ العلامة محرر « المنار »

السلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد دفعني لكتابة هذه الرسالة بشأن جريدة « التيمس الافريقية ومجلة الشرق » مقالةٌ مفيدةٌ بعنوان « خدمة المسألة المصرية في انجلترا » اطلعتُ عليها في « الاهرام » الغراء الصادرة في ٢٣ شوال الماضي .

قال حضرة كاتبها بعد ان عدّد الصفات الواجبة في الجريدة التي يمكن أن تخدم « المسألة المصرية » في انجلترا بصورة دائمة مأمونة مضمونة النفع ما يأتي : (هذه الجريدة التي أشير اليها هي صحيفة « التيمس الافريقية ومجلة الشرق » ، وهي مجلة شهرية صغيرة الحجم كبيرة الفائدة زهيدة الثمن يتسابق الى شرائها الانكليز المهتمون بالمسائل الشرقية والافريقية قبل الشرقيين والافريقيين أنفسهم ، وتديرها شركة دولية لا لغرض تجاري بل لخدمة صوالح الشعوب الملوّنة ، ولما ظهرت مقالة « الدستور المصري » في عدد اغسطس بعثت برسالة شكر الى رئيس تحريرها على اعتداله ونزاهته وأملت منه أن يوسع مافيها من باب الكلام على مصر فكتب اليّ يقول إنه لولا انّ اغراض الشركة انسانية وسياسية لاتجارية لما استحقت « المسألة المصرية » أقلّ نصيب من

عناية المجلة ، لأنه لا يوجد في الشركة فردٌ واحد مصري من حملة الاسهم ، كما انه لا يباع منها في مصر عددٌ يستحق الذكر ، ولا يوجد لها في القطر المصري الا عدد قليل من المشتركين ، وربما كان مايباع منها في مصر غالباً للانكليز أو للاوربيين المقيمين فيها ، فياللعار والخجل .... !!) اه .

قرأت هذا بين حيرة وأسف أو زادت حيرتي عند ماقرأت الكلمات الآتيـة في مقالة حضرة الكاتب المشار اليه : (.... وهذا النوع من الصحافة الذي هو قادر على خدمتنا موجود فعلا ويدعونا لادلاله أكثر من مرة على شكوانا — وقد قرأت هـذه الدعوة في عدة جرائد مصرية — ونحن لاهون صامتون كأنما لاعيون لنا ولا عقول) اه . وأظن انه لاغرابة في حيرتي ودهشتي لأني ما كنت أظن ان اقبال الوطنيين المتعلمين بمصر على هذه المجلة النفيسة التي تدافع عن صوالح مصر بغيرة وتعقل يقل عن اقبال اخوانهم في اوروبا الذين يعضدونها بكل قواهم، وما كنت أظن ان وطنيتنا لاتزال محصورة في القول دون العمل ، وان مصر التي يوجد بها عشرات الآلاف من المتعلمين العارفين باللغة الانكليزية لايتقدم منها ولو بضع مئات للاشتراك في هذه الصحيفة النافعـة التي لا يُربي اشتراكها على ٦ شلنات في السنة بما في ذلك أجرة البريد. على ان الأنكى هو أن نبخل أيضاً بنفثات أقلامنا في سبيل خدمة الامة، والا فما معنى عدم تلبية كتاب مصر المتضلعين من اللغات الاوروبية لنداء تلك المجلة الذي تكرر مراراً كثيرة على صفحات أغلب الصحف المصرية ، فان قيل : ان اخلاصها مشكوك فيه. فيكفي لدحض ذلك دعوة المجلة إيانا لدلالتها على شكاوينا بالرغم من عـدم مساعدتنا المالية لها ، ويكفي أيضاً لبطلان هـذا الزعم ان نعلم ان رئيس تحريرها هو صاحب ذلك الكتاب التاريخي السياسي المشهور « في أرض الفراعنة ـ in the Land of the Pharaohs » الذي نوّر به ذهن الرأي العام الانكليزي عن حقيقة الشؤون المصرية نخدم به مصر خدمة جليلة في وقت لم يعضده فيه مصري واحد ، وفي حين انه لو كان أنفق ذكاءه المشهود به وأوقف قلمه على نصرة الباطل وتشويه سمعة المصريين خاصة والشرقيين عامة كما جرت عادة الكتاب الاوروبيين لفاضَ عليه ذهب الاحتلاليين ولرفعوا منزلته السياسية الى أبعد مايصل اليه المتخيل. وان قيل: ان مركز الجريدة السياسي ومكانة الكتاب الذين يحررون فيها غير عالية، فلا أدل على كذب ذلك من تناقل الصحف الانكليزية المشهورة لما يكتب فيها ، ومَن مِن سادتنا الكتاب المصريين تفوق منزلتـه أمثال شارلس روشر ، وأليس

شاب . ودوجلاس سليدن . وكاتلين فريزر . واللورد لامنجتون . واللورد نيوتن والمستر أوبري هربرت . وبدون ساندز (جورج راقالوڤتش) و ج . ب فيشر . ولورد موري واستروتن . والكابتن دكسن جونسون ، وكثيرين غيرهم لاتحضرني أسماؤهم وكلهم مابين كاتب فيها أوصديق لها . ويكفي للدلالة على نفوذها أنها هي صاحبة الفضل في تكون « الجمعية العثمانية » التي وقفت الى مقاومة «الجمعية البلقانية» وتحويل أغلبية الرأي العام الانكليزي الى جانب العثمانيين بالاجتماعات السياسية العظيمة التي عقدتها وتعقدها في كل مناسبة . وبالنشرات والمقالات وعلى الاخص بترجمة كتاب بيرلوتي (نزع تركيا Turquie Agonisante) الى اللغة الانكليزية

بعدهذا البيان ياسيدي الاستاذ اسمح لي ان أتطرق للكلام على النقطة الاساسية التي حركتني لتحرير هذا الكتاب ونبهتني اليها مقالة (خدمة المسألة المصرية في انجلترا) السالفة الذكر، فاقول ان مجلة «التيمس الافريقية» ليست مجلة سياسية محضة بل لها أغراض ومرام أعلى من ذلك أهمها خدمة « السلام العام » وازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق وقتل روح التعصب الاعمى للدين أو للون . وبالاختصار هي تعمل جهدها لاحلال الوئام وحسن التفاهم بين جميع شعوب الارض . وأظن سيادتكم تعلمون أنه يوجد في انجلترا خاصة وأوروبا عامة من الآراء السخيفة عن الدين الاسلامي مايدهش له كل من يعتقد في الاوروبيين حب التحقيق والتساهل ، ولست أدري والله ماهي ذمم اولئك المؤلفين الذين نقلوا اليهم هذه المعتقدات الساقطة التي يبرأ منها الاسلام والمسلمون وأفهموهم ان العادات والخرافات القبيحة الملتصقة بالشعوب الاسلامية الحاضرة (كما التصقت من قبل بالشعوب المسيحية) بسبب الجهل - سنة الله في أرضه - هي جزء من الدين الاسلامي . وكيفما كان الباعث لاولئك الكتاب على نشر هذه الاباطيل فالحقيقة المرة ان جذورها لاتزال ثابتة حتى الآن ولم يقتلع الا شيء ضئيل منها بهمة أمثال العلامة السيد أمير علي الهندي والاستاذين الكبيرين أرنلد وبراون . على ان حزب هؤلاء الافاضل المحققين المصلحين لايزال صغيراً لايعتد به ولا تزال القوة العظمى في أيدي السير هري جونستون والمستر نويل بكستون ومن على شاكلتهم ممن لايحركهم غير التعصب الذميم وعداء مايجهلون.

والخلاصة ان كل مسلم في هذه البلاد لايجد من أهلها - وأستثني الاقلية الضئيلة التي تعرف التسامح ولا تفهم الدين فهماً معكوساً كما أستثني الافراد القليلين الذين بحثوا بأنفسهم وعرفوا مزايا الدين الاسلامي وحسناته الواضحة لكل ذي عقل سليم -

لا يجد من أهلها غير ازدراء به وترفع عنه يرجع بعضه الى التعصب للون ويرجع البعض الآخر لاحتقار دينه «البربري» ومهما حاول مناقشتهم وابلاغهم مقر الحقيقة لايرى منهم الا ابتعاداً وتفسيراً لمناقشته بانها مغالطة لايوافق عليها علماء الاسلام . وان الباعث له على تفسيره المقبول وبيانه المعقول (الذي يعتبر مغالطة) هو شعوره بسقوط دينه وايثاره الدفاع عنه بما اكتسبه من المعلومات الغربية عن الاعتراف بذلك السقوط . . . . !!

ومن هذا ترى ياسيدي المفضال انه لم تبق وسيلة لتبديل هذا الحال العجيب الا بتسابق علماء الاسلام المستوطنين في البلاد الشرقية - وسيادتكم في مقدمتهم - الى دحض هذه المفتريات في الصحف الأوروبية ذاتها ، ولا أنسب من جريدة (التيمس الافريقية ومجلة الشرق) لعل من ذلك مايكفي لاخراس ألسنة الافاكين، ورفع رؤوس جميع المسلمين المقيمين في أوربا الذين لايقبل دفاعهم عن دينهم (بحجة انهم انما يكتبون متأثرين بالمدنية المسيحية !!) .

وليس غرضي أن أشير بفتح باب مناقشة دينية عنيفة ومجادلة خصوم الدين الاسلامي بشكل منفر كالذي اعتاده أغلبهم لأنه بغض النظر عن قلة الحذق في ذلك فالمجلة المشار اليها التي غرضها الاساسي التوفيق لا التفريق وخدمة الحقيقة بوجه عام لايمكن أن ترحب بكتابة على تلك الصورة ، ولكنها ترحب (على مايظهر لي مما نشر من قبل فيها) بكل كتابة أساسها التساهل والتحقيق وحب التوفيق ، ولا شك ان هذا المبدأ مما يرتاح اليه أئمة الاسلام الذين نحتاج الى بياناتهم النزيهة لتنوير الرأي العام الاوروبي في كثير من المسائل التي شوهت لديه ، وأخص بالذكر « مسألة المرأة المسلمة » فان الفكرة السائدة هنا هي ان المرأة المسلمة لاحقوق لها ، تباع وتشرى كبيع السلع ، ومقيدة بكثير من الاغلال والقيود التي لايمكن أن تتفق مع الحضارة الصحيحة ومبادئ الانسانية

هذا ويحسن ان أذكر هنا ماقرأته في « التيمس الافريقية » من أنها مستعدة لقبول كل مايكتب في صالح مبادئها بأية لغة أوربية وان لم ترجمها بنقله الى الانكليزية، ولا أظن أن من العسير على العلماء المسلمين أن يوفقوا بين اصدقائهم العارفين باللغات الاوربية الى ايجاد من يتبرع لهم بترجمة آرائهم الى الفرنسية أو الالمانية أو غيرها ان لم يجدوا من يقدر على ترجمتها مباشرة الى الانكليزية ، وحبذا لو بعث كل عالم منهم بصورته الشمسية الى المجلة المذكورة لتنشر بجانب مقاله لعل في هذا مايدحض الرأي الشائع هنا عن ان الدين الاسلامي يحرم التصوير الشمسي ......!!

واخيراً أؤمل ان يكون من رسالتي هذه محرك للهمم ، لانه اذا كان من السخافة أن تنام عن استنباط الوسائل التي نصون بها كرامتنا وندفع بها مهاجمة عدو ، فمن الجنون أن نتعامى عن تلك الوسائل اذا هي وجدت فعلا وكانت متهافتة علينا ، وليس مما يشرّفنا أن نقرن بخلنا المالي في سبيل المصلحة العامة بخلنا القولي أيضاً ، ولنتخذ لنا من نهضة الامم البلقانية والوسائل التي اعتمدت عليها في سبيل ذلك عبرة نعتبر بها — فانه لولا استئجار تلك الحكومات لكثير من الصحف الاوربية وتصويرها العثمانيين بصورة المتوحشين — ولولا ضربها على النغمة القديمة في تمثيل الدين الاسلامي دينا « بربرياً » مريعاً لايستحق أنصاره الا الفناء لأنهم أهل مفسدة — لولا ذلك لما استطاعت جذب اغلب الاوروبيين الى صفها ، الذين لم ينتبهوا لحقيقة الحالة الا بعد ضياع الفرصة ، ومعاذ الله ان أشير على المسلمين أو العثمانيين بالتشبه بالبلقانيين في تشويه الحقائق ، ولكني أطالبهم بعدم الاستمرار على التواني في الدفاع عن صالحنا وخدمة الحق الذي يشهد الله أنا في جانبه ، وإطلاع الاوروبيين على حقيقة الواقع لدينا وصدق شؤوننا التي يعمل أهل الاغراض ليل نهار على تشويهها .

وأختم كتابي بذكر عنوان المجلة المشار اليها ليرجع اليه كل غيور تدفعه غيرته للمساعدة المالية أو الأدبية ، هذا مع العلم بأن مركز « الجمعية العثمانية — The Ottoman Committee » الرئيسي هو في ادارتها ، وهذا هو نص العنوان :—

The African Times & Orient Review
158, Fleet Street, LONDON, E. C.

برنجهام « عماد الدين »

*

(المنار) نشكر للكاتب الغيور نصحه وارشاده ، ونتمنى لو يقبل قراء الانكليزية من اخواننا المصريين على الاشتراك في هذه الصحيفة التي طالما تمنى عقلاؤهم أن يكون لهم مثلها في وطنهم ، وهي في لندن أنفع منها في مصر ، ونتمنى لو يوافيها أهل العلم الصحيح بالمقالات التي تبين للاوربيين حقيقة ديننا ومظالمنا ، فان أهل الفضيلة والاستقلال النفسي والانصاف وحب العدل لا يحصى عددهم في أوربة فاذا عرفوا حقيقة حالنا كانوا قوة لنا لا نستطيع تكوين مثلها في بلادنا . وانما كان ولا يزال يغش هؤلاء الفضلاء رجال السياسة ودعاة الدين (المبشرون) وكلا الفريقين يستحل الكذب والبهتان وقلب الحقائق لان رياسته ومجده ورزقه تتوقف على رواج هذه التجارة فمن يقيس جميع الأوربيين على مايري ويسمع من تعصب هذين الفريقين فهو مخطئ ضال

مصاب مصر والصحافة العربية الاسلامية

« بالشيخ علي يوسف رحمه الله تعالى »

في صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من هذا الشهر (ذي القعدة الحرام — اكتوبر) فجعت مصر بأكبر سياسي فيها ، وأشهر كاتب من كتاب صحفها ، النابغة العصامي الكبير ، صديقنا الشيخ علي يوسف منشئ جريدة المؤيد اشهر الجرائد الاسلامية في العالم واعلاها قيمة ، وشيخ السادات الوفائية بمصر ، فاهتز القطر المصري لوفاته ، واضطرب اضطرابا ظهر أثره في جمهور العقلاء والمفكرين ، وشعر بأنه فقد ركنا من أركان حياته السياسية والاجتماعية يعز أن يرى له خلفا ، أو يجد عنه عوضا ، واعترف الموافق للفقيد في سياسته والمخالف له فيها بأن مصاب مصر فيه كبير ، وأن الفراغ الذي حدث بفقده واسع يعز ان يوجد من يملؤه . وسيشارك القطر المصري في مصابه سائر الاقطار الاسلامية ، ولا سيما العربية

حسب الرجل نبوغا وفضلا أن يوصف في قومه ببعض أسماء التفضيل ، ويكون وصفه بها حقا لامراء فيه ، وفي مصر كثير من الكتاب والمشتغلين بالسياسة ، ولا خلاف بين العارفين المنصفين في كون الفقيد أوسعهم في الشؤون المصرية خبرة ، واسدهم رأيا ، وامضاهم عزما ، واكتبهم قلما . وانك لتجد العقلاء المفكرين يجيلون الآن قداح الفكر ، ويراجع بعضهم بعضا الرأي ، ويتساءلون بينهم : من يخلف عليا في سياسته المصرية الاسلامية ؟ فلا يكون الجواب الا : يجب التفكر والبحث .

كيف نبغ هذا الرجل في مصر بين ألوف ممن نالوا مالم ينله من شهادات المدارس الدينية والمدنية ، ونشؤا في بيوت أكبر من بيته جاها واكثر مالا ؟

نفس عصام سوّدت عصاما   وعلمته الكرّ والاقداما

ان المدارس لا تعطي أبناءها نبوغا ، ولكنها تعطيهم آلات للعمل وسلاحا للجهاد ، أو تدلهم على ذلك . وما كل من وجد الآلة يحسن العمل ، ولا كل من يحمل السيف والقنا ، يصيب بهما مقاتل العدى . وبيوت الجاه والمال ، لا تستطيع ان تكوّن عظماء الرجال ، وانما ينبغ النابغون باستعدادهم الذاتي وصفاتهم النفسية ، وقد أودع الله في فطرة فقيدنا حظا عظيما من هذه الصفات والسجايا ، أعلاها قوة الارادة وصحة العزيمة ، والاقدام مع الروّية ، والثبات والصبر ، والبصيرة في العواقب ، وحب معالي الامور واحتقار سفسافها ،

وقد دفعه استعداده للظهور الى التطفل على الصحافة من غير استعداد لها بتعليم معلم، أو تربية مرب، فأقدم غير هياب ولا وكل، وعلم نفسه الكتابة بالتمرن والعمل، حتى صار طفيلي الكتابة هو صاحب مائدتها الكبرى في وطنه، وما تلك المائدة الا (المؤيد) ويالها من مائدة كان يفضلها على غيرها أكبر كتاب العصر، فيرغبون ان يكونوا طهاة يهيئون لها الطعام الطيب تارة، وضيوفاً يأكلون ماطاب لهم مما يطبخه صاحبها أو يختاره من طيبات غيره. وان شئت قلت: كان المؤيد مدرسة جامعة عليا يلقي فيها أكبر علماء المسلمين وكتابهم الدروس العالية في العلم والدين والسياسة والاقتصاد والادارة وسائر المعارف الاجتماعية ، فكان من أساتذتها وأعوانها الاستاذ الامام والشيخ عبد الكريم سلمان وأمين باشا فكري وحسن باشا عاصم وسعد باشا زغلول وقاسم بك أمين وعلي بك فخري والمويلحي والهلباوي وغيرهم من الكتاب والمفكرين ، وكان أكبر أنصارها ومروجيها وزير مصر العظيم مصطفى رياض باشا . وناهيك بمن كانوا يتعاهدونها برسائلهم من سائر الاقطار الاسلامية. وأما الذين تربوا فيها، وتعلموا الكتابة او السياسة بارشاد فقيدنا اليوم، فكثيرون جداً ، ومن أشهرهم مصطفى باشا كامل ومحمد أفندي مسعود وحافظ بك عوض

مولده ونشأته ومؤيده

ولد الفقيد في بلدة صغيرة تسمى (بلصفورة) في مديرية جرجا سنة ١٢٨٠ وبعد تعلم مبادئ القراءة والكتابة مال الى طلب العلم فابتدأ بالطلب على شيخ من شيوخ العلم والتصوف في (بني عدي) كان له عناية بتربية أخلاق تلاميذه قلما يلتفت الى مثلها أمثاله في هذا الزمان . ثم في سنة ١٢٩٩ جاء الازهر للمجاورة فيه فأقام فيه ثلاث سنين أو أربعا يشتغل كما يحب ، وعني من نفسه بالادب ونظم الشعر، وفي السنة الخامسة مل الطلب ، وجنحت نفسه لما هي مستعدة له من العمل ، فأنشأ (مجلة الآداب) بالاشتراك مع الشيخ أحمد الماضي، ثم استبدلا جريدة المؤيد بمجلة الآداب سنة ١٣٠٧ ثم استقل الفقيد بها بعد ذلك . فرباها بعزمه وحزمه وثباته وذكائه ، وربته بما أدخلته فيه من الحوادث السياسية والمدنية ، وما جعلت له من الصلة بكبار رجال الحكومة وسمو الأمير والتعاون مع كبار الكتاب والمفكرين. فلولا صبر الشيخ علي وثباته وفطنته لما قوي المؤيد على ما لقيه من المقاومة وتحامل الاحتلال والاجانب وناهيك بنفوذهم في مصر ، ولولا المؤيد لما كان الشيخ علي ذلك السياسي المحنك والكاتب القدير، فانه لم يتعلم الكتابة والسياسة في بني عدي ولا في الازهر، وما ثم من كتابة ولا سياسة . فظهر بهذا ان الرجل قد نبغ باخلاقه وسجاياه التي

دفعته الى الاقدام على العمل ، وأقدرته على مصارعة الحوادث، ومقارعة الكوارث، حتى صار أشهر رجال السياسة في قومه ، وأقدر كتابها في وطنه، وعرف اسمه الشرق والغرب ، فتقدم الى الامام، وتخلف أصحاب الشهادات العالية في العلوم القديمة والحديثة فصاروا وراءه في هذا الميدان . فبهذا يعلم القارئ ان الرجل دخل في عالم العمل وهو لا يحمل من آلاته الصناعية والفنية شيئا يذكر ، ولم يمنعه ذلك ان يبذ حاملي أحدث الآلات الصناعية والفنية ، وانه خاض معامع الجلاد في الجدال وهو أعزل ، فجدّل فرسانها المدججين بامضى أسلحتها الحديثة * هذا وما ... فكيف لو ... *

كانت الصحافة المصرية قبل المؤيد وقفاً على السوريين المسيحيين. والسوري من أقدر الناس على الاصطباغ بصبغة الوطن الذي يهاجر اليه، وعلى خدمته للعلم والادب والسياسة فيه كما يخدم في وطنه . فاذا هاجر الى أوربة يقدر ان يكون أوربياً ، واذا هاجر الى أمريكة يقدر ان يكون أمريكياً ، فاجدر به ان يكون مصريا في مصر التي يصح ان تسمى وطناً أصلياً له ، لانه يشارك أهلها في اللغة وأكثر العادات ، لقرب الجوار وكثرة الاختلاط ، وناهيك بهما وبمكانتهما من مقومات الامم وروابط الجنسيات ، لهذا كانت خدمة أكثر السوريين الذين اشتغلوا بالصحافة مرضية عند المصريين، ولولا ذلك لما نجحوا وعاشوا هذه العيشة الراضية ، وصار بعضهم صاحب ثروة واسعة . بل أقول ان أكثر الصحف السورية ومديريها ومحرريها قد صادفوا في مصر قبولا ومساعدة من جمهور الامة وهم المسلمون ، وما نجح من نجح منهم الا بمساعدة الامة برضاها واختيارها ، اللهم الا المقطم فانه أنشئ مشايعاً للاحتلال الانكليزي ، فكره ذلك منه المسلمون فكان نجاحه بنفوذ الاحتلال والحكومة المصرية ، مع قدرة أصحابه وبراعتهم، وسعة علمهم واختبارهم وما شعر المسلمون بشدة حاجتهم الى جريدة وطنية اسلامية الا بعد ظهور المقطم بهذه السياسة وان كانت مصبوغة بصبغة وطنية ، تحاول اقناع المصريين بأن كل ما ترمي اليه هو الموافق لمصلحة مصر في هذا العهد أو الطور الذي دخلت فيه . واذا جاز اقناع بعض الناس بان هذا صواب في الجملة ، فلا يمكن إقناعهم بأن كل ما يحاول الانكليز عمله في مصر إما موافق لمصلحة المصريين، أو يجب سكوتهم عليه وان لم يكن موافقا لمصلحتهم ، وهو ما كانت تدور عليه سياسة المقطم

ظهور المقطم في وقته كان طبيعيا ، وظهور المؤيد وقيامه بمعارضته كان ضروريا، وقد كانت جريدة الاهرام معارضة للمقطم في سياسته الاحتلالية ، ولكن ذلك لم يكن مغنيا للمصريين المسلمين عن انشاء جريدة تشعر بشعور الامة وهي اسلامية، وتعبر عن

رأيها ووجدانها من كل وجه ، ومهما صدقت وطنية المخالف للامة في دينها ، وأخلص في خدمتها ، فانه لا يمكنه ان يشعر بشعورها ، ويدرك كنه مصالحها ويغار عليها كغيرتها ، فكيف اذا كان مبلغ صدقه لها لا يعدو صدق الصانع الأمين الذي يجيد الصنعة على قدر الاجرة !

هذا وان للدين دخلا كبيرا في المصالح السياسية والوطنية لا ينكره الا جاهل أو مكابر ، فها نحن أولاء نرى طائفة القبط كانت وما زالت اشد معارضة للمسلمين في منازعهم السياسية والمصالح والمنافع المصرية من الاجانب أنفسهم ، بل نرى مثل هذا في أرقى البلاد مدنية ، فان طائفة البروتستانت في (أرلندة) غير راضية بالاستقلال الذي رضيته الحكومة الانكليزية لوطنها لان أكثر أهله من طائفة الكاثوليك ، وكلهم نصارى !

إذن ، كان من أكبر تقصير مسلمي مصر واهمالهم وتوكلهم أن لا يكون لهم جريدة اسلامية سياسية ، أو عدة جرائد اسلامية سياسية وغير سياسية ، وقد كان فقيدنا اليوم هو الذي أزال هذا النقص ، والفضل الاكبر فيه له . ومما ينتقد على القطر كله انه لم يستطع ايجاد شقيقة أخرى للمؤيد ، بل مرض المؤيد بما أصاب مؤسسه من الامراض الجسدية والنكبات المالية ، وخيف عليه السقوط على قوة اساسه ، ونور نبراسه ، ولم تظهر الكفاءة من أحد لانشاء مثله ، واسست له شركة فلم تستطع الاضطلاع بأمره ، وانما كان أعضاء شركته كغيرهم يرجون ان يعود الى ما كان عليه بعودة الصحة الى مؤسسه ، فلما وقع قضاء الله تعالى شعروا وشعر جميع أهل الرأي والغيرة بوجوب العناية به ، كما يليق بمكانته وأفقه ، وهذا هو موضوع حديثهم وهمهم اليوم

لا يمكن ان تحل محل المؤيد جريدة أصحابها وكتابها من غير المسلمين ، ولا من المسلمين المتفرنجين ، بل لابد ان يكون الروح المدبر لمثل هذه الجريدة كروح من فقدنا اليوم — اسلامي قبل كل شيء — بأن تكون تربيته اسلامية وعنده من المعارف الاسلامية والوقوف على حال العصر ما يعرف به كيف يحافظ على مصالح امته الملية ، من غير إخلال بالحقوق العامة والمنافع الوطنية ، ليعرف كيف يدير السفينة في مهاب العواصف الاجتماعية والسياسية التي تمس الدين ومصالح أهله ، كالعاصفة التي هبت منذ بضع عشرة سنة على المحاكم الشرعية بسعي بطرس باشا غالي فكادت تقوض بناءها المعنوي ، وكعاصفة القبط التي أرادوا بها ان يأتوا على آخر ما بقي للمسلمين من شيء في حكومة هذه البلاد ، حتى شعائر الجمعة والاعياد ، وكعاصفة متفرنجي المسلمين الذين يدعون الى فرنجة النساء ، وهتك ما بقي من آثار العفاف والصيانة والحياء ، باسم تحرير

المرأة وتمدينها ، وترقية الامة وتعليمها ، وكالعاصفة التي اثارها بعض أهل الاهواء من المسلمين لمقاومة مشروع الدعوة والارشاد — فهل يرجى ان يدير سفينة المصلحة الاسلامية في مهاب امثال هذه العواصف مسيحي مهما كان محبا للبلاد وأهلها ، أو متفرنج جاهل بحقيقة الاسلام يصدق عليه المثل « صديق أحمق شر من عدو عاقل » ؟

الا انه قد علم المسلم وغير المسلم انه لم توجد في مصر جريدة سياسية اسلامية بحق الا جريدة المؤيد ، وان وجودها ضروري من الضروريات ، لا من الحاجيات أو التحسينيات . نعم وجدت عدة صحف للمسلمين لكنها غير اسلامية المشرب والسياسة . وقد أكثر بعضها الجعجعة باسم الاسلام والمسلمين ، وأظهرت الغلو في التشنيع على المعارضين والمخالفين ، تحاول بذلك ان تميت المؤيد وتحل محله . وانما تلك نزعات أهواء ، ومظاهر سمعة ورياء ، وكان أمثلها جريدة اللواء ، وابن اللواء من المؤيد

وابن الثريا وابن الثرى وابن معاوية من علي

ما كان اللواء الا إعلانا لوطنية صاحبه ، وشاعرا يطريه في كل عدد ، على حين تمر السنة والسنين ولا ينشر في المؤيد شيء في تعظيم صاحبه ، اللهم الا في الحوادث التي يكتب فيها شيئا يكون شديد الوقع في البلاد ؛ فيحبذه الناس بالبرقيات والرسائل ، ويرى ان في نشرها ، بيانا لرأي الجمهور في موضوعها ، ولا يصده عن النشر كونه هو الموضوع او كون الموضوع يتضمن الثناء عليه . فالفصل بين المؤيد واللواء ان المؤيد جريدة المصلحة العامة للدين والدولة ومصر وأميرها ، على قاعدة ان مصلحة مصر مرتبطة بسلطة أميرها . واما اللواء فهو — وان انشيء محاكاة للمؤيد لأن صاحبه تربى في حجر صاحب المؤيد — لم يكن الا جريدة مصطفى كامل نفسه ، فكانت تكون مع الامير تارة وعليه تارة ، وتوافق احكام الاسلام ومصلحته تارة وتخالفها تارة ، يدور ذلك كله على ذلك المحور الشخصي ، وليس هذا مقام إثبات هذه المسألة بالشواهد والبينات .

وحسبي ان أذكر الواعين بتهييج اللواء اليهود على الاستاذ الامام ، لأنه فسر ما ذمهم الله تعالى به في القرآن ، وبتشنيعه للقصاص في القتل عند دفاعه عن ضابط قتل آخر في السودان ، وقد كتب الله علينا القصاص بنص القرآن ، دع انقلابه على أمير البلاد الذي لو لا نعمه عليه لم يكن شيئا مذكورا ، وقد مات اللواء وصاحبه ومات صاحب المؤيد ايضا ، فلا هوى لأحد في ترجيح احدى الجريدتين على الأخرى ، وانما غرضنا بيان الحقيقة انصافا للتاريخ ، وتنبيها للأمة الى مزية المؤيد وفضله لتحافظ عليه ، وتذكيرا لشركة المؤيد ، ولاصحاب النفوذ في البلد ، بوجوب انتقاء رئيس

لتحريره يحفظ مزاياه كلها من حيث هو جريدة اسلامية عربية مصرية .
(وسنتكلم على سياسة الفقيد وسائر مايري فيه العبرة من سيرته فيما يأتي ان شاء الله تعالى)

الازهر ودعاة النصرانية

قد اشتدت في هذا العام حملة دعاة النصرانية بمصر (وكذا في غيرها) على الاسلام وتحدت جمعياتهم على ذلك . وهم يبذلون جهدهم هنا في اغواء بعض مجاوري الازهر الذين فتنوا بالاختلاف الى جمعياتهم التي يدعون فيها الى دينهم ويطعنون فيها في الاسلام . ونحن نعلم ان المجاور في الازهر قد يقيم فيه بضع سنين لا يتلقى كتابا من كتب العقائد ، وان كثيرا منهم لا يفهمون ما يتلقونه منها فهما صحيحا، وان الذين يفهمون هذه الكتب المتداولة كشروح السنوسية والجوهرة والنسفية وحواشيها لا يستفيدون منها علما يدفعون به شبهات دعاة النصرانية ومطاعنهم في الاسلام، لأن مسائل هذه الكتب محدودة لاغناء فيها . وهي تتلقى بالتقليد ، ومن اظهر الاشتباه في شيء منها ينبز بلقب الاعتزال أو الابتداع او الكفر .

ألا فليتذكر المجلس الأعلى للأزهر ومجلس ادارته أن هؤلاء المجاورين في بلاد اطلقت فيها حرية الطعن في الاديان ، وانه يطبع فيها كل سنة ألوف كثيرة من الكتب في الطعن في القرآن، والنبي عليه الصلاة والسلام ، وأن بلادا كهذه يجب ان تعلم فيها العقائد وعلم الكلام، على طريقة الاستقلال والاستدلال، الموافقة لحاجة الزمان والمكان، وان السنوسية والنسفية والدوانية لاغناء فيها الآن ، وان هذه الفوضى في الأزهر مع هذا الضعف في تعليم أصول العقائد والدفاع عنها ستفضي الى الخزي والعار بافتتان بعض المجاورين الجاهلين وتنصرهم ، فانه اذا تنصر بعض مجاوري الأزهر يتخذ ذلك دعاة النصرانية حجة على عجز اكبر معاهد العلم الاسلامي في الارض عن إثبات الاسلام وإبطال شبهات النصرانية

فاقترح على المجلس الأعلى للأزهر أمرين يجب عليه المبادرة اليهما (احدهما) تغيير طريقة تدريس العقائد وعلم الكلام وجعلها على الوجه الذي فهم من سابق كلامنا هنا وهوما بيناه في الفصل الملحق بنظام دار الدعوة والارشاد (ثانيهما) حصر طلاب الازهر بنظام جديد، يجعل فيه لكل مئة منهم نقيب، ولكل عشرة من المئة عريف، ليسهل معرفة سيرتهم واحوالهم عند مشايخ الأروقة ومجلس الادارة . ثم يجعل غشيانهم محافل دعاة النصرانية مشروطا باذن من مجلس الادارة او من رئيس لجنة خاصة

تعين للنظر في ذلك . وهي لا تأذن لأحد منهم الا بعد العلم بغرضه من الذهاب، و بكنه استعداده في هذا الامر ، وما يجب ان يزود به من الوصية ، و يشترط عليه بعد العودة ما كان من تأثير ماسمعه ورآه في نفسه ، ويرشد من يؤذن لهم بحضور هذه المحافل الى قراءة الكتب النافعة في موضوع الخلاف بين الاسلام والنصرانية .
ومن خالف مثل هذا يمحى اسمه من دفاتر الازهر، وتعلن حقيقة حاله حتى لا يغتر بصفته أحد . وإذا قبل المجلس رأينا يستغني بهذا الاجمال عن التفصيل ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

بيان حزب اللامركزية والاصلاح في الولايات العربية

نشرنا في غير هذا الموضع بيان حزب اللامركزية الا قليلا منه أشرنا الى سبب حذفه . أما السبب الذي حمل الحزب على هذا وعلى حمل اللجان والجمعيات العربية على ارسال البرقيات الى الصدارة العظمى بطلب اللامركزية فهو مشروح في البيان . ونزيد عليه شيئا نعلمه علم اليقين عسى أن تتدبره الوزارة حق التدبر وهو :

ان بعض المتملقين للحكومة اليوم، الذين كانوا أشد تملقا للحكومة الحميدية من قبل ، مازالوا يغشون الوزارة الحاضرة وجمعية الاتحاد والترقي بتهوين أمر طلاب الاصلاح اللامركزي وتحقيرهم، وزعمهم انهم لا قيمة لهم عند الامة ولا هي ترى رأيهم ، وان الحكومة يمكنها أن تأتي هذا البنيان من القواعد بموتهم،وهم أصحاب الزعامة بزعمهم ، وما عليها الا أن تواتيهم على ما جربوا من السياسة الحميدية فتعيد فتنة الرتب والاوسمة سيرتها الاولى ، وتفتن بزخرفها وزينتها أشهر علماء المسلمين ، وبعض قرنائهم من المعارضين ، فيتحد الفريقان على المصلحين ، ويحاربون الاصلاح باسم الدين ، الذي جدل به عبد الحميد فرسان الاحرار تجديلا ، فجعلهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ،
(ولكنهم اهتدوا بعد الى القوة)

هذا ما بلغ رجال الحزب من خبر المعارضين للاصلاح ، ثم رأوا ان الحكومة انخدعت لرقيتهم . وأمطرت على حملة العمائم مطرا من الرتب والاوسمة، بدون عمل كوفئوا بها عليه ولا مناسبة . ومن يهتدي برأي رجال عبد الحميد ، لا مندوحة له عن عمل عبد الحميد! ولم نكن ننتظر هذا من رجال حكومتنا الحاضرة. ولكنهم سوّفوا في ماوعدوا به من الاصلاح ، حتى ماصدرت به ارادة مولانا السلطان ، وعادوا الى التجارب التي تضيع بها نفائس الاوقات ، فأراد حزب اللامركزية أن يريهم آية

من أكبر الآيات ، على صدقه واخلاصه هو وسائر المطالبين بالاصلاح ، وأنهم هم زعماء الامة لا أولئك المدعون الكاذبون ، الغارّون المغرورون ، وسيعلمون أيضا ان معارضي الاصلاح من المعممين ، تعدهم الامة من المنافقين ، فلا نفوذ لهم في أمر الدنيا ولا الدين ، وأما من عداهم من الصادقين ، فهم لا يبيعون دينهم وأمتهم بالرتب والنياشين

هذا وان رجال حكومتنا يعلمون ان اكثر المعارضين للاصلاح من العرب أولو تملق ودهان ، وطلاب مناصب ومنافع ، ولكنهم كانوا يظنون ان السواد الاعظم من العرب أقرب الى رأيهم ، لغلبة الجهل عليهم ، وان لهم نفوذا في البلاد اذا أيدته السلطة يزداد قوة ، فيكون عونا للحكومة على ماتريد من الامة ، فأراد الحزب ان يخدم الحكومة بكشف الحقيقة لها في هذا الامر أيضا . لعلها تبادر الى الاصلاح من تلقاء نفسها ، في هذا الوقت الذي يعده طلابه فضلا واحسانا منها

فاذا هي أصرت على المطل والتسويف يخشى ان تنتقل المسألة العربية بحسب سنة الله تعالى في نظام الاجتماع البشري الى طور آخر يضطر الحكومة الى الاصلاح اضطرارا ، او يلجيء الاجانب الى التوسط بينها وبين العرب ، كما أنشؤا يتوسطون بينها وبين الارمن . وهذا ما لا يرضاه طلاب الاصلاح من العرب ، ولذلك لم يسعوا اليه كما سعت الارمن ، ولكنهم يخشون ان تلجيء اليه طبائع الاحوال ، وتقضي به سنن الاجتماع

﴿ عناية نظارة المعارف المصرية باللغة العربية ﴾

عرفنا احمد حشمت باشا ناظر المعارف بمصر من قبل ان يتولى هذه النظارة ومن قبل أن يدخل في سلك الوزارة غيوراً على اللغة العربية حريصا على إصلاح التعليم بها ، وكان يتكلم في ذلك مع من يراهم أهلا ، أو يرجو منهم عملا ، ويساعد الادباء والمؤلفين بماله وجاهه عند ما يرى لذلك طريقاً . وقد ظهرت هذه الغيرة والحرص منه في عهد وزارته للمعارف ، فلا يزال يجد ويجتهد في اصلاح التعليم لهذه اللغة والتعليم بها ، وتوسيع نطاق العلوم والفنون فيها ، فهو الذي سن سنة التعليم العملي في النظارة ، واسس مدارس جديدة للزراعة والتجارة ، وزاد في دروس مدارس البنات كل ما يحتجن اليه من العلوم والاعمال ، عند ما يصرن ربات بيوت وامهات أولاد . وقد نشر في هذا الشهر منشورات حتم فيها العناية بدرس متن اللغة وضبطها واتقان تدريسها ، وشكل كتب التعليم ، وتسهيل قراءتها بما سموه الترقيم ، وهو وضع علامات للوقف التام وغير التام فيها ، وعلامات للاستفهام والتعجب وغير ذلك مما سبقنا الى استعماله في المنار ، وسنتكلم عن هذا الاصلاح بالتفصيل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

مكتبة المنار

لاصحابها

رضا وخطيب وقتلان

اطلب فاتحة مكتبة المنار ترسل اليك مجانا

العنوان: مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

هذه المكتبة مستعدة لتصدير مطبوعات المنار وسائر المطبوعات لخارج القطر المصري ولتصدير مايطلب منها من الكتب والادوات المدرسية وليس على الطالب سوى ارسال الثمن مع أجرة البريد والمكتبة لاتسأل عن الصادرات اذا كانت غير مسجلة (مسوكرة)

والمرجو من طلاب الكتب أن لايعتمدوا على غير ادارة المنار بطلب مطبوعات مطبعة مجلة المنار في الجملة وأما مايطلب منها فردا كنسخة ونسختين فهو كسائر الكتب يطلب من «مكتبة المنار بشارع عبد العزيز» في خطاب مستقل يرسل اليها ولا يرسل باسم الادارة

اعلان

تعلن مطبعة المنار انها مستعدة لطبع الكتب والجرائد وجميع أشغال المحامين والجوابات والظروف وبطائق الزيارة « كارت فيزيت » والملاحق وسائر المطبوعات بالعربية والافرنجية مع الاتقان والنظافة واعتدال الاجرة . والمخابرة تكون بهذا العنوان (السيد صالح مخلص رضا الحسيني مدير مطبعة مجلة المنار بمصر)

اعلان من ادارة مجلة المنار بمصر

(المراسلات)

(١) ينبغي ان تكون جميع المراسلات المتعلقة بالادارة من طلب كتب او اشتراك او اجزاء مفقودة او تغيير عنوان او طبع مطبوعات بعنوان (ادارة مجلة المنار بمصر) وماكان منها خصوصيا أو ما يختص بالتحرير والاستفتاء يجب بأن يكتب باسم (السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر)

واذا كانت المراسلة مشتملة على عدة مواضيع فليكتب كل موضوع على حدة بورقة خاصة لان ذلك ادعى لانجاز العمل وتلبية الطلب

(الحوالات)

(٢) جميع الحوالات من بدل اشتراك أو ثمن كتب أو أجزاء من ادارة المنار أو أجرة طبع أو تجليد يجب أن ترسل باسم « السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر » وأما الكتب التي تطلب من مكتبة المنار فترسل حوالاتها باسم (عبد الفتاح أفندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر)

(الاشتراك)

(٣) ان اشتراك المنار ٨٠ قرشا صحيحا في مصر والسودان المصري و ١٩ شلنا في انكلترة والهند وكندا وزنجبار ورأس الرجاء الصالح والترنسفال والاورانج الحرة وكفرورية وسائر المستعمرات البريطانية و٢٢ فرنكا في فرنسة وأفريقية الشمالية والغربية (كتونس والجزائر) ومراكش و٩ روابل في روسية ومستعمراتها و٢٠ شلنا في الصين واليابان وافغانستان وبلاد العجم والمحمرة ومسقط وعمان والبحرين وسائر البلاد التي يحصل منها الاشتراك بواسطة مكاتب البوستة الانكليزية و٢٢ كورن و٢١ هلر في النمسة والمجر وما الحق بهما كالبوسنة والهرسك و ٤ بسوس و ٦١ سنتافوس في الجمهورية الفضية (الارجنتين) واميركة الجنوبية وفنزويلا و١٨ ماركا و٩٠ فنا في المانية وسائر مستعمراتها و ١١ فلورينا و١٨ سنتا في هولاندة وسائر مستعمراتها و ٤ ريالات (دولار) وتسعة وعشرون سنتا في الولايات المتحدة الامريكية وجزائر الفيلبين و ٤ ريالات مجيدية في بلاد الدولة العلية

وعلى طالب الاشتراك أن يرسل القيمة مع الطلب حوالة باسم السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار بمصر على البوستة أو أحد المصارف (البنوك) او تجار القاهرة أو يدفعها لوكيل المنار في بلده ان كان هناك وكيل وكذلك الذين يطلبون مطبوعاتنا والاجزاء المفقودة

(المسؤلية)

(٤) ان ادارة المنار غير مسئولة عن المراسلات اذا فقدت من البريد الا اذا كانت مسجلة على حساب المرسل اليه وقيمة التسجيل لجميع أعداد المنار في السنة ٦ قروش لمصر والسودان و٣فرنكات و١١سنتيم أوشلنان و٥ بنسات ونصف للخارج ولكل مراسلة ٥ مليمات لمصر والسودان وقرش صحيح (صاغ) أو٢٦سنتيما أو بنسان ونصف بنس للخارج. ولكل طرد زنته ٥ كيلو عشرة قروش الى آسية الوسطى و ٨ قروش الى أوربة و ١٢ قرش الى الهند الشرقية الانكليزية وبغداد والبصرة والمحمرة ومسقط والكويت وعدن ومكاتب البوسطة الانكليزية في الشرق

(٥) كل ما يرسل الى مكتبة المنار يجب أن يكون بعنوان «عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبدالعزيز بمصر» ومنه تطلب الكتب غير المطبوعة بمطبعة المنار أيضا ومفردات مطبوعات المنار وفهرس (كتالوج) المكتبة وهو يرسل لمن يطلبه مجانا

الادارة

اعلان

تعلن مطبعة المنار انها مستعدة لطبع الكتب والجرائد وجميع أشغال المحامين والجوابات والظروف وبطائق الزيارة « كارت فيزيت » والملاحق وسائر المطبوعات بالعربية والافرنجية مع الاتقان والنظافة واعتدال الاجرة . والمخابرة تكون بهذا العنوان (السيد صالح مخلص رضا الحسيني مدير مطبعة مجلة المنار بمصر)

فرصة

رأى بعض الذين يحبون انتشار المنار ان يقدم مئة نسخة منه بنصف القيمة لمن يشترك عن السنة السابعة عشرة سنة ١٣٣٢ بشرط ان يدفع القيمة سلفا وان يكون المشترك ممن يستحق المساعدة وجعل لادارة المجلة الحق والحرية في تقدير ذلك وتوزيعه بحسب معرفتها وتمتد هذه الفرصة الى نهاية ذي الحجة سنة ١٣٣١

وهذه المساعدة مقتصرة على مصر والبلاد الخارجية ماعدا البلاد العثمانية لأن الادارة متبرعة بنصف القيمة هنالك من نفسها

(الجزء الثاني عشر) ذي الحجة ١٣٣١ (المجلد السادس عشر)

المنار

١٣١٥

﴿قيمة الاشتراك﴾

عن سنة ٨٠ قرشا صاغا في مصر والسودان و ٤ ريالات في المملكة العثمانية و ٢٢ فرنكا في الخارج و ١٩ شلنا في الهند و ٩ روابل في روسيا (ويجب الدفع سلفا)

﴿ تنبيه ﴾

يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشئ المجلة والمستلم

الاشتراك في المجلة يكون دائما من أول سنتها « المحرم » ومنتصفها « رجب »

﴿ مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران ﴾

١٦

(لمنشئها) السيد محمد رشيد رضا

(مدير الادارة والمطبعة) السيد صالح مخلص رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

﴿ فهرس الجزء الثاني عشر ﴾

محمد رمضان

﴿ وكيل مجلة المنار ﴾

١٦

(أثمان مطبوعات المنار عدا أجرة التجليد)

البريد ملّيم	الثمن ملّيم	الثمن قرش	الكتاب
٤		٣	تفسير سورة الفاتحة
٤	٥	١	» سورة والعصر
٣٠		١٢	» القرآن الحكيم ثمن كل جزء منه
٨		٥	المصلح والمقلد
٦		٥	أم القرى (طبع المنار)
٦		٣	الانقلاب العثماني
٥٠		٢٤	شرح عقيدة السفاريني
٦		٥	رسالة التوحيد
٨		٥	الاسلام والنصرانية
٨		٤	الدين في نظر العقل
٢٠		٥	دين الله في كتب أنبيائه
٣٠		١٥	انجيل برنابا
١٢		٢	الصلب والفداء ص١٦٨
٨		٤	شبهات النصارى
١٠		٣	نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص٢٤٠
٤		١	المسلمون والقبط
٦		٣	انتقاد مؤلفات زيدان
١٦		٩	التوسل والوسيلة
١٦		٨	سيرة خديجة
٥٠		٢٥	العلم الشامخ مع الذيل

البريد ملّيم	الثمن ملّيم	الثمن قرش	الكتاب
٤٠		٢٠	التربية الاستقلالية
٣٠		٢٠	تاريخ الاستاذ الامام (المنشآت)
٣٠		١٠	تاريخ الاستاذ الامام (التأبين والمراثي)
٥٠		٦٠	ثمن مجموعة السنة الاولى وال ٤ ـ ١٤ من المنار
٥٠		٢٠٠	ثمن المجموعة الثانية » »
٥٠		١٠٠	» الثالثة » »
٥٠		٨٠	» الخامسة عشرة
٥٠		٨٠	» السادسة »
٣٠		٢٠	دلائل الاعجاز . طبعة ثانية
٣٠		٢٠	اسرار البلاغة
٤		٢	اغاثة اللهفان
٤		٢	الجرح والتعديل (للقاسمي)
٦		٤	اصلاح المحاكم الشرعية
٢		١	فتاوى في القضاء لاصلاح المرأة
٦		٥	اعمال مجلس ادارة الازهر
٢	٥	٠٠	خلاف الامة
٢	٥	٠٠	الصوفية والفقراء
		٣	تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي

ثمن كل جزء من المنار (ان وجد) للمشترك ٨ قروش و ١٠ لغير المشترك

يضاف خمسة قروش لكل جزء من اجزاء التفسير أو التاريخ ولكل نسخة من انجيل برنابا وأسرار البلاغة وقرش واحد لرسالة التوحيد اذا كان المطلوب من الورق الجيد.

اجرة التجليد الافرنجي بالكعب الجلد خمسة قروش لكل كتاب يكون ثمنه من عشرة قروش فصاعدا واربعة قروش لما دون ذلك والتجليد الممتاز عشرة قروش لكل مجلد

قل فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣١ هـ ق ١٠ الخريف الثالث ١٢٩١ هـ ش ٢٩ نوفمبر ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٦ * ١٨) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٠١٧) قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٨ * ٠) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

بين الله تعالى لرسوله (ص) والمؤمنين أنه أخذ الميثاق على أهل الكتاب من اليهود والنصارى من قبل ، كما أخذه على هذه الامة الآن ، وأنهم نقضوا ميثاقه ، وأضاعوا حظا عظيما مما أوحاه تعالى اليهم ، ولم يقيموا ما حفظوا منه . وهذا البيان من دلائل نبوته (ص) التي هي من معجزات القرآن الكثيرة . ثم ناداهم

بعد ذلك ووجه اليهم الخطاب في إقامة الحجة عليهم بقوله عز وجل :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ قيل ان هذه الاية نزلت في قصة إخفاء اليهود حكم رجم الزاني حين تحاكموا الى النبي (ص) في ذلك وستأتي القصة في هذه السورة . والصواب أن الآية على إطلاقها فكان رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم قد بين لاهل الكتاب كثيرًا من الاحكام والمسائل التي كانوا يخفونها مما أنزل الله عليهم، منها حكم رجم الزاني وهو مما حفظوه من أحكام التوراة (كما تراه في ٢٢ : ٢٠ ـ ٢٤ من سفر التثنية) ولم يلتزموا العمل به ، وأنكروه أمام النبي (ص) فأقسم على عالمهم ابن صوريا وناشده الله حتى اعترف به . فهذا مما كانوا يخفونه عند وجوب العمل به أو الفتوى . وكذلك أخفوا صفات النبي (ص) والبشارات به وحرفوها بالحمل على معان أخرى . اليهود والنصارى في هذا سواء . وهذا النوع غير ما أضاعوه من كتبهم ونسوه البتة ، كنسيان اليهود ماجاء في التوراة من خبر الحساب والجزاء في الآخرة . وما أظهره لهم الرسول مما كانوا يخفونه عنه وعن المسلمين كانت الحجة عليهم فيه أقوى ، لانهم كانوا يعلمون أنه أمي لم يطلع على شيء من كتبهم، ولهذا آمن من آمن من علماء اليهود المنصفين واعترفوا بعد ايمانهم بما بقي عندهم من البشارات وصفات النبي (ص)

﴿ ويعفو عن كثير ﴾ مما كنتم تخفونه فلا يفضحكم ببيانه . وهذا النص حجة عليهم ايضا لأنهم يعلمون أنهم يخفون عن المسلمين وعن عامتهم كثيرًا من المسائل لئلا يكون حجة عليهم إذ هم لا يعملون به ، كدأب علماء السوء في كل أمة : يكتمون من العلم ما يكون حجة عليهم ، كاشفا عن سوء حالهم ، أو يحرفونه تحريفا معنويا بحمله على غير معناه المراد

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ في المراد بالنور هنا ثلاثة أقوال: احدها انه النبي (ص) ، ثانيها أنه الاسلام ، ثالثها انه القرآن . ووجه تسمية كل من هذه الثلاثة نورا هو انها للبصيرة كالنور للبصر ، فلولا النور لما أدرك البصر شيئا من

المبصرات ، ولولا ماجاء به النبي من القرآن والاسلام لما أدرك ذو البصيرة من أهل الكتاب ولا من غيرهم حقيقة دين الله ، وحقيقة ما طرأ على التوراة والانجيل من ضياع بعضها ونسيانه ، وعبث رؤساء الدين بالبعض الآخر باخفاء بعضه وتحريف البعض الآخر ، ولظلوا في ظلمات الجهل والكفر لا يبصرون . والكتاب المبين هو القرآن ، وهو بين في نفسه مبين لما يحتاج اليه الناس لهدايتهم، ولولا عطفه على النور لما فسروا النور الا به ، فان الاصل في العطف ان يكون المعطوف غير المعطوف عليه ، ولكن العطف قد يرد للتفسير ، وهو الذي أختاره هنا لتوافق هذه الآية وما بعدها قوله تعالى في أواخر سورة النساء (٤:٧٢ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ١٧٣ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) وقد قال هنا بعد ذكر هذا النور :

﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ فبين مزية النور والكتاب المبين بضمير المفرد فقال «يهدي به» ولم يقل بهما ، فكان هذا مرجحا لكون المراد بهما واحدا وهو القرآن . وثم شواهد أخرى تؤيد ما اخترناه غير آيتي النساء ، كقوله تعالى في المهتدين من أهل الكتاب في سورة الأعراف بعد ذكر بعثة النبي (ص) اليهم (١٧ : ١٥١ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وكقوله تعالى في سورة التغابن (٦٤ : ٨ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) على ان هذا المعنى لايتغير اذا قلنا ان النور هنا هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فانه هو المظهر الأكمل للقرآن ببيانه له وتخلقه به كما قالت عائشة (رض): كان خلقه القرآن . ولا نعدم لذلك شاهدا من آياته فقد وصفه الله تعالى في سورة الاحزاب بقوله (وسراجا منيرا)

وليرجع القارئ الى تفسيرنا لآيتي النساء اللتين ذكرناهما آنفا فقد بينا في تفسيرهما معنى كون القرآن نورا مبينا بما ينفعه في فهم ماهنا .

وقد ذكر الله هنا لهذا النور ثلاث فوائد (الاولى) انه يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، أي ان من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالايمان بهذا النور يهديه

— هداية دلالة تصحبها العناية والإعانة — الطرق التي يسلم بها في الدنيا والآخرة من كل مايرديه و يشقيه ، فيقوم في الدنيا بحقوق الله تعالى وحقوق نفسه الروحية والجسدية وحقوق الناس . فيكون متمتعا بالطيبات مجتنبا للخبائث ، تقيا مخاصا ، صالحا مصلحا ، ويكون في الآخرة سعيدًا منعماء جامعا بين النعيم الحسي الجسدي ، والنعيم الروحي العقلي . وخلاصة هذه الفائدة انه يتبع دينا يجد فيه جميع الطرق الموصلة الى ماتسلم بهالنفس من شقاء الدنيا والآخرة ، لانه دين السلام والاخلاص لله ولعباده ، دين المساواة والعدل ، والاحسان والفضل

(الفائدة الثانية) الاخراج من ظلمات الوثنية والخرافات والاوهام التي أفسد بها الرؤساء جميع الاديان واستعبدوا أهلها — الى نور التوحيد الخالص الذي يحرر صاحبه من رق رؤساء الدين والدنيا ، فيكون بين الخلق حرًا كريما ، وبين يدي الخالق وحده عبدًا خاضعا . وقوله « باذنه » فسروه بمشيئته و بتوفيقه . والاذن العلم. يقال أذن بالشيء اذا علم به ، وآذنته به أعلمته فأذن ، ويقال أذن بالتشديد وتأذن بمعنى أعلم غيره ، ويقال أذن له بالشيء اذا أباحه له . وأذن له أذنا استمع. والظاهر أن الإذن هنا بمعنى العلم أي يخرجهم من الظلمات الى النور بعلمه الذي جعل به هذا القرآن سببا لانقشاع ظلمات الشرك والضلال من نفس من يهتدي به ، واستبدال نور الحق بها ، بنسخه وازالته لها ، فهو اخراج يجري على سنن الله تعالى في تأثير العقائد الصحيحة في النفوس واصلاحها إياها — لا انه يحصل بمحض الخلق واستئناف التكوين من غير أن يكون القرآن هو المؤثر فيه

(الفائدة الثالثة) الهداية الى الصراط المستقيم . وهو الطريق الموصل الى المقصد والغاية من الدين في أقرب وقت ، لانه طريق لاعوج فيه ولا انحراف فيبطئ سالكه أو يضل في سيره ، وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن على الوجه الصحيح الذي أنزله الله تعالى لأجله ، كما كان عليه أهل الصدر الاول قبل ظهور الخلاف والتأويل ، بأن تكون عقائده وآدابه وأحكامه مؤثرة في تزكية الانفس وإصلاح القلوب واحسان الاعمال ، وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة بحسب سنن الله في خلق الانسان .

(١٩) لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ . قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ؟ (٢٠*٠) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠*٢١) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصٰرَىٰ : نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ .(*) قُلْ : فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ؟ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ . يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٢١*٢٢) يَا أَهْلَ ٱلْكِتٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ، أَنْ تَقُولُوا: مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ . فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ . وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أقام الله الحجة على أهل الكتاب كافة ، ثم بين ما كفر به النصارى خاصة ، فقال ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ﴾ قال البيضاوي : «هم الذين قالوا بالاتحاد منهم ، وقيل لم يصرح به أحد منهم ، ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا: لا إله الا واحد — لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم ، توضيحا لجهلهم ، وتفضيحا لمعتقدهم ، » وذكر الفخر الرازي في تفسيره ان هذا القول مبني على عقيدة الحلول والاتحاد ، وأنه لازم مذهب النصارى وان كانوا لايقولونه أو لايقوله أحد منهم . وصرح بعض المفسرين بان هذا المذهب مذهب اليعقوبية منهم خاصة . وذلك ان السابقين من المفسرين والمؤرخين ذكروا ان النصارى ثلاث فرق: اليعقوبية والملكانية والنسطورية . واعلم ان أمثال الزمخشري والبيضاوي

---

(٥) قال علماء المصحف ان كلمتي أبناء واحباء هنا كتبتا في بعض المصاحف بالالف كما تكتب في الرسم المعتاد وفي بعضها بالواو هكذا « ابنؤا الله واحبؤه »

والرازي لا يعتد بما يعرفون عن النصارى فإنهم لم يقرءوا كتبهم ولم يناظروهم فيها وفي عقائدهم الا قليلا ، وانما يأخذون ما في كتب المسلمين عنهم قضايا مسلمة . ومنها ما هو مشهور فيها من تفسير الآب والابن وروح القدس بأنها الوجود والعلم والحياة ، فالقول بها لا ينافي وحدانية الخالق . وكان يقول مثل هـذا بعض علماء النصارى لعلماء المسلمين ، والظاهر ان بعض المتقدمين كان يعتقد هذا ، كما انه يوجد الآن في نصارى اوربة وغيرهم كثير من الموحدين الذين يعتقدون ان المسيح نبي رسول لا إلـه . ولعله لم يبق في النصارى من يقول بتلك الفلسفة ، لأنهـم في كل عصر يغيرون في دينهم ماشاؤا ان يغيروا في فلسفته وغير فلسفته . وكان أكبر تغيير حدث بعد هؤلاء المفسرين مذهب (البروتستانت) أي اصلاح النصرانية ، حدث منذ أربع قرون وصار هو السائد في أعظم الامم مدنية وارتقاء كالولايات المتحدة وانكلترة وألمانية . نسف هـذا المذهب أكثر التقاليد والخرافات النصرانية التي كانت قبلها ثم استبدل بها تقاليد أخرى فصار عدة مذاهب في الحقيقة ، ومع هذا ترى هؤلاء المصلحـين الذين زعموا انهم أعادوا النصرانية الى أصلها لم يستطيعوا ان يرجعوها الى التوحيد الصحيح الذي هو دين المسيح وسائر أنبياء بني اسرائيل ورسل الله اجمعـين ، فهم لا يزالون يقولون بألوهية المسيح و بالتثليث و يعـدون الموحد غير مسيحي، كما يقول ذلك الفرقتان الكبيرتان الاخريان من فرق النصرانية في هذا العصر ـ وهم الـكاثوليك والارثوذكس ـ فجميع فرق نصارى هذا العصر تقول ان الله هو المسيح بن مريم ، وان المسيح بن مريم هو الله . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . والظاهر ان النصارى القدماء لم يكونوا متفقين على هذه العقيدة كما قال مفسرونا

قال (الدكتور بوست) في تاريخ الكتاب المقدس عند الكلام على لفظ الجلالة ما نصه :

« طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر : الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، فالى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، والى الابن الفدى، والى الروح القدس التطهير . غير ان الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الاعمال على السواء.

أما مسألة التثليث فغير واضحة في العهد القديم كما هي في العهد الجديد . وقد أشير الى هذا في (تك ص١) حيث ذكر « الله » و « روح الله » الخ (قابل مز٣٣ : ويو ١٦ : ١٠ و٣) والحكمة الالهية المشخصة في (أم ص٨) تقابل الكلمة في (يو ص١) وربما تشير الى الاقنوم الثاني . وتطلق نعوت القدير على كل اقنوم من هذه الاقانيم الثلاثة على حدته » اهـ بحروفه

والحق ان العهد القديم ـ أي كتب الانبياء الذين كانوا قبل المسيح ـ ليس فيها شيء ظاهر ولا خفي في عقيدة التثليث لأنها عقيدة وثنية محضة . ومن أغرب التكلف تفسير الحكمة في امثال سليمان بالكلمة بالمعنى الذي يريدونه وهو وهم لم يخطر في بال سليمان ، ولا المسيح عليهما السلام، وسترى انهم قالوا : ان استعمال الكلمة بهذا المعنى لم يرد الا في كلام يوحنا ! ! وقد كان جميع أنبياء الله تعالى موحدين ، اعداء للوثنية والوثنيين . وانما يصح ان يقال ان التوحيد ظاهر جلي في العهد الجديد أيضا ، والتثليث فيه هو الخفي . فان العقيدة التي يدعو اليها دعاة النصرانية ، والعبارات التي يذكرونها في ألوهية المسيح والتثليث لاتفهم كلها من العهد الجديد ، بل هنالك عبارات يتحكمون في تفسيرها وشرحها كما يهوون ، على خلاف شهير فيها بين متقدميهم ومتأخريهم

والعمدة عندهم في هذه العقيدة أول عبارة من انجيل يوحنا وهي « في البدء كانت الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، والله هو الكلمة » وقد اطلقوا لفظ الكلمة على المسيح ، فصار معنى الفقرة الثالثة من عبارة انجيل يوحنا : والله هو المسيح بن مريم . وهذا عين ما أسنده القرآن اليهم ، فكيف يقول البيضاوي والرازي انه اسند اليهم لازم مذهبهم ؟

قال بوست في قاموسه : « يقصد بالكلمة السيد المسيح ولم ترد هذه اللفظة بهذا المعنى الا في مؤلفات يوحنا (١ : ١ ـ ١٤ و ١ يو ١ : ١ ورؤ ١٩ : ١٣) وقد استعمل الفيلسوف (فيلو) لفظة « الكلمة » غير انه يقصد بها غير ماقصد يوحنا » اهـ

أقول قد بينا في تفسير « فنسوا حظا مما ذكروا به » انهـم قالوا ان يوحنا ما كتب انجيله في آخر عمره الا إجابة لاقتراح من ألحوا عليه بذلك للعلة التي ذكروها .

فلولا هذا الاقتراح والإلحاح لما كتب، ولو لم يكتب لم تعرف هذه العقيدة — فثبت ان هذه العقيدة لم يذكرها المسيح نفسه في كلامه ولا دعا اليها أحد من تلاميذه الذين انتشروا في البلاد للدعوة الى انجيله، ولم يعرفها أحد الا في العشر العاشر من القرن الأول الذي كتب فيه يوحنا انجيله هذا ان صح ان يوحنا الحواري هو الذي كتبه — ولن يصح — ولا يعقل ان يسكت المسيح وجميع تلاميذه عن هذه العقيدة اذا كانت هي أصل الدين كما تزعم النصارى، بل الذي تتوفر عليه الدواعي ان يقررها المسيح نفسه في كلامه، ويجعلها تلاميذه أول ما يدعون اليه ويكررونه في أقوالهم ورسائلهم.

ولا يغرنك ما أشار اليه (بوست) من الشواهد عن رسالة يوحنا ورؤياه فتظن أن هنالك نصا أو نصوصا في اثبات هذه العقيدة، كلا! ان الشاهد الذي عزاه الى أول رسالته الأولى هو: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة» فكلمة الحياة لا تفيد هذه العقيدة الا بتحكم. وأما الشاهد الذي عزاه الى الرؤيا فهو: «١١ ثم رأيت السماء مفتوحة واذا فرس ابيض والجالس عليه يدعى امينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب ١٢ وعيناه كلهيب من نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه الا هو ١٣ وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله ١٤ والاجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا أبيض نقيا ١٥ ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد» فانت ترى ان هذه الاوصاف لا تنطبق على المسيح وانما تنطبق على اخيه محمد عليهما الصلاة والسلام، فمن اسمائه الصادق والأمين، وبالعدل كان يحكم ويحارب الخ ولم يكن للمسيح شيء من هذه الصفات. ولفظ «كلمة الله» هنا لا يفيد معنى تلك العقيدة ولا يشير اليها لأن كل شيء وجد بكلمة الله وهي كلمة التكوين (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

وأما الدليل على كون هذه العقيدة وثنية فهو يظهر لك جليا فيما كتبناه في تفسير قوله تعالى من هذا الجزء (٤: ١٦٩ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم —

الى قوله — ولا تقولوا ثلاثة) وذلك ان زعمهم «ان الله هو المسيح بن مريم» جزء من عقيدة التثليث المأخوذة عن قدماء المصريين والبراهمة والبوذيين وغيرهم من وثنيي الشرق والغرب. وقد أوردنا هنالك من شواهد كتب التاريخ وآثار الاولين ما علم به قطعا ان النصارى أخذوا هذه العقيدة عنهم. وسنعود الى ذكرها عند تفسير قوله تعالى من هذه السورة «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» — قال تعالى في تبكيت هؤلاء الناس ورد زعمهم:

﴿ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ﴾ أي قل أيها الرسول لهؤلاء النصارى المتجرئين على مقام الالوهية بهذا الزعم الباطل: من يملك من أمر الله وارادته شيئا يدفع به الهلاك والاعدام عن المسيح وامه وعن سائر أهل الارض ان أراد عز وجل ان يهلكهم ويبيدهم؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتجهيل، أي إن المسيح وامه من المخلوقات التي هي قابلة لطروء الهلاك والفناء عليها كسائر أهل الارض، فاذا أراد الله ان يهلكهما ويهلك أهل الارض جميعا لا يوجد أحد يستطيع ان يرد ارادته، لانه هو المالك لامر الوجود كله، ولا يملك أحد من أمره شيئا يستطيع به ان يصرفه عن عمل يريده، أو يحمله على أمر لا يريده، أو يستقل بعمل دونه. تقول العرب: ملك فلان على فلان أمره. اذا استولى عليه فصار لا يستطيع ان ينفذ أمرا ولا ان يفعل شيئا الا به أو باذنه. قال ابن دريد في وصف الخمرة التي لم يكسر المزج حدتها، ولم تبطل النار تأثيرها:

لم يملك الماء عليها أمرها * ولم يدنسها الضرام المحتضى

وقوله تعالى «فمن يملك من الله شيئا» أبلغ من مثل هذا القول لأنه نفى ان يملك أحد بعض أمره تعالى فضلا عن ملك أمره كله. فصار المعنى انه لا يوجد أحد يستطيع ان يرد أمره أو يحوله عن ارادته بوجه ما ولو الدعاء والشفاعة، اذ لا يستطيع أحد ان يشفع عنده الا باذنه لمن ارتضاه، فالامر في ذلك كله له وحده عز وجل. ويدخل في عموم ذلك المسيح نفسه وغيره من الانبياء، وكذا الملائكة

عليهم السلام. فاذا كان المسيح لا يستطيع ان يدفع عن نفسه الهلاك او عن والدته كما انه لا يستطيع غيره ان يدفعه عنه اذا أراد الله تعالى انزاله به، فكيف يكون هو الله الذي بيده ملكوت كل شيء ؟

ومن غريب تهافت هؤلاء الناس انهم قالوا ان شر نوع من أنواع الاهلاك وهو الصلب نزل بالمسيح ـ الذي هو الكلمة ، والله هو الكلمة بزعمهم ـ ولم يستطع ان يدفعه عن نفسه ، وأنه استغاث بربه خائفا وجلا ضارعا خاضعا ليصرف عنه ذلك الكأس فلم يجبه الى ماطلب !! وهم يكابرون انفسهم في دفع هذا التهافت بمثل قولهم: انه كان له طبيعتان ومشيئتان، ثنتان منهما إلهيتان وثنتان بشريتان ، وليت شعري اذا كان هذا ممكنا فهل يمكن معه ان يجهل المسيح بطبيعته البشرية طبيعته الالهية فيعترض عليها بمثل قولهم عنه في انجيل متى (٣٧ : ٤٦ الهي الهي لماذا تركتني) و يستنجدها غير عالم بما يمكن وما لا يمكن لها بمثل ما قالوه عنه في انجيل متى (٢٦ : ٣٩ ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا : ياأبتاه ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ـ الى ان قال ـ ٤٢ فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا : إن لم يمكن ان تعبر عني هذه الكأس الا ان اشربها فلتكن مشيئتك) ؟ كلا إن هذا أعظم حجة عليهم مصدقة لحجة القرآن ، فان مشيئة الله لا يردها شيء .

ثم ان الطبيعة البشرية هي التي خاطبت البشر فاذا كان هذا شأنها ، لا يقبل قولها ولا يوثق بتعليمها ، فكيف تجعل مع الطبيعة الاخرى شيئا واحدا ، يسمى ربا و إلها ويعبد ، والناس مارأوا الا الطبيعة البشرية ، ولا عرفوا غيرها ولا سمعوا الا كلامها ولا رأوا الا أفعالها ؟ والنكتة في عطف من في الارض جميعا على المسيح وامه التذكير بأنهما من جنس البشر الذين في الأرض وما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر . واناجيلهم تعترف بأن المسيح كان كغيره في الشؤون البشرية كما سيأتي في تفسير « ما المسيح بن مريم الا رسول » الآية

﴿ ولله ملك السموات والارض وما بينهما ﴾ الظاهر ان هذه الجملة حالية أي فمن يملك من الله شيئا ان أراد اهلاك المسيح وامه واهل الارض قاطبة والحال انه هو صاحب الملك المطلق والتصرف الاستقلالي الكامل في السموات والارض

وما بينهما ، أي ما بين اجرام واجزاء هذين العالمين العلوي والسفلي بالنسبة اليكم .

وهذا الملك والتصرف مما تعترف به النصارى ، ولكنهم زعموا ان صاحب هذا الملك العظيم والتصرف المطلق والكمال الاعلى قد عرض له بعد خلق آدم ـ الذي ندم وتأسف من كل قلبه أنه خلقه ـ أمر عظيم، وهو ان آدم عصاه فاقتضى عدله ان يعذبه هو وذريته! واقتضت رحمته ان لا يعذبهم، فوقع التناقض والتعارض بين مقتضى صفاته فلم يجد لذلك مخرجا يجمع به بين مقتضى العدل والرحمة ، الا أن يحل في بطن امرأة من ذرية آدم ويتكون جنينا فيه فتلده انسانا كاملا و إلها كاملا ! ثم يعرض نفسه لشر قتلة لعن صاحبها على لسان رسله وهي الصلب ، فداء لآدم وذريته ، وجمعا بين عدله بتعذيب واحد منهم هو وحده البريء من الذنب، ورحمة الآخرين إن آمنوا بهذه العقيدة ولو بغير عقل، ثم انه لم يتم له هذا الجمع لأن اكثر البشر لم يؤمنوا بها !! فهو لا بد أن يعذبهم في الآخرة . على أنه عذب كثيرا من الناس بمثل ما عذبه به و بغير ذلك ومنهم المؤمنون بتلك العقيدة ، فلماذا لم يكن تعذيبهم في الدنيا فداء لهم ؟ وهل هذا هو الجمع بين العدل والرحمة ؟ !

ولما كانت شبهتهم على كون المسيح بشرا إلها ، وانسانا ربا، هي أنه خلق على غير السنة العامة في خلق البشر ، وانه عمل اعمالا غريبة لا تصدر عن عامة البشر ، قال تعالى في رد هذه الشبهة ﴿ يخلق مايشاء ﴾ أي لما كان له ملك السموات والأرض وما بينهما ، كان من المعقول أن يكون خلقه للاشياء تابعا لمشيئته ، فقد يخلق بعض الاحياء من مادة لا توصف بذكورة ولا انوثة كاصول أنواع الحيوان ، ومنها ابو البشر عليه السلام ، وقد يخلق بعضها من ذكر فقط أو انثى فقط ، وقد يخلق بعضها بين ذكر وانثى ، ولا يدل شكل الخلق ولا سببه ولا امتياز بعض المخلوقات على بعض على حلول الاله الخالق فيها، بل هذا لا يعقل ولا يمكن . فامتياز الارض على عطارد أو زحل بوجود الاحياء فيها من البشر وغيرهم لا يعد دليلا على كون الارض إلها لذلك الكوكب الذي فضلته بهذه المزية . كذلك سنة الله في خلق المسيح ومزاياه لا تدل على كونه إلها أو ربا لمن لم توجد فيهم هذه المزايا ، لان المزايا في الخلق كلها بمشيئة الخالق، فلا يخرج بها المخلوق عن كونه مخلوقا نسبته الى

خالقه كنسبة سائر المخلوقات اليه تعالى واما الامتياز ببعض الافعال الغريبة فهو معهود من البشر أيضا ، ونقل ذلك عن جميع الامم والملل ، وقد ادعت الامم الوثنية لأصحابها الالوهية والربوبية ، وأجمع الانبياء من بني اسرائيل وغيرهم على توحيد الله تعالى وسموا تلك الغرائب بالآيات الالهية ، وقالوا ان الله تعالى قد يؤيد بها أنبياءه ورسله . فلماذا خرجتم ايها النصارى عن سنة النبيين والمرسلين ، واتبعتم سنة الوثنيين كقدماء الهنود والمصريين الذين جعلوا غرابة خلق مقدسيهم وغرابة بعض افعالهم ، دليلا على ألوهيتهم وربوبيتهم ؟ ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فكل ماتعلقت به مشيئته ينفذ بقدرته ، وانما يعد بعض خلقه غريبا بالنسبة الى علم البشر الناقص لا بالنسبة اليه تعالى . وكذلك غرابة بعض افعالهم ، تكون عن علم كسبي يجهله غيرهم ، أو قوة نفسية لم يبلغها سواهم ، أو تأييد رباني لاصنع لهم فيه ولا تأثير .

روى ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : أتى رسول الله (ص) ابن أبي وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلمهم وكلموه ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته ، فقالوا : ماتخوفنا يامحمد ؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى . فانزل الله فيهم ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ الى آخر الآية . ومن قرأ كتب اليهود والنصارى رأى فيها لقب « ابن الله » قد أطلق على آدم . (انظر انجيل لوقا ٣ : ٣٨) وعلى يعقوب وداود مع لقب البكر (انظر سفر الخروج ٤ : ٢٢ و٢٣ والمزمور ٩٨ : ٢٦ و٢٧) وكذا على افرام (انظر نبوة ارمياء ٣١ : ٩) وعلى المسيح عليهم السلام ولكن بدون لقب البكر . وأطلق مجموعا على الملائكة وعلى المؤمنين الصالحين . وهذا الاستعمال كثير في العهد الجديد . ومنه ماحكاه متى في وعظ المسيح على الجبل (٥ : ٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) وقال بولس في رسالته الى أهل رومية (٨ : ١٤ لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله) وجاء في سياق المناظرة بين المسيح واليهود من انجيل يوحنا مانصه (٨ : ٤١ أنتم تعملون أعمال أبيكم ، فقالوا له اننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله ٤٢ فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني — الى ان قال — ٤٤

أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون ان تعملوا) وفي هذا المعنى ماجاء في الرسالة الاولى من رسالتي يوحنا (٣ : ٩ كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لان زرعه يثبت فيه ، ولا يستطيع ان يخطئ لانه مولود من الله ١٠ بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد ابليس) فعلم من هذه النصوص وأشباهها ان لفظ « ابن الله » يستعمل في كتب القوم بمعنى حبيب الله الذي يعامله الله معاملة الاب لابنه من الرحمة والاحسان والتكريم . فعطف أحباء الله على أبناء الله للتفسير والايضاح ، وانما تحكم النصارى بهذا اللقب فجعلوه بمعنى الابن الحقيقي بالنسبة الى المسيح وبالمعنى المجازي بالنسبة الى غيره من الصالحين . ومعنى الابن الحقيقي محال على الله تعالى لانه عبارة عن الولد الذي ينشأ من تلقيح الرجل بمائه لبعض مافي رحم المرأة من البيض . فالمعنى المجازي متعين كما ترى وسنوضحه في تفسير (وقالت النصارى المسيح ابن الله) ولما كان ما ذكرناه مؤيدا بالشواهد هو المعنى المراد لاولئك المتبجحين من اليهود والنصارى حسن ردّ الله تعالى عليهم بقوله لنبيه محمد (ص) :

﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ أي قل لهم أيها الرسول : اذا كان الامر كما زعمتم فلم يعذبكم الله تعالى بذنوبكم في الدنيا كما تعلمون من تاريخكم الماضي وكما ترون في تاريخكم الحاضر . ومن هذا العذاب لليهود ماكان من تخريب الوثنيين لمسجدهم الاكبر وبلدهم المرة بعد المرة ، ومن ازالة ملكهم من الارض ، وللنصارى مانكل به بعضهم ببعض . وهو شر من تنكيل الوثنيين والنصارى باليهود . أي ان الاب لايعذب ابنه والمحب لايعذب حبيبه ، فلستم اذا أبناء الله ولا أحباءه ، بل أنتم بشر من جملة من خلق الله تعالى ، وهو عز وجل الحكم العدل لايحابي أحدا ، وانما يغفر لمن يعلم انه مستحق المغفرة ، ويعذب من يعلم أنه مستحق للعذاب ، فهو يجزيكم بأعمالكم ، كما يجزي سائر البشر أمثالكم ، فارجعوا عن غروركم بأنفسكم وسلفكم وكتبكم ، فانما العبرة بالايمان الصحيح والاعمال الصالحات ، لا بمن سلف من الآباء والامهات

﴿ ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ﴾ أثبت الله تعالى في

هذه الآية مثل ماأثبت في التي قبلها من أن له ملك السموات والأرض وما بين أجرامهما وأجزائهما من المخلوقات ، الا أنه ختم تلك بكونه على كل شيء قديرا ، لان المقام مقام الغرابة في الخلق ، وامتياز بعضه على بعض. وختم هذه ببيان كون المرجع والمصير اليه . لأن المقام مقام الجزاء على الاعمال، وذلك ان السموات والارض ومن فيهما و بين عالميهما نسبتها اليه تعالى واحدة ، وهي انه الخالق المالك الرب ذو التصرف المطلق في كل شيء بمقتضى العلم والحكمة، والعدل والفضل، وهي المخلوقات المملوكة ، وجميع من يعقل فيهما من الانس والجن والملائكة عبيد له لا أبناء ولا بنات (١٩: ٩٤ ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا) وفي ختمها بقوله « واليه المصير » اشعار بأنه سيعذبهم في الآخرة على هذا الكفر والغرور والدعاوي الباطلة، فيعلمون عند ما يصيرون اليه انهم عبيد آبقون يجازون ، لا ابناء ولا أحباء يحابون

وقد استشكل بعضهم كون تعذيبهم دليلا على بطلان دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، لأنه ان أريد به عذاب الآخرة لاتقوم به الحجة عليهم لانكارهم إياه، وان أريد به عذاب الدنيا أورد عليه انه غير قادح في ادعائهم لأن النبي (ص) وأمته لم يسلموا من محن الدنيا كالذي حصل في وقعة احد وقتل الحسن والحسين عليهما السلام ، ونحن نعتقد أن الذين ابتلوا بهذه المحن من أحباء الله تعالى . وأجاب الرازي عن هذا الاشكال بثلاثة أجوبة حاصل الأول انا نعتقد ان النبي (ص) وخيار أمته من أحباء الله تعالى ولا ندعي أنهم أبناء الله تعالى . وحاصل الثاني ان المراد عذاب الآخرة وقد اعترف به اليهود اذ قالوا «ان تمسنا النار الا اياما معدودة» وحاصل الثالث ان المراد به المسخ الذي وقع ببعض اليهود قبل الاسلام أضيف الى المخاطبين لأنهم من جنسهم . قال الرازي بعد شرح الأجوبة بعبارة أخرى :
وهذا الجواب أولى لأنه تعالى لم يكن ليأمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يحتج عليهم بشيء لم يدخل بعد في الوجود ، فانهم يقولون لانسلم أنه تعالى يعذبنا ، بل الأولى ان يحتج عليهم بشيء قد وجد حتى يكون الاستدلال قويا متينا . اه

ونحن نقول ان هذا الاخير أضعفها وانهم لا يعترفون به أيضا ، وانه لاحجة فيه ولا في الثاني على النصارى فيكون تسليما لهم أو إقرارا على دعوى انهم أبناء

الله ، وهم الذين يكثرون هذه الدعوى و يتبجحون بها ، ثم ان التعبير بالمضارع « يعذبكم » ينفي ان يكون المراد تعذيبا خاصا بطائفة وقع في الزمن الماضي . وأقوى أجوبته الأول ولكنه لم يفطن لما فيه من القوة ولم يبينه بيانا تاما، على انه لم يحرر أصل الدعوى فيهتدي الى تحرير الجواب . والصواب ان هذا الاشكال لا يرد على الاسلام والقرآن ، واليك البيان الصحيح الذي يتضاءل به حتى يدخل في خبر كان :

كان اليهود يعتقدون انهم شعب الله الخاص ميزهم لذاتهم على جميع البشر فلا يمكن أن يساويهم شعب آخر عنده وان كان اصح منهم ايمانا وأصلح عملا ، وانهم لا يكونون تابعين لغيرهم في الدين، فلا يصح ان يتبعوا محمدا (ص) لأنه عربي لا اسرائيلي . والفاضل لايتبع المفضول بزعمهم . ولا يمكن ان يؤاخذهم الله على الكفر به لأنهم شعبه الخاص المحبوب ، فهو لايعاملهم الا معاملة الوالد لأبنائه الاعزاء والمحب لحبوبه الخاص . واما النصارى فقد أربوا عليهم في الغرور ، وان كان النبي الذي يدعون اتباعه قد جاهد غرور اليهود جهادا عظيما، فهم يدعون ان المسيح قد فداهم بنفسه وانهم أبناء الله بولادة الروح، والمسيح ابنه الحقيقي، ويخاطبون الله تعالى دائما بلقب الأب . وقد كانت جميع فرقهم في زمن بعثة النبي (ص) اشد من اليهود فسادا وافسادا وفسقا وفجورا وظلما وعداونا بشهادة مؤرخي الامم كلها منهم ومن غيرهم ، ومع هذا كله كانوا يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وانهم غير محتاجين الى اصلاح في دينهم ولا دنياهم ، ولهذا رفضوا مادعاهم اليه النبي (ص) من التوحيد الخالص والفضائل الصحيحة والاعمال الصالحة ، وردوا ماجاءهم به من كون رضاة الله تعالى ومثوبته لاتنالان الا بتزكية النفس وإصلاحها بالتوحيد والعمل.

هذا حاصل ما كان عليه اليهود والنصارى من الغرور بدينهم و بأنفسهم و بأنبيائهم الذين تركوا هديهم وضلوا طريقهم ، وقد عبر الكتاب الحكيم عن ذلك هنا بأوجز لفظ واخصره وهو قولهم «نحن أبناء الله واحباؤه» وحاصل رده عليهم:
انكم من نوع البشر الذي هو من جنس مخلوقات الله تعالى ، وانه ليس لكم ولا لغيركم من طوائف البشر امتياز ذاتي خاص ولا نسبة ذاتية اليه تعالى ، لأن جميع خلقه بالنسبة اليه سواء ، وقد مضت سنته في البشر بأن يعذبهم في الدنيا بما كسبت

أيديهم ، ويعفو عن كثير من أعمالهم و يغفرها فلا يعجل لهم العذاب عليها . وذلك بحسب مشيئته ، المطابقة لعلمه وعدله وحكمته ؛ فاذا كان لكم امتياز ذاتي على جميع البشر فلم يعذبكم بذنوبكم في هذه الدنيا كما يعذب غيركم بذنوبهم؟ وأنتم تعلمون هذا علم اليقين من أنفسكم ومن تاريخكم. والمضارع «يعذبكم» هنا لبيان الشأن والسنة في معاملتهم ، فهو يدل على ان هذا التعذيب ثابت في كل زمان متى وقع سببه ، ووجدت علته . والكلام في سنة الله في الأمم والشعوب ، وتاريخهم فيه كتاريخ غيرهم قبل البعثة وفي زمنها و بعدها : ماعذبت أمة من الامم بشيء الا وعذبوا بمثله ، فلو كانوا ابناء الله واحباءه ولو مجازا بحسب مابيناه بالشواهد من كتبهم ، لما حل بهم ماحل بغيرهم ، أولم تكن لهم ذنوب يعذبون بها كما قال (١ يو ٣: ٩)

اذا فهمت هذا ظهر لك ان إشكال الرازي غير وارد أصلا ، فان الكلام في الامم والشعوب وابطال دعوى ان يكون شعب منها ممتازا عند الله بذاته ، لا تجري عليه سننه في سائر خلقه، و النبي(ص) لم يدع أن أمته لها مثل هذا الامتياز ، وان كل من انتمى اليها كان من ابناء الله ولا من أحبائه مهما عملوا من الاعمال، فيقال: لم غلب خيارهم اذا في غزوة أحد وعاملهم الله بما يعامل به سائر الناس؟ يثبت لك هذا ما أنزله الله تعالى في شأن غزوة أحد من الآيات، فقد بين فيها أن ما أصاب المسلمين انما أصابهم بذنوبهم، إذ خالف الرماة أمر نبيهم وقائدهم، وتنازعوا واختلفوا في أمرهم، وان الايام دول، والعاقبة للمتقين، فهم الذين يتعظون بالحوادث فلا يعودون الى مثل ماعوقبوا به . وقد قال تعالى في فاتحة سياق هذه القصة (٣: ١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ١٣٨ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ١٣٩ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ١٤٠ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ١٤١ وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين) ثم قال (١٥٢ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه، حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون) الخ آية ١٥٥ ثم قال(١٦٥ أو لما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) الخ

فأنت ترى أن هذه الآيات تبين لنا سننه تعالى في البشر ، وان الجزاء انما يكون على الاعمال ، لا على الاسماء والالقاب ؛ وهذا هو الذي يصدقه الوجود وتشهد به تواريخ جميع الاقوام والاجيال . غاية الامر ان شأن أهل الايمان الصحيح والدين القيم أن يكونوا أعرف بسنن الله تعالى في خلقه ، فتكون ذنوبهم التي يعاقبون بها موعظة يتعظون بها ، وتمحيصا يكمل نفوسهم بالعبر و يعلي شأنها ، وان يكونوا من المتقين لكل ماجعله الله سببا للخيبة والخسران، كالظلم والبغي والعدوان، والتنازع والتفرق والغرور وعدم النظام . وبهذا يكونون من أحباء الله تعالى و يكون ماحل بهم من قبيل تربية الوالد لولده ، ولا يحسن أن يسمى تعذيبا ، لان مرارة الدواء الذي يشفيك من السقم ، ليس كالسوط الذي لا يصيبك منه الا الألم .

ومن راجع تفسير هذه الآيات في الجزء الرابع من تفسيرنا هذا يتجلى له الحق في ذلك تمام التجلي . ولكن المسلمين لم يعتصموا بهذا البيان ، فيتقوا غرور أهل الكتاب ، بل اتبعوا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، الى ان آل الامر الى ضد ماكان ، فترك جماهير أهل الكتاب ذلك الغرور بدينهم ، واهتدوا بسنن الله في الامم والدول التي كانت قبلهم ، فساروا عليها في سياسة ملكهم ، وكان آخر حوادث غرور دولهم الكبرى غرور دولة الروسية في حربها مع دولة اليابان الوثنية ، على انه لم يكن غرورا دينيا محضا ، بل كان ممزوجا بالاستعداد الدنيوي مزجا . و بقي من اتبعوا سننهم من المسلمين ، ثابتين على تقليد أولئك المخذولين ، وفتن بعضهم بالمتأخرين المعتبرين ، ولكنهم ما احتذوا مثالهم في أمر الدنيا ولا رجعوا في مثله الى هدي الدين ، (وما يتذكر الا من ينيب)

أقام الله الحجة على أهل الكتاب ودحض شبهتهم التي غرتهم في دينهم ، فحسن بعد هذا ان يذكرهم بحجته عليهم يوم القيامة اذا هم أصروا على غرورهم وضلالهم ، فقال :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ أي قد جاءكم رسولنا المبشر به في كتبكم، المنتظر في اعتقادكم ، فان الله أخبركم على لسان

موسى انه سيقيم نبيا من بني إسماعيل أخوتكم ، وعلى لسان عيسى بن مريم بانه سيجيء بعده البارقليط روح الحق الذي يعلمكم كل شيء ، ولا تزال هذه البشارات في كتبكم ، وان حرفتموها بسوء فهم أو بسوء قصد منكم ، وهو النبي الكامل المعهود الذي سأل أجدادكم عنه يحيى (يوحنا) عليه السلام ، ففي أوائل الانجيل الرابع ان اليهود أرسلوا كهنة ولاويين فسألوا يوحنا : أأنت المسيح؟ قال لا. أأنت ايليا؟ قال لا. أأنت النبي؟ قال لا . وهذا هو الرسول محمد النبي العربي الامي الذي لم يتعلم شيئا ، وهو يبين لكم على فترة أي انقطاع من الرسل، وطول عهد على الوحي، جميع ماتحتاجون اليه من أمر دينكم، ومايصلح به أمر دنياكم، من العقائد الحق التي أفسدتها عليكم نزغات الوثنية ، والاخلاق والآداب الصحيحة التي أفسدها عليكم الافراط والتفريط في الامور المادية والروحية ، والعبادات والاحكام التي تصلح بها أموركم الشخصية والاجتماعية ـ فترك التصريح بمفعول « يبين لكم » لإفادة العموم ـ ويدخل فيه مابينه لكم مما كنتم تخفون من الكتاب لإقامة الحجة عليكم . ولو لم يكن رسولا من عند الله تعالى لما عرف هذا ولا ذاك مما تقاصرت عنه علوم احباركم ورهبانكم ، وحكمائكم وساستكم . جاء رسولنا محمد يبين لكم كل هذا ليقطع معذرتكم ويمنعكم يوم القيامة ﴿ أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير ﴾ يبشرنا بحسن عاقبة المؤمنين الصالحين المتقين ، وينذرنا ويخوفنا سوء عاقبة المفسدين الضالين المغرورين .

﴿ فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ يبين لكم ان أمر النجاة والخلاص ، والسعادة الابدية في دار القرار ، ليس منوطا بأمانيكم التي تتمنونها ، وأوهامكم التي تغترون بها ، بل هو منوط بالايمان والاعمال ، وان الله تعالى لا يحابي أحدا من الناس ، قال تعالى (٤ : ١٢٢ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب . من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من الله وليا ولا نصيرا ٤ : ١٢٣ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فلا يعجزه أن يريكم صدق نبيه بنصر دعوته واعلاء كلمته عليكم في الدنيا ، لتقيسوا على ذلك ان عاقبة ما يكون من الامر في الدار الاخرى .

روى أبناء اسحق وجرير والمنذر وابي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن

عباس قال : دعا رسول الله (ص) يهود الى الاسلام فرغبهم فيه وحذرهم فأبوا عليه . فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب : يامعشر يهود اتقوا الله، فوالله لتعلمون انه رسول الله ، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه لنا بصفته. فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا: انا ماقلنا لكم هذا وما انزل الله من كتاب من بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده . فانزل الله الآية . اي انزلها في هذا السياق متضمنة للرد عليهم

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الفترة من فتر الشيء اذا سكن أو زالت حدته .

وقال الراغب : الفتور سكون بعد حدة ، ولين بعد شدة ، وضعف بعد قوة ، وذكر الآية . والمراد بها هنا انقطاع الوحي وظهور الرسل عدة قرون . وقوله «أن تقولوا» تقدم مثله ، ومنه « يبين الله لكم أن تضلوا » في آخر سورة النساء . وتقدم وجه اعرابه ، وان بعضهم يقدر له : كراهية أن تضلوا أو أن تقولوا ، ومثله اتقاء أن تقولوا ، بل هذا أحسن و بعضهم يقدر النفي فيقول : لئلا تقولوا . والمعنى على كل وجه ما ذكرناه آنفا من منعهم من هذا الاحتجاج وقطع طريقه عليهم .

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين باسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ انا عربي وليس العرب مني ﴾

(س ٤١) من صاحب الامضاء بمصر

مولاي السيد الامام منشئ المنار نفع الله به المسلمين

اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فاننا نلتمس كتابة جواب على سؤالنا هذا في المنار الاغر لكشف الغمة عن صحة الحديث المسؤل عنه ومعناه

السؤال: قرأنا في جريدة المفيد البيروتية كتاب تهديد جاءها من بعض الترك يذم

فيه العرب جاء فيه حديث « انا عربي وليس العرب مني » فهل من سند صحيح لهذا الحديث بهذه الرواية ام برواية اخرى؟ واذا صح افلا يكون النبي (ص) قد تبرأ من عموم العرب وهم قومه وهو منهم ؟ وما سبب ذلك اذا صح ؟

ثم انا نسمع بشيوع هـذا الحديث في امـة الترك حتى ان كل من خدم في العسكرية « الجهادية » سمعه منهم بروايات منها « انا عربي وليس الاعراب مني » ومنهـا « انا عربي وليس أعرب مني » فأية الروايات أصح ؟ افيـدونا لازلتم ملجأ لحل الفوامض

سائل

(ج) لايصح شيء من ألفاظ هذا الحديث بل هو موضوع مختلق على النبي صلى الله عليه وسلم . وانا لم أسمعه من أحد الا من بعض افراد عسكر بلدنا الذين حضروا حرب البلقان الاولى وحرب الروسية للدولة وغيرهم ممن أدوا الخدمة العسكرية مع أمثالهم من الترك . نقل الينـا هؤلاء ان بعض أفراد الترك كانوا يحتقرونهم ويقولون لهم : ان الله قد ذم العرب في القرآن العظيم الشان بقوله (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) وان النبي (ص) قال فيهم « أنا عربي وليس العرب مني » فمن هؤلاء من كان يتعجب من هذه الاقوال ولايدري ما يقول كالاميين . ومنهم بعض الاذكياء الذين يقرءون القرآن كانوا يجيبون عن الآية بما يقابلها من قوله تعالى في سورتها ـ التوبة (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) فيفهم من مجموع الآيتين ان تلك في كافري الاعراب ومنافقيهـم ، وهـذه في مؤمنيهم الصـادقين الصـالحين ، وان المدح والذم فيها ليس للجنس . ولكن لم أسمع من أحد ولا عن أحد منهم أنه أجاب بأن الاعراب هم سكان البادية خاصة والواحد أعرابي، وان علة كون كفارهم ومنافقيهم أشد كفراً ونفاقاً من أمثالهم في الحضر هي جفوة البداوة وقسوتها وخشونتها كما هو معروف عند جميع الامم ، وان التعرب أي سكنى البادية كان محرما على المؤمنين بعد الهجرة لوجوب ملازمة النبي (ص) ونصرته

وأما الحديث فلم يكن أحد من أولئك العوامّ يعلم ان بعض الناس قد كذب على الرسول (ص) ونسب اليه أحاديث لم يروها عنه أحد من نقلة حديثه منها ماله معنى صحيح ومنها مامعناه باطل كلفظه . وهذا القسم منه مالا يعرف بطلان معناه الا العلماء ، ومنه ماهو بديهي يعرف بطلانه كل من شم رائحة الاسلام كقول أولئك السفهاء من الترك انه (ص) قال « أنا عربي وليس العرب مني » اذ لامعنى لهذا النفي الا التبرؤ من قومه

العرب . وليس الغريب أن يحفظ هـذا بعض المتعلمين المتفرنجين الذين أفسدت السياسة عليهم دينهم فكان من عصبيتهم الجنسية التركية بغض العرب ، ولكن العجيب الغريب وصول هذه المفسدة الى عوامهم الذين نسمع ان أكثرهم باق على فطرته الاسلامية يحب العرب تدينا لانهم قوم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

وقد سمعت من بعض من شهد هـذه المحاورات انهم كانوا يجيبون عن الحديث بأن أصله « أنا عربي وليس أعرب مني » وأنهم رووه محرفاً . ولا أدري أهذا شيء كان سمعه ممن أجاب بمثل هذا الجواب ؟ أم ظن أن أصله ماذكر فصححه بظنه ؟

وانني أورد هنا بعض الاحاديث الواردة في مناقب العرب إتماما للحجة على أولئك المنافقين من الترك وتثبيتاً لاخواننا المؤمنين الصادقين منهم ومن غيرهم . فمنها قوله (ص) « أحبوا العرب لثلاث : لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وكذا العقيلي ووضع السيوطي بجانبه في الجامع الصغير علامة الصحة . ومنها « ان الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن واثلة . ولفظ الترمذي « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً » الخ فهذا الحديث الصحيح يدل مع قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) ان العرب بني اسماعيل هم صفوة أصفياء الله من البشر كلهم وصفوتهم قريش وصفوة قريش بنو هاشم ، فهم لب اللباب ، وخاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والتسليم صفوتهم فهو سيد ولد آدم على الاطلاق ، فكيف يتبرأ من قومه الذين اصطفاهم الله تعالى واصطفاه منهم ؟ ومن عساه يستبدل بهم في عرف أولئك المنافقين ؟ وقد روى الحاكم هذا المعنى من حديث ابن عمر بلفظ آخر وهو : « ان الله اختار من آدم العرب واختار من العرب مضر ومن مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » وروى أيضاً من حديث أنس مرفوعاً « حب العرب ايمان وبغضهم نفاق » وسند هذا ضعيف يؤيده ويقويه سائر الاحاديث في الباب مما تقدم وما هو في معناه كحديث « لايبغض العرب الا منافق » رواه عبد الله بن الامام احمد في زوائده عن علي كرم الله وجهه ، وحديث « لا يبغض العرب مؤمن » رواه الطبراني عن ابن عمر ، وحديث « من

احب العرب فهو حبي حقا » رواه ابو الشيخ عن ابن عباس .

فهذه الاحاديث تدل على ان هؤلاء الذين عرفوا ببغض العرب كلهم من المنافقين المبغضين لله تعالى ولرسوله (ص) وقد اشتهر عن بعض أهل الجراءة منهم التصريح ببغض الاسلام ، والنيل من مقام خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، والطعن في الخلفاء وسائر الصحابة الكرام ، وهم يتعمدون إذلال العرب وإهانتهم انتقاما من الاسلام ، ولا غرو ففي حديث جابر عند ابي يعلى بسند صحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » اللهم اعز الاسلام واعز العرب ، اللهم وأعز مَن أعز العرب وأذل من أذلهم الى يوم القيامة .

﴿ تحويل مصلحة الأوقاف العمومية بمصر الى نظارة ﴾

الاوقاف العمومية هي المحبوسة على المصالح الاسلامية العامة كالمساجد والمدارس والتكايا أوعمل البر والخير مطلقا أو مقيدا . ومنها أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأزهر. فمنها ما وقف على ذلك ابتداء ومنها ما آل صرفه الى بعض هذه المصالح بعينه أو مطلقا ، كأوقاف الملوك التي لاتراعى شروطها والأوقاف التي جهلت شروطها أو تعذر صرفها فيها . وقدكانت هذه الأوقاف قبل النظام الجديد الذي أوجده (محمد علي الكبير) في مصر تابعة لحال حكومتها في الفوضى والاختلال والضياع، ثم أدخلت في سلك النظام حتى جعلت نظارة من نظارات الحكومة قبل الاحتلال الانكليزي . ثم جعلت مصلحة مستقلة ناظرها الشرعي هو الحاكم العام للبلاد (الخديو) وهو يوكل عنه مديرا يتولى الاعمال الادارية العامة، وأضيف اليها كثير من الاوقاف الخصوصية للثقة بضبطها . وما يناط بالقاضي الشرعي من تلك الاعمال كالاذن بالاستبدال وتولية النظار وعزلهم يرجع فيه الى قاضي مصر . وقد ترقت هذه المصلحة بالتدريج وكثر دخلها، وعمر كثير من مبانيها وأرضها . ولكن الناس ينتقدون إدارتها وديوانها بأشد مما ينتقدون به نظارات الحكومة ومصالحها ، وكان المخلصون منهم يتمنون أن يكون نظامها أتم من نظام تلك النظارات والمصالح وارتقاؤها أكمل لتكون حجة على اقتدار المصري على الاعمال العامة بدون مراقبة الاجنبي وسيطرته، حتى لايكون للمحتلين وجه للتعرض لها ووضعها تحت سيطرتهم

حدثني شيخنا الاستاذ الامام في سنة ١٣١٦ عند حدوث مسألة إصلاح المحاكم

الشرعية انه كان قال للأمير منذ سنين : ان في يد مولانا (وفي الاصل افندينا) ثلاث مصالح لا يمد الانكليز اليها أيديهم الآن لأنها دينية ، اذا أصلحتها تحيي بها المسلمين وهي الاوقاف والازهر والمحاكم الشرعية . فهذه الكلمة المسجلة في المنار منذ سنين تدل على ان أهل الرأي من المسلمين كانوا يخافون من أوائل العهد بالاحتلال أن تفضي سيطرته الى الدين بجعل معاهد العبادة والتعليم الديني والقائمين به وبالوظائف الدينية تحت سيطرة غير المسلمين ، وكذلك ريع الاوقاف الاسلامية المحبوسة على مصالح المسلمين ، فلا يبقى للمسلمين استقلال ما حتى في أمر دينهم ، فماذا يكون لهم من الاستقلال في أمر دنياهم ؟

وإنما جاء هذا الخوف بما يعلمونه من تصرف بعض الاوربيين في مستعمراتهم الاسلامية كتصرف فرنسة في أوقاف الجزائر وتونس وفي جعلها المساجد والتعليم الديني تحت سيطرتها ، وذلك أشد ما بغضها الى مسلمي تلك البلاد والى جميع المستنيرين من مسلمي الارض . ولكن الانكليز أوسع من الفرنسيس صدرا ، وأكبر أناة وروية وصبرا ، وأعلم بمداراة شعور الأمم وأدق خبرا ، وأدرى بمسالك التدريج في إحكام النفوذ والسلطة وأصح فكرا . وبهذه المزايا التي نبغوا فيها ، وبما في مصر من الاستعداد الطبيعي للعمران في أرضها وأهلها وحكومتها ، وبتغلغل الأوربيين فيها وما لهم فيها من الامتيازات والاملاك والديون – بهذا كله امكن لهم (أي للانكليز) أن يسلكوا في ادارتها والسيطرة على حكومتها مسلكا لطيفا لم تشعر الامة بثقل وطأته ، ولا بأنها فقدت شيئا كان لها قبله . ذلك بأنهم كانوا يتقون كل ماله علاقة بالدين ، ويعملون سائر الاعمال بالأوامر الخديوية العالية وقرار النظار الوطنيين . وبأن الجرائد المعارضة لم تكن تنتقد أحدا من رجال الانكليز الا قليلا، وانما كانت تبالغ في انتقاد الوزارة المصرية وتلصق كل ماتنكره من الاعمال بها، وكانت عاقبة هذا ان كل إصلاح حصل في مصر حفظ ونسب الى المحتلين . وكل ماكان ينتقد عليهم أو على الحكومة المصرية بسببهم قد نسيه الجمهور، إما لأنه سلبي، وإما لأنه ألف، وإما لانه عمل عارض ليس له صورة باقية . واما تأثير هذا المسلك في خارج القطر المصري فهو أنه قد جعل للانكليز اسما سميا ، وقدرا عليا ، وصار مسلمو الشرق والغرب ، يفضلونهم به على جميع الافرنج أو جميع دول الارض .

لاجل هذا عجب كثير من الناس في هذه الأيام من تصدي لورد كتشنر الى تحويل مصلحة الاوقاف الاسلامية الى نظارة مع علم الناس بأن النظار مجبورون على

ان يكونوا تحت سيطرة المعتمد الانكليزي في مصر كما هو الواقع ، وكما صرح به ناظر خارجية انكلترة رسميا ، وكما يفهم من اقتراح لورد كرومر من قبل (وسيأتي نصه) ولكن اللورد اعد للأمر عدته ، واقنع به حكومته ، وحكومته وثقت من حكومة الآستانة بأنها تساعدها على ماتريد عمله في مصر من هذا الامر وغيره وان كان له علاقة بالدين ، لتعمله بنفوذ الخليفة الذي جربت بريطانية نفوذه الديني في الهند . وكانت الاسباب في مصر ممهدة بما أضعف قانون المطبوعات من حرية الجرائد . وما كان يخشى الا من الازهر ، وقد شاع في البلد ان الازهريين شرعوا في معارضة قوية لكن الحكومة تلافتها بسرعة وحزم . فقدر اللورد كتشنر على ما تمناه لورد كرومر ولم يجرأ على تنفيذه

مدح لورد كرومر في تقاريره مصلحة الاوقاف ولا سيما تقرير سنة ١٩٠٢ ووصف تقدمها وشهد بأنها تعطي جميع المستحقين كل بارة يستحقونها في وقتها، وانهم لم يكونوا يصلون الى حقوقهم من قبل هذا النظام. وأشار في بعض التقارير الى انتقاد بعض الناس عليها وحاجتها الى الاصلاح . وقال في تقريره عن سنة ١٩٠٤ — وهي السنة التي عقد فيها « الاتفاق الانكليزي الفرنسي وصدق عليه غيرهما من الدول — ان دخل الديوان بلغ في هذه السنة ٣٠٣،٠٠٠ ج م» ونفقاته ٢٢٠،٠٠٠ ج م فالزيادة ٨٣،٠٠٠ ج م وان مال الاوقاف الاحتياطي بلغ ١٧٥،٠٠٠ ج م في آخر ديسمبر سنة ١٩٠٤ (قال) وفي سنة ١٨٩٦ كان العجز في حساب ديوان الاوقاف ٢٧،٠٠٠ ومن ذلك الوقت انقلب العجز الى زيادة تتعاظم عاما فعاما حتى بلغ مجموع الزيادات في الثماني سنوات الاخيرة لا اقل من ٤٠٩،٠٠٠ ج م (أي زهاء نصف مليون جنيه مصري) ثم قال في خاتمة الكلام عنه بعد ذكر تنظيم هراري باشا لحساباته مانصه :

« ولم يجر في الاوقاف مايذكر غير ذلك ولا تزال ادارتها قاصرة جدا كما يعترف بذلك أولو الالباب من المسلمين . غير ان هذا الموضوع ليس من المواضيع التي يتعرض لها مشيرو الدولة البريطانية كثيراً » اه أي لتعلقه بأمر الدين

ثم قال في تقريره عن سنة ١٩٠٥ بعد التصريح بأن ديوان الاوقاف أصلح في السنوات الاخيرة بعض الاصلاح مانصه : « واعتقادي ان الاصلاح الوحيد المرضي هو وضع هذا الديوان تحت ادارة ناظر مسئول يكون عضوا في مجلس النظار وتيسر مراقبة أعماله كما تراقب سائر النظارات . أما الآن فانه تحت ادارة مدير عمومي مستقل عن مجلس النظار على الغالب » اه وانما قال : على الغالب، لان حسابات الاوقاف تحت مراقبة نظارة المالية

فيعلم من هذا ان معنى جعل مصلحة الاوقاف نظارة هو وضعها تحت مراقبة الانكليز أي ان الاموال التي تقام بها شعائر الاسلام في المساجد — ومنها ما هو للحرمين الشريفين — والتي ينفق منها على التعليم الديني تكون تحت مراقبة وساطة المستشار المالي الانكليزي والمعتمد السياسي البريطاني مادام هذا هو الشكل الذي تدير به بريطانية حكومة هذا القطر . ولا يوجد مسلم يرضى بهذا باختياره، فكان من المنتظر أن تقوم قيامة القطر بالمعارضة والاحتجاج على هذا العمل ، ثم تردد صداه جميع البلاد الاسلامية ، ولكن حال دون ذلك ما أشرنا اليه وما نبينه من الاسباب والتمهيدات التي اتخذت والاسراع في التنفيذ . وكيف كان ذلك ؟

ان الذي شاع وذاع في البلد هو أن اللورد عرض المشروع على الخديو وقال ان حكومة لوندرة جزمت به ، فعارض الخديو أولا ، ثم اتفقا على استفتاء الآستانة بناء على ان هذا المشروع يتعلق بالدين والسلطان هو الخليفة صاحب السلطة الدينية العليا ، فرفع الامر الى الآستانة فجاء الجواب حالا في أيام العيد بأن تحويل مصلحة الاوقاف الى نظارة جائز لان الامر في الاستانة كذلك . فقطعت فتوى الخليفة كل كلام في شكل المشروع كما قطعت جهيزة قول كل خطيب ، الا أن بعض الجرائد كالمؤيد بينت الفرق بين نظارات الاستانة ونظارات مصر بأن تلك مستقلة تحت سلطة الخليفة، وشيخ الاسلام هو العضو الاول في مجلس النظار ، وهذه تحت مراقبة دولة أجنبية ، ولكن اللورد تلافى هذا الاعتراض قبل وقوعه بما اعلن وأشيع من خبر اتفاقه مع الحكومة على أن لا يكون لنظارة الاوقاف الجديدة مستشار انكليزي بل تكون مستقلة في أعمالها ويكون لها مجلس أعلى من المسلمين تقيد به تصرفات الناظر كالمجلس الاول في الجملة

الحق أقول ان هذا كان مؤثرا ، وان جواب الاستانة لم يفعل في القلوب والافواه، فعله في الجرائد والاقلام، فالذين لم يقولوا فيه شيئا بأقلامهم، قد قالوا بقلوبهم وأفواههم، ولكن ايقنوا بأنه لا بد من تنفيذ المشروع، فصار همهم في جعله مسوّرا بما يكفل استقلال أوقافهم، وصرف أموالها في مصالحهم، وجعل القول الفصل فيها لهم دون الاجانب . فكان جمهور الامة يودّ تأخير صدور الامر العالي به الى أن تنعقد الجمعية التشريعية في أوائل السنة الآتية ـ وما هي ببعيد ـ لتصدق عليه وتقرره فتطمئن به قلوب الامة . وقد كررت جريدة المؤيد القول في هذا الاقتراح . وكتب سعد باشا زغلول الشهير بمعارفه القانونية والاجتماعية وباستقلال الرأي مقالا في المقطم نقلته سائر الجرائد اقترح فيه

ان يكون رأي الجمعية التشريعية قطعيا نافذا فيا يعرض عليها من ميزانية نظارة الاوقاف وما يوضع له من اللوائح والنظام. وقد ايد اقتراحه بالبيان الذي صادف استحسان جمهور المسلمين – وانما قلت جمهور المسلمين لأنه يوجد في المسلمين كما يوجد في غيرهم من الشعوب من لا يبالي بالمصالح الدينية العامة، ومن لا يبالي بالمصالح الدنيوية العامة ايضا، ومن لا يعرف له رأي لانه إمعة يتابع كل أحد في مجلسه، وناهيك بمن يدهنون لاصحاب السلطة والنفوذ في كل شيء.

ونشرت نبذة في جريدة المؤيد عزيت الى عالم من كبار العلماء تتضمن اقتراحا آخر ربما كان اصدق معبر عن رأي الجمهور في هذا الامر لأنني سمعت بعض الأذكياء يتحدثون به قبل نشر المؤيد له ويقولون ان هذا هو الذي يوده جميع المسلمين: وهاك نص تلك النبذة:

﴿ الرأي الاسلامي العام في مسألة الاوقاف ﴾

لعالم من كبار علماء المسلمين

عرف القراء رأي المؤيد الخاص في هذه المسألة المهمة. وقد كان همنا في هذه الايام مصروفا الى الوقوف على الرأي الاسلامي السائد في جميع الطبقات المفكرة من المسلمين فيها. فعلمنا بعد كثرة السؤال واكتشاف الآراء ان جمهور المسلمين لم تظهر لهم فائدة معقولة في هذا التغيير والتحويل في ادارة هذه المصلحة الاسلامية فكان هذا داعية الوسواس وسوء الظن، وسرى فيهم اعتقاد أن هذا التغيير تمهيد لصرف أوقاف المسلمين في بعض الامور العمومية التي يجب الاتفاق عليها من خزينة الحكومة أو من جميع طوائف الامة، فيشارك المسلمين غيرهم من الطوائف في منفعة أوقافهم التي وقفها سلفهم لمصالحهم وشعائرهم الخاصة عبادة لله تعالى وتقربا اليه. ونحن نبرئ الحكومة وكذا المحتلون من ارادة ذلك أو الرضاء به. ونقترح على أولي الامر مولانا الخديو ورجال حكومته أن يجعلوا في نص لائحة الاوقاف الجديدة أو الامر العالي الذي يصدر في هذه المسألة مايزيل وسواس الامة وتطمئن به قلوبها وهو أن لا يصرف شيء من أموال الاوقاف في غير الشعائر الاسلامية والتعليم الاسلامي وسائر المصالح الخاصة بالمسلمين، حتى يعلم الخاص والعام ان أوقاف المسلمين سالمة لهم كغيرهم من الطوائف التابعة للحكومة المحلية (محفوظ)

ثم صدر الامر العالي بالمشروع وفي مقدمته اشارة الى معنى هذا الاقتراح. وفيه من الضمان مايراه القراء وهذا نصه:

﴿ صورة الأمر العالي بتحويل مصلحة الاوقاف الى نظارة ﴾

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع على أمرنا الصادر في ١٣ يوليو سنة ١٨٩٥ بالتصديق على لائحة الاوقاف ومراعاة لرغبتنا في زيادة تحسين السير في جميع المصالح العمومية بحكومتنا وتمكين رعايانا من الاشتراك في مراقبة مرافق الامة طبقاً للقوانين النظامية

ونظراً للازدياد الذي طرأ على الاعمال القائم بها ديوان عموم الاوقاف واتساع نطاق الامور الموكولة اليه وتعددها فضلا عما هو منظور لها من النماء

ونظراً الى الفائدة التي تترتب حينئذ على جعل هذا الديوان نظارة يتولى شؤونها ناظر بعنوان «ناظر الاوقاف» يدخل في هيئة مجلس النظار، ويعطى له توكيلا منا بالصيغة المقررة من قديم الزمان، ويدير الاعمال التي من اختصاص ديوان عموم الاوقاف بنفس المسؤولية الملقاة على عاتق سائر النظار في نظاراتهم، بحيث يبقى لمصلحة الاوقاف استقلالها الذاتي، وتكون ميزانيتها قائمة بنفسها على حدتها، ويكون على هذا الناظر السهر على حسن سير تلك المصلحة، واستعمال أموالها في شؤون الامة الاسلامية، والمحافظة على الاحترام الواجب للشروط والقيود المدونة في الوقفيات طبقاً لاحكام الشرع الشريف، مع الاهتمام باقامة الشعائر الدينية والاعمال الخيرية المتعلقة بها كما يجب، والرجوع الى المحكمة الشرعية في جميع الاحوال التي نصت اللائحة الحالية على الرجوع فيها اليها

ولما كان من الضروري دقة البحث في التعديلات والتحسينات التي قد تدعو الحاجة الى ادخالها في نظام مصلحة الاوقاف، ومن المفيد ان يضم الى الناظر المشار اليه مجلس يعاونه في هذه المهمة ويحل محل مجلس الاوقاف الاعلى الحالي بنفس الاختصاصات المخولة له، بحيث تبلغ نتيجة هذا البحث الى مجلس النظار، كما ان كل تعديل في النظام الحالي يجب تقديمه الى الجمعية التشريعية للمناقشة فيه ثم عرضه علينا لصدوره في صيغة قانون —

فبعد موافقة رأي مجلس النظار امرنا بما هو آت

المادة الاولى — تنشأ نظارة للأوقاف يتولى ادارتها ناظر يعاونه وكيل نظارة ويحل محل ديوان عموم الاوقاف

المادة الثانية — يتألف المجلس الاعلى من ناظر الاوقاف بصفة رئيس ومن

شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية ومن ثلاثة أعضاء آخرين يكون تعيينهم منا بناء على طلب مجلس النظار

فاذاحدث مانع لناظر الاوقاف تكون رئاسة المجلس الاعلى لوكيل نظارة الاوقاف واذا حدث مانع لواحد من العالمين المشار اليهما فيقوم مقامه عالم آخر يعينه مجلس النظار

وتكون مداولات المجلس صحيحة ان حضره اربعة من الاعضاء على الاقل وعند انقسام الآراء يكون رأي الرئيس مرجحاً

المادة الثالثة - تكون ميزانية الاوقاف نافذة المفعول بمقتضى ارادة خديوية تصدر منا بناء على طلب نظارة الاوقاف وتصديق المجلس الاعلى وبعد اخذ رأي الجمعية التشريعية ويقدم للجمعية التشريعية ايضا الحساب الختامي لكل سنة بعد انقضائها

المادة الرابعة - تلغى جميع النصوص المخالفة لأمرنا هذا . وفي جميع النصوص الاخرى يكون اسم - ناظر الاوقاف - ونظارة الاوقاف - بدلا من مدير عموم الاوقاف - وديوان عموم الاوقاف

المادة الخامسة - على رئيس مجلس النظار تنفيذ أمرنا هذا . ويسري العمل به بمجرد نشره في الجريدة الرسمية

صدر بسراي القبة ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٣١ - نوفمبر سنة ١٩١٣ عباس حلمي

* *

هذا هو نص الأمر العالي الخديوي بجعل مصلحة الاوقاف نظارة . وخير ما فيه النص في مقدمته على صرف أموال هذه الاوقاف في مصالح المسلمين ومراعاة الاحكام الشرعية فيها . فان هذا النص يؤمن المسلمين من ضياع شيء من أوقافهم على غير مصالحهم اذا روعي والتزم . وبهذا تكون هذه المصلحة خيرا مما كانت عليه من هذا الوجه فان كثيرا من أهل العلم والدين ينتقدون تخصيص خمسة آلاف جنيه من أوقاف المسلمين لمدرسة الجامعة المصرية التي هي مدرسة دنيوية عامة ، لا تعاليمها اسلامية ولا معلموها ولا طلابها من المسلمين وحدهم . وقد صدر الامر العالي الخديوي بتعيين احمد حشمت باشا ناظر المعارف ناظرا للأوقاف وهو الذي اتفق على الثقة به الأمير والعميد ، وله في الامة ذكر حميد ، وههنا بحث شرعي مهم :

نظارة الاوقاف في نظر الشرع الاسلامي

لم نكتب في هذه المسألة شيئا قبل انتهائها اذ ليس من عادتنا الدخول في السياسة او الادارة المصرية العملية وانما نكتب ما نكتب في بعض المسائل لأجل العبرة والتاريخ.

وقد كان سألنا بعض كبراء الانكليز هل تحويل مديرية الاوقاف الى نظارة جائز في الدين الاسلامي أم لا ؟ فكان مما قلناه في الجواب : اذا كان المراد من هذا التحويل تسمية المتولي لامور الاوقاف والمتصرف فيها « ناظرا » فهذه التسمية هي الموافقة لاصطلاح الشرع ، اذ الذي يعرف في كتب الفقه لفظ « ناظر الوقف » « ونظار الاوقاف » وأما لفظ « مدير الوقف » فلا يذكر فيها ، واذا كان المراد من هذا التحويل تغيير نظام ادارة الاوقاف وجعل الناظر المتولي لها تحت سيطرة اجنبية كما هو شأن نظار الحكومة المصرية غير مستقل بعمله فيكون له حكم آخر ... وذكرنا له ذلك الحكم بالاجمال وان التفصيل فيه يتوقف على معرفة ذلك التغيير ما هو

تعيين نظار الاوقاف وعزلهم من حقوق قضاة الشرع . وكان ناظر الاوقاف العمومية التي يديرها الديوان قبل هذا التحويل هو الخديو عباس حلمي باشا، وكان مدير الاوقاف وكيلا شرعيا عنه . والمفهوم من نص الامر العالي ان الامر في هذا بقي كما كان ، وان الناظر الجديد ناظر سياسي يكون وكيلا للناظر الشرعي ، فهو كما جعله ناظرا سياسيا يجعله وكيلا شرعيا عنه، فجميع تصرفاته الشرعية تكون له بصفة الوكالة عن الناظر الشرعي، والذي له بالاصالة وصفة النظارة هو ما عدا ذلك كالمشاركة في اعمال مجلس النظار

ومن هنا يظهر الفرق بين الناظر في الاستانة والناظر في مصر عند الفقهاء ، فالذي يولي النظار هناك هو صاحب السلطة الشرعية العليا هناك وهنا ، وهو الذي يولي شيخ الاسلام وقاضي مصر ويأذن لشيخ الاسلام بتولية قضاة الشرع وعزلهم ، وهو الذي يولي خديو مصر نفسه فليس له من السلطة الشرعية الا ما اعطاه في فرمان توليته

وبقي من مباحث هذه المسألة أن الحكومة جعلت شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية عضوين في المجلس الاعلى لهذه النظارة ليطمئن المسلمون على كون أوقافهم لا يتصرف فيها الا على وفق شرعهم وحسب مصالحهم ، وكون معاهد التعليم الديني تبقى مضمونة التقدم والارتقاء . ورضاء المعتمد الانكليزي بهذا مع عدم تعيين مستشار انكليزي لهذه النظارة مما يقصد به اقناع المسلمين بأن الانكليز لا يريدون من هذه النظارة شيئا ينافي مصلحة المسلمين المحضة .

وقد يقال هنا لم يجعل نصف أعضاء هذا المجلس من علماء الشرع ونصفه من علماء الادارة والنظام مع كون الترجيح في هذه الحالة بين النصفين يكون للناظر الذي هو من القسم الثاني وان لم يحضر من اعضائه الا واحد فقط ؟ واذا فرضنا الآن ان الشيخين ارتأيا في المجلس رأيا أو اقترحا اقتراحا مبنيا على جعل بعض الأعمال

مطابقا لحكم الشرع أو لمصلحة المعاهد الدينية وخالفهما فيه سائر الأعضاء وهم الاكثر فكيف يتحقق ما ذكرناه من حكمة تعيينهما وهما لا يرجح لهما رأي في المجلس الا اذا وافقهما الناظر وسائر الاعضاء ، وهؤلاء اذا خالفوا الشيخين نفذ رأيهم حتما ؟ لا أجد لهذا السؤال جوابا يؤيد الحكومة الا أن وجود الشيخين يضمن ما ذكر من موافقة الشرع والمصالح الاسلامية ببيانهما للمجلس ما عساه يخفى على سائر الاعضاء من الاحكام وحاجات المعاهد الدينية ، ولا يخشى حينئذ أن يخالفهما سائر الاعضاء وكلهم من المسلمين الذين تجتهد الحكومة في جعلهم من أهل الاستقامة واستقلال الرأي . والحق ان استقامة أعضاء المجلس الاعلى لهذه النظارة واستقلالهم وكفاءة الناظر هي التي عليها المدار في الاصلاح المطلوب ، فنسأل الله تعالى لهم التوفيق

الاصلاح في نظارة المعارف

(في عهد أحمد حشمت باشا)

ان المصريين الذين تعلموا في المدارس العصرية من أميرية وأهلية وأجنبية يعدون في هذا القطر بمئات الالوف ، وفيهم ألوف كثيرة يحملون شهادات التعليم الثانوي والتعليم العالي . ولكن الذين ينفعون البلاد بعلمهم قليلون جدا ، وأكثرهم كل على الامة ينفقون كثيرا ولا يربحون الا قليلا . ويندر أن يوجد فيهم من يقدر على الاستقلال بعمل يحصل به قوته ، فجمهور الفلاحين الاميين خير منهم وأنفع للبلاد لان مدار حياتها على عملهم ، وأكثر ما يستخرجونه من خيرات الارض ينفقه المتعلمون في شهواتهم وزينتهم ولهوهم فيجعلون للاجانب الحظ الاوفر من هذه الاموال ، ثم ان حظ أكثر هؤلاء المتعلمين من الحياة المعنوية ليس أشرف ولا أرقى من حظهم من الحياة المادية بل ربما كان دونه .

ومن بحث عن أسباب ذلك يعثر في أول الطريق بالسبب الاول له وهو القصد من التعليم ، ذلك ان أكثر المتعلمين يقصدون من التعلم شهادة يكون لهم بها رزق مضمون من الحكومة . فهم لا يقصدون تهذيب أنفسهم وتكميلها بالفعل ولا الاستعانة على الاعمال الاستقلالية التي ترقي الامة . فاذا جاوز هذا السبب يلقاه وراءه السبب الثاني ، وهو كون التعليم نظريا لا عمليا في الغالب . فمن تدبر هذين السببين يعرف قيمة ما شرع فيه حشمت باشا من الاصلاح العظيم بفتح أبواب التعليم العملي لعلوم اللسان وعلوم الحياة ، إذ أنشأ مدارس جديدة للزراعة والصناعة والتجارة وما يتعلق بها من علوم الاقتصاد والقوانين وفنون مسك الدفاتر والمحاسبة وأعمال المصارف (البنوك)

والشركات والسمسرة ، وعني باصلاح مدرسة الزراعة ومدرسة الهندسة ومدرسة الصنائع التي كانت من قبل

واهتم بمدارس البنات كما اهتم بمدارس البنين فحول التعليم فيها من الطريقة النظرية والمحفوظات اللسانية الى الطريقة العملية ، بتعليم كل ما تحتاج اليه ربات البيوت في ادارة بيوتهن ، وأنشأ مدرسة جديدة داخلية سميت مدرسة التدبير المنزلي يتعلم البنات فيها الدين والادب وحفظ الصحة والحساب وجميع أعمال البيوت من طبخ وغسل وكي ثياب وخياطة وتطريز وترقيع .

وحوّل التعليم عن اللغة الانكليزية الى اللغة العربية في التعليم الاول والثاني وبعض التعليم العالي ، وانشأ لجنة لاجل ترجمة الكتب بالعربية . وفتح ابواب الامل لمن يترجم الكتب التي تحتاج اليها المدارس بشراء النسخ الكثيرة منها . وشرع في طبع عدة كتب نفيسة من آثار علمائنا على نفقة دار الكتب الخديوية . وآخر ما عني به جعل تعليم اللغة العربية عمليا أيضاً لتكون اللغة ملكة في اللسان والقلم . وكان آخر ما أصدره من المنشورات في ذلك وهو :

المنشور الاول

وضع علماء العصور السابقة الشكل في اللغة العربية ليدل على هيئة النطق بالحروف الهجائية في صيغ الكلمات ، فهو من الاجزاء الضرورية في الكتابة العربية ، والمحافظة عليه من اقوى الاسباب في صحة اللغة ، ومن أعظم وسائل التسهيل على القارئين وتركه يؤدي في كثير من الاحيان الى الخطأ أو الالتباس في نطق الالفاظ ، والى صعوبة القراءة . فمن الواجب استعماله في الكتب على العموم ، وفي كتب التعليم على الخصوص ، وفي كتب تعليم اللغة العربية على الاخص

ولكن كتب تعليم تلك اللغة المستعملة بالمدارس كثير منها خال من الشكل بالمرة والقليل منها مشكول شكلا غير واف بالحاجة

وبما ان الشكل من الاهمية بالمكانة العظمى ، وعليه المدار في انتشار صحيح اللغة بين الجمهور على العموم ، والمتعلمين على الخصوص ، رأت النظارة أن تلفت المؤلفين الى التدقيق في رعاية هذا الامر الاساسي فيما يؤلفونه من كتب التعليم ، ولا سيما فيما يختص منها بالمكاتب والمدارس وسائر معاهد التعليم التي تحت اشرافها

وتعلن النظارة انها من الآن فصاعدا لا تقبل من كتب تعليم اللغة العربية للمكاتب

الاولية ، والمدارس الابتدائية والثانوية ، الا ما كان مشكولا شكلا تاما . سواء كان مقدماً اليها لتقرره من جديد أم مطلوباً اعادة طبعة مما سبق لها تقريره

كما أنها تفضل من الكتب المذكورة الخاصة بالمدارس العالية ما كان بالشكل التام

﴿ المنشور الثاني ﴾

ملخصه أن كل ما يقدم الى النظارة من المؤلفات التاريخية والجغرافية او يطلب منها اعادة طبعه يجب ان تضبط فيه الاعلام بالشكل التام ، وكذا كل كلة يمكن ان يقع فيها الالتباس.

﴿ المنشور الثالث ﴾

طريقة تحفيظ القطع المنتخبة باقراء القطع قبل تفسير ما فيها من المفردات اللغوية والاساليب الغريبة ، قلما تأتي بالفائدة المقصودة من استظهار المختارات الشعرية والنثرية « وهي التضلع من متن اللغة والتوسع في أساليب تراكيبها »

لذلك رأينا أن نلفت حضرات المعلمين الى ما يأتي

(١) أن يعد المعلم قبل الشروع في التحفيظ ـ ما تحتوي عليه القطعة من المفردات اللغوية ويكتبها مسلسلة بعضها تحت بعض على شكل عمودي ويكتب امام كل كلمة اللفظ الذي يفسرها

(٢) أن تكون كتابة الاسماء المطلوب تفسيرها على صيغة المفرد، واذا مست الحاجة تقرن بتثنيتها وجموعها . وأن تكون كتابة الافعال ايضا على صيغة الماضي ، واذا دعت الحال تصحب بالمضارع والامر ، وأن يضبط بالشكل ما يلزم من احرف الكلمة لصحة النطق بها

(٣) أن يكلف التلاميذ تفهم الكلمات وتفسيرها . واستظهار جميع ذلك . ويختبرهم فيه بالسؤال والمذاكرة

(٤) بعد التحقق من استثبات التلاميذ الكلمات وتفسيرها ، يقرأ معهم القطعة ويتفهم واياهم معانيها المرادة والاساليب الغريبة التي يظن غموضها على افهامهم، ليكون ذلك بمثابة تطبيق لاستعمال المفردات اللغوية في تراكيب القطعة ثم يكلفهم حفظ تلك القطعة

ويحسن اتباع هذه الطريقة في المطالعة المقصود بها فهم المعنى

ذلك اجدر لاستقرار اللغة في نفوسهم، وحضور مفرداتها وأساليب تراكيبها في ذهانهم ، فيجدون بعد ذلك ما يريدونه من مبانيها ومعانيها طوع مرادهم ، وعلى طراف ألسنتهم وأسنة أقلامهم . (للموضوع بقية)

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(٨) أول من تكلم في القدر

اشتهر ان أول من احدث القول بالقدر (معبد الجهني) قال الذهبي في الميزان: هو تابعي صدوق لكنه سن سنة سيئة ، فكان اول من تكلم في القدر . قتله الحجاج صبراً لخروجه مع ابن الاشعث اه وكان أولا يجلس الى الحسن البصري ثم سلك أهل البصرة بعده مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله

ويروى ان من اول تكلم في القدر (غيلان بن ابي غيلان الدمشقي) ويقال انه اخذ عن معبد ، ولا منافاة فالاولية نسبية ، بمعنى ان كلا منهما سبق وتقدم على كل من خاض في القدر بعدهما

وغيلان هذا كان مولى عثمان بن عفان ، وكانت داره بدمشق في ربض باب الفراديس شرقي دمشق . وحكي ابن عساكر ان عمر بن عبد العزيز كان لام غيلان على رأيه ، فكف عن ذلك حتى مات عمر، فلما مات سال غيلان في القدر سيل الماء ، وكان يفتي الناس لما حج مع هشام سنة (١٠٦) . قال الاوزاعي : قدم علينا غيلان القدري في خلافة هشام ابن عبد الملك ، فتكلم غيلان وكان رجلا مفوّها ، ثم اكثر الناس الوقيعة فيه والسعاية بسبب رأيه في القدر ، واحفظوا هشام بن عبد الملك عليه، فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه

(*) تابع لما نشر في ج ١١ م ١٦ ص ٨٣٩

(٩) رجال الجهمية والمعتزلة (القدرية) ممن روى لهما الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما

من المقرر في الاصول ان ائمة الرواية والأثر لم يتجافوا الرواية عن المبدَّعين ، فقد تحملوا عن الشيعة والمرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم. ومع تصلب الشيخين في الرواة وتحرّيهما ، لم يريا مانعا من الرواية عن أعلام من رمي ببدعة ، انتجاعا للعلم واستقاء للحكمة من مناهلها . وقد سبر الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح اسماء من رمي بذلك ممن خرج له البخاري. وسرد الحافظ السيوطي في (تدريب الراوي شرح تقريب النواوي) منهم من خرج له الشيخان او احدهما . واما من رمي بذلك ممن روى لهم غير الشيخين فقد تكفلت به كتب الرجال . ومن اشهرها الآن (نقد الرجال) للحافظ الذهبي

ولما كان بحثنا في الجهمية والمعتزلة رأيت مما يتممه ايراد من سُمّي من رجالهما في الصحيحين ليعلم بذلك تسامح المحدثين في الاخذ عمن رمي ببدعة — اذا كان ثقة صدوقا — وفي تلقي السنة منه طرحا للتعصب ، واعترافا بقدر ذوي الفضل

(١) (بشر بن السري) قال السيوطي : رمي برأي جهم — وهو نفي صفات الله تعالى والقول بخلق القرآن — وقال الذهبي : حديثه في الكتب الستة ، روى عنه الامام أحمد ، وقال كان متقنا للحديث عجبا . وقد زعم الذهبي انه رجع عن التجهم ، لكن يبطله تعصب الحميدي عليه ، وقوله : جهمي لا يحل ان يكتب عنه ، فمع كونه جهميا روى عنه الائمة المشاهير ، ولم يحفلوا بقول الحميدي ولا غيره فيه

(٢) ثور بن زيد المدني (٣) ثور بن يزيد الحمصي (٤) حسان بن عطية المحاربي (٥) الحسن بن ذكوان (٦) داود بن الحصين (٧) ذكريا بن اسحق (٨) سالم بن عجلان (٩) سلام بن عجلان (١٠) سلام بن مسكين (١١) سيف بن سليمان المكي (١٢) شبل بن عباد (١٣) شريك بن ابي نمر (١٤) صالح بن كيسان (١٥) عبد الله بن عمرو (١٦) عبد الله بن ابي لبيد (١٧) عبد الله بن ابي نجيح (١٨) عبد الاعلى بن عبد الاعلى (١٩) عبد الرحمن بن اسحق المدني (٢٠) عبد الوارث بن سعيد الثوري (٢١) عطاء بن ابي ميمونة (٢٢) العلاء ابن الحارث (٢٣) عمرو بن ابي زائدة (٢٤) عمران بن مسلم القصير (٢٥) عمير بن هانئ (٢٦) عوف الاعرابي (٢٧) كهمس بن المنهال (٢٨) محمد ابن سواء البصري (٢٩) هرون بن موسى الاعور النحوي (٣٠) هشام الدستوائي (٣١) وهب بن منبه (٣٢) يحيى بن حمزة الحضرمي

قال السيوطي : هؤلاء رموا بالقدر ، وكلهم ممن روى له الشيخان أو احدهما إه وقال ابن تيمية : في هؤلاء — يعني القدرية — خلق كثير من العلماء والعباد ، كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم . وقال الامام احمد : لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا اكثر اهل البصرة ، قال ابن تيمية : وهذا لأن مسألة خلق افعال العباد وارادة الكائنات مسألة مشكلة إه

* *

(١٠) بيان ان الجهمية والمعتزلة لهم ما للمجتهدين

كما ان اسم الاجتهاد يتناول في عرفهم فروع الفقه ، فكذلك مسائل الكلام لعموم مفهومه لغة واصطلاحا ووجودا ، فان الفرق التي تنوع

اجتهادها في مسائل الكلام، ربما تربو على مجتهدي الفروع، وكيف لا تكون من المجدين وهي تستدل وتحكم، وتبرهن وتقضي، وتجادل خصومها بمآخذها، وترى ان ما تستدل عليه هو الحق الذي لا يعقد على سواه، ولايدان الحق تعالى بغيره ؟

وجليّ ان ما يبعث على بذل الجهد في الفروع، هو نظير ما يبعث عليه في الاصول أو اعظم، فان مسألة الرؤية وخلق الاعمال وخلق القرآن وارادة الكائنات، لما تشابهت الآيات والاخبار فيها، ذهب كل فريق الى ما رآه اوفق لكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، وأليق بعظمة الله سبحانه وثبات دينه، فكانوا لذلك مجتهدين، وفي اجتهادهم مأجورين، وان كانوا في القرب من الحق متفاوتين

نعم لايمكن ان يقال في مسائل الاصول ان كل مجتهد فيها مصيب، وان الحق فيها متعدد، كما قاله الاكثرون في غيرها من مسائل الفروع المجتهد فيها، وذلك لان مسائل الاصول امور ذاتية لا تختلف بالاضافة، ولا تحتمل اجتهادين يمكن ان يكون الامر على هذا أو ذاك، بل لابد من كونه على احدهما البتة، والامور الذاتية لاتتبع الاعتقاد، بل الاعتقاد تتبعها، فلذلك كان المصيب فيها واحدا، والحق منها واحداً، والمخطئ معذوراً غير آثم، لأنه بذل وسعه، واستنفد طاقته، وما يراه غيره نصا يراه هو غير نص، فالحقيقة عند احدهما مجاز عند الآخر، وبالعكس.

وقد ذهب الغزالي الى ان الآثم غير محطوط عن المخالفين في مسائل الاصول. وحجته اتفاق سلف الأمة على ذم المبتدعة ومهاجرتهم، وقطع الصحبة معهم، وتشديد الانكار عليهم، مع ترك التشديد على

المختلفين في مسائل الفرائض وفروع الفقه: هذا ما احتج به الغزالي. وعجيب من مثله ان يعد هذا دليلا على تأثيمهم! واي مناسبة بين الدعوى والدليل؟ على ان دعوى الاتفاق على ذم المبتدعة ومهاجرتهم مردودة بتلقي ائمة الحديث عن كثير منهم، وحمل السنن النبوية عنهم، وجعلهم في الآثار حجة بينهم وبين ربهم، وقد سبق لنا عدة ممن روى لهم الشيخان من الجهمية والمعتزلة والقدرية. وبقي ممن رويا لهم من الاباضية والمرجئة والشيعة عدد عديد كما تراه في مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر والتدريب شرح التقريب للسيوطي وميزان الاعتدال للذهبي. وقدمنا ما قاله الامام أحمد رحمه الله ورضي عنه: لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة: (قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله) وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد. كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم (ثم قال) لكن من كان داعية لم يخرجوا له ولهذا لم يخرج اصحاب الصحيح لمن كان داعية اهـ

وقد اشتهر هذا (اعني أن من كان داعية الى بدعته لم يخرجوا له) مع ان العراقيّ اعترض ذلك بان الشيخين احتجا بالدعاة، فاحتج البخاري بعمران بن حطان الخارجي، واحتجا بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني، وكان داعية الى الارجاء، فانى يستقيم مع ذلك دعوى هجران السلف لهم، وقطع الصحبة معهم، وهم قد حملوا عنهم من السنة ما لم يوجد عند غيرهم، واصبح مرويّهم حجة دامغة ابد الآباد؟. نعم كان بعض السلف سلق بعض متقدمي الجهمية والقدرية بألسنة حداد، ورموهم بما هم براء منه، وكان ذلك ايام ضعفهم وقلتهم، اما وقد انتشر مذهبهم بعد، ودالت

الدولة لهم ، ودخل فيه قوم من العلماء والعباد ، فلم يسع من عاصرهم من ائمة الحديث الا التحمل عنهم وانصافهم ، كما رأيت في عبارة الامام احمد المتقدمة

فتبين مما ذكرناه ان ماعول عليه الغزاليّ في المستصفى لايصح دليلا ولا شبهة مع ماعرفت من تخريج الشيخين عنهم ، بله غيرهما ، ممن نزل شرطه في تخريجه عن شرطهما ، كاصحاب السنن والمسانيد والمعاجم ، فان هذه الكتب ملأى بالمبدّعين من الفرق كلها ، كما يعرفه من سبر طبقات الرجال ، ورأى رموز من خرج لهم من الرواة المشاهير

وبالجملة فكون هذه الفرق مجتهدة لها ماللمجتهدين، امر لا يرتاب فيه منصف ، والمجتهد معذور بل مأجور وان اخطأ ، واذا انتفى الاثم عن المجتهد فانى يصح نبزه بالالقاب السوءى والحفيظة عليه ؟وهل فرّق الائمة وجعلها شيعا واذهب ريحها الا هذا التنابز والإزراء المعيب ، مع مايجمع الكل من اخوة الاسلام ؟

ولقد انصف العلامة المقبلي في قوله في بحث الكلام مع المعتزلة من كتابه العلم الشامخ ما مثاله : اني لست بمعتزلي ولا اشعري ، ولا أرضى بغير الانتساب الى الاسلام ، وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ، واعدّ الجميع اخوانا ، واحسبهم على الحق اعوانا . انتهى

ومن طالع كتاب (حجج القرآن) للامام احمد الرازي الحنفي رحمه الله ، ورأى تمسك كل فرقة من فرق الاسلام بآيات واخبار ذهب بها اجتهادها الى انها نصوص أو ظواهر فيما تذهب اليه ، عذرها ورحمها ، وعلم انها لم تكل جزافا ، وانما وزنت الامر بمعيار ما ادى اليه النظر ، وتوخت الحق جهدها . نعم ليس كل من يتوخى الحق يصيبه ،

إلا انه ليس على باذل جهده ملام ، والسلام

وقد حكى السبكي في طبقاته عن ابيه انه وقف لبعض المعتزلة على كتاب سماه (طبقات المعتزلة) افتتح بذكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ظنا منه انه منهم على عقيدتهم (قال السبكي) وهذا نهاية في التعصب، فانما ينسب الى المرء من مشى على منواله إه وجليّ ان الذي اوصلهم الى عد الصحابة منهم ،هو الشغف بمذهبهم ، والاعتقاد بأنه الحق والصواب. ولا غر فان الوَلِع بمذهب يحاول ان يرد الكتاب والسنة وخيار الناس اليه ، بيد ان من هؤلاء مجتهدين ، ومنهم مقلدون ، وبينهما بون عظيم ، فان المجتهدين يؤثرون مذهبهم لما يرشدهم الدليل اليه ، فهم يستدلون ثم يعتقدون ، واما المقلدون فهم يؤثرون مذهبهم حبا او عصبية ، فيعتقدون ثم يستدلون لما يعتقدون ، فان رأوا خلافه اعرضوا عنه: « فما أضيع البرهان عند المقلد »

قال الامام أحمد بن المختار الرازي في مقدمة كتابه (حجج القرآن) لما استخرج منه حجج كل طائفة ما مثاله : وما من فرقة الا ولها حجة من الكتاب ، وما من طائفة الا وفيها علماء ، نحارير فضلاء ، لهم في عقائدهم مصنفات ، وفي قواعدهم مؤلفات ، وكل منهم يؤوّل دليل صاحبه على حسب عقيدته ووفق مذهبه ، وما منهم من أحد الا ويعتقد انه هو المحق السعيد ، وان مخالفه لفي ضلال بعيد « كل حزب بما لديهم فرحون » (قال) وليس قصدنا بيان مقولات المتكلمين ، من المتأخرين والمتقدمين ،ولكن القصد ان نذكر جميع حجج القرآن بطريق الاستيعاب، ثم نذكر حجج الحديث ، لكل قوم من القديم والحديث ، لكيلا يعجل

طاعن بطعنه في فرقة ، ولا يغلو قادح بقدحه في طائفة

وكتابه هذا بديع جدا، رتبه على ثلاثين بابا، في كل باب فصول جمة، وقال رحمه الله في خاتمته ماصورته : هذا آخر ما اوردنا من حجج القرآن ، لجميع اهل الملل والاديان ، وهي (بمجموعها حجة) على اصحاب الظواهر الذين يأبون التأويل، وينسبون مخالفيهم الى التعطيل (وحجة ايضا) على المتعصبين الذين يقابلون مخالفيهم بالتكفير والتضليل ، والتخطئة والتجهيل ، (وحجة ايضا) على من ينكر النظر في كتب الاصول ، أو يقول فيها بالمنقول دون المعقول (وحجة ايضا) على من يكفر أهل القبلة ، أو يميز طائفة بالقلة ، أو يخرجهم ببدعة عن الملة (وحجة ايضا) على من يجزم على مجتهد واحد بالاصابة ، أو يعجل في تضليل فرقة وعصابة (وحجة أيضا) على العلماء القاصرين أيضا في العربية ، الغالين في الجدل والعصبية إه

* *

(١١) شبهة الاثرية فى اضطهاد الجهمية ، والجهمية في اضطهاد الاثرية

لما دالت لكل منهم الدولة ، وفيه اعتذار بقلم الجاحظ

قدمنا ان شيوخ الرواية ، وأعلام الأثر ، كانوا يغرون الامراء بمخالفيهم ، لما يذيعونه من تكفيرهم وزندقتهم ، وتم لهم الامر في مثل غيلان والجعد ومحمد بن سعيد المصلوب وامثالهم ، — كما حكيناه قبل .

قال الامام ابن تيمية في بعض فتاويه :ان السلف الذين كفروا الجهمية، قالوا يستتابون فان تابوا والا قتلوا (قال ابن تيمية) لكن من كان مؤمنا بالله ورسوله مطلقا ، ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب ، فانه لايحكم بكفره ، حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر ، اذ كثير من الناس

يخطىء فيما يتأوله من القرآن ، ويجهل كثيراً مما يرد من معاني الكتاب والسنة ، والخطأ والنسيان مرفوع عن هذه الأمة ، والكفر لايكون الابعد البيان (قال) والائمة الذين امروا بقتل مثل هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله في الآخرة ، ويقولون: القرآن مخلوق ونحو ذلك ، قيل انهم امروا بقتلهم لكفرهم ، وقيل لانهم اذا دعوا الناس الى بدعتهم اضلوا الناس،فقتلوا لاجل الفساد في الارض ،وحفظا لدين الناس ان يضلوهم إه

هذا ما حكاه الامام ابن تيمية في شبهة من امر بقتلهم ، وقد حكى الشبهتين بصيغة التمريض ، ليشير الى ان ما زعموه دليلا ليس بدليل ولا شبهة ، فان سفك دم المعصوم انما يكون بامر قاطع ، قد نص عليه نصا لا احتمال فيه ولا اشتباه اذ مثله يكون من المحكمات الواضحات ، والاحكام الجليات ، لا مما تتجاذبه الآراء ، وتترادّه الاقوال ، لانه لااعظم بعد الشرك من سفك دم المعصوم ، وكل من اتى بالشهادتين فقد عصم دمه الا بحقه المنصوص عليه ، والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة لاحاجة الي ايرادها ، وكلها متفقه على ان كل من اظهر الاسلام فقد عصم دمه وماله ، وإن كان يخفي جحوداً أو تعطيلا كالمنافقين ، لان لنا الظاهر ، والله يتولى السرائر

اذا كان هذا الحكم في العصمة يعم المنافقين ، فكيف لايتناول من لايشك في ايمانه ، ويبذل وسعه لحفظ العقيدة ؟ فانى يستحل دمه لمجرد انه تأول بابا من ابواب العلم ، خالف فيه رأي غيره ، مع انه لم يجحد من الدين شيئا ؟

ومن هذا كل ما ذكروه في قتل الزنديق ، فانه لا حجة فيه قاطعة ، ولا بينة ناصعة ، كما أوضحته في تعليقاتي على (الروضة الندية) للسيد صديق حسن خان ، والمدقق يرى انه لا يمكن ان يؤتى في مسألة قتل الزنديق ببرهان من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا من نص محكم ولا من ظاهرٍ ولا من آحاد لا صحيح ولا حسن ، لان الزنديق ان اظهر الاسلام واسر الإلحاد فحكمه كالمنافق ، وبالاجماع هو معصوم الدم . وان جهر بالكفر فلا يحكم عليه بالردة الا بعد ان تزاح كل علة ، ولا يبقى لمرتاب شبهة ، وهناك تجري عليه احكام المرتدين

وقد تقرر اجماعا ان الحدود تدرأ بالشبهات ، فمن عكس القضية ان يجلب الحدود بالشبهات ، والبحث يدريه حق الدراية من تطلب لكل فرع دليله من الكتاب او السنة ، ولم يعول الا عليهما

وبالجملة فدعوى كفر مثل هذه الفرق مردودة بما ذكرنا . وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، في كتابه « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » ان الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، او الامتناع عن متابعته ، كما سنأثره عنه بعد مفصلا في بحث « حظر الائمة المحققين ، من رمي فرق المسلمين بالتكفير » فسقط دعوى هدر دمهم بالتكفير

واما دعوى استحلال دمهم بأنهم من السعاة في الفساد في الارض ، فمردودة بان الآية لا تعم مثلهم قط وان جرينا على ان العبرة بعموم اللفظ ، لأن العموم في الآية انما هو فيما شابه الحالة التي نزلت فيها أعني فيمن كان محاربا لله ورسوله محادًّا لهما ، متظاهراً بالكفر بالدين ، ساعيا بافساد

السابلة بالقتل والنهب واخلال الأمن ، فالعموم هو في كل من اتصف بذلك ، في أي زمان ومكان ، فمن أين يشمل عموم الآية من كان مؤمنا قانتا محافظاً على شعائر دينه ، متأولا في ابواب من العلم ما تتسع له اللغة ، ولا يأباه اللسان ، وهو لم يُرَدْ من لفظ الآية لا منطوقا ولا مفهوما ، ولم تنزل في مثله . وفي الحقيقة هذا جليٌّ لا يحتاج الى ان ينبه على مثله ، لان هذه الفرق المتأولة مؤمنة موحدة مطيعة لله ورسوله ، ليست محاربة لله ورسوله ، ولا محادة لهما ، ولا ساعية في الارض بالفساد قتلا ونهبا ، فمن المحال ان يدعى شمول الآية لها ، وهل يعم المؤمنين ما نزل في الكافرين ؟ والقائل بذلك من السلف مخطئ في اجتهاده ، أو أنه لم يبذل الوسع فيه ، ولذلك خالف فيه الائمة المحققون واجمعوا على عدم تكفيرهم كما سيأتي مأثورا

وكأن الذي سبب لهم ما سبب من الاضطهاد ، هو ضعفهم في اول الامر وقلتهم ، ولذلك لما كثروا وقوي حزبهم ، وتمذهب لهم في عهدهم من كل ورع وتقي ، من هو قدوة وعدل رضي ، لم ير مخالفوهم بدًّا من تحمل الحديث والعلم عنهم ، حرصا على الحكمة ان تضيع بموت اهلها ، كما قدمنا عن الامام احمد ، في اعتذاره عن الرواية عن القدرية ، مع انهم فرقة من الجهمية – هذا ما كان من امر الاثرية ، في اضطهاد الجهمية –

واما الجهمية (المعتزلة) فقد اعتذروا عن اضطهاد خصومهم – الاثرية – لما دالت لهم الدولة ، بما قدمناه من نص كتاب المأمون في المحنة المشهورة ، وبما اوضح بعضه ايضا خطيبهم (الجاحظ) فقد قال (١) :

(١) نقلا عما طبع له في حاشية الكامل للمبرد ج ٢ ص (١٣١) فما بعدها

وبعد فنحن لم نكفر الا من اوسعناه حجة ، ولم نمتحن الا اهل التهمة ، وليس كشف المتهم من التجسس ، ولا امتحان الظنين من هتك الاستار ، ولو كان كل كشف هتكا ، وكل امتحان تجسسا ، لكان القاضي اهتك الناس لستر ، واشد الناس كشفا لعورة ، (قال) والذين خالفوا في العرش انما ارادوا نفي التشبيه فغلطوا ، والذين انكروا أمر الميزان انما كرهوا ان تكون الاعمال اجساما واجراما غلاظا ، فان كانوا قد اصابوا فلا سبيل عليهم ، وان كانوا قد اخطأوا فان خطأهم لا يتجاوز بهم الى الكفر ، وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيه للخالق بالمخلوق ، فبين المذهبين أبين الفرق ، وقد قال صاحبكم (١) للخليفة المعتصم — يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخاصمين ، إعذاراً وانذارا — : امتحنتني وانت تعرف ما في المحنة ، وما فيها من الفتنة ، ثم امتحنتني من بين جميع هذه الأمة . قال المعتصم : وجدت الخليفة قبلي قد حبسك وقيدك ولو لم يكن قد حبسك على تهمة ، لامضى الحكم فيك ، ولو لم يخفك على الاسلام ما عرض لك ، فسؤالي اياك عن نفسك ليس من المحنة ، ولا من طريق الاعتساف ، ولا من طريق كشف العورة ، اذا كانت حالك هذه الحال ، وسبيلك هذه السبيل .

(ثم قال الجاحظ) وكان آخر ما حج (٢) فيه ان احمد ابن ابي دؤاد قال له : أليس لا شيء الا قديم او حديث ؟ قال : نعم ، قال او ليس القرآن شيئا ؟ قال نعم ، قال : أوليس لا قديم الا الله قال : نعم ، قال : فالقرآن اذا

(١) يعني الامام أحمد رحمه الله يخاطب به الاثرية

(٢) يعني الامام احمد رحمه الله

حديث . قال ليس انا متكلم (ثم قال الجاحظ) وزعم (١) يومئذ ان حكم كلام الله تعالى كحكم علمه ، فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثا ومخلوقا ، فكذلك لا يجوز ان يكون كلامه مخلوقا ومحدثا . فقال له ابن ابي دؤاد : أليس قد كان الله يقدر ان يبدل آية مكان آية ، وينسخ آية بآية ، وان يذهب بهذا القرآن ويأتي بغيره ، وكل ذلك في الكتاب مسطور ؟ قال نعم . قال : فهل كان يجوز هذا في العلم ؟ وهل كان جائزاً ان يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره ؟ قال : لا ، وقال له روينا في تثبيت ما تقول الآثار ، وتلونا عليك الآية من الكتاب ، واريناك الشاهد من العقول التي بها لزم الناس الفرائض ، وبها يفصلون بين الحق والباطل ، فعارضنا انت الآن بواحدة من الثلاث ، فلم يكن ذلك عنده .

(ثم قال الجاحظ) وعبتم علينا إكفارنا اياكم ، واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث ، وقلتم تكفرونا على انكار شيء يحتمل التأويل ، ويثبت بالاحاديث ؟ فقد ينبغي لكم ان لا تحتجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن والحديث ، وان لا تكفروا احدا خالفكم في شيء ، وانتم اسرع الناس الى اكفارنا ، والى عداوتنا والنصب لنا اه . كلام الجاحظ

فانظر الى حججهم وحجاجهم ، واعتذار الخليفة وتشدد بالخوف على الاسلام من خصومهم ، تعلم انه بلغ عقدهم بمذهبهم مبلغا لا غاية وراءه من التيقن والتصلب ، مع ان كل ماذكروه لا يحل اضطهادهم لمخالفيهم ، اذ الرأي انما يدفع بالحجة والبرهان ، لا بقوة السلطة والسلطان .

واعجب ما جاء في كلام الجاحظ قوله « وعبتم علينا اكفارنا اياكم

(١) يعني الامام احمد ايضا

ـ الى قوله ـ : وانتم اسرع الناس الى اكفارنا » اذ يدل ان الشدة والعداء والحدة أصارت الفريقين الى استحلال ايقاع كل بالآخر ما يستطيعه من ضروب الايذاء بالقول والفعل ، حتى صار يخيل للمرء ان ذات هذه المذاهب من شأنها ان تملأ قلوب ذويها بغضا ونفارا من مخالفيها ، وانها منبت للإحن ، ومصدر للمحن والفتن . ولقد اثر هذا النبذ في اتباع الفريقين تأثيرا لم تحمد عقباه ، اذ لا تمحوه من انفس كل منهم كرور الايام ، ولا مرور الاعوام ، مادام يقرأ في زبر كل فريق خلاف عقد الآخر ، والتشنيع عليه ، ولم ينج من هذه الحفائظ والشحناء الا من نفض غبار التقليد ، وأوى من الاجتهاد الى ركن شديد .

ولقد يعجب المرء من (احمد ابن ابي دؤاد) وله من وفرة العقل ، وكبر الفهم والنبل ، ما اصاره من افراد الرجال ، كما يدريه من قرأ اخباره في مثل تاريخ ابن خلكان ، ومع ذلك يغري الملوك بمن خالف مذهبه ، ويسعى لديهم بما يعجل نكالهم ، وقد اثر عنه من ذلك ما شوه وجه حياته ، وكسف شمس فضائله ، فقد بلغ به التعصب لمذهبه ما أصاره يؤذي من أهل مذهبه من يخالف بعض مسائل منه . ومن ذلك ما حكاه ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني في اخبار سعيد ابن حميد البغدادي الكاتب الشاعر المشهور ان اباه كان وجها من وجوه المعتزلة فخالف احمد بن ابي دؤاد في بعض مذهبه ، فاغرى به المعتصم ، وقال إنه شعوبي [1] زنديق ، فحبسه مدة

(١) في الاساس : فلان شعوبي ومن الشعوبية ، وهم الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم فضلا على غيرهم : والشين مضمومة . وفي التاج : قال ابن منظور : وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر امر العرب =

طويلة ، ثم بانت براءته له او للواثق بعده ، فخلى سبيله ، وكان شاعرا ايضا ، فكان يهجوا احمد بن ابي دؤاد بقوله :

لقد اصبحت تنسب في إياد * بأن يكني ابوك ابا دُؤاد
فلو كان اسمه عمرو بن معدي * دعيت الى زبيد أو مراد
لئن افسدت بالتخويف عيشي * لما اصلحت عيشك في إياد
وان تك قد اصبت طريف مال * فبخلك باليسير من التلاد

هذا ما قصه الاصفهاني ، وبه يظهر مبلغ تعصب ابن ابي دؤاد في مذهبه ، حتى صار يستحل لاجله الوشاية والسعاية بالابرياء والاتقياء ، ولقد آذى بذلك نفسه فاصبح ممقوتا منسي الفضائل على كثرتها فيه ، حتى قال عنه الذهبي في الميزان : جهمي بغيض

وحكي السبكي في ترجمة محمد بن الحسين البحاث من كبار قضاة الشافعية : أن الصاحب بن عباد عرض عليه مرة القضاء ، على شرط انتحال مذهبه — يعني الاعتزال — فامتنع وقال : لا ابيع الدين بالدنيا : فتمثل له الصاحب بقول القائل :

فلا تجعلني للقضاة فريسة * فان قضاة العالمين لصوص
مجالسهم فينا مجالس شرطة * وايديهم دون الشصوص شصوص [2]

= شعوبي اضافوا الى الجمع لغلبته على الجيل الواحد كقولهم انصاري اه وللامام ابن قتيبة كتاب في الرد على الشعوبية سماه (كتاب العرب) ظفرت بكراريس من أوله مخطوطة ، وقد نشرناها في مجلة المقتبس في الجزء (١١) من المجلد (٤)

(٢) جمع شص (بالكسر) حديدة عقفاء يصاد بها السمك (ويفتح) والشص اللص الحاذق اه قاموس

فأجابه البحاث بديهة بقوله :

سوى عصبة منهم تخص بعفة * ولله في حكم العموم خصوص
خصوصهم زان البلاد وانما * يزين خواتيم الملوك فصوص

وهذا ايضا مما يستنكر من مثل الصاحب ، وهو ما هو . ولقد قال عنه الثعالبي في اليتيمة : ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرده بغايات المحاسن ، وجمعه اشتات المفاخر ، الخ . ومع هذا فهو يحول دون ذوي الكفاءة في القضاء الا بتقليدهم مذهبه ، ولكن لاعجب مادامت مسائل المذاهب صارت عند مقلديها عقائد ، والمعتقد لا يرفع لسوى عقيدته رأساً ، ولا يقيم لغيرها وزنا ، ولا يعير لمخالفه اذنا ، وبالله التوفيق

وقد اشار لضروب اضطهادهم ، وما آلت اليه عاقبة امرهم ، الامام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، في خلال فتوى له بقوله : وقد اشتهر الامام احمد بمحنة هؤلاء الجهمية فانهم اظهروا القول بانكار صفات الله تعالى وحقائق اسمائه ، وان القرآن مخلوق ، حتى صار حقيقة قولهم تعطيل الخالق سبحانه وتعالى ، ودعوا الناس الى ذلك ، وعاقبوا من لم يجبهم اما بالقتل واما بقطع الرزق ، واما بالعزل عن الولاية ، واما بالحبس والضرب ، وكفروا من خالفهم ، فثبت الله تعالى الامام احمد حتى اظهر الله به باطلهم ، ونصر اهل الايمان والسنة عليهم ، واذلهم بعد العز ، واخملهم بعد الشهرة ، واشتهر عند خواص الامة وعوامها : ان القرآن كلام الله ، غير مخلوق ، واطلاق القول ان من قال انه مخلوق فقد كفر إه وما كان اغنى الفئتين عن الغلو والفتون ، فانا لله وانا اليه راجعون (لها بقية)

الاسلام وحرية العقيدة

وكتاب الدعوة الاسلامية

أرسل محمد سعدي بك مكاتب جريدة اقدام التركية في لندن مقالة الى جريدته في الآستانة اقتبسها عن فصل لمجلة (الشرق الادنى) الانكليزية نشرته بمناسبة صدور كتاب الاستاذ ارنولد الذي سماه «الدعوة الاسلامية The Preaching of Islam» ونحن نترجم هذه المقالة عن جريدة اقدام وهذا نصها :

«كان للكتاب الجديد الذي أصدره الاستاذ (ارنولد) وقع عظيم عند الراغبين في درس أحوال العالم الاسلامي . لانه بينما كانت الكتب التي سبق انتشارها بشأن الشريعة الاسلامية وصاحبها مملوءة بالاكاذيب والاغلاط اذا بكتاب الاستاذ (ارنولد) قد كشف النقاب عما فيها من البهتان بما امتاز به كتابه من التحقيق

وقد أبان لنا هذا الكتاب أحوال الاسلام منذ ظهر في أم القرى الى أن عم أقطار الدنيا فكان دينا عاما للناس أجمعين ، وان فيه من الفصول النافعة عن كيفية انتشار الاسلام بين العرب فالاتراك ما يصح أن يكون تاريخا لهذا الدين

وان الاستاذ ارنولد قد دحض بمتانته وبلاغته وحكمته تلك الفرية التي اخترعها بعض المسيحيين المتعصبين عن انتشار الاسلام بالسيف في بدء ظهوره حتى قال في رد ذلك : « ان الاسلام لم يستعن بالسيف بقدر ما استعانت النصرانية بالنار والمال »

ثم قال : « وان (خرافة السيف) هذه التي يذكرها المتعصبون من النصارى بحدة وتحمس ليس لها أصل في الحقيقية لان التقاليد التي جرى عليها الاسلام والحكمة العامة التي جاء بها القرآن دائرتان حول تعويد البشر السلام والصلاح . والاسلام دين من السهل نشره وقد أرشد محمد (صلى الله عليه وسلم) كل المسلمين الى ضرورة السعي لهذه الغاية بتعليمه اياهم أن يعلموا غيرهم مايعلمونه . وهذه الهداية النبوية قد عملت في نشر الاسلام مالا تعمله قوة السياسة والجيش . ونحن نرى الآن كيف أن الحكومات الاسلامية كلها أشرفت على الهلاك ومع ذلك كان الاقبال على الاسلام أعظم من الاقبال على أي دين آخر ، والداخلون فيه يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وهذا يظهر للباحث من النظر في أبسط الاحصائيات ، وفي هذه الامور مايدلنا على أمر قطعي وهو أن الاسلام قام على أساس قوة حكمية معنوية لايحتاج معها الى قوة مادية لنشر دعوته

« ومما يدعو الى الحيرة والعجب أن كل انتصار كان للعرب في حروبهم وكل استيلاء كان لهم في فتوحهم لم يكن شيء منه في شكل « حرب دينية » الا أن هذا العمل العظيم الذي قام به العرب لم يكن مما يسر أولئك المسيحيين فصوروه بالصورة التي شاؤها له وتوجهت أنظار كل مؤرخيهم الى أن الاسلام انتشر بقوة السيف، أما الوسائل الاخرى التي كانت للاسلام في انتشاره فكانت مجهولة عند أولئك المؤرخين

« الحقيقة ان الجيش العربي لم يطرق ديار فارس وبيزانس ليغير دين سكانها، بل ان مسألة الدين كانت آخر شيء يخطر على بال الجيش العربي

« الباعث الحقيقي على تلك النهضة العربية العامة هو أن هذه الامة الشجاعة النشيطة قد أحست وهي في البادية بحاجتها الى التبسط في الثروة والعمران فدفعتها هذه الحاجة الى ممالك جيرانها وكان اندفاعها عاما ومنتظما وكانت حركته مسيرة بالتأثير الطبيعي الذي لتلك الحكومات الملهمة في المدينة المنورة، وهذه الحكومة أسست بحكمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه الذين أخذوا الهداية عنه فعاش بها الاسلام الى اليوم وسيبقى بها دينا رسميا عاما عائشا الى الابد، ونحن اذا نظرنا في الامر نظرة انصاف يتبين لنا ان انتشار الدين الاسلامي لم تساعد عليه نهضة ذلك الجيش العربي الفاتح الظافر بل الذي ساعد على انتشاره الحالة النفسية التي كان فيها سكان البلاد المفتوحة

« وان نصارى الشرق بعد الفتح العربي كانوا متمتعين بحرية الدين الحقيقية الزاهرة الى حد ان النصارى الشرقيين كانوا يرجحون المعيشة في الادارة الاسلامية لما رأوا من أن الحرية المذهبية عند بني دينهم في الغرب كانت لفظا مجرداً عن معناها الصحيح

« الدين الاسلامي دين منطقي فطري منزه كل التنزه عن الاساطير والخرافات، وهو قائم على الاحكام الصادرة من أرباب العقول السليمة بدون غرض ولهذا صار الاسلام مقبولا في كل الاقطار »

***

ومن الناس من يزعم أن الاسلام ليس دينا اجتماعيا ولكن الاستاذ ارنولد يدحض هذا الزعم بقوله : « الاسلام دين عملي جاء بالهداية الحكيمة لكثير من الفلاسفة والشعراء والعلماء الالهيين والحكماء. وقد مر على هذه الارض زمان كادت تختنق فيه بظلمة الجهل فأدركها الاسلام بمدارسه الجامعة، ومن ذا الذي ينكر الفوائد العظمى التي نالتها أوربا من هذه المدارس الاسلامية ومما بثته الينا من العلوم والفلسفة ؟

« واذا شاء القارئ دليلا أعظم من هذا نقول له حسب الاسلام أن يكون منزها

عن نقيصة الرهبانية وعن مهنة التبشير والرئاسة الدينية، أما الدعوة الى الاسلام فهي واجبة على كل مسلم لا في مقابل أجرة من متاع الدنيا كما هي الحال في النصرانية بل في سبيل الله ولله، والفرق بين الدعوتين ظاهر

« وان الدعوتين تظهران بما لهما من الاثر في أفريقية، فالدعوة الى الاسلام يقوم بها هناك التجار المسلمون وان لهؤلاء التجار فضلا حقيقيا في القضاء على تجارة الرقيق كما أن لهم الهمة العالية في نشر الاسلام. وانما يقاومون عادة الرق لانه يؤلمهم أن يباع اخوانهم المسلمون كما تباع السلع. ويرون هذا منافيا لرابطة الإخاء، ولذلك كان النجاح الحقيقي في منع الرق من أفريقية من نصيب الاسلام

« وكذلك اذا أردنا أن نقول الحقيقة بشرف وانصاف فلا بد من القول بأن الذي علم الزنوج مزية النظافة والقناعة والاخلاق الانسانية هو الاسلام أيضا، ولهذا كان الاسلام جديرا بما كان له في الاقطار الافريقية من الحب في القلوب والاقبال عليه من الجميع والنظر اليه بأنه معجزة خارقة»

ومن الناس من قال ان الاسلام دين لا تدخل فيه الا الامم التي في الشرق المتوسط وذلك لما جاء في هذا الدين من الاحكام القاسية التي تنافي مبادئ المدنية فكان جواب الاستاذ ارنولد على هذه التهمة بما يأتي :

« ان في هذا القول مغالطة وهو مخالف للواقع لان الاسلام قد انتشر في الصين وبلاد المغول والتتر وفي الامم الكثيرة في شرق آسيا وفي وسطها وهؤلاء يعدون بالملايين وفي كل يوم تنضم اليهم ألوف جديدة من الناس » اه

ذلك هو كتاب المستر أرنولد الذي نشره حديثاً فأبان به أسباب ارتقاء الاسلام وتقدمه ذاكرا ذلك بلسان نزيه وانصاف عال

ويقول الكاتب الفاضل المستر « ويليم مكسويل » الذي صدق على هذه المسائل : « ان الحالة السيئة التي وصل اليها العالم الاسلامي لاعار فيها على الاسلام مطلقا. والسبب الحقيقي لتدني المسلمين هو أن الاتراك المهيمنين على الاسلام في هذه الايام بينما كان يجب عليهم أن يأخذوا بروح الهداية الاسلامية والمعاني القرآنية تركوا كل هذا وانصرفوا الى الالفاظ والاشكال وصاروا يهربون من الارتقاء والتجدد والحياة في صغير أمورهم وكبيرها»

وان الذي يقرأ كتاب الاستاذ أرنولد باهتمام خاص يجد فيه الاسباب التي تنعش الاسلام وتبعث فيه روح الحياة » انتهى

المؤيد

(المنار) : ان (أرنولد) من فضلاء الانكليز المستقلين في رأيهم، المنصفين في حكمهم، الذين قلنا أن عددهم في الاوربيين لايحصى، وهو قد عاشر المسلمين في الهند واطلع على كثير من كتبهم ، فلم يأخذ علمه بالاسلام عن دعاة النصرانية ولا عن رجال السياسة الذين قلنا فيهم إنهم يغشون أهل الانصاف من أقوامهم بما يشوهون به الاسلام . وكتابه هذا ليس جديدا بل ألفه منذ أعوام، وربما نشر بالطبع نشرا جديدا

كتب الرجل كتابه على بصيرة وعلم يزينهما الانصاف فقل غلطه في اخباره وفي آرائه أيضا . فما يخطئه به كل مسلم قوله — بحسن النية وقصد المدح — « ان احكام الاسلام صادرة من أرباب العقول السليمة بدون غرض» على أنها عبارة يمكن تفسيرها تفسيرا صحيحا بان الاحكام الاسلامية المستنبطة من الكتاب والسنة أنما استنبطها علماء عقلاء اتبعوا فيها الحق والمصلحة لا الأغراض والاهواء . وانما نخطئ مايتبادر الى الافهام من ان مراده بما ذكر أصل الاسلام من كتابه وسنة الداعي اليه صلى الله عليه وسلم ، وان ذلك كان نتاج عدة عقول سليمة . ومن لم يؤمن بالوحي لامندوحة له عن مثل هذا الرأي . وكذلك قوله « ان مسالة الدين كانت آخر ما يخطر في بال الجيش العربي الفاتح » والصواب عندنا ان هداية الناس الى الاسلام كانت أول مايخطر في بال اولئك الفاتحين ولكن بدون اكراه ولا اجبار ، فكانوا يعتقدون ان فتحهم للبلاد وحماية حرية الدين فيها مع العدل والمساواة هو الذي يظهر لاهلها المستعدين للتمييز بطلان ماقلدوا فيه سلفهم، وحقيقة ما عليه الفاتحون لبلادهم، فكان لدخول الناس في الاسلام افواجا سببان (احدهما) ما كانت عليه الشعوب التي فتح العرب بلادها من الخرافات والتقاليد الباطلة (وثانيهما) مارأوه من فضائل العرب وعدلهم وحريتهم وحقيقة دينهم . فكانت حالهم النفسية أعظم داع الى دينهم الحق، واقتصر هو على السبب الاول.

نعم انه أصاب في قوله: إن فتوحاتهم ما كانت دينية بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون . وهو التنكيل بالمخالف او يرجع عن دينه . فهذا المعنى ماخطر في بال أحد من فاتحي العرب في وقت ما ولا يبيحه الاسلام . وأما قوله ان الاسلام لايحتاج الى دعاة ومبشرين فهو انما يصح اذا أقامه أهله، اما وقد صار جمهور أهله منحرفين عن هدايته العليا بالفعل، ودعاة النصرانية يهاجمونه بالتضليل والافك، فقد وجب ان يتربى ويتعلم طائفة من المسلمين كيف يدعون اليه ببيان حقيقته، وكيف يدافعون عنه باظهار أباطيل خصومه.

واما قول (وليم مكسويل) ان سبب ضعف المسلمين هو ترك الترك لروح هداية القرآن، فهو وان أقره مكاتب اقدام وادارة تحريرها من الترك يحتاج الى شرح طويل

المرأة قبل الاسلام وبعده

مقال في مسألة تعدد الزوجات نشره بالانكليزية في اوربة السيد أمير علي العلامة العصري الشهير بدفاعه عن الاسلام وترجمه بالعربية أحمد افندي نجيب ونشره في المؤيد . وهذه ترجمته :

١

في غضون التطورات الاجتماعية الاولى كان تعدد الزوجات أمرا لامناص للعالم منه البتة . ذلك لان حروب القبائل التي ما كانت تهدأ ثائرتها قط . والنتائج الطبيعية اللازمة لذلك من نقص عدد الذكور وزيادة عدد النساء أوجدت بالضرورة تلك العادة التي تعتبر بحق في أيامنا هذه احدى الآفات التي لابد للعالم من التخلص منها

فاذا تصفحنا تاريخ الامم الشرقية في تلك العصور الخوالي وجدنا تعدد الزوجات عادة مألوفة ومتبعة ولقد زادها ثباتاً ورسوخا بين الناس حينئذ ما كان من أمر ملوك ذلك الوقت الذين كانوا يزعمون انهم يحكمون بوحي من عند الله فانهم بما كان لهم من هذه السيطرة الكبرى قد صبغوا تلك العادة بصبغة رسمية وذلك بتزوجهم هم أنفسهم بأكثر من امرأة واحدة . فاذا تتبعنا تاريخ الهندوس مثلا وجدنا أن تعدد الزوجات عندهم عادة متبعة من قديم الزمان شأنهم في ذلك شأن البابليين والاشوريين والفرس فانهم هم أيضاً لم يكن عندهم حد يقفون عنده في الزواج ، واذا تتبعنا تاريخ الامم والشعوب الاخرى وجدنا أن الطبقة العليا من البراهمة حتى في هذه الازمنة الحديثة تتزوج بما تشاء من النساء من غير حرج .

وهكذا كان شأن الاسرائيليين قبل موسى وبعده فان شريعة ذلك النبي لم تتصادم مع تلك العادة بل تمشت معها في طريقها القديم . نعم ان تلمود بيت المقدس (كتاب تقاليد اليهود) نص على أنه لا يحق لرجل أن يتزوج بأكثر من العدد الذي في استطاعته أن يعول أمره ، وأن (الربانيين) قرروا فيما بينهم أن الرجل لاينبغي أن يتزوج باكثر من أربع نساء ، ولكننا نرى (القرايين) منهم لايذهبون مذهبهم ولا يسلمون بتحديد ما

أما الفرس فقد كان دينهم حينئذ يعد من يتزوج بأكثر من امرأة بحسن الجزاء . وأما الفينيقيون فقد انحط الزواج عندهم الى درجة الفحش بمعنى ان الرجل أصبح يعقر ما شاء من النساء بغير حرج . وأما شعوب تراسيا وليديا وبلاسجيا ـ تلك

الشعوب التي قطنت في أماكن شتى من أوروبا وغرب أسيا . فقد بلغت عادة تعدد الزوجات عندهم حداً يقصر عنه الوصف

هذا ما كان من تعدد الزوجات في الشرق القديم . وأما الغرب فقد كانت منزلة المرأة في (أثينا) مهد المدنية والحضارة منه كمنزلة المتاع تعرض في الاسواق وتنقل من يد الى يد ، وبالجملة يحق عليها كل ما كان يحق على أثاث البيت الصرف . كان الاثينيون فوق ذلك يعتبرون المرأة شيطاناً لا غنى عنه في ترتيب المنزل وتربية الاطفال ، وكان يحق للرجل منهم أن يتخذ ما شاء من النساء بغير حساب، وأما الشارع في اسبارطه فانكان لم يأذن للرجل باتخاذ أكثر من زوجة الا في ظروف مخصوصة - فقد أجاز للمرأة أن تتخذ أكثر من بعل واحد

هذا - وأما الدولة الرومانية فانه يحتمل أن الظروف المخصوصة التي تكونت فيها هذه الدولة أبت أن تجعل تعدد الزوجات مشروعاً في بدء حياتها . ومهما يكن من أمر حكاية اغتصاب نسوة الصابيين المشهورة وقيمتها التاريخية فلا ريب عندي ان وجود هذه الحكاية وتناقلها من السلف الى الخلف من شأنه ارشادنا صراحة الى الاسباب التي ساعدت على وضع تلك القوانين الاولية للزواج في الدولة الرومانية رغماً من بقاء عادة تعدد الزوجات في البلاد المحيطة بها (برومية) من كل جانب، خصوصاً بين الاترسكانيين . ولقد كان نتيجة احتكاك الرومانيين عدة قرون مع بقية شعوب ايطاليا والحروب والفتوحات التي وقعت حينئذ كذلك، وكل ما كان من أمر الابهة والفخفخة التي جاءتهم على أثر نجاحهم في الاستعمار - كان نتيجة ذلك كله ان سقطت منزلة العقود الزوجية المقدسة وأصبح الرجال يعيشون مع النساء بغير عقد أو كتاب، بمعنى ان النساء جميعاً أصبحن في منزلة السراري والحظايا . ومما زاد هذه الحالة قوة وثباتاً ما كان من أمر قوانين البلاد التي اضطرت الى الاعتراف بهذه الحالة رسمياً — فالحرية المطلقة التي أعطيت للمرأة حينئذ ، وضياع ذلك الرباط الذي كان يربطها بالرجل، والحالة الناشئة عن ذلك من استبدال الرجل لنسائه أو نقلهن من يد الى يد - كلها أمور تدل صراحة على وجود عادة تعدد الزوجات بالفعل ، وان وجدت تحت اسم مستعار

هذا وبينما هذه الامور جارية على ما بيناه في الغرب كانت المسيحية قد ظهرت في الشرق وبدأ نورها يتألق في أفق العالم الروماني بأسره، ولا ريب ان هناك أسباباً كثيرة منها الروح وتأثيرها على تعاليم المسيح قد حدت (بنبي الناصرة) الى أن يضع من

قيمة الزواج مطلقاً وان لم يحرمه أو يأمر بمنعه على أي شكل كان

على أن تعدد الزوجات بقي بالرغم من ذلك كله جارياً مجراه الاصلي في البلاد الرومانية الى ان جاء جوستنيان فوضع القوانين لابطال هذا التعدد ، ولكن هذا الابطال الذي جاءت به تلك القوانين لم يؤثر تأثيره المطلوب وبقي تعدد الزوجات معمولا به ومتبعاً الى ان استنكرته الهيئة الاجتماعية الحديثة فأبطلته

واذا أردنا أن لا نتوسع في ذكر مانصته تلك القوانين في معاملة النساء اللواتي سبق زواجهن برجل واحد نقول : انها خصت المرأة الاولى بكل المميزات ، وأبقت النساء الاخرى في أشد حالات التعاسة والشقاء ، وزد على هذا ان أولادهن يحرمون من ارث أبيهم ومن كل حق اجتماعي آخر

وانه يجمل بنا في هذا المقام أن نلاحظ ان تعدد الزوجات بالصورة التي ذكرناها آنفاً ما كان خاصاً بالطبقة العليا من الشعب في (رومية) بل تعداها الى كل الطبقات ولم يستثن من ذلك طبقة رجال الدين الذين نسوا أقسام العزوبة التي أقسموها وأصبح الرجل منهم يجمع في بيته أكثر من امرأة شرعيات كنّ أو غير شرعيات

وان التاريخ ليثبت أن تعدد الزوجات ما كان مستنكراً الى وقت قريب جداً ولقد ذكر (سنت اوغستين) نفسه ان ليس في تعدد الزوجات من اثم أو عيب مطلقاً وقال انه مادامت شريعة البلاد تبيح تعدد الزوجات فلا شيء في ذلك بتاتاً : وقال (هلم) ان المصلحين الالمانيين أقروا على صلاحية الجمع بين امرأتين أو ثلاث اذا كانت المرأة عاقراً أو اذا كان فيها مايماثل ذلك من النقص، وقال بعض أصحاب الرأي من الاوربيين أيضاً انه لاعيب مطلقاً في تعدد الزوجات وان المسيح نفسه لم يصرح قط بابطال هذه العادة : ولقد استطرد هؤلاء المفكرون الى القول بان وحدة الزوجية المنتشرة في اوروبا الآن هي عادة من عوائد الالمانيين أو الرومانيين الاغريق، وهذا قول مخالف للواقع والتاريخ . ذلك لان هؤلاء القوم استدلوا على صحة قولهم بشهادة اثنين من كتاب الرومان ولكن هذه الشهادة - على كونها لم تثبت - لم يعززها كتاب آخرون . فان هذين الكاتبين مشهوران بطمس معالم الحقائق اتباعاً لأهوائها .

والواقع اننا اذا تمشينا مع (تاسيتس) - وهو أحد هذين الكاتبين - فيما زعمه عن وحدة الزوجية بين الالمان - فاننا نرى أنفسنا امام حقيقة تاريخية تفسد عليه زعمه ، وهذه الحقيقة ذكرها أغلب المؤرخين وهي وجود أثر من آثار تعدد الزوجات القديمة في الطبقة العليا من الالمان في القرن التاسع عشر .

الحقيقة ان (تاسيتش) اراد من ذكر هذه الاكذوبة في كتابه (أخلاق الالمان) استفزاز عواطف بني وطنه الرومانيين لمجاراة الاخلاق الموهومة لجيرانهم الالمانيين ليصلحوا من شؤونهم و يقلعوا عن الشهوات واتخاذ السراري والحظيات ·
هذا واذا استأنفنا البحث عن تاريخ تعدد الزوجات في الدولة الرومانية وجدنا ان هذه العادة كان معترفا بها في أواخر الجمهورية وفي بداية الامبرطورية وان الاعتراف بهذه العادة ظاهر من المنشور الذي أذاعه القائمون بأمر الحكومة حينئذ لابطال هذه العادة ولكن هذا المنشور لم ينجح نجاحه المطلوب فيكفينا لاثبات ذلك ان الامبراطرة (هناريس واركاديوس) اللذين حكما في نهاية القرن الرابع، و(قسطنطين) وولده فيما بعد، لازموا العادة القديمة · على أن (ثلاثتين الثاني) أصدر منشوراً بعد ذلك أيضاً اذن فيه لمن يريد من الرعية أن يتزوج بعدة نساء، وليس في تاريخ الكنيسة مايدلنا على أن رجال الدين عارضوا هذا القانون بل بقي معمولا به لدى من خلفه من الامبراطرة حتى جاء (جوستنيان) كما أسلفنا فأعاد منعها . ومن العبث أن يظن ان هذه القوانين الجديدة وضعت تطبيقا لاحكام دينية مسيحية فان أكبر مستشاري هذا الرجل (جوستنيان) ماكان يعترف بوجود الله ومع ذلك فان هذه القوانين لم تحول ذلك التيار الجارف قيد شبر، وكل مايقال فيها انها كانت فاتحة حياة فكرية للعالم الجديد: واذا كانت وحدة الزوجية قد انتشرت في أوروبا الآن فليس ذلك نتيجة من نتائج هذه القوانين وغيرها وانما هي نتيجة عمل تفكيري محض انتهى اليها المجتمع الجديد بعد تجارب عدة من القرون

٢

بعد أن بينا في مقالنا السالف تاريخ تعدد الزوجات في العالم باسهاب نعود اليوم فنذكر أن أكبر غلطة يرتكبها الكتاب المسيحيون في هذا العصر هي ما يزعمونه من أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو أول من شرع تعدد الزوجات للخلق وأجازه لهم . نعم انه بطل اليوم رأي القائلين بان محمدا هو أول من أوجد تعدد الزوجات في العالم وأول من قال به ، لا لأن هذا الرأي قد ظهر انه مخالف للحقيقة والتاريخ فقط ، بل لان من يقول به لنا يلصق بنفسه تهمة الجهل الفاضح باساس هذه المسألة الاجتماعية القديمة — أقول نعم أنه بطل اليوم هذا الرأي ولكن زعمهم أن النبي أجاز هذه العادة وصرح بها كما ذكرنا ما زال مذهب المسيحيين عموما والمتعلمين منهم

خصوصا ولسنا في حاجة الى القول بأن هذا زعم فاسد باطل كما سنبينه بعد ·
أن محمدا (ص) وجد تعدد الزوجات عادة معمولا بها بين قومه كما وجدها معمولا بها في كافة الاصقاع المجاورة لبلاده· نعم ان الامبرطورية المسيحية حاولت بما وضعته من القوانين أن تضع حدا لتلك الحالة المحزنة كما ذكرنا في الفصل السالف ولكن نتيجة هذا العمل كانت على غير ما يراه أصحاب هذه القوانين ، فان تعدد الزوجات سار في تياره القديم بغير انقطاع ، ونساء الرجل الواحد خلا الاولى منهن بقين على حالتهن الاولى من التعاسة والشقاء

أما في بلاد الفرس فقد كان سقوط الآداب وانحطاطها حوالي الوقت الذي ظهر فيه النبي امرا موجبا للدهشة والحزن معا ، فانه لم يكن ثم قانون للزواج مطلقا . واذا كان ثم قانون من هذا القبيل فقد كان مهملا وغير معمول به أصلا. ولما كانت قوانين البلاد لم تحدد على كل حال العدد الذي يقف الرجل عنده في الزواج كان من أمر الفارسيين أن استمرؤا هذا المرعى الخصيب وصار الرجل منهم يتخذ ما شاء من الزوجات، زائدا على السراري والحظيات (رولنجر صحيفة ٤٠٦)

ولقد كان بين العرب الاقدمين واليهود عدا ما قلناه عن عادة تعدد الزوجات عادة أخرى هي الزواج بشروط مخصوصة ، وكذا الزواج لمدة معينة ، ولا ريب أن وجود مثل هذه الحالة في شبه جزيرة العرب كان من شأنه تحطيم وجود الامة الاجتماعي باسره ، الا ان الله قيض لها من يرفع شأنها ويأخذ بيدها من هذه الوهدة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ورفع من شأن المرأة فارتفع البناء الاجتماعي باكمله

لقد كان مركز المرأة بين اليهود والعرب في اقصى دركات الانحطاط، فقد كان شأن الموسوية في بيت أبيها شأن الخادمة · كان والدها يستطيع ان يبيعها بيع السلع، وكان اخوتها يستطيعون ان يتصرفوا فيها كما يشاءون بعد موته ، وأنكى من ذلك انه كان لا يحق لها ارث أبيها الا اذا لم يكن له خلف من الذكور · أما بين العرب الذين كانوا كثيري الاحتكاك بجيرانهم المتحضرين فقد كانت قيمتها عندهم قيمة المتاع الصرف ، أي كانت المرأة جزءاً من أملاك الوالد أو الزوج، ومن تترمل من نساء الآباء تصبح فيما بعد من نساء الابناء بحق الارث . ومن هنا نعلم معنى كلمة (نكاح المقت) التي ذكرتها الشريعة الاسلامية في شأن من يتزوج من الابناء بنساء الآباء حينما حرمت على العرب تلك العادة .ولقد بلغ من كراهية هؤلاء القوم للاناث من أولادهم انهم

كانوا يحرقونهن (١) احياء. وهذه العادة أبطلها النبي كما أبطل عادة ذبح الاطفال ضحية للآلهة

هذا ـ أما في امبراطوريتي الفرس وبزانطية فقد كان شأن المرأة من الانحطاط شأنها في كل جاورها من البلاد. وانه في ذلك الوقت الذي كان فيه البناء الاجتماعي للعالم يتهدم من كل جانب ـ في ذلك الوقت الذي أخذت فيه الصيحات ترتفع من كل فج طالبة الاصلاح الحقيقي للمجتمع ـ في ذلك الوقت الذي اقتنع فيه العالم كافة بنقص القوانين والشرائع الموجودة حينئذ ـ أقول في ذلك الوقت العسير جاء النبي باصلاحاته وأخذ يدعو الناس الى العمل بها. وان من يتأمل في تلك الاصلاحات يرى ان (احترام المرأة) ركن من اركانها الهامة، وعماد من عمدها القويمة، وانه ليكفينا ان نبرهن هنا علي تأثير هذه التعاليم الجديدة في اخلاق من تبع هذا النبي الكريم من العرب بما كان من احترام هؤلاء القوم لابنته وحبهم لها حبا جعلهم يلقبونها بسيدة الجنة وسيدة النور. وهذا تحول غريب بالنسبة لمعاملة المرأة وتغيير معتقدهم فيها. ولا ينبغي ان ننسى مع ذلك ان تأثير هذه التعاليم في أخلاق النساء أنفسهن قد أكسبهن ذلك الاحترام، فمن ذا الذي يجهل ذلك الطهر والعفاف اللذين كانا يتوجان فاطمة الزهراء؟ ومن ذا الذي لم يسمع عن ربيعة وآلاف غيرها من النساء الفضليات

هذا وان من الشرائع التي جاء بها النبي في شأن النساء ما كان من ابطاله عادة التزوج بشروط، وانه إن يكن قد أباح الزواج المؤقت أولا فانه حرمه في العام الثالث من الهجرة، ولقد أعطى النساء فوق ذلك حقوقا ما كانت لهن من قبل، وأهم تلك الحقوق ما كان من مساواته لهن بالرجال في تقلد وظائف القضاء بين الناس، زد على هذا أنه قيد عادة تعدد الزوجات بقيود هي عين النهي المطلق، فانه ـ على كونه خفض عدد النساء اللاتي يصح للرجل التزوج بهن معا الى أربع فقط ـ قد اشترط لذلك المساواة التامة بينهن تطبيقا للآية الشريفة (فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة) ولقد كانت هذه الآية التي تلت آية الاذن بالتزوج بذلك العدد (٢) موضوع بحث المفكرين من علماء الاسلام في العالم أجمع، فان العدل والمساواة بين النساء ليس معناه المساواة بينهن في المأكل والملبس فقط، بل يقتضي المساواة في الحب (٣) والاخلاص لهن جميعا. ولما كانت المساواة في مسائل الشعور والاحساس هي عين المستحيل يكون هذا الشرط في منزلة المنع التام للتزوج بأكثر من امرأة واحدة. ولقد أخذ بهذا الرأي فعلا

(١) المنار: المعروف أنهم يدفنونهن (٢) الصواب ان هذا الشرط جاء بعد الاذن في آية واحدة (٣) العدل في الحب لا يجب لأنه ليس اختياريا وهلا استدل بقوله تعالى «ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء»

طائفة المعتزلة في أيام حكم المأمون، وعلموا الناس ان الاسلام يقضي بالتزوج بامرأة واحدة. وانه ان تكن المطاردات العنيفة التي طاردهم بها (المتوكل) قد وقفت انتشار هذه الآراء الصائبة في العالم الاسلامي، فلا ريب في أن الطبقات المستنيرة من المسلمين ظلت تعتقد أن تعدد الزوجات مخالف لتعاليم نبيهم الكريم، كما هو مخالف المجتمع المدني الحديث

ان تعدد الزوجات تابع على كل حال لتطورات الزمان، ففي ظروف مخصوصة وفي احوال اجتماعية مخصوصة يكون تعدد الزوجات كما ذكرنا في أول الفصل السالف لازما ومحتم الوجود لحماية النساء من الفقر الذي يجلب معه كل رذيلة. والواقع اننا اذا استقصينا أسباب انحطاط الآداب المخيف في عواصم أوربا المتمدنة فاننا لانجد لذلك سببا أقوى من هذا الفقر المدقع الذي يدفع النساء الى ركوب هذا المركب الخشن والالتجاء الى بؤرات الفساد حيث يبعن أعراضهن ابتغاء القوت واللباس. ولقد قال (الا باهوك والسيدة دوق غوردون): ان ثم أحوالا مخصوصة مجردة عن كل اعتبار ديني تدفع الناس في الشرق الى التزوج باكثر من امرأة واحدة. ان تقدم الحركة الفكرية في العالم وتغيير تلك الاحوال المخصوصة قد حديا بالناس الى ابطال هذه العادة والتبرئ منها الآن، ولذلك نري ان تلك البلاد الاسلامية التي زالت منها تلك الاحوال المخصوصة أصبح أهلها ينظرون الى هذه العادة بعين السخط فعلا، ويعدونها مخالفة للشرع والدين تماما، وأما البلاد التي ما زالت فيها أحوال المجتمع على نقيض ذلك فان تعدد الزوجات فيها باق ولازم البقاء حتما

ورب معترض يقول: ان عبارة الشرع في هذا الموضوع تحتمل تأويل الفقهاء واختلافهم، وان تعدد الزوجات لا يبطل اذا الا بعد عناء طويل، وان وراء العقبة الاجتماعية عقبة دينية أخري. واننا مع اعترافنا بوجاهة هذا الاعتراض وانه يستحق في الواقع اعتبار المسلمين الذين يرغبون في تخليص دينهم من الشبهات نقول: ان موافقة القوانين أيا كان نوعها لاحوال كل زمان ومكان هو دليل نفعها وخيرها للناس، وان قانون الزوجية الموجود في الآيات القرآنية الشريفة تنطبق عليه هذه الصفات تمام الانطباق، فان ذلك القانون يوافق تمام الموافقة أحوال المجتمع المدني الحاضر كما يوافق أحوال المجتمع القديم، فلا هو اذا يتغافل عن حاجات الانسانية الراقية، ولا هو يتناسى أن ثم شعوبا وقبائل في الارض تجر عليها وحدة الزوجية أشد المصائب وآلمها ـ ففي الوقت الذي تفهم عبارة القرآن كما هو المقصود منها تماما، وفي الوقت الذي تطبق تطبيقا

موافقا لاحوال الزمان ، تزول هذه العادة وتمحي بلا صعوبة البتة . ولا ريب ان هذا الوقت الذي يفحص فيه المسلمون أقوال نبيهم فحصا جديداً ويضربون عرض الحائط بتفاسير بعض رجال الدين ليس ببعيدان شاء الله

وان أوربا التي يذكر تاريخها ماكان من تصرف رجال دينها في كثير من العصور بأقوال كتبها كتصرف رجالنا تنفيذا لنفس هذه الاغراض الدينية أولى بها أن تنظر بصبر وتؤدة الى مساعي رجال ديننا الحديثين لاطلاق الافكار الحرة من أسرها القديم ، وتطبيقها تطبيقا يوافق الجيل الحاضر ، بدل ان تعجل علينا وعلى ديننا بصب الشتائم كل يوم . وان الوقت الذي تتحرر فيه الشريعة الغراء وتطلق من سجن وضعها فيه بعض رجالنا يصبح من السهل على الشارع في كل بلد اسلامي أن يضع قانونا يطبق فيه الشريعة السمحة على منع تعدد الزوجات. ولاريب ان هذه النتيجة التي تبعث على الغبطة والسرور ستتحق حتما بعد ان بدأ مسلمو العالم المستنيرين بفحص كلام القرآن والنبي الكريم غير متأثرين بالافكار العتيقة التي ثبت فشلها الآن

وانه يسرنا ان نتيجة هذا الفحص هي على ما كنا ننتظر ، فان القول بوحدة الزوجة يرتفع اليوم من كل جوانب العالم الاسلامي

والواقع ان كراهية تعدد الزوجات وشعور الناس بضرره من الوجهة الاجتماعية ان لم يكن من الوجهة الادبية قد أخذا بالمسلمين في الهند الى نزع هذه العادة من بينهم ، وأصبحت الشروط التي اتفق الناس هناك على وضعها في عقود الزواج انه لا يصح الاقتران بأخرى مع وجود الزوجة الاولى . وعلى ذلك ترى ان ٩٥ في المئة من مسلمي الهند يقتصرون اليوم على التزوج بواحدة ، وفي بلاد فارس لا يتعدى المتزوجون بأكثر من امرأة اثنين في المئة وان أملنا وطيد في ان علماء المسلمين يجتمعون في مؤتمر ديني ليقرروا فيما بينهم قاعده منع تعدد الزوجات . اه

(المنار) بينا من قبل ان تعدد الزوجات خلاف الاصل في نظام الفطرة والشرع ولكن قد يحتاج اليه فاذا قل الرجال في بلد أو بلاد بالحروب أو المهاجرة فقد يكون من مصلحة النساء أولا والهيئة الاجتماعية ثانياً ان يتزوج الاغنياء الفضلاء القادرون على الانفاق والعدل بين النساء أكثر من واحدة لتقليل شقائهن وصيانتهن من الفسق ولتكثير نسل الامة . وقد يقع مثل هذه الضرورة لبعض الافراد . فأكمل الشرائع في هذه المسألة هي الشريعة الاسلامية التي تتسع لاباحة هذا الامر عند الحاجة اليه ومنعه عند توقع المفسدة منه . وقد ضيقت في شروطه بحيث تتعذر في غير حال الضرورة واقامة المصلحة دون

مجرد التمتع . وأمثل طرق المنع الاشتراط في العقد على الأولى ان لايتزوج عليها ، وهو شرط يبيحه بعض الفقهاء ويدل عليه الحديث الصحيح . وللحاكم المسلم ان يمنع المباح الذي تخشى مفسدته

١ ــ سقوط مسقط « *

La chute de Mascate.

مسقط هي الثغر العربي البحري حاضرة بلاد عمان على حرف بحرها في عرض ٢٣ درجة و٣٧ دقيقة من الشمال وفي طول ٥٦ درجة و١٥ دقيقة من الشرق فيها نحو ٣٥ الف من السكان ومیناؤها حسن وكان قد حصنها سابقاً البرتغاليون، وتجارتها مع بمبي وخليج فارس نافقة ، والميناء الصغير الذي يجاورها واسمه « مطرح » يعد من مرافقها وكان قد فتحها البوكرك في سنة ١٥٠٧ فامتلكها البرتغاليون الى سنة ١٦٤٨ ثم خرجت من أيديهم وتقلبت عليها الاحوال حتى أصبحت هدفاً للنفوذ الانكليزي الى هذه الايام الاخيرة فجاءتنا الاخبار ان الانكليز احتلوها وغدت من أملاكهم . ولا بد من أن نعرض على القراء مجمل الانباء منذ أقرب عهد الينا أي منذ عهد السيد سعيد بن سلطان لتقوم في الفكر صورة الحقيقة منذ نشأتها الى هذا العهد . وقد استندنا في أغلب هذه الرواية على حضرة سليمان افندي الدخيل صاحب الرياض فنقول :

كان لمسقط في عهد السيد سعيد بن سلطان شأن يذكر أصبحت فيه حاضرة إمارة كبيرة على سيف الخليج الفارسي تمتد على الثغور البحرية المجاورة لها حتى جزيرة البحرين التي لم يتغلب عليها مع أنه حارب أهلها أشد المحاربة . ومن الثغور التي كانت تضاف الى الامارة المذكورة (لنجة) و(بندر عباس) وما يجاورهما من البلاد الايرانية الواقعة على خليج فارس . لا بل امتدت أجنحة امارته الى ساحل شرقي افريقية مثل بلاد (لامو) و (منباسة) و (الانقزيجة) و (بندر السلام) و(هنزوان) و(الجزيرة الخضراء) و(زنجبار وغيرها)

وكان قد أقام له حاضرتين وهما (مسقط) للبلاد الواقعة في بحري عمان وفارس (وزنجبار) للاقطار الافريقية. وعقد معاهدة مع والي البصرة ومثلها مع دولة الهند ليحافظ على استقلاله وأمور دياره حتى ان فرنسة أقرت له بلقب سلطان العرب أو أمبراطورهم وقد نالت رعيته من الرفاهية ورغد العيش مالم تنله تلك الاقطار في سابق الاعصار ، وكان له أسطول ذو حول وطول يمخر أبحر الهند وفارس وعمان .

* » منقولة بحروفها من مجلة لغة العرب البغدادية المفيدة

بقيت تلك الدولة في نمو وزهو الى أن توفي السيد سعيد فانقسمت دولته بين أبنائه قسمين: شطر عربي وشطر افريقي، فكان الشطر الافريقي نصيب السيد ماجد ومن بعده السيد برغش ووقع الشطر العربي حصةً للسيد ثويني الذي قتله ابنه السيد سالم ليستولي على سلطنته، وما بدأ هذا الرجل بالقبض على زمام الامر الا واستعرت نيران الفتن واندلعت ألسنة اللهيب الى تلك الديار ولم تخمد الا بتغلب السيد تركي عليها وهو ابن السيد سعيد أخي السيد ثويني. وبقيت الامور تجري في مجراها الى عهد السيد فيصل بن تركي السلطان العربي الحالي، فتقاسم الانكليز والالمانيون تلك البلاد في معاهدات سنة ١٨٩٠ وأفضت ثغور فارس والبحرين والكويت الى حماية الانكليز. وهكذا أخذت البلاد تخرج من أيدي أصحابها.

ولما اخترع الافرنج البواخر وسيروها على متان البحار وشحنوها آلات جهنمية وبقي العرب على حالتهم الاولى من اتخاذ السفن الشراعية أو ذوات المقاذيف ضعفت قواهم في المحاربة وتأخروا عن سائر الامم التي كانت تزداد قواها بازدياد عدد بواخرها وبوارجها ومدرعاتها فاضطر أمير مسقط أن يسايس الافرنج والانكليز خوفاً من أن تفلت بلاده من يديه قهرا وقسرا بدون أن يتمكن من معارضة المتغلبين الطامحة أبصارهم الى دياره. فاضطر الى منع النخاسة (بيع الرقيق) ثم الى منع بيع الاسلحة ثم الى غير هذه المطالب مما أوغر صدور العرب عليه ودفعهم الى الخروج عليه.

وأول من نفث في صدور الناس روح العصيان هو الشيخ عبد الله السالمي من (الشرقية) فانه دعاهم الى أن يبايعوه وقد كان بلده (ضبية) ومسكنه في بلد (القابل) الذي أميرها الشيخ عيسى بن صالح. وأول من بايعه هو هذا الشيخ وكانت المبايعة سرا. والغاية من هذا الخروج اقامة السيد فيصل (اماما شرعيا) على الاباضية في مسقط يكون نافذ القول والاحكام لاسلطاناً، ولهذا كتبا اليه كتاباً ليطلعاه على ماجال في فكرهما فأبى السيد فيصل قائلا انه «سلطان وامام معاً» وانه حر القول والفعل في مملكته يعمل مايشاء ويقول مايشاء.

فلما بلغ ذلك الخبر الى الشيخين امتعضا وانضم اليهما جم شايعوهما في أفكارهما، ثم طلبوا جميعهم الى السيد فيصل أن يقطع دابر الموبسات من مسقط وعمان وأن يمنع شرب المسكرات والدخان وتجول المبشرين في تلك البلاد الى غير هذه المطالب، فأبى كل الاباء قائلا: ان الانسان خلق حرا ولا يحق لي أن أقيده بقيود

فلما رأوا انه رفض كل ماطلبوه منه اجتمع الشيخ عبد الله السالمي والشيخ عيسى

ابن صالح والشيخ عبد الله بن سعيد وعقدوا مجلسا خفيا في (سمائم) من بني الريحة (١) وقرروا أن يبعثوا الشيخ عبد الله بن حميد الى جميع ديار عمان ليدعو أهلها الى النهوض مع الشيوخ المذكورين والى محاربة السيد فيصل لكونه أبى تلبية مطالبهم. فجرى الامر على ماقرروه ومكنوا الصلح في قبائل عمان المختلفة وربطوا بعضها ببعض ليكونوا يداً واحدة على السيد السلطان. ثم سار الشيخ عبد الله بن حميد الى (تنوف) (٢) بليدة قريبة من «نزوة» وواجه شيخها حمير الامامي الذي أمر للحال فجمع علماء الاباضية وذاكرهم في الامر فقر رأيهم على تعيين امام ومبايعته، فأقاموا عليهم الشيخ سالم بن راشد الخروصي (٣) ودخلوا «نزوة» سرا ودعوا سكانها الى المبايعة فبايعوا الامام وكان في مقدمتهم بنو يام والكنود (٤)

فلما بلغ الخبر أمير نزوة وهو السيد سيف بن حمد من أبناء بني سعيد هجم عليهم بعسكره كبحاً لجماحهم. لكنهم أبلوا بلاء حسناً وقتلوا من بني سعيد خاصة أكثر من ٢٥ رجلا وجرحوا الوالي ثم بعد ذلك أخذت نزوة أو قل: سلمت نفسها بدون ممانعة لضعف أهلها وقوة محاربيهم، وللحال أخرجت العساكر من القلعة الحصينة (٥) واحتلها أتباع الامام

اما الوالي فانه لما رأى الحال على تلك الصورة لجأ الى أحد المساجد فطلبوا اليه ان يطاوع الامام والا يعامل معاملة الاسير، فاستمهلهم ساعة قبل الجواب فلما امهلوه انتحر.

قبض الامام على زمام الامر في نزوة ولما قرت فيها قدمه أرسل يقول لسكان بيت سليط (٦) اما الطاعة واما الحرب. فسالموه وأطاعوه. ثم سار وقد قسم جنده الى طائفتين وجه الطائفة الاولى الى (بركة الموز) (٧) والطائفة الاخرى الى الرستاق (٨) وما كادت تصل تلك الجنود الى تلك الديار الا وانقاد سكانها للهاجمين

(١] بنو الريحة قبيلة كثيرة العدد عتيدة العدد أصلها من ذبيان (٢) تنوف واقعة على سفح الجبل الاخضر المشهور بكثرة الاشجار وبما يتفتق عند حضيضه من الانهار وهو يبعد عن مسقط مسير خمسة أيام واما نزوة وتسمى اليوم نزوى فهي عاصمة بلاد عمان في سابق العهد وهي الى يومنا هذا مدينة كبيرة فيها ما يقرب من ٣٦٠ مسجداً كذا على رواية سليمان افندي الدخيل ولعل الاصح ٣٦ مسجداً بحذف الصفر وفيها جامع كتب عليه انه «حول مسجداً في سنة ٧٠ للهجرة» وكان في السابق كنيسة للنصارى (٣) هذا الامام تابع لتسعة ائمة تقدموه وكلهم من قبيلة خروص القوية (٤) وهما قبيلتان مشهورتان في تلك المدينة (٥) هذه القلعة من القلاع المنيعة القديمة قال عنها سليمان افندي الدخيل انها قوية البناء لا تؤثر فيها المدافع الجديدة (كذا) ولعله يريد بالمدافع الجديدة تلك التي يتخذها الصبيان من ... الكاغد ؟! «٦» بلد حصين منيع «٧» وهي بلدة كبيرة منيعة «٨» وهي من العواصم القديمة

بدون معارضة . ثم زحفوا على بلاد الحزم (١) فبايع أهله الامام . ثم زحفوا الى ولاية العوابي (٢) فلم يقاومهم فيها أحد . وفي تلك الاثناء كانت الطائفة الثانية من الجند قد زحفت من (بركة الموز) الى (ولاية نزكي) (٣) وقالوا لواليها : ان أنت وافقتنا على أمرنا أقمناك اماماً . فسلمهم القلعة بدون محاربة وللحال لفوا رأسه بعمامة وقالوا له : «كن مستعداً لان تكون خليفة (!!!) بعد امامنا هذا (!) .

لما سمع السيد فيصل هذه الامور جيش جيشاً فيه ٥ آلاف جندي وأمر عليه ابنه السيد نادر فلما وصل الى قرب موقع الامام الجديد في (سمائم) قلب له جيشه ظهر المجن فانحاز الى جيش الخصم ولم يبق معه الا فرقة من البلوص وأولاد بني سعيد وكلهم لايتجاوز عددهم التسعين . فلما رأى هذه الخيانة لجأ الى حصن سمائم فدخله ولبث فيه محصورا متنفعا بالمدافع التي كانت هناك دفعاً لهجمات عدوه الشديدة

اما قبائل ذلك الموطن فانها لم تنفعه فتيلا لانها كلها خانته وانحازت الى الامام الجديد الذي اشتد ساعده لما رأى من الفوز المبين، ومع ماتوفق له من انضمام القوم اليه لم يستفد من محاصرة السيد نادر عظيم فائدة لانه كان يدحرهم شر دحر بما كان يمطره عليهم من قذائف مدافعه . ولهذا رأى الامام من الاوفق له ان يتركه وشأنه ويحاصر البلد محاصرة ضيقة بحيث يبقى السيد نادر وهو في حصنه في بؤرة البلد

ثم ان الشيوخ تفرقوا بجنودهم فسار الشيخ حمير بجنوده الى (سمائم السفلى) وسار الشيخ عيسى الى بلد (سرور) فبايعه أهلها . وسار الامام ومعه الشيخ عبدالله الى سمائم العليا (٤) محاصرين السيد نادراً . ثم انهم لما لم يروا نتيجة اتعاب محاصرتهم حفروا سرباً أو نفقاً تحت الارض على بعد ربع ساعة (كذا ولعل في هذه الرواية غلواً عظيما ولا سيما لان الارض هناك ذات حجارة صلبة سوداء تكاد تكون كالحرة) ينتهي الى القلعة ونسفوا بالبارود شيئاً يسيراً من الحصن ولم يصب أحد بضرر لا من المحاصرين ولا من المحاصرين، لكن لما أعادوا الكرة وأخذوا ينسفون الحصن للمرة الثانية رجع مفعول البارود على جند الامام وأهلك من قومه نفوساً كثيرة .

اما الشيخ عيسى فانه أوغل في البلاد وبايعه أهلها وما زال يمعن فيها حتى وصل الى بلد (قنكا) فارسل السيد فيصل عليه جيشاً جراراً وعند وصوله الى بلد

(١) وهي بلاد فيها قلعة حصينة اذا دخلها الدخيل لا يهتدي الى الخروج منها الا مع دليل يهديه (٢) ولاية حصينة هي من أول املاك السيد فيصل (٣) يعين والي هذه الولاية باس من الامام فيصل وابن عمه (٤) سمائم أو سمائل السفلى وسمائم أو سمائل العليا وسرور كلها بلاد واسعة على مسافة يومين الى اربعة ايام من مسقط

(الحوث) رجع على أعقابه وذهب الى بلاد (السيب) بدون ان يرى العدو بل علم ان العدو قد احتل (الحوث) قبل ان يصل اليه وبايعه أهله فحقق سعي جيش السيد فيصل . — وأما جيش الامام الذي كان قد احتل (الرستاق) فانه تجاوزه وأمعن في البلاد حتى دخل (العوابي) وفيها ابناء السيد فيصل وهما حمود وحمد، ومعهما السيد (هلال) والي (بركة) فلما رأوا صولة العدو فروا هاربين من القتل فأخذها الامام وأخرج منها العسكر الموجود فيها وامتلك الاسلحة المذخرة هناك وباعها للعشائر .

استمرت هذه المحاربة نحو أربعين يوما . وفي الآخر رأى السيد فيصل ان لاطاقة له على مقابلة العدو فاستنجد بالانكليز فامدوه بست بوارج هائلة. وبخمسمائة جندي ، واعدبه ان يساعدوه في كلما يطلب، وان لايبعدوا في البر أكثر من مسافة ساعة . وقد احتلت الجنود الانكليزية بعض القلاع وأخذوا يقاومون العدو أشد المقاومة وأصبحوا أصحاب الامر والنهي في عمان

ولما قرت قدم الانكليز في مسقط وفي سائر ديار عمان وأصبحوا فيها أصحاب الامر والنهي نشروا فيها أجنحة الامن والراحة والسكون. حتى ان أحد تلك الارجاء كتب الى جريدة الدستور البصرية « ان السكينة قد عادت الى ربوعها بعد ان اتخذ الانكليز جميع وسائل الحرب لصد العدو عن مهاجمتها لا بل شرعوا المذاكرة في أمور الصلح بينهم وبين الامام الاباضي » فتبارك مالك الملك الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء . اه بنصه

(المنار) نشر في جرائد مصر والعراق وسورية عدة مقالات في اخبار هذه الفتنة لم نر فيها أوفى من هذه المقالة المختصرة المفيدة . واذا صح ماقاله الراوي من ان الشيخ عبد الله السالمي والشيخ عيسى بن صالح كتبا الى السيد فيصل رحمه الله تعالى بما ذكر، وانه أجابهما بما ذكر (في ص ٩٤٢) فقد أعذرا اليه، واللوم عليه اكبر من اللوم على غيره. نعم اننا نعلم انه صار مغلوبا على أمره للانكليز في حاضرة مسقط، وانه لم يعد يستطيع منع المبشرين — الذين هم أصل كل فتنة في كل البلاد التي يحلون فيها فيفسدون على اهلها جامعتهم ويفرقون كلمتهم، ويمهدون السبل لازالة استقلالهم اذا كان لهم استقلال — ولا منع المومسات والمسكرات بدون اذن الانكليز، ولن يأذنوا بذلك. ولكنه لاينبغي مع هذا ان يجيب بما قيل إنه أجاب به من الرضا بدعوة المسلمين الى ترك دينهم الحق، وإباحة الفجور والفسق ، وعدهما من الحرية التي لا يجوز تقييدها ، اذ لا يوجد في

الارض مملكة تبيح لكل أحد أن يفعل ما يشاء ، غير مراعية استعداد الرعية ، ولا عواقب الامور الادبية والسياسية ، ولا تهييج الاحقاد الدينية . فالانكليز وهم اعرق الافرنج في الحرية لا يبيحون للكاثوليك ان يظهروا شعائر مذهبهم في مثل عيد الفصح في لندره ، ولا يسمحون للمبشرين من أهل دينهم ومذهبهم ان يدعوا الى النصرانية جهرا في جميع بلاد السودان المصري الانكليزي ، ويقال انه ليس في بلادهم مواخير علنية للبغاء . فهل كان السيد فيصل أوسع من الانكليز حرية وسياسة؟ ام تلك الرواية عنه كاذبة ؟ وإلا فأين الاسلام ؟ وأين العقل والذكاء ؟ انني استبعد جداً ان يكون الغرور بهذه الالفاظ التي يلوكها بيننا الافرنج والمتفرنجون قد وصل حتى بمثل السيد فيصل الى ذلك الحد الذي يدل عليه الجواب الذي عزي اليه، وعسى ان يكتب الي نجله النجيب صديقي السيد نادر (١) ما هو الحق في هذه المسألة

وقد صرحت المقالة بأن الانكليز قد احتلوا سواحل عمان كلها ، وصاروا اصحاب الامر والنهي فيها ، فاذا صح الخبر فلا بد ان يعملوا كل ذلك باسم سلطان مسقط ، ويسموا عملهم خدمة ومعاونة له ، حتى لاينفر منهم سائر أهل الخليج الفارسي من شيوخ العرب الذين يريدون الاستيلاء على بلادهم مثل (لنجه) و (دبي) بالفتح السلمي ، كاستيلائهم التدريجي على القسم الجنوبي من بلاد ايران . وأهل الشرق قد جُنّوا بالألفاظ فهم يعولون عليها ، ويهتمون بها مالا يهتمون بالحقائق .

الآن أقول انني لما كنت في ضيافة السيد فيصل منذ سنة ونصف تقريبا ورأيت حال حاضرته مسقط قلت له: أنني اتوقع ان ينصب قومك الاباضية إماما لهم ويخرجوا عليك باسم الدين ، فارى أن تجتهد في تلافي الامر قبل وقوعه ، وتتدارك الفتنة قبل اشتعال نارها ، بأن تجمع كلمة قبائل عمان وتؤلف من شيوخهم مجلس شورى ، وتجعل عاصمة المملكة في الجبل الاخضر ، وتنظم أمور المالية ، وتقيم العدل الشرعي في داخلية البلاد ، ولا يضرك بعدها العجز عن بعض الامور في حاضرة مسقط لمكان النفوذ الاجنبي فيها . ونصات له القول في ذلك تفصيلا ، ولكنني فهمت منه انه ليس لديه من الرجال ، من يستطيع القيام بهذه الاعمال ، ومن الغريب ان ما توقعته قد وقع بعد سنة فقط

(١) نادر بالدال المهملة لا المعجمة كما تكرر في مقالة لغة العرب . ونحن اعلم بضبط اسمه لاننا لقيناه وسمعنا والده وأهله يذكرون اسمه ويخاطبونه به ، وبيننا صلة بالمكاتبة

الشيخ علي يوسف

٢

سياسته العامة والعثمانية خاصة

كان الشيخ علي كاتبا سياسيا ، وكانت سياسته اسلاميه عثمانية مصرية . ثم لما اظهر الاتحاديون العصبية التركية ، واضطهاد العرب والعربية ، كانت سياسته اسلامية عربية أولا ثم عثمانية . أعني انه يخدم الدولة العثمانية في كل ما يستطيعه الا اذا كان معارضا للاسلام او العرب ، وقد خدمها أجل خدمة في تأسيسه لجمعية الهلال الاحمر في مصر ، فهو الذي سن هذه السنة الحسنة في مصر فاستفادت الدولة منها تلك الألوف الكثيرة من الجنيهات مع بعثات طبية منظمة أدّت لها الخدمة النافعة في حربي طرابلس والبلقان ، كما كان له في مؤيده اليد البيضاء في اعانتها من قبل على حرب اليونان

كان للمؤيد التأثير العظيم فيما عليه المصريون الآن من التعلق الشديد بالدولة العثمانية والحب الخالص لها . وقد كانوا يمقتون الترك وحكم الترك مقتا شديدا لانهم لم يروا من آثار حكمهم ولم يحفظوا من اخبار حكامهم ما يوجب غير ذلك . وقد تجلى ذلك في الثورة العرابية أظهر التجلي ، فكان زعماؤها عازمين على جعل حكومتهم مصرية محضة يتولى ادارتها المصريون دون الترك والمستتركين من الشركس وغيرهم . فلما وقعت البلاد تحت سيطرة الاحتلال الاجنبي ثقل ذلك على المسلمين طبعا ، وأحسوا بضعفهم ، فحدث عند بعض المشتغلين بالسياسة فكرة التعلق بالدولة والرجاء فيها . وكبر ذلك ونمي بل وجد وظهر منذ تولى الأريكة الخديوية العزيز (الحاج عباس حلمي الثاني) وفقه الله وأيده ، فانه بما سنه من زيارة الآستانة في كل عام ، أوجد في مصر حركة سياسية وطنية لم تكن في غابر الايام ، وجرأ المصريين على مالم يكونوا يتجرؤن عليه من قبل ، وولى وجوههم شطر تلك العاصمة ، وأنطق السنتهم واجرى أقلامهم ، بما لم يكن يعهد من احد منهم ، وكان المؤيد خطيب هذا المنبر ، أو منبر خطباء هذه السياسة ، ولكن مصر لم تستفد شيئا مما كانت ترجوه من هذه السياسة . وانما استفادت منه الدولة تعلق السواد الاعظم من المصريين بها وحبهم إياها ، فكان من أثره جمع الاعانات لها في كل حرب تدخل فيها

لاموضع هنا لبيان أثر هذه السياسة فى معاملة الانكليز لمصر وللدولة العثمانية ،

ولا لبيان تأثير هذا الحب والتعلق من الخديو وأمته في نفس السلطان عبد الحميد ثم في نفوس من خلعوه وخلفوه في هذه الدولة ، ولا لبيان سيرتهم مع عزيز مصر ، ولا مع الانكليز فيما يتعلق بسياسة مصر . لأن موضوعنا سياسة « الشيخ علي يوسف في المؤيد وفي نفسه » وخلاصة القول فيها انها كانت اسلامية في كل حال - عثمانية مصرية معا أيام كانت الآمال والأماني تنوط بالدولة حل المسألة المصرية باخراج الانكليز من مصر - ثم عثمانية محضة مصرية محضة بعد ما خابت تلك الآمال ، وطاحت تلك الاماني والاحلام ، التي كان يقال في مثلها « حياتنا بين يدي المابين »

ثم عربية عثمانية في العهد الاخير ، كما اشرنا الى ذلك في فاتحة الكلام . بل صارت خدمته للدولة في هذا العهد داخلة في سياسته الاسلامية العامة. وسيأتي الكلام في سياسته المصرية خاصة .

يقول أعداؤه وخصومه في السياسة من قومه انه كان متقلبا في سياسته ، ويعدون عليه من ذلك ما قد يعد له . والسياسة متقلبة بنفسها ، فالذي يجمد على حال واحدة لايستطيع ان يكون سياسيا ، لان الاحوال تتغير دائما ، والسياسي هو الذي يدور معها كيفما دارت . وفي الحكم والامثال « دوام حال من المحال » وانما يعاب على الرجل أن يكون متقلبا في المقاصد لا في الوسائل

فعلى هذه القواعد التي لانزاع فيها يرد أنصار الفقيد شبهة خصومه بانه كان في سياسته أثبت من الأطواد · أما سياسته الاسلامية فالامر فيها ظاهر ، ولم يتهمه بالتحول عنها متهم ، وأما سياسته العثمانية فقد ثبت عليها حتى الممات أيضا . وآخر خدمة خدم بها الدولة تأسيس جمعية الهلال الاحمر المصرية ، وكان عضوا عاملا في جمعية اعانة الحرب أيضا . نعم انه شن على جمعية الاتحاد والترقي حربا عوانا لاعتقاده ان ما سارت عليه في سياسة الدولة وادارتها كان ضاراً بالدولة العلية والامة العثمانية عامة ، وقومه العرب خاصة ، ومضعفا للرابطة بين الدولة وبين مصر .. ومنافيا للسياسة الاسلامية أيضا ولم يكن رحمه الله منفردا بهذا الاجتهاد بل كان متفقا فيه مع جماهير العثمانيين من الترك والعرب الذين الفوا عدة أحزاب لمقاومة الجمعية ، وصار اكثر اعضاء مجلس الامة عليها فاضطرت الى حله بالارادة السلطانية . ثم ان الجمعية نفسها صرحت بأنها كانت مخطئة في كثير من أعمالها ومقاصدها وانها رجعت عنها ، ومنها تتريك العرب وغيرهم من الاقوام العثمانيين

فظهر للمتتبع للحوادث انه قد ظهر انه كان مصيبا في انتقاده ، وكان آخر ما ظهر للجمهور من ضرر سياستها هو أول شيء كان أول من انتقده عليها جهرا ،

وهو جعل السلطة في أيدي الضباط واشتغالهم بالسياسة وقد قال في هذا الموضوع كلمته المشهورة في بيروت في أول العهد باعلان الدستور ، وسكر الناس كلهم بخمرة الفرح والسرور ، وهي « ان السيف والسياسة لايجتمعان في غمد واحد » قال ذلك لما رأى بعض صغار الضباط الاتحاديين في بيروت يتصرف في الحكومة تصرف الحاكم المطلق المستبد. ثم تبين أن ضرر اشتغال الضباط بالسياسة والادارة قد اضعف الدولة وقسم القوة فيها على نفسها ، وكان أهم اسباب الخذلان في الحرب البلقانية الاخيرة كما صرح به القائد الالماني الكبير (البارون فندر غلتز) باشا منظم الجيش العثماني

ويقولون ان التقلب والذبذبة في السياسة العثمانية هو ما جرى عليه خصوم الفقيد الذين صدق عليهم المثل « رمتني بدائها وانسلت » ذلك بأنهم ينتصرون لصاحب القوة أخطأ أم أصاب ، نهض بالدولة ام هوى بها . فكانوا يقدسون السلطان عبد الحميد ويقولون في طلاب الدستور والاصلاح منه اشد مما قال مالك في الخمر . وكانت قاعدة سياستهم ما وضعه لهم زعيمهم مصطفى كامل باشا من الغلو في السلطان عبد الحميد والتشنيع على طلاب الاصلاح والدستور منه ، حتى انه اوجب على من ينطق بالشهادتين - الشهادة لله تعالى بالوحدانية والشهادة لمحمد (ص) بالرسالة - ان يثلثهما بالشهادة للسلطان عبد الحميد الخ وقد صرحوا في جريدتهم اللواء قبل اعلان الدستور بيوم واحد بأن طلاب الدستور اعداء الدولة الخونة لأنه يضر الدولة ويفسدها .. بل كانوا بعد إعلان الدستور ايضا يصيحون في وجوه بعض العثمانيين المبتهجين به . ثم لما استقرت السلطة لجمعية إعلان الدستور وصار بيدهم المال والقوة قدسوهم كما كانوا يقدسون السلطان عبد الحميد ، وصاروا يلعنون خصومهم كما كانوا يلعنونهم عند ما كانوا خصوم السلطان عبد الحميد

هذا ملخص مارد به أنصار الشيخ علي على خصومه في مسألة ثباته على سياسته العثمانية في جوهرها ، وهو انه كان يتبع المصلحة ويدور معها ، وهم يتبعون رجال السلطة ويدورون معهم . وقد فتح ههنا الباب لخصم ثالث يقول : ان الشيخ عليا كان من أنصار السلطان عبد الحميد أيضا ، بل هو استاذ مصطفى كامل في الغلو فيه ، وقد نال من رتبه واوسمته اكثر مما نال مصطفى كامل ، وبقي ثابتا على الثناء عليه فلم ينقلب عليه بعد سقوطه ، كما انقلب عليه تلاميذ مصطفى كامل ، وكنا ننتظر ان يعد أنصاره هذا من ثباته . ولكنك تذكر عنهم أن الشيخ كان يتبع في خدمة الدولة العلية المصلحة ، لا الرجال الذين بيدهم المال والقوة ، فهل كان الشيخ علي يجهل ان السلطان عبد الحميد مخرب للدولة أم لا ؟ ان قلت: نعم! فما هو بالسياسي ، وان: قلت لا!

فما هو بالناصح الذي يتبع المصلحة . وانما الناصح في هذه المسألة هو المقطم دون المؤيد ودون اللواء الذي تلقى عنه السياسة الحميدية كالمصرية ، ثم أربى عليه في الغلو فيها وغش الناس بمدح ذلك السلطان المخرب . فما قول انصار الشيخ الذي يبالغون في مدح سياسته فيغرقون في هذا ؟ وما قولك وانت تبحث في سياسته بحث المؤرخ الصادق المنصف ؟

أقول ان آخر ما أعرف من شوط أنصار سياسة المؤيد في هذه المسألة ان السلطان كان هو الدولة ، فكان لابد لمن ينتصر لها لكونها إسلامية وللتقوي بها على الاحتلال الاجنبي في مصر من مدح السلطان والدفاع عنه كيفما كانت سيرته في سياسته وادارته المملكة . والسياسي لايكون صوفيا ولا ناسكا يلتزم الحق من كل وجه ، بل يلتزم مصلحته والمنفعة التي اتخذها قاعدة لسياسته . والمقطم ما كان يذم السلطان ويندد بمخازيه انتصاراً للحق وغيرة على الدولة ، بل ليصرف عن الدولة قلوب المصريين ويقطع حبل رجائهم فيها خدمة للاحتلال ، لاجل هذا كان في حجاج وخصام دائم مع المؤيد ثم مع اللواء الذي اتبع سنن المؤيد وغلا فيها غلوا كبيراً . واما الانتفاع برتب السلطان واوسمته فلا يلام عليه مثل الشيخ علي ولا مصطفى كامل ، لان المتصدي للزعامة السياسية يحتاج الى ذلك ، لانه يزيد في جاهه ، ويعلي من كلمته ، ويؤهله للقاء عظماء الحكام والسياسيين أصحاب المناصب فيعدونه من طبقتهم . وانما يعاب بمثله من يخدم المصلحة العامة تعبداً لله تعالى ، أو من يبني خدمته على مقاومة تمييز بعض الناس على بعض بهذه الرتب التي تضعها الحكومة ويطالب إبطالها ، ليتفاضل الناس بعلومهم وأعمالهم ، لا بالألقاب اللفظية ، ولاحلي الأوسمة الفضية والذهبية

أما أنا فأقول إن كلا من المؤيد واللواء - ومثلهما الاهرام - قد أضر المسلمين والعثمانيين عامة والمصريين خاصة بما جرين عليه من الاسراف في مدح السلطان عبد الحميد والدفاع عنه ، ولولا ان جمهور المسلمين كانوا يحملون ذم المقطم لسياسته وادارته وتنديده به على سوء النية ويظنون ان أخباره غير صادقة ، ولولا تلك الردود عليه لكان نفع ما نشره عظيما ، ولقد كان يكون النفع أعظم لو كان المؤيد واللواء ينشران مثل تلك الاخبار ويبنون عليها مطالبة السلطان بالاصلاح ، مشايعة لطلابه من العثمانيين مع الاعتدال .

وقد كنت أقول لمن اذاكرهم في ذلك من عقلاء المصريين : إن المقطم ينشر بعض ما يعلم ، ويعلم بعض مايقع . وانه يجب عليكم أن تعتبروا بأخباره ، مهما كان

ظنكم ورأيكم في نيته . والا كنتم طالبين للتلذذ بمدح الدولة والسلطان ، لا لمعرفة الحقيقة التي يتبعها الصلاح والفساد . فتشايعون السلطان على ما يضر ، وتتكلون عليه في امر الاسلام وامر مصر ، وكل ذلك من بناء المصلحة على وعث من الرمل ، بدلا من بنائها على الصخر ، وهو ان تعرف الأمة حقيقة حال دولتها وحكومتها ، وتعتمد على سعيها وعملها في إصلاح نفسها واصلاحها .

ومما أعرفه للشيخ علي رحمه الله تعالى من المزية في سياسته العثمانية ، بل في اخلاقه وسجاياه الفطرية ، انه كان كلما ازداد علما وخبرة باحوال الدولة ازداد ميلا الى مساعدة طلاب الاصلاح من العثمانيين على ما يطلبونه ، ولكن مع روية واعتدال ، ومحافظة على كرامة السلطان لعدة أسباب (منها) مراعاة صلة الولاء بينه وبين الخديو التي كان هذا يحافظ عليها فلا ينقطع عن زيارة ذلك سنة من السنين . (ومنها) ما كان يراه اولا من نفع تعلق المصريين به في المسألة المصرية (ومنها) اتقاء ان يظنوا أنه صار خصما للدولة . (ومنها) ان مفاجأة الناس بخلاف ما يرونه ربما يفضي الى ضد ما يراد منه ، وينفرهم من المؤيد ، فلماذا لم يعد خصومه هذا من ثباته على حفظ كرامة السلطان ، ويعدون مساعدته لطلاب الاصلاح من التقلب في السياسة وعدم الثبات ؟

لا اذكر من الشواهد على رغبته في معرفة حقيقة حال الدولة ومساعدة طلاب الاصلاح فيها ما كان بينه وبين مراد بك صاحب جريدة (ميزان) الذي كان من زعماء جمعية الاتحاد والترقي الاولى ، ولا ما كان من صلته بمحمود باشا الداماد ، فان هذا مما لا أعرف حقيقته وخفاياه . وأكتفي بأصح الشواهد وأثبتها وهو ما وقع لي معه :

إنما كثر اجتماعي به وكان مبدأ صحبتي له في سنة ١٣١٦ اذ كنت أطبع (المنار) بمطبعته في أواخر سنته الاولى وأوائل سنته الثانية قبل شراء مطبعة له ، وما كان اسرع ما وثق بي على قلة ثقته بالناس . ولما رأيته يحدثني بحرية واستقلال فكر ، ويقبل مني ما أذكره له من الانتقاد على الدولة والسلطان ، خلافا لاكثر من عرفت في مصر من الاخوان ، رغبت اليه في جعل المؤيد لسانا لطلب الاصلاح في الدولة ، فقال لي : اكتب ماتشاء من رأيك في ذلك مع الاعتدال وحفظ كرامة السلطان ، وذلك كاف في ايصال هذه الافكار والآراء الى الناس . فكتبت عدة مقالات في موضوع حاجة الدولة الى الاصلاح وما يجب منه في هذا العصر . فكان ينشرها في صدر المؤيد غالبا كما ينشر غيرها من مقالاتي التي كنت اذيلها بامضا (م . ر) ويعزوها هو الى « احد افاضل الكتاب المجيدين »

ما كنت أظن يومئذ ان أحدا من المتعلمين المدركين في مصر ينكر عليه نشر تلك المقالات لاني كنت أنشر في المنار ما هو اشد منها في تمثيل الخلل والفساد ، وما يجب على الامة والدولة من الاصلاح . حتى دخلت عليه يوما فاذا هو في جدال مع محمد بك فريد في مقالة من تلك المقالات . كان فريد يقول له ان نشر مثل هذه المقالة يعد خروجا من المؤيد عن خطته ، وان ذلك قد ساء اخوانهم الوطنيين جداً .... وقد علمت منه بعد ذلك ان كثيرا من أصحابه كلموه بهذا اللسان ، ولم يرأن يذكر لي ذلك حتى سمعت بأذني . وأطلعني ايضا على رسالة جاءته من تونس واخرى من جاوه في الرد على مقالة من مقالات (المنار) ساءت كثيراً من الناس في تلك الاقطار ، إذ عدوا النصيحة لجهلهم عداوة للدولة وخروجا عليها ، ولكنه لم ينشرهما لانه كان يرى ان ما ينشره المنار حق ، وقد كتب بمداد الغيرة والاخلاص للدولة .

أليس هذا دليلا على كونه كان يراعي المصلحة العامة ، ويحب إصلاح الدولة ويساعد المصلحين ، بشرط ان لا يضر بنفسه ولا بجريدته ? بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ولعله لولا ظهور جريدة اللواء والتزامها خطة الغلو في تقديس السلطان عبد الحميد وفي المسألة المصرية ووقوفها للمؤيد بالمرصاد ، وإساءتها تأويل كل ما ينشر فيه بقلم الروية والاعتدال ، لما وقف المؤيد بالمصريين عند ما عهدوا في السياسة العثمانية ، بل لسدد وقارب في السير الى الغاية التي تجب ، وهي معرفة حقيقة حال الدولة ومعرفة حقيقة أنفسهم ، ومكانهم منها ومكانها منهم ، وما يجب عليهم لها ولانفسهم ، ولكانت مصر حينئذ هي المعين الاكبر لاحرار العثمانيين على ما كانوا يطلبون من الاصلاح ، ولوصلوا بذلك الى خير مما كان من اكراه الجيش السلطان على اعلان الدستور ثم خلعه بقوة السلاح ، وما ترتب على ذلك من الشقاق والخذلان ، الذي نشكو من سوء عواقبه الآن .

وجملة القول في سياسة المؤيد العثمانية إنها بنيت أولا على اساس المسألة المصرية ، وقصد بها تقوية الصلة بين الدولة ومصر ، وبين السلطان والخديو . وكان الشيخ علي لا يعرف في أول العهد بها من أمر الدولة والسلطان شيئا ، الا ما اقتضته الحال من تلك الحركة الخديوية ووافق ما جبل عليه من النزعة الاسلامية . ثم انه صار كلما زاد علما بالدولة واختبارا يتلطف في النصح ، ويساعد طلاب الاصلاح من العثمانيين ، مع مراعاة ما كان يرمي اليه من تقوية الصلة بين مصر والدولة العلية ، والمحافظة على كرامة السلطان ان لم يكن لذاته فلما هو متحمل به من لقب الخلافة الاسلامية ، ولما بينه وبين عزيز مصر من الرابطة الرسمية

واما اللواء فقد بدأ سياسته العثمانية بما تلقفه من سياسة المؤيد في طفوليته، (أي المؤيد) وغلا فيها كدأبه وعادته ،وكان كلما زادصاحبه معرفة بسوء حال السلطان عبد الحميد وزبانيته، يزداد غلوا في اطرائه وتقديسه، وإسرافا في التشنيع على طلاب الاصلاح للدولة . ذلك بأنه كان له راتب مالي يأخذه من (المابين) فوق ما نال من الرتب والاوسمة لنفسه ولكثير من المصريين، وفوق المال الذي كان يأخذه بأسماء أخرى كعقد الاحتفالات السنوية بعيد الجلوس السلطاني في أوربة . ووراء ذلك ما لا يحسن ذكره في هذه الترجمة . فاذا كان هذا هو اثبات المحمود عند الذين يطعنون في الشيخ علي لتحوله عنه ، فأعدل ما نحكم به في هذه القضية قول الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « مراجعة الحق خير من التمادي فى الباطل »

على اننا رأينا ان الشيخ ثبت على خدمته للدولة في تقوية حقوقها في مصر ، وناهيك بتلك الغارة الشعواء التي شنها على حكومة بلاده في مسألة القضاء الشرعي اذ أرادت بضغط الانكليز ان تبطل جعل تولية قاضي مصر الاكبر من حقوق السلطان يرسله من الآستانة ، وفي إعانة المصريين لها بالأموال ، ولا سيما في أزمنة الحروب والشدائد . وفي تقوية الصلة بين عابدين والمابين (كما يقال في عرف هذا العصر) وقد ختم ذلك بأفضل خاتمة ، وهي تأسيس جمعية الهلال الاحمر ، واستقال أخيرا من لجنة إعانة الحرب البلقانية لأنه اقترح أن ترسل اللجنة الى الدولة ما بقي في صندوقها من المال - وهو مبلغ كبير - بعد انتهاء الحرب ، فابى الرئيس واكثر الاعضاء ذلك. فليدلنا المعارضون على خدمة غيره لها ، التي تضاهي خدمته وتغني غناءها . ومن سبر غور السياسة يعلم ان حملته على الاتحاديين كانت انفع للدولة في سياستها ومصلحتها الدائمة من تلك الاعانات المالية ، لأنها تفيد في اصلاح سياستها الدائمة . والاعانة منفعة موقتة عارضة ، ورحم الله الاستاذ الامام حيث قال : « ما وعظك مثل لائم ، ولا قوّمك مثل مقاوم »

سياسته المصرية

كانت مقاومة الاحتلال والسعي لجلاء الجيش الانكليزي عن مصر من قواعد سياسة المؤيد الاساسية ، وقد كان ذلك مرجوّا لأن حكومة لندرة كانت تصرح رسميا بأن احتلالها للبلاد المصرية موقت وانها ستتجلى عنها ، ولأن دول أوربة كانت معارضة لها في احتلالها معرقلة لكل ما يثبت قدمها ، واشدهن في ذلك فرنسة ، ولأن

الدولة العثمانية كان يحسب لها حساب كبير في هذا . فلما عرف الفقيد حقيقة الدولة العثمانية ، ومنتهى شوطها في المسألة المصرية ، ورأى كيف رجعت فرنسة القهقرى في حادثة (فشوده) الشهيرة ، ثم كيف عقدت (سنة ١٩٠٤) مع انكلترة الاتفاق على ترك حقوقها لها بمصر ، في مقابلة مساعدتها على احتلال مملكة مراكش ، ثم كيف تتابعت سائر الدول الكبرى على اقرار انكلترة على احتلالها في مصر ، واعطائها العهود على عدم معارضتها فيه – لما علم ذلك رأى ان العمل النافع لمصر انما يكون فيها وفي لندرة ، لأن الجذب والدفع صار محصورا بين المصريين والانكليز ، فلا رجاء في احد يساعد المصريين مساعدة يرجى نفعها الا بعض احرار الانكليز محبي الانصاف أو المعارضين لحكومتهم في سياستها الاستعمارية . فحصر عمله في هذين الامرين ، فقامت عليه قيامة جريدة اللواء وأنصارها ، وسموا المؤيد بالمقطم الاحمر ، لأن الوطنية وخدمة مصر عندهم تتجلى في شيئين : مطالبة الانكليز بالجلاء عن مصر ، وشتم نظار الحكومة وذم كل عمل تعمله في مصر . أما الفقيد فقد اغتنم فرصة إصرار اللواء على الغلو في المعارضة للسير على ما أوجبه عليه تغير السياسة الخارجية وطول التجربة والاختبار من الاعتدال في المعارضة ، واقامة الحجة لمصر بأن فيها من يتكلم ، يناضل بالحجة والبرهان ، لا بالتمويه ومكابرة الحس والعيان ، وكان يرى ان الحماقة والجهل ، قد تكون مجنا الروية والعقل ، فيكره أن يصادر اللواء في حريته ، على ايذائه له ولوطنه .

أما عمله في مصر لمصر فطرقه وأنواعه كثيرة ، منها ماهو خاص بتنبيه الاهالي وارشادهم الى ماينفعهم في التربية والتعليم والآداب والفضائل ، وفي الكسب والاقتصاد والتعاون على الخير ، ومنها مايتعلق بحقوق الامة على الحكومة ، والتعارض والتجاذب بين مصر والمحتلين

وكان ركن سياسته المصرية الركين تأييد نفوذ الامير الشرعي (الخديو) وسلطته في كل أمر ، والتوسل الى ذلك بكل ما يمكن ، ويحتج بأن كل مازاد في سلطته ونفوذه فهو ربح لمصر على الاحتلال ، وكل مانقص منها فهو مزيد في سلطة الاحتلال ونفوذه . فكل أمر للامير فيه رأي أو قصد فهو الخادم الأمين له فيه ، ينصره برأيه وقلمه ولسانه ، وان خالف رأي نفسه ، الا أنه في هذه الحالة قد يتلطف في عرض رأيه على مسامع الامير قبل الشروع في العمل ، فان قبل فذاك ، والا أخذ بقول الشاعر : * سيد القول مايقول الرئيس * وقد ثبت على هذه السياسة واستقام على هذه الطريقة طول حياته ، ولقي في ذلك من الألاقي مايلقاه أمثاله من كيد الحاسدين له على قربه

من أريكة الملك ، ومعارضة المخالفين له في السياسة والرأي ، وخسر كثيرا من الاصدقاء الذين لا ينكر ماله عليه أو على الامة من الفضل ، لان هؤلاء يرون أن الاخلاص للبلاد في خدمة الامير انما تكون بحسب اعتقادهم ورأيهم وان لم يرضه احيانا .

وقد كانت اضاعته لبعض هؤلاء الاصدقاء الاوفياء أنهض حجج من رموه بقلة الثبات وعدم الوفاء ، ويقل من يعرف كنه هذه الوقائع ويزنها بالقسطاس المستقيم ، ويقل في هذا القليل من يبين للناس ماهو الراجح والمرجوح في هذا الميزان ، للتعريف بحقيقة هذا الرجل الذي يقل مثله في الرجال

اننا سمعنا بعض الذين رثوا الرجل في منظومهم ومنثورهم قد وصفوه بأنه أوفى الاصدقاء ، في هذا الزمن الذي قل فيه الوفاء ، واني – ولا أنكر ان بعض الناس غلوا في اطرائه – أقول انه كان ذا وفاء يقل من يفضله به . وأما الذين يصفونه بعدم الوفاء فمنهم صاحب الهوى المتبع الذي يتكلم بسوء قصد ، ومنهم المنصف الذي يعتقد ما يقول

اما سيء القصد فلا علاج لمرضه ولا جواب لقوله . وأما المنصف فله عندي جواب استخرجته من الشواهد التي عرفتها في هذا الباب ولعلها أوضحها واكبرها ، وهو ان الرجل كان سياسيا قبل كل شيء ، فهو ما ترك صداقة صديق الا في سبيل السياسة ، والا بعد ان تعذر عليه الجمع بين صداقته وبين ما تقتضيه تلك السياسة . وما لي لا أصرح فأقول كان اذا غضب مولاه ، الذي تدور سياسته على قطب رحاه ، على أحد اصدقائه ، يبذل كل ما يراه في وسعه من وسائل ارضائه ، فان لم يستطع حافظ على مودته بالقدر الممكن . فاذا رأى انه مضطرا الى هجره هجره هجرا جميلا ، واذا اضطر الى كتابة ما يسوءه لا يتعدى حد الضرورة التي تقتضيها السياسة الا قليلا . واذا استطاع في أثناء ذلك ان يخدمه بشيء خدمه ، ان لم يكن ذلك في الجهر ، فمن وراء الستر . وهل يستطيع السياسي الذي يخدم الامراء والملوك أكثر من هذا ؟

كأني ببعض هؤلاء المنصفين يقول اذا قرأ هذا : « ان عندي انتقاداً آخر على الرجل وهو انه ما كان يقف في مثل هذا عند حد المصلحة العامة أو عند الحق ومقتضى الفضيلة » واني أذكر هؤلاء – الذين تمثل بعضهم أمامي الآن – بما قلته من قبل في السياسي الذي يشتغل بالسياسة فعلا من كونه لا يزن أعماله بالميزان الذي يزن به الصوفي أو فيلسوف الأخلاق ، وليس ما شرحته من سيرة الرجل في هذه المسألة بالذي يكثر في عصرنا من تصل به الفضيلة الى مثله . ولا هو بالذي يرتقي الى وضعه في ميزان سياسة عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ولا بالذي

يمد من مقامات الصديقين ، المشروحة في كتابي احياء العلوم ومدارج السالكين

أين هذه السيرة ممن كان اذا سخط من أحد لانه لم يعظمه التعظيم الذي يحبه لنفسه ، يغلو جهد طاقته في ذمه وإيذائه ، ويقعد له بكل طريق يسير فيه ولو الى خدمة الملة والامة، فيضع له الغوائر ، ويحفر له الاحافير ، ولا يرقب فيه الاّ ولا ذمة ؟ أيجوز أن يقرن هذا بذاك ؟ كلا إن ذلك ظلم وجهل بأقدار الرجال ، لايذهب الى مثله الا بلداء العوام واغرار الاطفال . (للترجمة بقية)

باب الاخبار والآراء

كتاب ابن الرشيد الى الصدر الاعظم

ذكر في بعض الصحف أن سعود باشا الرشيد كتب الى الصدارة العظمى كتابا قال فيه:

« علمنا أن بعض الناس يقومون الآن في بعض الولايات طالبين من الدولة العلية مطالب مجحفة بحقوق الدولة ومنافية للدين الاسلامي الحنيف . الامر الذي ساءنا جدا . وعليه ليكن معلوما لدولتكم ولدى العالم الاسلامي أجمع اننا لانقبل هذه الشؤون المضرة بالدين الاسلامي والدولة . واننا مستعدون مع كافة جنودنا وقبائلنا للقيام بما تأمرنا به الدولة العلية ولا نحيد عن اوامر خليفتنا المعظم » اه

ونحن نقول « أفلح الأعرابي ان صدق » في قوله انه لايرضى بما ينافي الدين وانه لايقبل الشؤون المضرة بالدين والدولة . نقول هذا ونحن لانعلم ماهي المطالب التي يعنيها إذ لم يبلغنا أن الناس طلبوا في بعض الولايات ما ذكره ، ولو أنه أشار الى تلك المطالب لعلمنا مبلغ صحة حكمه عليها، وهل هو مصيب فيه او مخطئ ؟ وهل قال قوله عن علم باحكام دين الله ام لا ؟

وياليت شعري اذا علم الامير ابن الرشيد ارشدنا الله وإياه الى نصر الدين والدولة — ان بعض الناس يطلبون من الدولة منع الفواحش والمنكرات كالسكر والزنا والربا والمجاهرة بالفطر في رمضان نهارا من دار الملك والخلافة ومن غيرها من البلاد العثمانية واقامة الحدود الشرعية فيها كلها ، وعدم بيع شيء من ارضها أو معادنها للاجانب ، هل يكون مستعدا مع جنوده وقبائله لنصرتهم وشد أزرهم ؟ فان كان ينصرهم ولو بلسانه وقلمه فليعلن هذا كما أعان ذاك ، وإن لم يفعل علم العالم الاسلامي أجمع انه غير مستعد الآن الا لما كان يعده له السلطان عبد الحميد من قبل،

من سفك دماء المسلمين فى جزيرة العرب مهد الاسلام وحرزه لأجل توسيع سلطته في بلاد امراء آل سعود وتكثير ماله وإعلاء رتبه الرسمية العثمانية عند من يرضيهم هذا وهو ما يتهمه به المشتغلون بالسياسة في ديار الشام والعراق حتى الآن . وان من هؤلاء من هم أعلم بالشرع وأحكام الاسلام منه ومن الصدر الاعظم أيضا

مايجب على أمراء جزيرة العرب الان

أما نحن فنقول له ان أفضل خدمة يخدم بها الاسلام والدولة الاسلامية ايدها الله بتوفيقه وتسديده، هو أن يساعد على مايجمع كلمة المسلمين لا على ما يفرقها بأي اسم كان ، واول مايجب عليه من ذلك عقد الاتفاق بينه وبين جاره الامير ابن سعود والعهد والميثاق على السلم والامان وان لايبغي أحدهما على الآخر ولا يقاتله البتة ، واذا وقع خلاف بينهما على شيء يحكمان فيه من يرضيان حكمه ، وعلى ان يتعاونا على تأمين جميع البلاد التي يصل نفوذهما اليها ، ومنع غزو الاعراب بعضهم لبعض فيها ، وعلى نشر العلم الديني وما يعد فرض كفاية من علوم الدنيا في بلادهما ، وعلى تنظيم قوتهما الحربية على قاعدة قول الله عزوجل (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) والمرابطة فيها لحفظ الحرمين الشريفين وما هو سياج لهما من جزيرة العرب ٠ وان يتحدا على هذا مع اميري اليمن الامام والادريسي، فبهذا يرضيان الله ورسوله والمؤمنين ، ويكفيان الدولة مؤنة إرسال الحملات العسكرية المرة بعد المرة الى العراق والشام واليمن ونجد ،وسفك دماء المسلمين فيها لاخضاع العرب او حفظ الامن ، أو جمع السلاح وما اشبه هذه الاسباب والحجج ، التي كثيرا ما كانت باطلة ، ناشئة عن وشاية سافلة،أونية سيئة . واقترح ان يتضمن هذا العهد والميثاق إعانة الدولة على كل حرب تكون بينها وبين أعداء الاسلام بكل ما يقدران عليه من قوتهما الحربية

الا وليعلم الامير ابن الرشيد وفقه الله تعالى وأرشده الى مايحبه ويرضاه انه لاشيء اضر على الاسلام من تنازع اهله وتفرقهم وسفك بعضهم دماء بعض ، وانه لولا هذا التفرق والشقاق ما زال ملك الاسلام من الشرق والغرب، ولم يبق له الا هذه البقعة المهددة بالزوال فى كل يوم ، وان الدولة العثمانية أيدها الله بتوفيقه لاتقدر ان تحمي بعسكر الاناضول عاصمتها وبلادها الاوربية والاسيوية ثم تحمي به الحرمين وجزيرة العرب ، وانما يقدر على ذلك العرب وحدهم اذا اتفقوا . وليعلم ان زوال قوة العرب من الجزيرة ستفضي الى وقوعها في قبضة الاجانب في أسرع وقت وأقربه فلا يبقى للمسلمين استقلال ولا حرية في الأرض ، الا بقدر ماتمتم به أوربة عليهم، ا

الا وليعلم ابن الرشيد وغيره ان دول أوربة يراجع بعضهم بعضاً القول في تحديد مناطق نفوذهم السياسي والاقتصادي في البلاد العربية والاناضول ، وانهم يتشاحون في قسمتها كما يتشاحون في قسمة المال ، لأن صاحب كل منطقة يتفقون على إعطائها له يعد نفسه مالكا لها بحق الفتح السلمي ، ولم يبق من عذر لأحد في الاغترار باعترافهم باسم الدولة . فان بقاء هذا الاسم أنفع لهم من عدمه ، لأنهم يستعملون به نفوذها الصوري والمعنوي لادارة البلاد واخضاع المسلمين فيوفرون مالهم ورجالهم. فاذا اتفقوا على القسمة كما هو المنتظر في كل يوم ، وانفردت كل دولة بالنفوذ في ساحل من سواحل جزيرة العرب . فقل على الجزيرة والحجاز السلام ، لان حياتها المادية خرجت من أيدي اهل الاسلام . فمن كان لديه غيرة وقوة فليفكر في استعمالها لتلافي هذه الاخطار ، لا لتهديد طلاب الاصلاح في الولايات .

حرية المسلمين الدينية بمصر

لدعاة النصرانية (المبشرين) عدة مدارس ومستشفيات وصحف في مصر لاغرض لهم منها الا تنصير المسلمين ، وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على إنشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم العلم وعمل الخير ، ثم انهم ينشرون في كل سنة عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام ، وتنفير المسلمين من الاسلام . دع النشرات والأوراق الصغيرة التي ينثرونها في المستشفيات ، والخطب التي يلقونها فيها وفي سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم مع هذا ان يكون للمسلمين في هذا القطر الاسلامي كله صحيفة اسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الاسلام ، فسعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بالغاء مجلة المنار وإبطال صدورها ، وبمحاكمة صاحبها هو والدكتور صدقي الذي يساعده في الرد عليهم ! أليس من عجائب الغلو في تعصب القوم أن يسعى الى هذا أو يحدث به أو يفكر فيه بعض أبناء الأمتين الامريكية والانكليزية ، أعرق أمم الافرنج في احترام الحرية ؟

وقد سئلنا عما ينشر في المنار من الرد على النصارى فأجبنا: إننا أقدمنا على هذا العمل مدافعين لامهاجمين، وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا في الطعن في ديننا اضعاف ما كتبنا وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يقم به بعض المسلمين

أثم الجميع ، وانه يجب على المسلمين الهجرة من البلاد التي ليس لهم حرية فيها في إظهار دينهم والدفاع عنه . وانا مع هذا نفضل ان يسكت هؤلاء المعتدون عنا ونسكت عنهم على أن مجالهم أوسع في الرد علينا ، لانا نؤمن بنبيهم وكتابهم الذي أنزله الله عليه ونعد الطعن فيه كفراً كالطعن في نبينا بلا فرق . ولا نستطيع أن نقول كما يقولون ، ولا ان نخوض كما يخوضون

الا انه لم يكن يظن أحد من الناس ان الحرية التي كانت مصر تفاخر فيها أوربة من كل وجه تتضاءل بعد لورد كرومر حتى يطمع الطامعون فيها بمثل ماذكرنا، وهي التي رفعت اسم انكلترة حتى صار جميع مسلمي الأرض يفضلونها على جميع دول أوربة ، ضعفت في مصر الحرية السياسية يخفف على الناس المصاب فيها راحتهم من أولئك الأحداث السفهاء ، فاذا اضطهدت الحرية الدينية فأي شيء يخفف على المسلمين مصابها ويعزيهم عنها ؟ على ان الذي ظهر لنا ان أولي الشأن قد اقنعوا أولئك السعاة المحالين بأنهم هم المعتدون وانه يصدق على رد المنار عليهم « واحدة بواحدة ـ بل بمئات ـ والبادئ أظلم »

﴿ مسألة الارمن وتعصب أوربة الديني ﴾

لم تكد دولتنا تمضي عقد الصلح بينها وبين اليونان، وتنفض يدها من حرب البلقان حتى فاجأتها الدولة الروسية بما ليس في الحسبان ، اذ اقترحت أن تكون الولايات الخمس التي يقيم فيها الارمن مستقلة في ادارتها يتولاها كلها حاكم أوروبي أو عثماني مسيحي تختاره الدول الكبرى ويعينه السلطان (كمتصرف لبنان بل نفوذ الدولة فيه أضعف) وأن تكون مجالسها العمومية نصفها من الارمن والنصف الآخر من غيرهم! وفرنسة وانكلترة تؤيدان روسية في طلبها ! فليتأمل العاقل كيف يدخل التعصب الديني في أعمال أوربة وسياستها ! هذه الولايات فيها زهاء خمس ملايين من المسلمين وثلاثة أرباع المليون من الارمن ، وفيها كثير من اليهود أيضاً. وتريد دول الانسانية والمدنية أن يكون نصف الاعضاء الذين يديرون أمرها من النصارى مع جعل الحاكم منهم . فان كانت المسألة دينية فما هو المرجح لدين النصارى ؟ وان كانت جنسية ففي تلك الولايات الترك والعرب والكرد واللاز والاسرائيليين فلم لم يكن لكل جنس أعضاء يمثلونه ؟ ؟

خاتمة السنة السادسة عشرة

نختم سنتنا السادسة عشرة بمثل ما افتتحناها به من حمد الله على كل حال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد والصحب والآل، وقد وقع ما كنا في تلك الفاتحة توقعناه، وظهرت بوادر ما كنا نخشاه، ولا حول ولا قوة الا بالله، ومالي وقد انذرت ويئست الا أن اقول كما قال يعقوب نبي الله «إنما اشكو بثي وحزني الى الله، واعلم من الله ما لا تعلمون»

ان غفلة هـذه الامة عن نفسها، وتماريها بالنذر الخاصة بأمر هلاكها بزوال استقلالها، لم يدع لنا مجالا للتنبيه على تقصير المقصرين منها في حقوق المنار، والنسبة في ذلك بين الاصناف والاجناس والاقطار، كما كنا نفعل في خواتيم السنين بقصد الموعظة والاعتبار، وإنما يتعظ ويعتبر من لا يعقل ان قيامه بحقوق ابناء جنسه، هو عين إقامته وحفظه لحقوق نفسه، «وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايعقلون»

الانتقاد على المنار

ندعو القراء على رأس كل سنة الى انتقاد ما يرونه منتقدا في المنار. ونذكر في خاتمة السنة جملة ما ورد علينا من الانتقاد، ونبين رأينا فيما لم نكن بيناه من قبل، ولم ينتقد احد علينا في هذه السنة شيئا الا عبارة في مقالة من مقالات الدكتور محمد توفيق صدقي في الطعن في الاوربيين، انكرها بعض الحكام قولا لا كتابة. وهي – وان كان مثلها لاينكر في أوربة نفسها، وما كان ينكر في مصر قبل هـذه الايام – ليست مما أرضى بمثلها للمنار ولو رأيتها قبل الطبع لاصلحتها. وقد طبع في هـذه السنة عدة نبذ من ردّ الدكتور على النصاري لم أرها قبل الطبع ولم اصحح فيهـا شيئاً، ولا عهدت اليه بتصحيح شيء منها، وقد جرى هذا خلاف عادتي لـكثرة الشواغل. وانتقد بعض أهل البحرين الاجابة عن أسئلة من سأل منهم عن حكم مناسك الحج، ولم ينكروا الاجابة نفسها. ووجه انكارهم ان السائل معترض على الاسلام لامستفيد. واذا صح هذا تكون اجابته أولى كما سنوضحه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

وقد منعت الحكومة العثمانية دخول المنار الى ولاياتها في أثناء هذه السنة ثم اذنت بدخوله فلهذا لم تصل بعض الاجزاء الى المشتركين في وقتها، ولمن لم يصل اليه شيء ان يطلبه وان فات الوقت المحدد في نظام الادارة لطلب الاجزاء المفقوده

ونسأل الله تعالى ان يوفقنا ويوفق أمتنا، لما يرفع مقته وغضبه عنا، فطوبى للمعتبرين المشمرين، وويل للغافلين المقصرين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

اطلب قائمة مكتبة المنار ترسل اليك مجاناً

مكتبة المنار

لاصحابها

رضا و خطيب و قتلان

العنوان : مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

هذه المكتبة مستعدة لتصدير مطبوعات المنار وسائر المطبوعات لخارج القطر المصري ولتصدير مايطلب منها من الكتب والادوات المدرسية وليس على الطالب سوى ارسال الثمن مع أجرة البريد والمكتبة لاتسأل عن الصادرات اذا كانت غير مسجلة (مسوكرة)

والمرجو من طلاب الكتب أن لا يعتمدوا على غير ادارة المنار بطلب مطبوعات مطبعة مجلة المنار في الجملة وأما مايطلب منها فردا كنسخة ونسختين فهو كسائر الكتب يطلب من «مكتبة المنار بشارع عبد العزيز» في خطاب مستقل يرسل اليها ولا يرسل باسم الادارة

اعلان

تعلن مطبعة المنار انها مستعدة لطبع الكتب والجرائد وجميع أشغال المحامين والجوابات والظروف وبطائق الزيارة « كارت فيزيت » والملاحق وسائر المطبوعات بالعربية والافرنجية مع الاتقان والنظافة واعتدال الاجرة . والمخابرة تكون بهذا العنوان (السيد صالح مخلص رضا الحسيني مدير مطبعة مجلة المنار

اعلان من ادارة مجلة المنار بمصر

(المراسلات)

(١) ينبغي ان تكون جميع المراسلات المتعلقة بالادارة من طلب كتب او اشتراك او اجزاء مفقودة او تغيير عنوان او طبع مطبوعات بعنوان (ادارة مجلة المنار بمصر) وما كان منها خصوصيا أو مايختص بالتحرير والاستفتاء يجب بأن يكتب باسم (السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر)

واذا كانت المراسلة مشتملة على عدة مواضيع فليكتب كل موضوع على حدة بورقة خاصة لان ذلك ادعى لانجاز العمل وتلبية الطلب

(الحوالات)

(٢) جميع الحوالات من بدل اشتراك أو ثمن كتب أو أجزاء من ادارة المنار أو أجرة طبع أو تجليد يجب أن ترسل باسم « السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر » وأما الكتب التي تطلب من مكتبة المنار فترسل حوالاتها باسم (عبد الفتاح أفندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر)

(الاشتراك)

(٣) ان اشتراك المنار ٨٠ قرشا صحيحا في مصر والسودان المصري و ١٩ شلنا في انكلترة والهند وكندا وزنجبار ورأس الرجاء الصالح والترنسفال والاورانج الحرة وكفرورية وسائر المستعمرات البريطانية و٢٢ فرنكا في فرنسة وأفريقية الشمالية والغربية (كيتونس والجزائر) ومراكش و٩ روابل في روسية ومستعمراتها و ٢٠ شلنا في الصين واليابان وافغانستان وبلاد العجم والمحمرة ومسقط وعمان والبحرين وسائر البلاد التي يحصل منها الاشتراك بواسطة مكاتب البوستة الانكليزية و٢٢ كورن و٢١ هلر في النمسة والمجر وما الحق بهما كالبوسنة والهرسك و٤ بسوس و ٦١ سنتا في الجمهورية الفضية (الارجنتين) واميركة الجنوبية وفنزويلا و١٨ ماركا و٩٠ فننا في المانية وسائر مستعمراتها و١٠ فلورينا و١٨ سنتا في هولاندة وسائر مستعمراتها و٤ ريالات (دولار) وتسعة وعشرون سنتا في الولايات المتحدة الامريكية وجزائر الفيليبين و٤ ريالات مجيدية في بلاد الدولة العلية

وعلى طالب الاشتراك أن يرسل القيمة مع الطلب حوالة باسم السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار بمصر على البوستة أو أحد المصارف (البنوك) او تجار القاهرة أو يدفعها لوكيل المنار في بلده ان كان هناك وكيل وكذلك الذين يطلبون مطبوعات أو الاجزاء المفقودة

(المسؤلية)

(٤) ان ادارة المنار غير مسئولة عن المراسلات اذا فقدت من البريد الا اذا كانت مسجلة على حساب المرسل اليه وقيمة التسجيل لجميع أعداد المنار في السنة ٦ قروش لمصر والسودان و٣ فرنكات و١١ سنتيم أوشلنان و٥ بنسات ونصف للخارج ولكل مراسلة ٥ مليات لمصر والسودان وقرش صحيح (صاغ) أو ٢٦ سنتيما أو بنسان ونصف بنس للخارج. ولكل طرد زنته ٥ كيلو عشرة قروش الى آسية الوسطى و ٨ قروش الى أوربة و ١٢ قرش الى الهند الشرقية الانكليزية وبغداد والبصرة والمحمرة ومسقط والكويت وعدن ومكاتب البوسطة الانكليزية في الشرق

(٥) كل ما يرسل الى مكتبة المنار يجب أن يكون بعنوان «عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبدالعزيز بمصر» ومنه تطلب الكتب غير المطبوعة بمطبعة المنار أيضا ومفردات مطبوعات المنار وفهرس (كتالوج) المكتبة وهو يرسل لمن يطلبه مجانا

الادارة

فهرس المجلد الخامس عشر

تأخر اصدار هذا الفهرس سنة مما جعل المشتركين يلحون بطلبه من كافة انحاء العالم وسيصدر مع العدد الاول من سنة ١٣٣٢ مجلد ١٧ وسيتبعه ان شاء الله فهرس السادس عشر وحسبنا هذا البيان ردا على المكتوبات الكثيرة بطلبه.

صالح مخلص رضا

فرصة

يمكن الاشتراك بالمنار بنصف القيمة عن السنة السابعة عشرة سنة ١٣٣٢ بأعداد محدودة بشرط ان يدفع القيمة سلفا وان يكون المشترك ممن يستحق المساعدة وقد امتد هذه الفرصة الى نهاية ربيع الثاني سنة ١٣٣٢ تحقيقا لرغبة المتبرع

وهذه المساعدة مقتصرة على مصر والسودان والبلاد الخارجية ما عدا البلاد العثمانية لأن الادارة متبرعة بنصف القيمة هنالك من نفسها

« الروزنامة الاهلية »

قد امتازت هذه الروزنامة على أكثر الروزنامات العربية لاحتوائها على التواريخ العربية والتركية والافرنجية والقبطية ولما فيها من الفوائد التاريخية والادبية وتطلب من مكتبة المنار بمصر وثمنها ٣ قروش

يوجد شاب سوري (صفيف) حروف عربي يرغب في الذهاب الى الولايات المتحدة الامريكية ليشتغل في مطابعها فكل من رغب فيه فليخابر ادارة المنار بذلك

